

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
الدراسات العليا
قسم التفسير

٢١١١
٢٠٠٧

القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه



إعداد الطالب

محمد عارف عثمان موسى الهرري

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات

رقم التسجيل العام ٤٥٧
الخاص

التاريخ / / ١٤١٤ هـ

للوصول على حالة الم

إشراف

فضيلة الشيخ عبد القادر شيبه احمد

١٤٠٤ هـ
٢١٩٨٤

١٤٠٣ هـ
٢١٩٨٣

- (كلمة شكر وتقدير) -

=====

احمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما وفقني به من القيام
بهذه الرسالة النافعة التي تخدم القرآن الكريم مباشرة وعلى ما أنعم
عليّ من الصحة والفراغ ، وأصلى وأسلم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيد الأولين والآخريين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ،،،

فانه من الواجب الديني والانساني أن أقدم جزيل شكرى وتقديرى
الى جامعتنا الحبيبة (الجامعة الاسلامية) على ما قدمته لى ولغيرى
من ابناء المسلمين الذين يفدون المهبا من جميع الأقطار من تربية
اسلامية وثقافة علمية ومساعدة روحية ومادية وخصوصا على ما قدمته
لى فى سبيل اتمام هذا العمل وغيره كما لا أنسى جميل ما قدمته هذه
الحكومة الرشيدة من مساعدة مادية وغيرها لرفع مستواها لتقوم بواجبها
على الوجه الأكمل كما لا أنسى أن أقدم شكرى وتقديرى الى رئيس
الجامعة الاسلامية الدكتور/ عبدالله الصالح العبيد ، ورئيس قسم
الدراسات العليا الشيخ / عبدالله بن محمد الفنيان .

وأيضاً انه من الواجب الديني والانساني أن أقدم شكرى وتقديرى الى
استاذى الكبير الشيخ / عبد القادر شبيبة الحمد الذى منحنى اغلى
أوقاته وأخلص فكره فى سبيل اخراج هذه الرسالة فى هذا الثوب
الجميل كما أقدم شكرى وتقديرى الى رئيس شعبة التفسير الدكتور/
سيد محمد طنطاوى .

- ب -

كما اقدم شكرى وتقديرى لكل من ساهم بمساعدة مباشرة أو غير مباشرة
معنوية أو مادية فى سبيل اخراج هذا البحث على الوجه المطلوب
وأخص بالذكر منهم الأخ / هشام عبد الهادى الذى ساهم فى طبع
هذه الرسالة . فجزا الله الجميع خيرا الجزاء واعانهم جميعا فى كل
ما يقومون به من أعمال جليلة آمين .

المقدمة

المقدمة

”بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ”

الحمد لله الذى أكرم أهل القرآن بالقرآن ، وخلق الانسان علمه البيان

وأخرس بالقرآن كل لسان ناطق بالبهتان فى كل زمان ومكان .

والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى

والفرقان ، محمد بن عبد الله المنتسب الى عدنان الذى قام بتوضيحه وشرحه

وبيانه وتفصيله بأمر من الله الحنّاف المنان امثالاً لقوله تعالى :

((وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)) الآية (١)

وعلى آله وصحبه الذين تلقوا القرآن عنه صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً وآية

آية وسورة سورة وتربوا على مائدة القرآن حتى نالوا بذلك علماً وعملاً

واخلاصاً ، وعلموه بدورهم من جاءهم بمدتهم ممتثلين فى ذلك قول نبيهم الكريم

صلى الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (٢) وبذلك صاروا حماة

هذا الدين وحملت الى الأمة بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد بلغوا فسى

أخذ القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم وتلقيهم اياه عنه واتقانه وباحكام

تجويده = مع أن القرآن فى عهدهم كان خالياً من النقط والشكل = مبلغاً

لا يداينهم فيه أحد . وهذا يدل على فضل عظيم للصحابه رضى الله عنهم

خاصة فى علم الهجاء ، وفهم ثاقب فى تحقيق كل علم (٣) فسبحان من أعطاهم

(١) سورة النحل آية : ٤٤

(٢) رواه البخارى فى صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(٣) والشافعى : محمد بن ادريس بن الربيع الهاشمى المطلب من الاثمة فسى

القراءة والفقه والاصول (١٥٠ - ٢٠٤) .

وفضّلهم على سائر هذه الأمة ولله در الامام الشافعي رحمه الله تعالى حيث يقول في وصفهم في رسالته التي رواها الزعفراني (١) "وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحبهم الله وهنأهم بما أثابهم من ذلك . ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين أدوا إلينا سنن رسوله و شاهدوه والوحي ينزل عليه فعلوا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عاما و خاصا و عزما و ارشادا و عرفوا من سننه ما عرفناه و جهلناه وهم فوقنا في كل علم واجتهاد و ورع و عقل و أمر استدرأ به علم واستنبط به آراءهم لنا أحمد و أولى بنا من رأينا عند أنفسنا (٢) .

ولم يكن هؤلاء الصحابة الكرام على حد سواء في تلقيهم كتاب الله عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فبعضهم أخذ عنه بحرف أو حرفين وبعضهم أخذه عنه بحروف لم يتسن للآخرين ، ثم ان هؤلاء من الصحابة انتشروا في البلدان لنشر الدين و تعليم القرآن فقرأ القرآن أهل كل بلد بقراءة الصحابي الذي تلمذوا عليه ثم علم التابعون القرآن من جاء بعدهم وهكذا الى أن بلغنا هذا القرآن الكريم بطريق التواتر الذي لا شك فيه ولا شبهة محفوظة من كل عيب يلحقه كما وصفه منزله وصدق وعده في ذلك () انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ((٣) .

هو الحسن بن محمد الصباح ابو علي البغدادي الزعفراني تلميذ الشافعي (١) المتوفى سنة ٢٦٠ هـ .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١ ص ١١-١٢

(٣) سورة الحجر = ٩ =

ويعد هذه الأسطر الوجيهة والتمهيد القصير فأذكر للقراء الكرام بعض
الاستدراكات ^{التي} خدّرت على قلبي أثناء قراءتي " تفسير ابن جرير الطبري " جامع
x
البيان في تفسير آبي القرآن ، حيث تعرض صاحب هذا الكتاب أبو جعفر رحمه
الله تعالى : بانكار القراءات المتواترة ، وتفصيل بعضها على بعض مع تواتر
الجميع عند القراء المشهرة المشهورين وهذا الموقف منه في غاية الخطورة
لأنه يعتبر طعنا في القراءات المشر التي أجمعت الأمة على تواترها وذلك
أن القراءات المتواترة حق وصواب من عند الله كما شهد بذلك منزلها رب
السموات والأرض حيث يقول : (تنزيل من رب العالمين الى قوله : انه لحق
اليقين ^(١)) بلا تفاوت وتفاضل في ذلك ولو جاز لأحد انكار القراءات
المتواترة دون الأخرى مثلها أو جاز تفضيل قراءة متواترة على مثلها
لجاز ذلك للمصطفى صلى الله عليه وسلم حيث ارتفع أمر المختلفين
فيها اليه فصوّب الجميع بما قرأه من القراءة ولم يخطأ أحدا منهم فيها بل
قال لكل منهما " أحسنت " وفي رواية " أصبت " ، وفي رواية " هكذا
أنزلت " ، وهذا المنطق النبوي يدل على أن جميع القراءات حق وصواب منزلة
من عند الله بلا شك طالما ثبت تواترها .

ولكن الطبري حرق الاجماع المنعقد على أن هذه القراءات في المرتبة
سواء فيقدم هو بعضها الى الأولوية بالصواب ويؤخر بعضها الآخر عن

(١) سورة المائدة = ٤٣ - ٥١ =

هذه الأولوية أو يحرمها بالكيفية صفة الصواب كما يأتي بيان ذلك في الباب الثالث ان شاء الله تعالى .

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى بحرا لا يدرك قصره ولا تكدر الدلا ، صفوه ، فأستحى أن أكون من الذين يسبحونه ولكنني لم أجد بدا من محاولة ذلك لأن الأمانة العلمية توجب على أن أدلى دلوى في هذا البحر وان لم أكن أهلا لذلك .

فبناء على ما ذكرت فقد وقع اختياري في رسالتي هذه " الحاجستير " ، على الموضوع الآتى :

٥٥ القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبرى في تفسيره

والرد عليه ٥٥

وقد رتبته هذه الرسالة على مقدمة ، وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فقد ضممتها ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في ذكر سبب اختيار هذا الموضوع .

المبحث الثانى : في ذكر أهمية هذا الموضوع .

المبحث الثالث : في ذكر المصادر والمراجع التي اعتمدت

عليها في بيان هذا البحث .

وأما الباب الأول فقد جعلته للكلام على ترجمة ابن جرير الطبرى وقد رتبته هذا

الباب على عشرة فصول :

الفصل الأول : الحالة السياسية والعلمية في عصره
=====

الفصل الثاني : نسبه ومولده وفيه ثلاثة مباحث .
=====

المبحث الأول : حياته العلمية ونبوغه .

المبحث الثاني : دراسته

المبحث الثالث : ذكائه .

الفصل الثالث : في ذكر شيوخه الذين تلقى العلم عنهم .
=====

الفصل الرابع : صفاته الخلقية والعقلية وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : ورعه

المبحث الثاني : اراضه عما في ايدي الناس .

المبحث الثالث : جرأته في الحق .

المبحث الرابع : مضاء عزيمته .

الفصل الخامس : في ذكر تلاميذه الذين استفادوا من علومه النافعة
=====

الفصل السادس : ثناء العلماء عليه .
=====

الفصل السابع : في ذكر مؤلفاته
=====

الفصل الثامن : مذهبه في العقيدة وفيه ثلاثة مباحث :
=====

المبحث الأول : رأيه في الامامة .

المبحث الثاني : براءته مما اتهم به من التشيع .

المبحث الثالث : ما جرى بينه وبين الحنابلة .

الفصل التاسع : في ذكر أهم منهجه في تفسيره (جامع البيان)
=====

الفصل العاشر : في وفاته رحمه الله تعالى رحمة واسعة .
=====

الفصل العاشر : فى وفاته رحمه الله تعالى رحمة واسعة

وأما الباب الثانى : فنحن ذكر نشأة القراءات وتطورها وذكر المراحل الستى
مرت عليها القراءات حتى صارت فنا مستقلا من فنون

علوم القرآن الكريم . وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول : ذكر الخطوات التى خطت القراءات منذ نشأتها الى أن

ثبتت علما من علوم القرآن الكريم .

الفصل الثانى : التعريف بالقراءات .

الفصل الثالث : مصادر القراءات

الفصل الرابع : الاختلاف فى القراءات وأسبابه

الفصل الخامس : فوائد اختلاف القراءات

الفصل السادس : أنواع اختلاف القراءات

الفصل السابع : بيان معنى الاختيار فيها .

الفصل الثامن : الفرق بين القراءات والتجويد .

وأما الباب الثالث : فقد جعلته للكلام على القراءات التى أنكرها الطبرى

والتي فضل بعضها على بعض مع تواتر الجميع وقد جعلت

هاتين القراءتين اللتين تعرضهما الشيخ رحمه الله تعالى

بابا واحدا لأن انكار القراءات المتواترة وتفضيل قراءة متواترة

على مثلها يرجعان الى معنى واحد وهو الطعن فى

القراءات القرآنية التى منها التوقيف لاجتهاد

هذا وقد نهج الطبري رحمه الله تعالى هذا المنهج الذي

ذكرت في تفسيره كما سيأتى بيانه في محله .

وأما الخاتمة فقد جعلتها لذكر خلاصة ما جاء في هذه الرسالة المتواضعة

والله أسأل أن يجعل عظمى هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يسدد خطاى في سيرى

الى تمام البحث وأن يلبسه ثوب القبول والتقدير انه سميع قريب مجيب

صاحب الرسالة اله الب: محمد عارف عثمان موسى الهررى

الماجستير باشراف فضيلة الشيخ / عبد القادر شيبه الحميد

وهذا أو ان شروعى فى المقصود يعون الله وكرمه فأقولوبالله التوفيق

أما المبحث الأول من المباحث الثلاثة التي اشتملت عليها المقدمة ففـي سبب اختيار الموضوع .

وقد سبق أن أشرت الى هذا السبب في التمهيد . إشارة لطيفة غير أنها لم تكن كافية في بيان المراد ولذلك أعود هنا فأقول :

أن العوامل التي دعيت الى أن اختار هذا الموضوع واكتب فيه أنني وجدت أثناء قراءتي لهذا التفسير عدة هجمات قام بها الشيخ على القراءات المتواترة أثناء توجيهها وسئل السيف من الفمد ليقطع بها هذه القراءات ويخرجها عن حيز الصواب أو يقلل شأن قراءة عن شأن قراءة أخرى مثلها مـن أن القراءات على وتيرة واحدة ما دام خيط التواتر ينظماها ومن هنا عرفت أنه ارتكب بذلك ما لا يجوز ارتكابه لأن القراءات توقيفية و سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول بهذه الطريقة المحكمة " التواتر " ولا يجوز الخوض فيها لا بتصويب بعضها دون الأخرى ولا بتفضيل بعضها على الأخرى ما دام الأمر كذلك لأن السلف نهو عن ذلك . . . وسأذكر منهج السلف في ذلك ان شاء الله . ولكن الشيخ كما سبق ينكر بعض القراءات العشر المتواترة أحياناً ويفضل بعض قراءات متواترة على مثلها وتكرر منه ذلك في مواضع كثيرة من كتابه .

وقد أوصلت القراءات التي تصرف فيها هذا التصرف المذكور = في الجزء الذي عيّنوه لي في رسالة الماجستير وهو الى آخر سورة التوبة = الى مائة

وعشر قراءات ما بين منكرة عنده ومفضل عليها أخرى مثلها .

أقول ولما عرفت ذلك عزمت على أن أبين الصواب والحق في هذه الرسالة ويشهد الله وهو خير الشاهدين أنني لم أقصد بكتابة هذا الموضوع إلا بيان توقيفية القراءات العشر المتواترة عند المسلمين قاطبة والمدافع عنها في وجه تيار الشبهات التي يسيورها بعض الناس .

والغريب أن هذا الجانب الذي تناوله الطبري في توجيه القراءات الستة أوردها في تفسيره لم يمتطحة من الدراسة والبحث إلا الإشارة الخفيفة من ابن الجزري والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني .

وقد أشار ابن الجزري = إلى أن عمل ابن جرير هذا يمتد طعنا فسي القراءات المتواترة ويمتد ابن جرير أول طاعن فيها وفتح أبواب الطعن فسي القراءات = بقوله : وأول من تعلمه أنكر هذه القراءة = بمعنى قراءة ابن عامر في سورة الأنعام (١) = وغيرها من القراءات الصحيحة وركب هذا الصذور ابن جرير الطبري بعد الثلثاء وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير حتى قال السخاوي (٢) قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي : اياك ولعن ابن جرير على ابن عامر (٢) وأشار الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني

(١) سورة الأنعام آية = ١٣١ = ٢٤١ .

(٢) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٤٤

(٣) هو علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي صاحب كتاب هداية المركاب في المتشابه وهي منظومة تعرف بالسخاوية المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ترجمته في ابن خلكان ١ - ٣٤٥ .

الى أن هذا المسلك الذى سلكه الطبرى يعد طمنا فى القراءات أيضا حيث
ذكر أن طريق الأحاد المحضة هذا هو الذى فتح باب المطاع لبعض الأئمة
فى بعض الروايات الواردة فى القراءات السبع كما بن جريز الطبرى الذى ذكر
فى تفسيره شيئا من ذلك وألف كتابا كبيرا فى القراءات وعللها وضمنه بعض تلك
المطاع (١) .

وهذه الإشارة اللطيفة من هذين العالمين الجليلين ربما تفتح عيون
الباحثين على امان النظر فى الموضوع ولكنه لم يكن شىء من ذلك الا أنى
وجدت كتابا صغير الحجم بمد ما فرغت من تسويد هذه الرسالة بعنوان " دفاع
القراءات المتواترة فى مواجهة الطبرى المفسر (٢) " وقد تصوّر صاحب هذا
الكتيب سقاطات الطبرى فى هذا الجانب الذى هو موضوع دراستى وحبّبت
الشيخ المسوء لية فى الشبهات التى تثار حول القراءات باعتبار أنه أول من
فتح هذا الباب (وأن كتابه هذا أول تفسير ألف فى تفسير القرآن الكريم
آية آية من أوله الى آخره حيث قال الدكتور لبيب السعيد : " ولأن للطبرى
موضعا ظاهرا من صناعته كفسر تابعه فى ذلك آخرون فى القديم والحديث
مثل الزمخشري فى كتابه " الكشاف " ومثل أبى المعالى صدر الدين
القونوى فى كتابه " اعجاز البيان فى تأويل القرآن " ومثل طه حسين فى
كتابه " الأدب الجاهلى " ، وقد جرأت هذه المتابعة بعض الناس فى

(١) سورة الانعام = ١٣٧ -

(٢) المؤلف الدكتور لبيب السعيد ولم أعرف أنه حى أو فارق الحياة الا ان الكتيب
فى حوزتى .

في وقتنا الحاضر على الخبط في موضوع هذه القراءات في غير ما تحرج
ولا مبالاة . (١)

أقول : ولقد صدق صاحب هذا الكتيب في عد هؤلاء الأشخاص في قائمة
الداعنين في القراءات وذلك أن الزمخشري - من الأقدمين - كانت أروءه معروفة
في الإلحاد و توجيه القراءات التي تعرضها في تفسيره ويكفيها من ذلك شاهد
واحد يبين طعنه فيها حيث قال في توجيه قراءة ابن عامر في سورة الأنعام (٢)
عند قوله تعالى : () وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم ()
= والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف " شركائهم " مكتوبا بالياء
ولو قرأ بجسر " الأولاد والشركاء " لأن الأولاد شركاءهم في أموالهم لوجد
في ذلك مندوحة .

أقول : وهذا الرأي منه طمن صريح في القراءات المتواترة لأنه يدل على أن
القراءات طريقها الاجتهاد لا النقل المحض الذي هو الدين الذي ندين به
وقد أدرك ابن الجزري خطورة رأيه هذا و وفنده حيث قال : " والحقيق
في غير ما قاله الزمخشري و نعوز بالله من قراءة القرآن بالرأى والتشهى وهما
يجل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل ؟ بل الصواب جواز هذا
الفصل (٣)

(١) انظر كتاب " دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الدبيري المفسر عن ١٢

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ عن ٢٦٣ .

(٣)

هذا ما يتعلق بأراء الزمخشري في القراءات . وقد رأيتها و أما طه
حسين = من المحدثين = فصيحته أدهى وأمر لأنه قرر أن القراءات
السبع ليست من الوحي السماوي لا في قليل ولا كثير بل مردها اختلاف
اللهجات وقد سجل عن طه حسين هذا القول الذي قامه دكتور
عبد الهادي الفضلي في كتابه " القراءات القرآنية تاريخ و تعريف " حيث قال
وذهب الدكتور طه حسين الى أن مصدر القراءات هو اللهجات قال : هنا
وقته لا بد منها ذلك أن قوما من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع
متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل على قلبه فنكرها
كافر من غير شك ولا ريبه ولم يوفقوا لدليل يستدلون سوى ما روى فسي
الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام (أنزل القرآن على سبعة أحرف) والحق
أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها
كافرا ولا فاسقا ولا مفترا في دينه وإنما هي مصدرها اللهجات واختلافها^(١)
وأما الثالث فلم أطلع على رأيه فيها الا ما أشار اليه دكتور لبيب من ذكره فسي
عداد المهتمين بطعن القراءات القرائية .

ومهما يكن الأمر فان الشيخ رالدبري رحمه الله تعالى = وان لم نستطع
أن نحمله التبعية في هذه المتابعة التي أشار اليها دكتور لبيب = الا أن له
السبق في فرع هذا الباب باعتبار أنه ألف كتابا في القراءات وضمنه بعض
تلك المطاعن كما ذكر الزرقاني وأشار اليه ابن الجزري وأيضا كتابه " جامع البيان

الذى نحن بسدده هو أول كتاب ألف في تفسير جميع القرآن كما سبق أن
أشرت الى ذلك .

وهو الثانى الذى جاءت فيه تلك القراءات التى أنكرها الشيخ رحمه الله
تعالى وسلب عنها ثوب السواب مع أنها مزينة بهذا الحلّى الفالى أو التى
غض شأنها عن شأن أختها المساوية لها فى هذه المنزلة الرفيمة بلا تفاوت
بينهما واذن فله الأسبقية بلا جدال .

وإذا قررنا أن تفسير ابن جرير الدبى هو الذى قدحا ز قصب السبق
فى هذا المضمار وأن جميع التفاسير التى ألفت بعده مقتسه منه وله الفضل
عليها عرفنا ان كل من جاء بعده عالة عليه - وهو كذلك = وعرفنا أن الذين
يقروء هذا التفسير الأول يكثرون من جميع الطبقات ويتابعونه فى المحاسن
التي خلفها الدبى فيه - وهى الكثرة الكاثرة التى لا حصر لها . وفى الجانب
الذى هفا فيه وهو نزر من بحر وهو الجانب الذى ندرسه ان شاء الله
تعالى وحينئذ فليس بعيدا ما قاله دكتور لبيب السعيد بهذا الاعتبار
لأن اللاحقين غالبا ما يقلدون السابقين فى حقول المعرفة الا أن المشارب
تختلف وذلك أن أبا جعفر رحمه الله تعالى لم يقصد بذلك الا الخير وخدمة
كتاب الله تعالى ومعالجة المعانى التى تحويها هذه القراءات وان ضاعت
به الطريق .

وأما أتباعه فمنهم من تابعه فى ذلك بحسن النية من غير معصان
النظر فى خطورة الأمر ومنهم من تابعه بسوء النية ولو تبين الأمر كطه حسين

والمستشرقين كجولد تسيهر .

وقد ذكرت لك أن القراءات العشر متواترة بلا شك كلها حق وصواب نزل
من عند الله على درجة واحدة لا تفاوت فيها وقد أطبق المحققون من الفقهاء
والمحدثين والأصوليين وأصحاب المذاهب الأربعة والقراء على ذلك .

وحينئذ أن كل ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقد وجب
قبوله ولم يسع أحدا من الأمة رده ولزم الايمان به وأنه كله منزل من عند الله ان
كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية يجب الايمان بها كلها واتباع ما تضمنته
من المعنى علما وعملا لا يجوز ترك موجب احدهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك
تعارض .

والى ذلك أشار عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه بقوله : " لا تختلفوا
فى القرآن ولا تنازعوا فيه فانه لا يختلف ولا يتساقط الا ترون ان شريعة الله
فيه واحدة حدودها وفرائضها ، وأمر الله فيها واحد ولو كان من الحرفيين
حرف يأمر بشىء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله
ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فانه من كفر بحرف منه كفر به كله .

قال ابن الجزرى رحمه الله تعالى والى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال لأحد المختلفين (أحسنت) وفى الحديث الآخر " أصبت "
وفى الآخر " وهكذا " أنزلت " فصوب النبي صلى الله عليه وسلم قراءة كل من
المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله وبهذا افترق اختلاف القراء من
اختلاف الفقهاء فأن اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله وهو كلامه
لا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى والحق فى نفس الأمر فيه واحد
فكل مذهب بالنسبة الى الآخر صواب يحتمل الخطأ وكل قراءة بالنسبة الى الأخرى
حق وصواب فى نفس الأمر لا يحتمل شىء منها الخطأ ، فمقطع بذلك ونوع من
به ونعتقد أن معنى اضافة كل حرف مختلف فيه الى من أضيف اليه من الصحابه
وغيرهم انما هو من حيث انه كان أمبسط لها وأكثر قراءة واقراء به وملازمة
له وميلا اليه لا غير ذلك وكذلك اضافة الحروف والقراءات الى أئمة القراءة
ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الامام اختار القراءة بهذا الوجه
حيثما قرأ به فأثره على غيره ودوام عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به وقصد فيه وأخذ

(١) هو الامام الحجة المحقق المدقق شيخ الاسلام سند مقرئ الامام أبو الخير
محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزرى ولد رحمه الله تعالى
بدمشق الشام ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة احدى
وخمسين وسبعمائة ونشأ بها وأتم حفظ القرآن الكريم فى الرابعة عشر من عمره
ثم أخذ القراءات افرادا على الشيخ أبى محمد عبد الوهاب والشيخ أحمد
بن ابراهيم الدلعان وتوفى منحصوة الجمعة لخمس خلوص من ربيع الأول
سنة ٨٣٣ هـ ودفن بدار القرآن التى أنشأها بها عن ٨٢ سنة رحمة الله وبه
بحبوة رضاه من مقدمة كتابه .

عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الاضافة اضافة اختيار ودوام ولزوم
لا اضافة اختراع ورأى واجتهاد (١) .

أقول : ولا يخفى عليك بعد هذا البيان المقرر في حقيقة القراءات المشسر
أنها توقيفية وسنة متبعة ونقل محض لا دخل للأراء والاجتهاد فيها أبدا ولكن
الشيخ رحمه الله تعالى جعل أساس انكار القراءة أو تفضيلها على أخرى مبنيا
على اخضاعها للأراء النحوية أو الصرفية أو اللغوية أو القياسية وكرر ذلك في
مواضع كثيرة من كتابه هذا كما ستقف على ذلك ان شاء الله تعالى في محله ولا
شك أن هذا يبين أن البشرهما بلغ في العلم والفضل عرضة للخطأ وأن الكمال
لله سبحانه وتعالى .

والا فان الشيخ معن شهد له الدنيا بنبوغه في جميع المجالات العلمية
ولا يمس هذا الجانب الذي وقع منه قدره وفضله وعلمه فجراه الله خير الجزاء عن
العلم وأهله هذا .

وقد قلت : ان العامل الرئيسي الذي دعاني الى دراسة هذا الموضوع طلب
بيان القراءات التي أنكرها الشيخ أو غرض شأنها على شأن قراءة أخرى مع ثبوت
كلها بطريق التواتر .

وهناك سبب آخر حطني على اختيار هذا الموضوع وان كان السبب الأ ولـ
أهم وهو أنني أردت أن ألفت أنظار أئمة هذا الشأن واهل القراءات الى ما لحق

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجسزى ج ١ ص ٥١ - ٥٢

يكتب التفاسير من حشوها بالقراءات الكثيرة من غير بيان هذه القراءات من كونها متواترة أو شاذة ولا شك أن هذا مما يوقع القارئ في لبس وخطأ وخصوصاً في هذا الزمان الذي قل فيه أهل هذا الشأن وحينئذ يترتب على ذلك حدوث القراءة الشاذة في الصلاة ثلثاً منهم أنها متواترة ولذلك يجب على كل من يكون أهلاً لذلك تجريد كتب التفاسير التي وجد فيها شيء من هذا القميسل مما لحق بها وبيان الحق من الباطل ليكون القراء على بينة من أمرهم وهذه الكتب مثل فتح القدير للشوكاني ومثل الكشاف للزمخشري وغيرهما .

السبب الثالث

وثمة سبب ثالث دفعني إلى اختيار هذا الموضوع وهو أن نبيه على أن القراءات مصدر مهم من مصادر تفسير القرآن الكريم ولذلك أدخل جميع من عرّف التفسير القراءات فيه .

وقد ذكر الدكتور محمد حسين الذهبي^(١) رحمه الله تعالى أن بعض العلماء يرى أن التفسير من العلوم التي يتكلف لها حد ويرى البعض الآخر أن التفسير لا يتكلف له حد ثم قال : فقد عرّفه أبو حيان^(٢) في

(١) انظر التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان الفرناني ولد بفرنادة سنة ٦٥٤ هـ وتوفي بمصر أوائل سنة ٧٤٥ هـ وكان قد خرج من الأندلس أوائل سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بمصر حجه . - مقدمة كتابه والدرر الكامنة ٣٠٢/٤ .

البحر المحيط بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها
وأحكامها الفردية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت
لذلك ثم خرج التعريف فقال : فقولنا علم هو جنس فيشمل سائر العلوم ،
وقولنا : يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات ، وقولنا
ومدلولاتها أى مدلولات تلك الألفاظ ، وهذا هو علم اللغة الذى يحتاج اليه
فى هذا العلم وقولنا : وأحكامها الفردية والتركيبية هذا يشمل علم الصرف
وعلم الاعراب وعلم البيان وعلم البديع وقولنا : ومعانيها التي تحمل عليها حالة
التركيب يشمل ما دلالة بالحقيقة وما دلالة بالمجاز فأن التركيب قد
يقضى بظاهرة شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل
ذلك أن يحمل على المجاز وقولنا : وتتمت لذلك هو معرفة النسخ وسبب النزول
وقصة توضح ما انهم فى القرآن ونحو ذلك

ثم قال الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله تعالى :

والناظر لأول وهلة فى هذين التصريفين الأخيرين = وهما تعريف

الزرخشى (١) حيث عرفه بأنه " علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد

(١) هو الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى أحد العلماء
الأثبات الذين نجموا بمصر فى القرن الثامن و جهيز من جهابذة أهل
النظر وأرباب الاجتهاد وهو أيضا علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير
وأصول الدين - ولد بالقاهرة سنة خمس وأربعين سبعمائة حينما كانت
معمورة بالمدارس غاصة بالفضلاء و حملة العلم وتوفى بمصر فى رجب سنة أربع
وتسعين وسبعمائة - حسن الصحاح فى أخبار مصر القاهرة للسيوطى
١٨-١ المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٢ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة =

صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه .

وتعريف الهمش حيث عرفه هذا الهمش بأنه " علم يبحث فيه عن أحوال القرآن
المجيد من حيث دلالة على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية = يظن أن علم
القراءات وعلم الرسم لا يدخلان في علم التفسير والحق أنهما يدخلان فيه لأن المعنى
يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد
لأن من تفسير القرآن بالقرآن حمل بعض القراءات على غيرها فبعض القراءات
تختلف مع غيرها في اللفظ وتتفق في المعنى مثل قراءة " مالك (بالألف
" و ملك " بحذف الألف لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم
الدين و ملكه ومثل قراءة " يكذبون ويكذبون " لأن المراد بهما المنافقون
لأنهم يكذبون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويكذبون في أخبارهم وبعض القراءات
تختلف مع غيرها في اللفظ والمعنى واحدى القراءتين تمييز المراد من القراءة
الآخرى كقراءة ويظهرن ، بالتخفيف والتشديد .

وقراءة التشديد " يظهرن " تبين بأن الحائض لا يقربها زوجها بمجرد

انقطاع حيضها قبل الاغتسال بالماء .

وعلى هذا فإن علوم القرآن بأسرها هي التفسير لأنها مباحث تتعلق
بالقران الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابه وقراءته وما عجزه وناسخه
ومنسوخه ودفع الشبه عنه وموضوعها القرآن الكريم من أى ناحية من النواحي

المذكورة في التعريف وإذا اعتبرنا هذه العلوم تفسيراً لكتاب الله فعلم القراءات من باب أولى لأن المعنى يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات كما سبق.

وما يدل على أن علوم القرآن تعتبر تفسيراً لكتاب الله تعالى جواب الامام الشافعي رحمه الله تعالى لهارون (١) الرشيد عندما سأله عن كتاب الله تعالى فأجاب بأن كل ما يشرح كتاب الله تعالى ويكشف النقاب عنه ويبيِّن مراد الله بقدر الطاقة البشرية من أية ناحية كانت فهو من علوم القرآن الكريم . وقد ذكر القصة بتامها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني حيث قال بأجل كانت علوم القرآن (٢) مجسومة في صدور المنزّزين من العلماء فنحن نقرأ في تاريخ الشافعي رحمه الله تعالى أنه في محنته التي اتهم فيها بأنه رأس حزب العلويين باليمن وسيق بسبب ذلك إلى الرشيد مكابلاً بالحديد في بغداد : سأله الرشيد حين لمح علمه وفضله : فقال : كيف علمك يا شافعي بكتاب الله عز وجل فإنه أولى الأشياء أن يبدأ به فقال الشافعي : عن أي كتاب من كتاب الله تعالى

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي أمه الهادي ولد بالرقي سنة ١٤٥ هـ ولما شب كان أبوه يرشحه للخلافة فولاه مهام الأمور جعله أميراً على السامقة سنة ١٦٣-١٦٥ وفي سنة ١٦٦ جعله أبوه ولي عهد بهد الهادي وفي سنة ١٦٩ وهي السنة التي توفي فيها المهدي أراد أن يقدمه على الهادي لما ظهر من شجاعته وطلو شأنه فجالت منية المهدي دون ذلك بويج بالخلافة يوم مات أخوه الهادي سنة ١٧٠ هـ وتوفي سنة ١٩٤ هـ فكانت مدته ٢٣ وشهرين ١٨ يوماً وسنة انظر تاريخ الامم الاسلامية ص ١٠٢ .

(٢) انظر مناهل الصرفان للزرقاني ج ١ ص ٢٦ الضبعة الثالثة - بيروت .

تسألني يا أمير المؤمنين فان الله تعالى قد أنزل كتباً كثيرة قال الرشيد
نقد أحسنت إنما سألت عن كتاب الله المنزل على ابن عمي محمد صلى
الله عليه وسلم فقال الشافعي : ان علوم القرآن كثيرة فهل تسألني عن . .
محكمه ومتشابهه أو عن تقديمه وتأخيريه أو عن ناسخه ومنسوخه أو عن أو عن
وصار يسرد عليه من علوم القرآن ويجيب على كل سؤال بما أدهش الرشيد
والحاضرين أضاف الى ذلك ان جميع العلماء الذين ذكروا العلوم التي
تعتبر أدوات لفهم كتاب الله لم يهتموا بالقراءات بل جعلوها من صلب التفسير
لأنها من القرآن وقد قالوا ان القرآن يفسر بعضه بعضاً فلا بد للمفسر
اذن من الرجوع الى القرآن نفسه وذلك بأن ينظر في القرآن نظرة فاحص
مدقق ويجمع الآيات التي في موضوع واحد ثم يقارن بعضها ببعض فأن من
الآيات ما أجمل وفسر في مكان آخر وأمثلة كثيرة فمن ذلك تفسير قوله
تعالى في سورة المؤمنين آية = ٢٨ =

() وان يك صادقاً . يصيبكم بعض الذي يعدكم ، بأنه العذاب
الأدنى المعجل في الدنيا لقوله تعالى : () قل إنما ترينكم بعض الذي تعدهم
أو نتوفينكم فإلينا يرجعون () .

ومنها ما أوجز في مكان وبسط () في موضع آخر وذلك قصة آدم وإبليس
جاءت مختصرة في بعض المواضع وجاءت مسهبه مطولة في مواضع أخرى وقصة

موسى و فرعون جاءت موجزة في بعض المواضع وجاءت مشبهة و منطولة و مفصلة

في مواضع أخرى .

و ما أطلق في مكان و قيد في مكان آخر و مثال ذلك آية التيمم و الوضوء

فإن الأيدي مقيدة في الوضوء بالفاية في قوله تعالى في سورة المائدة (.) فاضلوا

وجوهكم و أيديكم إلى المرافق) و منطوقة في آية التيمم في قوله تعالى في الآية

نفسها (.) فاسحوا بوجوهكم و أيديكم منه ، فقيدت عند الشافعية في التيمم

بالمرافق أيضا . وقد ذكرت هذه العلاقة التي بين التفسير و القراءات للثلاث

يتوهم أن القراءات لا صلة لها بالتفسير و هذه العبارة الوجيزة

قد وضحت

التي سبقناها آنفا أن القراءات مصدر مهم من مصادر التفسير التي لا غنى عنها

لمن يتعمق في تفسير كلام الله تعالى .

و قد تصورت معنى النقاط الثلاث التي تضمنتها البحث الأول و هي النقطة

الأولى بيان القراءات المتواترة التي أنكرها الشيخ رحمه الله تعالى أو التي فضلها

على أخرى مثلها .

و النقطة الثانية اشعار علماء القراءات ما لحق بكتب التفسير ليقوموا

بالواجب نحو ذلك بتجريدها ما لحق بها ببيان القراءات المتواترة من الشاذة

ليأمن القارئ من الوقوع في اللبس .

و النقطة الثالثة بيان أن القراءات مصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم

الرسالة بتوفيق الله تعالى قد نالت قصب السبق بهذا الاعتبار^(١)
أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطاي في تمامها انه سميع قريب
مجيب .

وقد ذكرت أن تفسير الطبري هذا أول تفسير ألف تعرض فيه مؤلفه
تفسير كتاب الله سورة سورة وآية آية من أوله الى آخره ولا يعارض هذا الذي
ذكرته ما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبي حيث قال :^(٢) ليس من السهل
معرفة أول من دون تفسير كل القرآن مرتباً ثم ناقش ما قاله : وهذا نصه !
هذا ولا نستطيع أن نعين بالضبط المفسر الأول الذي فسر القرآن آية
آية ودونه على التتابع وحسب ترتيب المصحف وجد في الفهرست لابن النديم
ص ٩٩ - أن أبا العباس ثعلب قال : كان السبب في املاء كتاب القراء
في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه وكان منقطعاً الى الحسن بن
سهل فكتب الى الفراء أن أمير الحسن بن سهل ربما يسألني عن الشيء
بعد الشيء من القرآن فلا يحضرنى فيه جواب فانه رأيت ان تجمع
لى أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع اليه فعلت فقال الفراء لأصحابه
اجتمعوا حتى ألقى عليكم كتاباً في القرآن وجعل لهم يوماً ، فلما حضروا خرج
اليهم وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ للناس في الصلاة ، فالتفت اليه

(١) لأنها وقفت عند جميع جزئيات الموضوع .

(٢) انظر التفسير والمفسرون ١-٤٢ .

(٢) الفراء فقال : اقرأ بفاتحه الكتاب نفسرها ثم نوفي الكتاب كله فقرأ الرجل
ويفسر الفراء (٣) قال أبو العباس ثعلب لم يعمل أحد قبله مثله ، ولا أحب
أن أحدا يزيد عليه .
.. أنتهى كلام النديم ..

ثم قال الدكتور رحمه الله تعالى : فهل نستطيع أن نستخلص من ذلك أن
الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ - هو أول من دون تفسيراً جامعاً لكل
آيات القرآن مرتباً على وفق ترتيب المصحف ؟ وهل نستطيع أن نقول :
ان كل من تقدم الفراء من المفسرين كانوا يقتضرون على تفسير المشكل فقط
لا لا نستطيع أن نفهم هذا من عبارة ابن النديم لأنها غير قاطعة في هذا
كما لا نستطيع أن نميل إليه كما مال إليه الأستاذ أحمد أمين في كتابه
" ضحى الاسلام " (١) وذلك لأن كتاب معاني القرآن للفراء شبيهه
في تناوله للآي على ترتيبها في السور بكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة فإنه
يتناول السور على ترتيبها ويعرض لما في السورة من آي تحتاج بيان مجازها
أن المراد منها - فليس للفراء أولية في هذا بل تلك على ما يبدو كانت
خطأ العصر .

ثم ان ما نقل لنا عن السلف يشهر - وان كان غير قاطع - بأن استيفاء التفسير

(١) انظر التفسير والمفسرون ٤٢/١ - ١٤٣ - نقلا عن كتابه عن ضحى

الاسلام ج ٢ ص ١٤١ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور - الديلمي مولى بن أسد
يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو ولد سنة ١٤٤ وتوفى سنة ٢٠٧ هـ - الاعلام
(٣) أحمد بن يحيى .

لسور القرآن وآياته كان عملياً لم يتأخر الى نهاية القرن الثاني وأوائل القرون الثالث فشلا يقول ابن أبي عمير رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواح فيقول له ابن عباس اكتب قال : حتى سأله عن التفسير كله - نعم لا يعارض هذا وغيره = مما يدل على أن تفسير ابن جرير هذا قد سبق بغيره من التفاسير ما ذكرته لأن هذه الكتب لم تصل اليها ولم يظهر منها كتاب مشهور فيما نعلمه في عالم الدنيا وعلسى سبيل فرض ظهورها لم يكتب له الشهرة والانتشار مثل ما كتب لهذا التفسير الجليل وحينئذ ثبتت له الأولوية في التفسير نظراً الى ما ذكرنا .

ثم ان الشيخ محمد حسين الذهبي نفسه رجح ما رجحته من سبق هذا المؤلف^١ أقرانه في هذا المضمار حيث قال : هذا ونستطيع أن نقول : ان تفسير ابن جرير الطبري هو التفسير الذي له الأولوية بين كتب التفسير أولية زمنية وأولية من ناحية الفن والصناعة .

أما أولوية الزمنية فلأنه أقدم كتاب وصل اليها وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن ولم يصل اليها شيء منها اللهم الا ما وصل اليها منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد .

وأما أوليته من ناحية الفن والصناعة فذلك يرجع الى ما يمتاز به هذا الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها مؤلفه حتى أخرج للناس كتاباً له قيمة ومكانته

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ١ - ٢٠٩ - ٢١٠ .

ولهذا ما زال ولا يزال عمدة في التفسير و مرجعا مهما من مراجع
المفسرين على اختلاف مذاهبيهم و تعدد طرائقهم .

البحث الثالث في بيان المراجع

.....

و قد جرت عادة الباحثين في اخراج بحوثهم بصورة مرضية بالاعتماد على
المصادر والمراجع التي خلفها سلفهم والفضل لله ثم للسابقين رحمهم الله تعالى
وجزاؤهم الله عن خدمته لاسلام والمسلمين شيرا لأنهم هم الذين فتحوا لنا الطريق
بدأ بمتواصل لا يعرف اليه الفتور والطل سبيلا وها أنا الباحث الضعيف
الذي حددت اتجاهه في مواصلة السير الى الأهداف النبوية تلك المعالم
الرفيعة التي وضعوها منار الهدى وأشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة
الجليلة ان وفقني المراجع والمصادر النافعة التي اعتمدت عليها في كتابة
هذا البحث المتواضع نعم قد وفقني الله بفضله وكرمه ثم بفضل الجامعة
الاسلامية التي بذلت أقصى جهدها لتذليل الصعاب لطلابها بما جمعت
في مكتباتها من الكتب النافعة والمراجع المفيدة نعم وفققت سرا جمع عديدا
في علوم القرآن وفي علم القراءات وهذه المراجع كثيرة بلا حصر من اهمها :-

(١) في القراءات منظمومة حرز الأمانى ووجه التهانى في القراءات السبع تأليف

المعلم العلامة القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاذلي الرعيثي الأندلسي

الضريسر (١) وهي نظم لكتاب التيسير للداني وعدتها ألف ومائة
وثلاثة وسبعون بيتا .

(٢) سراج القارىء المبتدىء وتذكار المقرئ المنتهى وهو شرح الامام العلامة
أبى القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن القاصح المعزى
البغدادي على المنتظمومة السابقة . (٢)

(٣) ومنها كتاب بحث النفع في القراءات السبع للعلامة على النورى الصفاسى (٣)

(٤) ومنها كتاب الحجة في القراءات السبع للامام بن خالويه (٤) .

(٥) ومنها في القراءات والتوجيه كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها
وحججها تأليف أبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى (٥) .

(٦) ومنها كتاب شرح شملة على الشاطبية المسمى كنز المعانى شرح

حزر الأمانى تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
بن الحسين الموصلى المتوفى سنة ست وخمسين وستائة ٦٥٦ هـ .

(١) ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة من الأندلس وتوفى رحمه

الله تعالى سنة خمس مائة وتسعين من الهجرة - ٥٩٠ هـ .

(٢) ولد رحمه الله تعالى : سنة ٧١٦ و توفى سنة ٨٠١ هـ .

(٣) ولد بصفاقس بتونس في سنة ثلاث وخمسين وألف من الهجرة الأعلام للرزكسى

١٨٣ - ٥

(٤) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان نشأ في همدان ثم وفد

الى بغداد توفى سنة ٣٧٠ بحلب .

(٥) ولد سنة ٣٥٥ هـ وتوفى سنة ٤٣٧ هـ - هداية القارىء الى تجويد كلام البارىء

ج ص ٧٤٠ .

(٧) ومنها كتاب تقريب النفع في القراءات السبع تأليف فريد المعصر وتاج

القراء بمصر الشيخ علي محمد السباع رحمه الله تعالى . (١)

(٨) ومنها كتاب ارشاد المرید الى مقبول القصيدة تأليف الشيخ المذكور

آنفا .

(٩) ومنها كتاب البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق

الشاطبية والدرية تأليف خادم العلم والقرآن الشيخ عبد الفتاح القاضي

شيخ معهد القراءات بالأزهر الشريف سابقا . . . وشيخ قسم

القراءات في كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية في الجامعة الاسلامية

بالمدينة المنورة وما زال يعلم القرآن الكريم فيها حتى لقي ربه

سنة ١٤٠٣ هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وهو الذي شجعتني

على اختيار هذا الموضوع وقد عرضت عليه بعضا كتبت من المقدمة

وبعض الأبواب انذاك وأثنى عليه وبارك فيه .

(١٠) ومنها كتاب شرح طيبة النشر في القراءات العشر تأليف الشيخ أحمد

بن محمد بن محمد بن محمد بن علي الجزري (٢) أحد أولاد الحافظ

محمد بن الجزري

(١) اتوفى رحمه الله تعالى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف ١٣٧٦ هـ .

انظر هداية القارىء للمرصفي ص ٤٩٢ .

(٢) ولد ليلة الجمعة سنة سبعين وسبعائة - ٧٧٠ هـ وتوفى سنة ٨٥٩ هـ

راجع المصدر السابق .

- (١١) ومنها كتاب المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر تأليف دكتور - محمد سالم محيسن وهو حى يرزق وما زال يؤدى الواجب من تدريس القرآن الكريم فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
- (١٢) ومنها كتاب المتنير فى تخريج القراءات المتواترة من حيث اللفظة والاعراب والتفسير تأليف الدكتور المذكور آنفا .
- (١٣) ومنها كتاب الارشادات الجليلة فى القراءات السبع من طريق الشاطبية تأليف الدكتور المذكور سابقا .
- (١٤) ومنها كتاب التيسير فى القراءات السبع تأليف الامام أبى عمرو الدانى عثمان بن سعيد . (١)
- (١٥) ومنها كتاب الايضاح شرح متن الدرّة فى القراءات الثلاث المتممة ^{المشتر} للقراءات تأليف خادم العلم والقرآن الشيخ عبد الفتاح القاضى المذكور سابقا .
- (١٦) ومنها شرح الوافى على متن الشاطبية فى القراءات السبع للشيخ المرحوم المذكور تفمده الله برحمته .

(١) ولد سنة احدى وسبعين وثلاثائة ٣٧١ هـ توفى الحافظ الدانى سنة أربع وأربعين وأربعمائة - ٤٤٤ هـ ودفن من يومه بعد العصر ومشى صاحب رانية أما نعه وشيعه خلف عظيم وذلك يوم الاثنين منتصف شوال غاية النهاية . ٥٠٣ - ٥٠٥

(٢٢) ومنها كتاب غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير

محمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ -

(١٨) ومنها كتاب القراءات المشتمل على طريق الشاطبية والدرية تأليف خادام

القرآن الكريم الشيخ محمود الحصري .

(١٩) ومنها كتاب وأتسر القراءات القرائية في تطور الدرس النحوي للمؤلفين

الدكتور عفيفي والدكتور

(٢٠) ومنها كتاب النظم الجامع لقراءة الامام ^{نافع} للشيخ عبد الفتاح القاضي

(٢١) ومنها كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأصناف للامام

شمس الدين أبي عبد الله الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ .

(٢٢) ومنها في علم القرآن كتاب " نكت الانتصار لنقل القرآن للامام ابي

بكر الباقلاني ^(١) تحقيق دكتور محمد غلول سلام أستاذ كرسي

اللغة العربية وآدابها بجامعة الاسكندرية .

(٢٣) ومنها كتاب " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " تأليف محمد عبد الخالف

عظيمة الأستاذ بجامعة الامام ومحمد بن سعود الاسلامية .

(٢٤) ومنها " سيويه والقراءات " دراسة تحليلية معيارية تأليف أحمد مكسي

الأنصاري أستاذ الدراسات النحوية بجامعة القاهرة .

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر وكنية أبو بكر كان من أكبر علماء

ولد سنة ثمانية وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٨ وتوفي رحمه الله تعالى سنة

ثلاث وأربعمائة - ٤٠٣ هـ الأعلام للزركلي ٧ - ص ٤٦٠ .

- (٢٥) ومنها كتاب "الدفاع عن القرآن الكريم ضد النحويين والمستشرقين"
- تأليف الدكتور أحمد مكي الأنصاري مؤلف سيويه والقراءات .
- (٢٦) ومنها كتاب "البرهان في علوم القرآن" للامام بدر الدين محمد بن عبد
الله الزركشي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .
- (٢٧) ومنها كتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن" تأليف الأستاذ الشيخ
رحمة الله تعالى عليه محمد العظيم الزرقاني .
- (٢٨) ومنها كتاب "اعجاز القرآن للماقلاني" أبي بكر محمد بن الطيب تحقيق
السيد أحمد صقر .
- (٢٩) ومنها كتاب حجة القراءات للامام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد
بن منجلة ولم تذكر المصادر فيما اطلعت عليه ترجمته من حيث السيادة
والوفاء والكتاب يباع في السوق الآن ومحققه سعيد الأفغاني .
- (٣٠) ومنها كتاب "القراءات القرآنية تاريخ وتمرير" للدكتور عبد الهادي
الفضل .
- (٣١) ومنها كتاب "الدفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري للمفسر"
للدكتور لبيب السعيد .
- (٣٢) ومنها كتاب "رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات" للدكتور عبد الفتاح
اسماعيل شلبي .
- (٣٣) ومنها كتاب "لطائف الاشارات لفنون القراءات" للامام شهاب

الدين القسطلاني (١) .

(٣٤) ومنها كتاب " المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز " تأليف شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبى شامة المقدسى المولود فى سنة تسع وتسعين وخمسة هجرى . . والمتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

(٣٥) ومنها كتاب " غاية النهاية " لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد بن الجزرى و تمام اسم الكتاب " وغاية النهاية فى طبقات القراء " .

(٣٦) ومنها كتاب " تأويل مشكل القرآن لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزى وابن قتيبة هذا من أسرة فارسىة كانت تقطن " مرو " ولسنا نعرف من نسبه أكثر من أنه " عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزى المولود عام ٢١٣ والمتوفى عام ٢٧٦ هـ .

(٣٧) ومنها " تفسير البحر المحيط تأليف محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الاندلسى الفرناطى . (٢)

(٣٨) ومنها " كتاب الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائى الخفية تأليف سليمان بن عمر المجيل الشافى الشهير بالجمل المتوفى

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى المضرى الشافى و قسطلانى نسبة الى قسطلية اقليم بافريقية كما فى القاموس — ولد سنة فى القاهرة فى ثانى عشر من ذى القعدة عام ٨٥١ — وتوفى عام ٩٢٣ هـ .

(٢) ولد سنة أربع وخمسين وستائه ٦٥٤ وتوفى سنة ٧٥٤ وخمسين وسبعائه .

المتوفى سنة أربع ومائتين بعد الالف هـ .

(٣٩) ومنها كتاب " الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد

الأنصاري القرطبي المتوفى سنة احدى وسبعين وستائة ٦٧١ هـ . رحمه

الله تعالى رحمة واسعة .

(٤٠) ومنها كتاب "طلاوع البشر في توجيه القراءات المشرقة" تأليف الشيخ

محمد الصادق قضاوي المفتش بالأزهر الشريف وعضو لجنة المصاحف

بالأزهر أيضا والأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة

وقد تليت عنه القراءه وهو من أهل التخصص في هذا الفن .

(٤١) ومنها كتاب " المعنونة في غريب القرآن " لابي محمد مكي بن أبي

طالب القيسي حقيقه وعلق عليه وخرج نصه يوسف عبد الرحمن

المرعشلي . (١)

(١) ولد رحمه الله سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ٣٥٥ هـ - وتوفى سنة سبع

وثلاثين وأربعمائة ٤٣٧ هـ .

الباب الأول
ترجمة الطبري

الباب الأول

ترجمة الشيخ رحمه الله

=====

أما الباب الأول فقد جعلته للحديث عن ترجمته . . . وما لا بد منه للباحث الذي يبحث موضوعا ما أن يذكر ترجمة صاحبه الذي تهناه ببيان مولده وأسرته والحالة السياسية التي عاشها والمجتمع الذي تربى فيه والثروات العلمية التي خلفها وأهل العلم الذين لهم اليد الطولى في تكوينه و تثقيفه ورفع مستواه الى القمة التي وصلها . . . وأصحابه الذين ورثوا عنه علومه التي حصلها وغير ذلك ما يحيط بجميع جوانب حياته .

وان كان هذا ما يلزم الباحث نحو المؤلف . فيكون واجبا على أن أذكر هذه الأمور المطلوبة نحو الطبري لأنه هو الذي عاشته وأعيش معه في موضوع مهم من الموضوعات التي تمرضها وهو القراءات المتواترة التي أنكرها في تفسيره ومن هنا يتضح لنا الطريق الى ترجمته .

مولده (١)

فأما مولده ففي إقليم طبرستان (٢) ولد أبو جعفر رحمه الله تعالى في أواخر

(١) طبقات الشافعية ٢-١٣٥ المطبعة الحسينية بمصر - لسان الميزان ١٠٢/٥ مطبعة دار المعارف النظامية حيد اباد .

(٢) طبرستان كلمة مؤلفة من مقطعين " طبر " آله من آلات الحرب التي اشتهرت بصنعتها تلك المنطقة - " ستان " معناها أرض والطبر نوع من السلاح يشبه الفاس . . الرائد ٩٦٣ .

عام أربع وعشرين ومائتين أو أوائل عام خمسة وعشرين ومائتين في قرية آمل من بلاد طبرستان ولد محمد بن جرير ولم يجزم أحد من المؤرخين بتحديد زمن ولادته بغير ما ذكرهنا والسبب في ذلك هو ما ذكره أبو جعفر نفسه في جوابه على سؤال توجه إليه من تلميذه القاضي أحمد بن كامل عن سبب الشك في سنة مولده فقال : كان أهل بلادنا يؤرخون بالأحداث دون السنين فأرخ مولدي بحادث كان بالبلد .

فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون قال بعضهم كان ذلك في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين وقال آخرون بل كان ذلك في أول بل كان ذلك في أوائل سنة خمس وعشرين ومائتين - ٢٢٥ - والقول الراجح انه ولد بامل من مقاطعة طبرستان في احد هذين التاريخين .

الحالة السياسية والعلمية في عصره : (١)

لقد عاش الطبري رحمه الله تعالى في عهد العباسيين بعد أن مضى من عصره الذهبي اثنان وثلاثون عاما تقريبا وفي هذه الفترة التي عاش فيها ابن جرير تولى الخلافة المعتصم بالله هو أبو اسحاق محمد بن ابن الرشيد بن المهدي بن المنصور ولد سنة تسع وسبعين ومائة وبينه وبين اخيه المأمون

(١) انظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية تأليف المرحوم الشيخ محمد الخضري بك ص ٢٢٩ .

تسع سنوات وكان في عهد أخيه المأمون واليا على الشام ومصر وكان المأمون
يميل اليه بشجاعة فولاه عهده وترك ابنه وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون
ببغداد الروم بويغ بالخلافة في تسعة عشر رجب ١٩ — سنة ٢١٨ — ولم
يزل خليفة الى أن توفي بمدينة سامراء في ١٨ ثمانية عشر ربيع الأول سنة
٢٢٧ فكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام^(١) ثم تولى بعده
الخلافة الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢) ويعتبر عهد الواثق نهاية العصر
الذهبي للدولة العباسية ثم تولى بعدهم في عصر نفوذ الاتراك المتوكل
(٢٣٢ — ٢٤٧) والمنتصر (٢٤٧ — ٢٤٨) والمستعين (٢٤٨ — ٢٥٢)
والمعتز (٢٥٢ — ٢٥٥) والمهتدي (٢٥٥ — ٢٥٦) والمعتصم
(٢٥٦ — ٢٧٩) والمقتصد (٢٧٩ — ٢٨٩) والمكثفي (٢٨٩ — ٢٩٥)
والمقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠) .

وقد عاش الطبرى في عصر الدولة العباسية الذهبية وفي عصر نفوذ
الاتراك وانقسام الوطن الاسلامى الى دويلات متفرقة فيبدأ بعهد المتوكل
الى نهاية الدولة العباسية وقد عاش الطبرى في هذا العصر ولكن هذا
الضعف السياسى لم يؤثر على الحركة العلمية فلقد سارت الحياة العلمية
حسنا وكان أصحاب الامارات يكرمون العلماء ويتنافسون فى اكرامهم مما

(١) انظر محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية " الدولة العباسية " تأليف المرحوم

ما دفع بمجلة العلم والبحث الى التقدم في مسيرته الطيبة .

أما العيادة المليمة في عهد الطبرى فقد نمت وخطا العقل الاسلامى
خطوة مباركة في مجالات التأليف والتصنيف واستقرت دعائم المذاهب الأربعة
وصنف الصحاح كلها (١) ووصلت القراءات الى حد بعيد من التأليف
وكذلك النحو الصرف والعروض والأدب كلها قد سارت خطا مباركة وقطعت
شوطا كبيرا .

ولقد شهدت الفترة التي عاش فيها الطبرى وما قبلها من السنين نشاطا
في الترجمة للكتب اليونانية والهندية والفارسية و أفاضوا عليها من نور الاسلام
وأضافوا اليها ما وصلت اليه مداركهم المصقولة ووقفوا منها موقف الناقد
البصير ولعل من أبرز من حمل تلك الراية صاحبنا رحمه الله تعالى .
و غاية الأمر أن الطبرى عاش في أزهى عصور الاسلام تقدا ونتاجا
على جميع المستويات الفكرية وكل أولئك كان له أثره في عقل محمد بن جرير
فنهل وعمل من ثقافة القرن الثالث الهجرى .

وقد شهد ابن جرير رحمه الله تعالى معارك الخلافات العقائدية

(١) ألف البخارى محمد بن اسماعيل المتوفى ٢٥٦ الجامع الصحيح ومسلم
المتوفى سنة ٢٦١ — صحيحه — وألف ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٩ سننه وألف
أبو داود المتوفى سنة ٢٧٥ سننه وألف الترمذى المتوفى ٢٧٩ جامعه ، وألف
النسائى ، ت. ٣٠٣ سننه وهذه هي الكتب الستة التي قد تمد اصحاح
كتب الحديث ويلحق مسند أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ —
أنظر تعلق الحوفى ص ٧ .

و النحوية وخاصة بين المعتزلة وأهل السنة وبين البصريين والكوفيين و يتزعم
الكوفيين في عصره أحمد بن يحيى ثعلب . . . ويتراأس البصريين انذاك محمد
(٢) بن يزيد المرزوق و عاهد الطبري فتنة القول بخلق القرآن .

و قد طوّف الطبري رحمه الله تعالى في ن طبرستان و العراق و الشام
و مصر و استقى من ينابيع الثقافة في كثير من المدن و قد تخن في هذه
المدن كثير من الفقهاء و المحدثين و المؤرخين و اللغويين و النحاة و الأدباء
و الفلاسفة — درس الطبري على بعضهم و من الأدباء ابن العميد المتوفى
سنة ٣٦٠ و قد اشتهر بالأدب و الفلسفة و المنطق و الهندسة .

و من اللغويين ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ و كان اماما في اللغة و له
كتاب المجمل و كتاب حلية الفقهاء .

و اما المحدثون و الفقهاء فأمثال أبي محمد عبد الله بن حيان الأصفهاني
المتوفى ٣٦٧ — وهو امام في الحديث و له كتاب السنة و فضائل الأعمال ، و أبي
بشر محمد بن أحمد الدولابي^(١) المتوفى سنة عشرين و ثلاثمائة — ٣٢٠ —
و من أهل الحديث أيضا محمد بن حميد الرازي .

وهؤلاء الأعلام المذكورون الذين عاصروهم الطبري أو نهل من ثقافتهم
من فارس الذي يشمل جنوبا سيرا ف و فيروز آباد و ارزجان ، و اصطرخ ،

(١) نسبة الى دولا ب قرية بالرى انظر الطبري الحوقى .
(٢) ولد سنة ٢١٠ و توفي سنة ٢٨٦ هـ

وشيراز ، ويشمل اقليم فارس شمالا بلاد الجبل التي هي أصبهانسى
وهمدان ودينور ، وقوى ، والرعي .

ومن العلماء الذين عاصروهم الطبرى أو أخذ من علومهم فى العراق
أبو الحسن عبيد الله الكرخى المتوفى سنة ٣٤٠ - وهو امام الاحناف فى
عصره .

وإبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن حماد المتوفى سنة ٢٨٢ وهو
من مشاهير المالكية وله مؤلفات كثيرة فى الفقه المالكى وعلوم القرآن وقد تولى
قضاء بغداد نفيًا وخمسين سنة .

وأبو على الكرابيسى البغدادي المتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين
٢٤٥ وأبو على الوفرانى المتوفى سنة ستين ومائتين - ٢٦٠ .
وهذان الامان الجليلان من أئمة الشافعية .

وعبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة تسعين ومائتين
٢٩٠ - وطلق عن أبيه المسند والتفسير ، وأبو اسحاق ابراهيم الحربسى
المتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين - ٢١٥ - وأبو بكر عبد الله بن دود

الأزدى السنجستانى المتوفى سنة ٣١٦ هـ . وهو لاه من مشاهير الحنابلة
وفى هذه الحقبة التي عاصرها الطبرى كانت العلوم الأدبية قد نضج بعضها
وقارب النضج بعضها الآخر .

وكان من العلماء البارزين حينئذ ابن دريد الأزدي - ٢٢٣-٢٢١
وهو من أكبر علماء العربية فى اللغة والأدب والنحو والصرف والمنسب

وقد جعلت هذه العوامل المباركة الطبرى صرحا شاخا فسى ككل
فن من الفنون التى لها رواج فى تلك المدن .

وكان بالعراق أيضا دود الظاهرى وهو أصفهانى الأصل بفدادى
الدار وقد أسس مذهباً عادى انكار القياس لأن فى الكتاب والسنة ما يفسى
بمعرفة الواجبات والمحرمات مات دود سنة سبعين ومائتين - ٢٧٠ ونشر
مذهبه بعده ابنه محمد بن دود ت سنة ٢٩٧ وقد كثر أتباع هذا المذهب
بالعراق وفارس والأندلس ثم انقرضوا بعد المائة الخامسة فانقرض هذا المذهب
بانقراضهم كغيره من المذاهب كمذهب الأوزاعى الذى كان شاعراً بيمن
الشاميين قبل الفترة التى عاش فيها الطبرى وفى الفترة التى طوف الطبرى
فى الشام قد آثار الشاميون مذهب الشافعى على مذهب الأوزاعى (١) وكانت
مصر هى الأخرى التى صارت مهبط كثير من العلماء والطلاب وللطبرى
منها الحظ الأوفر فى مجال العلم والتعلم .

(١) وهو عبد الرحمن بن عمرو عمربى يبنى من الأوزاع احدى بطون همدان

توفى سنة سبع وخمسين ومائة - ١٥٧ هـ - الحوفى الطبرى ص ١٣ .

وكانت وفاته ببيروت .

الفصل الثاني

نميمة

==

هو محمد بن جرير بن يزيد والى جده اتفق المؤرخون فى نسبه ثم
اختلفوا فمنهم من قال : (يزيدا هذا هو ابن كثير بن غالب م وعلى هذا
الرأى جمهوره المحققين من المؤرخين ولم يتوقفوا فى هذا بل قطعوا به .
ومنهم من قال ان يزيد هو ابن خالد وحامل لواء هذا القول ومرجهه
هو ابن خلكان فى وفياته (١) .

على أن أبا جعفر نفسه رحمه الله تعالى لم يكن يزيد فى نسبه اسما
اخر على أبيه فقد سأل سائل عن نسبه فقال : محمد بن جرير قال السائل
زدنا فى النسب فأنشده بيت روية بن الصجاج :
(٢)

قد رفع العجاج ذكرى فادعنى . . باسمى اذا انلا ساب طاليت يكفنى
وعلى هذا فان اختلاف المؤرخين فى هذه النقطة لا يمس جانبنا من
جوانب أسرته لأنه قد يكون لشخص واحد اسمان فيعرف عند أناس بهذا وعند
آخرين بهذا ولعل هذه السألة من هذا النوع .
وفى هذا الفصل أربعة ما حست :-

- (١) انظر وفيات الاعيان ٣/٣٢٢ - مطبعة السعادة .
(٢) هو أبو محمد روية بن الصجاج والمجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن
رويه البصرى التميمى السعدى هو وأبوه اجزان توفى سنة ١٤٥ هـ
انظر معجم الأدباء ١١/١٤٩-١٥٠ .

المبحث الأول

حياته العلمية ونبوغه

لم يكد أبو جعفر رحمه الله تعالى يبلغ السن التي توهله للتعلم حتى عهد به والده إلى علماء (آمل)، وسرعان ما يفتتح عقله وتبدوا عليه مخايل النبوع وهو صغير فقد قال : انى حفظت القرآن ولستى سبع سنين وصلت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين وكتبت الحديث وأنا فى التاسعة (١) .

وكان هذا النبوغ المبكر حافزا لأبيه على الجهد فى اكمال تعليمه وخاصة أن رأى حلما تفائل من تأويل قال الطبرى رحمه الله تعالى : رأى لى أبى فى النوم أننى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى مخللة ملوثة بالاحجار وأنا أرمى بين يديه .

وقص رؤياه على المعبر فقال له : ان ابنك ان كبر فصح فى دينه وذب

عن شريعت

ولم يطل حبس هذه الرؤيا عن الابن ان أخبره بها أبوه فزادت من رفته ونشاطه وكان لها من الأثر على الابن المقبل على العلم الشىء الكثير فاجتمع له ركنا التحصيل والتعليم وهما الاستعداد المفطرى وتيسر العامل الكسبى مع توفيق الله وعونه .

(١) أنظر معجم الأباة ٤٩/١٨ .

المبحث الثاني

دراسته

وقد بدأ الطبري رحمه الله تعالى دراسته وحياته العلمية في بلده
(آمل) ، وحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم من علماءها الأجلاء
الذين وفقهم الله تعالى في تربية الفضلاء أمثال الطبري ثم اتجه إلى السرى
لأخذ الحديث عن محمد بن حميد الرازي والمثنى بن ابراهيم الأبل^(١)
وفي هذه المنطقة درس التاريخ على محمد بن أحمد بن حماد الدولابي
مع حرص شديد على مجالس بن حميد ، قال : كنا مضى إلى أحمد بن حماد
الدولابي وكان في قرية من قرى الري ثم نعود كالمجانين حتى نعود إلى حميد
فلحق مجلسه وقد كتب ابن جرير عنه أكثر من مائة ألف حديث ودرس عليه
التفسير أيضا وأخذ فقه أهل العراق على أبي مقاتل بالسري فلما ارتوى من
هذه المنابع الوطنية قصد إلى بغداد يسمع من علمائها أحمد بن حنبل
ولكن الأقدار لم تحقق له ، ما كان يامله إذ توفي ابن حنبل قبل أن يصل
أبو جعفر إلى بغداد وقد علم بوفاته وهو على مقربة منها تصرف عنها ولم يفكر
في أن يهود إلى بلده بل اتجه إلى البصرة ليمسح من علمائها فسمع من محمد
بن موسى الحر شسي وعماد بن موسى القزار ومحمد بن الأعل الصنعاني ، وبشر
بن معاذ ومحمد بن بشار المعروف ببندار وأبي الأشعث ومحمد بن المعل وغيرهم

(١) الطبري - تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفي ص ٣٠

ثم انتقل الى واسط ليرى من بعض مشايخها ثم حده الشوق للمصرفة الى أن
يرحل الى الكوفة فكتب الحديث فيها عن هناد بن يسرى واسماعيل
بن موسى ، وأبي كريب محمد بن العلاء الهمداني وأخذ القراءات عن
سليمان الطالحي

حده زكائه

وقد فهم زملاء الطبري أنه أقدرهم على التحصيل وأحفظهم وتبين
شيخهم أبو كريب كذلك أن بن جرير أنفسهم فقد كان أبو كريب من كبار علماء
الحديث لكن كانت فيه شدة وعدم لين الجانب على تلاميذه وقد وصف الطبري
لقاءه لتلاميذه مرة فقال : حضرت في داره مع طلاب الحديث فاطلع من باب
وبصيحون لذلك فقال أبو كريب أيكم يحفظ ما كتبه عنى ؟
خوخه له ، وطلاب الحديث يلتسون الدخول فالتفت بعضهم الى بعض ثم
نظروا الى وقالوا : أنت تحفظ ما كتبه عنه ؟ قلت نعم ، قالوا : هذا
ما سأله . . فقلت حدثنا في كذا بكذا وفي يوم كذا بكذا .

فأخذ أبو كريب يسألني الى أن عظامت في نفسه فقال لى : ادخل
الى . . فدخلت فمكنتني من حديثه . (١)

ويقال : انه سمع من أبي كريب أكثر من ألف حديث .
مائة

وبعد أن تلقى العلم من علماء هذه العدة (الرى والبصرة وواسط
والكوفة اتجه الى بغداد ولم يقطع رجاءه منها لموت ابن حنبل لأن فيها
من جلة الملما من يروون بأه وسرعان ما اندفع اليها فدرس على أحمد بن
يوسف التتلي وتلقى فقه الشافعي على الحسن بن محمد الصباح الزعفراني
وعلى أبي سعيد الابطرخي .

(١) أنظر الطبري تأليف الدكتور احمد محمد الحوفي ص ٣٠-٣٤ .

ولم يكتف بما تلقاه من العلوم في هذه المدن المذكورة لأنه عطشان
الى الزيادة لأن العطاش الى المصارف لا يرتوون فاتجه الى مصر
ليأخذ العلوم من العلماء الأعلام هناك ولكن شوقه الى المعرفة عرج
به الى الشام فأقام في بيروت مدة تلقى فيها العباس بن الوليد
عن
البيروتى المقرأة وقرأ عليه القرآن كله برواية الشاميين .

فأذا ما انقضى حاجته من الشام اندفع الى مصر فوصل اليها
سنة ثلاث وخمسين ومائتين في أوائل عهد أحمد بن طولون (١) .

أقام الطبرى مدة بالفسطاط ثم عن له أن يعود الى الشام فلما
قضى هناك أربا علميا رجع الى مصر سنة ٢٥٦ ست وخمسين ومائتين
ولقد كانت مصر حينئذ ثرية بحلمائها الذين استساقهم الطبرى
وقد درس الطبرى فقه الشافعى على الربيع بن سليمان المرادى . (٢)

واسماعيل بن ابراهيم المزنى ، و محمد بن عبدالله بن الحكم ، وأخيه
عبد الرحمن ، ودرس فقه مالك على تلاميذ بن وهب . (٣)

وقد لقي يونس بن الأعل الصدقى فأخذ عنه قراءة حمزة وورش

وكان في وقت دخوله اليها ابو الحسن على بن سراج المصرى وكان
متأدبا فاضلا يقصد من دخل الفسطاط من أهل العلم .

فلما ظهرت شهرة الطبرى بمصر وبان فضله وعلمه بالقرآن واللغة

(١) قامت الدولة الطولونية من ٢٤٥ - ٢٩٢ هـ .

(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى بالولا المصرى أبو محمد
صاحب الأمام الشافعى وراوى كتبه وأول من أملى الحديث بجامع بين
طولون كان مؤذنا وفيه سلامة وغفلة مولدة ووفاته بمصر ولد سنة أربع
وسبعين ومائة وتوفى سنة سبعين ومائتين - ١٧٤ - ٢٧٠ هـ .

(٣) أنظار الطبرى الدهونى ع ٣٣ .

والحديث والفقه والنحو والشعر لقيه أبو الحسن بن سراج فوجده واسع
المعرفة سديد الجواب في كل ما سأله عنه .

وقد اجتمع بمصر في ذلك الوقت أربعة من العلماء الوافدين اسم كل
منهم محمد ، هم محمد بن جرير الطبري صاحب الترجمة ^{هذه} هذا
ومحمد بن اسحاق ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن شارون . .
الرويانى وقد أبى التاريخ الا أن يسجل أسطورة تنبى* عن نبل أخلاقهم
وطهارة نفوسهم وتدل على تقدير الحاكم للعلم والعلماء .

ذكر ياقوت نقلا عن كتاب السمعاني ، وذكر الخليل البغدادي في ترجمته
لمحمد ^(١) بن حرب ان الرحلة جمعت بين ألوثك المحمد بن بمصر فأرملوا
وافتقروا ولم يبق عندهم ما يمونهم ولحق بهم الضرر ، فاجتمعوا ليلة
في منزل كانوا بها ورون اليه وانفقوا على أن يستهموا - يفتقروا - فمن خرجت
عليه القرعة سأل الناس لأصحابه الدأمام فخرجت القرعة على محمد بن اسحاق
فقال لأصحابه أسهلوني حتى أتوضأ وأعلى صلاة الخيرة فاندفع بالصلاة
فأذا هم بالشروع وخس من قبل والى مصر يدق عليهم الباب ففتحوا لسه
فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل له : هذا وأشاروا اليه فأخرج صرة
فيها خمسون دينارا ودفعها اليه .

ثم قال : أيكم محمد بن جرير ؟ فأشاروا اليه ، فدفع اليه خمسين دينارا .

ثم قال : أيكم محمد بن شارون ؟ فقيل له : هذا فدفع اليه مثلها .

ثم قال : وأيكم محمد بن اسحاق ؟ فقالوا : ها هو ذا يعلى فلما فرع من علاته
دفع اليه صرة فيها خمسون دينارا .

(١) معجم الأدباء ١٨ / ١٦٥ .

ثم قال ان الأسير كان في قهلولة فرأى في النزم طيفا يقول له : ان

المحاصر اشتد بهم الجوع ، فبعث بهذه السرر ، وهو يقسم عليكم اذا نفذت
أن تمشوا اليه ليزيدكم .

ولا شك أن طلاب العلم جديرون بهذه الكرامة التي يكرم الله بها من
شاء من عباده لأنهم أولياء الله وقد أثبت أهل السنة والجماعة كرامة
الأولياء ونسوه الله سبحانه وتعالى شأنهم . حيث قال : ((ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكان يتقون لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تهدم لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان من عباد الله عابدا يغبطهم
الأنبياء والشهداء ، قيل من هم يا رسول الله لعننا نحبهم ؟ قال : هم
قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوعهم نور على منا بر من نور
لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ : الآيات ((الا أن
أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢ ، ٣)

وقال الامام أحمد ، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال : الرؤيا الصالحة
يراهها المسلم أو ترى له . وقد أردت أن ألفت النظر الى هذه القصة التي جرت
لهؤلاء وأنها من هذا الباب وليست من الشرافات التي يروجها بعض ضعفة
الايمن لأنه اذا لم يكن طلاب العلم وأهل العلم أولياء الله فمن هم اولياء الله ؟

(١) سورة يونس آية ج : ٦٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير عن أبي هريرة ورواه أبو داود في سننه تفسير ابن كثير .

ج ١٩٩/٢ (٣) سورة يونس آية ٦٢ - ٦٤ .

أولياء الله .

وطلاب العلم الذين تضع الملائكة أجنحتها لهم رضا لما يطلبون هم
بالدرجة الأولى في ثبوت لولاية لهم وحينئذ فلا غرابة في هذه القصة التي
حكيت هنا لهم .

ذكاؤه وقوة حفظه

وقد وهبه الله سبحانه وتعالى ذاكرة واعية لا تغلت شيئا من عليها وهذا
من فضل الله على أوليائه الذين قيضهم لحفظ دينه و من هؤلاء الموفقين
صاحبنا المترجم له محمد بن جرير الطبري حيث كان من الفضل والعلم والذكا
والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه لجمعه من علوم الاسلام ما لم نعلمه
اجتمع لأحد من هذه الأمة ولا ظهر من كتب المصنفين وانتشر من كتب
المؤلفين ما انتشر له وكان راجحا في علوم القرآن وعلم التاريخ من الرسائل
والخلفاء والملوك ، واختلاف الفقهاء مع الرواية وقد بان فضله في علم اللغاة
والنحو على ما ذكره في كتاب التفسير وكتاب التهذيب مخبرا عن حاله
فيه وقد كان له قدم راسخ في علم الجدل يدل على ذلك مناقضته في كتبه
على المعارضين لمانى ما أتى به ، وكان يحفظ من الشعر للجاهلية
والاسلام ما لا يجهله الا جاهل به ، و من أعظم ما يدل على حدة ذكائه
الحوار الذي جرى بين محمد بن الملاح وبين تلاميذه الذي سبق أن سقناه
آنفا ومصنف أبو جعفر فكفاهم رد الجواب على أسئلة أبي كريب مما جعل
أبا كريب يقدر غاية التقدير .

وما جرى بينه وبين أبي الحسن على بن سراج المصري فلما رأى أبو
الحسن الطبري موقفا فيما ناقشه من العلوم أعجبه فسأله عن شعر الطرماح^(١)
بن الحكيم ولم يكن في مصر من يحفظه ذلك فوجد الطبري يحفظه فسأله

(١) هو الطرماح بن حكيم بن الحكم من طي * شاعر اسلامي له ديوان شعر مطبوع

أن يمليه ويفسر غريبه فأخذ يمليه عند بيت المال في الجامع .
وقد قدم أبو جعفر هذا الخير العظم لأمة الاسلام لأنه أعطى هذه النعمة
الجليلة من الله الوهاب التي ما زالت ولا تزال ظاهرة عجيبة في تفسير كتاب
الله واستطاع الطبري بسبب هذه النعمة التي وهبها أن يلقب
بإمام المفسرين لأنه أول من شق هذا الطريق دراية ورواية هذا .

والطبري إمام في جميع الفنون التي اشتهرت في عصره وليس
إمامته في التفسير والحديث والتاريخ والفقه والقراءات كما ذهب بعض المؤرخين
إلى شهرة تخصصه في هذه الفنون المذكورة والدليل على ما قلناه ما ذكره
ابن مجاهد من أن أبا العباس ثعلب قال له يوما من بقى عندكم ؟ يعني
من الجانب الشرقي ببغداد من النحويين ؟ فقلت ما بقى أحد ،
مات الشيوخ فقال حتى خلا جانحكم ؟ قلت نعم إلا أن يكون الطبري
الفقيه . فقال لي : ابن جرير قلت : نعم قال : ذاك من حذاق الكوفيين
قال أبو بكر : وهذا من أبي العباس كثير لأنه كان شديد النفس شرس
الأخلاق ، وكان قليل الشهادة لأحد بالحذق في عمله .

وقال عبد العزيز بن محمد : فنذره الهراذل محظوظة من
العلماء النحويين كان فيها أبو عبد القاسم بن سلام ، و مسجده وراء سوق
جعفر مصروف به وكان إعلان الأزدى ، و مسجده في هذا الموضع مصروف
به ، وكان بها أبو بكر هشام بن معاوية الضريح النحوي وكان مسجده عند مسجد
أبي عبد الله الكسائي ، وكان بها أبو عبد الله محمد بن يحيى الكسائي ومنه
انتشرت قراءة أبي الحارث عن الكسائي وقرأ عليه كبار الناس ونزلها أبو جعفر
الطبري وكان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب واليهج والمقابلة وكثير من
فنون أبواب الحساب وفي الطب ، وأخذ منه قسطا وافرا يدل عليه كلامه

في الوصايا وكان كالتقارى الذى لا يعرف الا القرآن ، وكالتحدث الذى لا يعرف
الا الحديث وكالفقيه الذى لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوى الذى لا يعرف
الا النحو ، والحاسب الذى لا يعرف الا الحساب وهذا ما قرره يا قوت عند
تعرضه لترجمته وهذه شهادة صادقة وذلك أن علماء السلف يتحرون فى
جميع الفنون فضلا عن الداعية الذى وقف حياته للملم حتى أنه ترك الزواج
لمتغاني فى خدمة الملم وازافة الى ذلك فقد أوتى حافظا قوية مكنته
فى جميع حقول المعرفة — معجم الأدباء ١٨٠ / ٥٠

الفصل الثالث

في ذكر مشايخه الذين تلقى العلوم عنهم

وقد سبق أن ذكرت أن الطبري تجول في البلدان لطلب العلم وأهم البلاد التي دلّوف فيها لهذا الغرض طبرستان وما حولها والمراق، والشام ومصر، وله شيوخ . . في كل بلد من هذه البلدان ساهموا في تكوين شخصيته الفذة .

ومن هؤلاء الأعلام الأجلاء شيوخه في الحديث والتفسير المأثور:-

- (١) أحمد بن المقدم بن سليمان بن الأشعث المجلي المتوفى سنة ٢٥٣ هـ^(١)
- (٢) أحمد بن منيع البغوي أبو جعفر الإهم صاحب السند^(٢)
- (٣) اسحاق المروزي نزيل بغداد الحافظ ت سنة ٢٥٤ هـ^(٣)
- (٤) اسماعيل بن موسى الفزاري أبو محمد ت ٢٤٥ هـ
- (٥) بشر بن معاذ المقدي أبو سهل البصري التبريت ٢٤٥ هـ
- (٦) عبيد الله ابن اسماعيل الهباري
- (٧) عبيد الله بن عبد الكريم بن مروخ المخزومي ت ٢٦٤ هـ

-
- (١) أنظار الطبري بحث مقدم من الطالب في التفسير عبد الله بن عبد العزيز آل شاعر
 - (٢) أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي نزيل بغداد أبو جعفر حافظ ثقة له مسند في الحديث كان يعد من أقران ابن حنبل في العلم مات فقيها فبيع جميع ما يملك سوى كتبه بأربعة وعشرين دوهما ولد سنة ستين ومائة وتوفى سنة أربع وأربعين ومائتين - ٢٦٠ - ٢٤٤ - الاعلام لخبر الدين الزركلي ٨ // ٢٤٥ .
 - (٣) انظر مذكرة الطالب .

- (٨) علي بن سراج المصري أحد شيوخ العلم والأدب فسي مصر عند دخول الطبري إليها وقد امتحن الطبري و عرف فضله .
- (٩) عمران بن موسى الليثي البصري القزاري سنة - ٢٤٠ هـ
- (١٠) عمرو بن علي بن بحر بن كنز الصيرفي الفلاس ت ٢٥٢ هـ .
- (١١) المعلق بن ابراهيم الأبل .
- (١٢) محمد بن بشار الصدي أبو بكر البصري أحد أوعية العلم والسنة ت ٢٥٢ هـ
- (١٣) محمد بن حميد بن حيان التميمي أبو عبد الله الرازي ت ٢٤٨ هـ وقد بلغ ما أخذه عنه الطبري من الحديث مائة ألف حديث الى جانب التفسير
- (١٤) محمد بن عبد الأعلى الصنعاني .
- (١٥) محمد بن الملا بن كريب أبو كريب شيخ الجماعة الهملاني ت ٢٤٨ هـ وبلغ أيضا ما أخذ عنه الطبري مائة ألف حديث .
- (١٦) محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ت ٢٤٤ هـ .
- (١٧) محمد بن العثقي الزمعي البصري الحافظ ت ٢٥٢ هـ .
- (١٨) هناد ابن السرّ الداري الحافظ ت ٢٥٣ هـ .
- (١٩) محمد بن المعلق الهمداني الياسي نزهل السري .
- (٢٠) يعقوب بن ابراهيم بن كثير الدورقي الحافظ صاحب السند ت ٢٥٢ هـ
- (٢١) أبو همام الوليد بن شجاع ت ٢٤٣ هـ .

شيوخه في الفقه

- (١) الحسن بن محمد الصباح الزعفراني أبو علي الهمداني ت ٢٦٠ هـ .
أخذ عنه فقه الشافعي ببهداد .
- (٢) الربيع بن سليمان الأزدي ت ٢٥٦ هـ أخذ عنه فقه الشافعي بمصر .

(٣) داود بن علي الأصمباني الظاهري صاحب المذهب الظاهري المعروف

ولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفي سنة ٢٧٠ هـ أخذ عنه الطبري مذهبه .

(٤) سعد وعبد الرحمن ومحمد بنو عبد الله بن عبد الحكيم لقبهم الطبري

في مصر وأخذ عنهم مذهب مالك .

(٥) أبو مقاتل أخذ عنه فقه الحنفية في الري .

ومن شيوخه في النحو والأدب واللغة أحمد بن يحيى ثعلب امام^(١) نحاة

الكوفة في عصره .

...

(١) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة احدى وتسعين
وما عشرين لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى في خلافة المكتفى
بن المعتز سنة وبلغ تسعين سنة وأشهرها وكان رأى أحد عشر خليفة
أولهم المأمون وآخرهم المكتفى . . أنظر معجم الادباء ١٠١/٥ - ١٠٥

(الفصل الرابع - ع)

صفات الخلقية

وفيه أربعة مباحث :

وان أحسن الحلل التي يتحلل بها الشخص أن يتخلق بالخلق الطيب ولذلك مدح الله العولي سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة الحميدة حيث قال ((وانك لعلى خلق عظيم)) (١)

وقد كان خلاق نبي الله صلى الله عليه وسلم القرآن .

ومنى ذلك أنه يمثل أوامره ونواهيها لا يحيد عنها قيد شبر فملا وتركها و ذ كانت أمته صلى الله عليه وسلم محتما عليها اتباعه في جميع ما جاء به عملا وتركها عموما فأهل الخصوس الذين هم ورثته من باب أولس في تحقيق هذه المتابعة التي نوه الله شأنها بقوله : ((قل ان كنستم تحبون الله فاتهموني بحبيبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)) (٢)

لأن العلماء ورثة الأنبياء والورثة يجد ربهم أن يرثوا أخلاق الموروث

والأنبياء لا يورثون مالا وجاهها وانما يورثون علما وأخلاقا .

ولعل في مقدمة هؤلاء العلماء الأجلاء اما منا الطهري صاحب الترجمة وانه - ولا يزكى على الله أحد - على أخلاق رفيعة وصفات حميدة تشهد بذلك كتب التاريخ والسيرة وتصور واقعة بأنه عالم عامل كان يرسم للناس معالم الهدى بقيله وسيرته ، وأخلاقه التي طبعت على نور من الملهم الربانى .

(١) سورة التكم اية -٤-

(٢) آل عمران آية -٣١-

وهذه واحدة من عسور عظيمة الاسلام الذى ربي أولئك الرجال
صنعهم الله على هديه ونسوره .

ومتى ما تمثل الاسلام فى واقع الشخصية سلوكا واعتقادا فان سبيل
والعسرة والرفعة يكون ميسورا وسهلا .

.. ..

المبحث الأول

ورع

والورع من الصفات الحميدة التي تتمتع بها النفوس النيرة من أولئك الرجال الذين أنار الله قلوبهم فكشفوا بهذا النور حقائق الدنيا وعرفوا فناها وزوالها فقلبت رغبتهم فيها حتى احتاطوا في حلالها خوفا من الوقوع في حرامها واشتدت رغبتهم في الأخرى لأنها هي الدائمة ^{الباقية} وقد طلق بعضهم الدنيا كلية كما قال الإمام الشافعي .

ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحمي وطنا

جملوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا ^(١)

فإذا كان التاريخ قد حفظ لنا سيرة رجال خدمتهم الدنيا وانصرفوا عن مظاهرها البراقة التي يحسبها الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد النهاية المولمة .

إذا كان الأمر كذلك فإنه قد كتب رجال في سجل الذين اتصفوا

بهذه الصفات الحميدة ومنهم أبو جعفر الطبري .

فقد تربي في بيت زهد وورع وحفظ كتابي الله صغيرا وحفظه ربا

فإن من عباد الله الصالحين من يرضه الله على عينه ليكونوا نسرا

هدى وشار طريق يهدي إلى الحق والفضيلة .

عاش الطبري عمره متمسكا بدينه عاملا بشريعة الله عاملا لها بجملة

من كتاب الله وكلام رسوله أنيسا له في وحشته وكان حسن القراءة لما سمعه أبو بكر

ابن مجاهد التفت إلى أبي علي الدومالي فقال له : يا أبا علي ما ظننت

أن الله خلق بشرا يحسن أن يقرأ هذه القراءه (١).

ووصفه كثير من تلاميذه بأنه كان زاهدا عازفا عن الدنيا مترفعا
عن التماسها خاشعا تقيا أمينا ما سمعه أحد خلق بالله . . وقد عاشره حياته
أعزبا عفيفا حصورا لا يعرف النساء . . العلم همه وطلبه غايته . . .
ولذلك أشعر تلك البركات الحسان .

.. ..

(١) تاريخ بغداد ١٦٤/٢ - طبقات الشافعية ١٢٣/٢ .

المبحث الثاني

اعراضه عما فى ايدى الناس

وقد طبق كثير من الموفقين وصية الرسول صلى الله على نفسه بالزهد فى الدنيا والزهد فيما عند الناس وهذه الوصية ^{التي} أشهرها الصحابي الجليل أبو العباس سهل بن سعيد الساعدي رضى الله عنه قال وجهاً رجس الى النهى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحببني الله وأحبنى الناس فقال (ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) حديث حسن (١)

ولئن كان من العلماء الموفقين من هذا دأبه فالطبرى من طبقاتهم لأنه حمل لواء الزهد والروع ويمثل ذلك جلياً فى قوله لهذه الأبيات :-
از أعيدت لم يحلم شقيقى وأستغنى فيستغنى صديقى
حياتى حافظ لى ما وجهى ورفق فى مطالبتى رفيقنى
ولو أنى سمحت بهذل وجهى لكنت الى الفنى سهل الطريق

هذا هو منطق الطبرى وهذه حكمته .

يهجوع فلا تسبح نفسه الأبيسة بأن يذهب ليطلب حاجته من أهله وهو قاضى له لو فعل ، ولكنه عاد الى كم ثوبة فقطعة فباعه وأكل بشمعة ما سدد رمقة وقضى بعض حاجته .

(١) رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة شرح أربعين النووية ص ١٠٥

الزهد عرك ما لا يحتاج اليه من الدنيا وما كان حلالاً والاقتصار على الكفاف والروع ترك الشبهات .

ولقد كان الطبري رحمه الله تعالى على هذا الخلق من صفه حتى . . .
مشييه . . . وقد ذكر الطبري رحمه الله تعالى أن الله أنعم عليه هذه الغريزة
الطبية منذ أن خرج لطلب العلم فقال : لما ترعرت سمح لي أبي
بالسفر من مدينة آمل وكان يبحث إلى العالم ، فأبطأت ^{مني} النفقة
مرة فاضطرت إلى أن فتقت كمي القميص فبعتها . (١)

لقد كان يستطيع أن يقترض ثم يرد القرض بعد قليل من الأيام لكنّه
لم يفعل لأن نفسه الأبية ترفض ذلك .

وكان يستطيع أن يلجأ إلى ما كان يلجأ إليه الطلاب الغريباء (٢) فليس
عسره من الاستعانة بذي الثراء أو محبي العلم لكنه آثر أن يبيع قميصه
لينفق من ثمنها حتى توافيه نقود أبيه .

بحث إليه الأمراء والخلفاء وكبار التجار بالاموال الطائلة والهدايا
النفيسة ورفض هذا وذلك لأنه لا يأخذ من انسان الا ما يقدر على مكافأته
بأكثر ما قدم له .

وأهدى إليه جاره أبوالمحسن المحرر فرخين ، فأهدى إليه الطبري
ثوباً .

وأهدى إليه الوزير أبو علي محمد بن عميد الله سرماناً فقبله وفرقته
على جيرانه .

(١) طبقات الشافعية ٢ / ١٣٨ .

(٢) انظر الطبري الحوفا .

فلما مضت أيام بحث إليه الوزير عشرة آلاف درهم و معها رقعة يسألـه
فيها أن يقبل هديته ، وكان الوزير قد أخبر حامل الهدية أن يعرض على
أبي جعفر أن لم يقبل الهدية أن يفرقها على أصحابه ممن يستحق .

قال راوى الخبر : فسرت بالبصرة إليه ، فدقت الباب ، وكان يأنس
السى .

وكان اذا دخل منزله بعد مجلس العلم لا يكاد يدخل إليه أحد الا فـي
أمر مهم ، لا شغاله بالتصنيف .

فصرفتة أنى جاءت برسالة من الوزير - فأذن لى فدخلت ، وأوصلت
إليه الرقعة فقال : اقرأ عليه السلام ، وقال له : اردنا الى الرمان .
وامتنع من قبول الدراهم .

ولقد كان يكره الفقير الذى تستدله الحاجة ككرهه للفنى الذى يجعل
من فناء سبيلا للكبر والاهما فى نظر الشيخ سيبويه وقبيح .

وقد نزلم بهتين فى معنى ذلك :-

خلقان لا أرض داريهما تبه الفنى ومذلة الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطرا واذا افتقرت فته على الدهر

.. ..

المبحث الثالث

جرأته في الحسب

لا غرابة في أن الطبري رحمه الله تعالى شجاع وجرئ في اعلان ما
يؤمنه حقا لأنه قد استكمل الأسباب التي تسلمه بهذه الجرأة من علم واسع
ووع مشهود وإباء مترفع ، واستهانة بالدنيا ومظاهرها .

لهذا كان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحق به من أذى

الجهال واعتداء الحساد والحاقدين .

وقد عرض عليه القضاء فأبى أن يقبله وهذا دليل على أنه جرئ في الحق لا
يراعى غير الله ، ومن شأن القاضي أن تعرض عليه منازعات يتصل بعضها بأمر
ذلك العسر وحكامه ، وهو لا يستطيع أن يبالى أميراً أو يجامل وزيراً ،
أو يحابي كبيراً فمن الخير له أن يكون بعيداً عن هذه الفتن وأن يفرغ
للمعلم والتأليف و تثقيف الطلاب ناعماً بحريته وراحة ضميره .

وربما كان ورعه هو السبب في فضه ولاية الظالم مخافة أن يجور في حكم من

أحكامه ، كما رفض أبو حنيفة منصب القضاء من قبله ، وليس يستحمد أنسه

رفض القضاء أنفة من أن يكون لحاكم ولاية عليه سلطان

ولعله امتنع من قبول القضاء لهذه الأسباب مجتمعة .

وكان تلاميذه من طبقات عدة ولكن لا يميز أحد لهسبه أو جاه أبيه .

قال أبو معبد عثمان بن أحمد الدينوري : حضرت مجلس الطبري وعضواً الفاضل

بن جعفر بن الفرات بن الوزير وقد سبقه رجلاسل فقال الطبري للرجلاسل :

الآ تقرأ ؟ فأشار الي ابن الوزير ، فقال الجري : اذا كانت التهمة لسلك
فلا تكسرت بدجلة ولا الفرات .

وعلق الد بنوري في روايته على هذا الحادث بقوله : وهذه من لطائفه
وبلاغته وعدم التفاته لأبناء الدنيا .

يريد أن هذه تورية لطيفة وسأواة عادلة بين رجل من عاعة الشمب وأخر
ابن الوزير في عهد كان الطبقية فيه فيصلا بين الناس .

.. ..

البحث الرابع

(١)

تواضعه

وقد ألهم الله سبحانه وتعالى العلماء العاملين أن يتواضعوا لله
لأنهم يعرفون أن في ذلك توفيقهم للخير في الدنيا والآخرة وعزهم وكرامتهم
ومن هنا حققوا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يبين أن من تواضع
لله رفعه الله تعالى .

ومن هؤلاء العلماء شيخنا الطبري الذي كان ديدنه الزهد والسورع
والاعراض عما فسى أيدي الناس فاستغنى بهذا كله عن الخيلاء والكبر والمجيب
التي ابتلى بها كثير من السفهاء حتى جعلوا ذلك عوناً على انشغالهم
الجور والفساد والظلم وما أكثرهم لاكثرهم الله .

ولم يكن الطبري يرفض الدعوة التي يدعى إليها أو الواجبة التي يسأل
فيها فإذا مضى إلى منزل كان يوماً مشهوداً عظيماً بحضوره .

ولا يرفض - من تواضعه - الخروج إلى الصحراء مع بعض تلاميذه فيما كمل
منهم وكان لا يباهي بعمله ولا يفاخر بتفسيه في مناقشة أو مناظرة

(١)

(٢)

بل كان يتناس ما حدث ويوتر ألا يذكره تناظره هو واسماعيل بن ابراهيم
المزني في سير ، وتناولت مناظرتها أشياء منها الكلام في الاجماع ، ثم
سأله ابن كامل عن المسألة التي تداولها فيها ، فلم يذكرها ، لأنه كان
كما قال ابن كامل أفضل من أيرفج نفسه ، وأن يذكر انشماره على خصمه .

وقد كان له طبرى رحمه الله تعالى قد لزم داود بن علي الأصفهاني الأصبهاني
وكتب من كتبه ثم جرت مسألة يوما بين داود وأبي جعفر و تفوق أبو جعفر
على داود فالك ذلك أصحاب داود وكلم أحدهم أبا جعفر بكلمة
مؤلمة فنهى من المجلس وألف كتابها في الرد على داود سماه كتاب الرد
على ذي الأسفار . . . يريد بالأسفار أن داود يمتد على الكتب
ولا يفكر . . . أخرج من هذا الكتاب شيئا بعد شيء إلى أخرج منه قطعة
في مائة ورقة .

ثم كف بعد أن مات داود فلم يمل شيئا من هذا الكتاب .

وقد تحدث أبو بكر بن داود بن علي قال : كان في نفسي ما تكلم
به ابن جرير على أبي فدخلت يوما على أبي بكر ابن أبي حامد و عنده
أبو جعفر فقال له :

هذا أبو بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني ، فلما رأني أبو جعفر
وعرف مكانى رحب بي ، وأخذ يثنى على أبي ويمدحه ويصفني بما
يقطعتي من كلامه (١) .

(١) أنظر معجم الأديب ١٨٠ / ٨٠ .

وكان أبو يعقوب رحمه الله تعالى يماثل على تلاميذه ، ويتواضع

في معاملتهم حيا لهم .

ذكر ابن كامل أن بعض تلاميذ الطبري آلمه في مجلس الطبري فانقطع

ابن كامل من المجلس مدة ثم قابله الطبري ، فجعل يمتدركه

ويترغاه ويتفرق به كأنه هو الذي آذاه . . فرضى ابن كامل وعاد إلى

المجلس .

.. ..

وكان أبوه مفسر رحمه الله تعالى يعطف على تلاميذه ، ويتواضع
في معاملتهم حبالهم .

ذكر ابن كامل أن بعض تلاميذ الطبري ألمه في مجلس الطبري فانقطع
ابن كامل من المجلس مدة ثم قابله الطبري ، فجعل يعتذر لــــه
ويترضاه ويتفرق به كأنه هو الذي آذاه . . فرضى ابن كامل وعاد إلى
المجلس .

.. ..

الفصل الخامس

في ذكر تلاميذه الذين تتلمذوا عليه

من شأن المنهل العذب أن يكثر رواده ويتتابع قصاده ثم لا يزال على الأيام إلا كثرة رواه وقصبار .

وقد كان الطهري منهلاً عذبا للثقافة الشائعة في عصره لأنه يناهض للثقافة الدينية والأدبية والتاريخية فليس غريبا أن يتحلق الطلاب حوله في مصر والعراق ينهل كل منهم ما شاء من علم الأستاذ الكبير .

ومن هؤلاء الطلاب القاضي أبو بكر أحمد بن كامل (١) بن خلف قاضي

الكوفة من قبل أبي عمر محمد بن يوسف .

٥ - وأبو الفرج المحافى بن زكريا النهروانى القاضى المعروف ببلن طرار
٦ - وعلى بن عبد العزيز بن محمد الدولابى مؤلف كتاب القراءات وكتاب
أصول الكلام - وكتاب الأصول الأكبر - وكتاب الأصول الأوسط وكتاب
أثبات الرسالة .

٧ - وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبى الثلج الكاتب .

٨ - وأبو القاسم بن العرار مؤلف كتاب الاستقصاء فى الفقه .

٩ - وأبو الحسن الدقيقى الحلوانى الطبرى صاحب كتاب الشروط وكتاب
الرد على المخالفين .

١٠ - وأبو الحسين بن يونس مؤلف كتاب الاجماع فى الفقه .

١١ - وأبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى .

١٢ - ومحمد بن جعفر .

١٣ - وأبو عمر محمد بن أبى الحرى .

١٤ - وأبو شعيب الحرانى .

١٥ - وعبد النصار الحصى .

١٦ - وأبو عمرو بن حملان .

١٧ - وابن العدار .

١٨ - وأبو مسلم الكجسى .

وغير هؤلاء المذكورين ممن تتلذذوا عليه فى العراق خاصة فانتهجوا
نهجهم .

الفصل السادس

ثناء العلماء عليه

=

وقد أثنى عليه العلماء الأعلام بما هو أهل له ومن هو لا الأعلام الخطيب البغدادي وغيره حيث قال: في الثناء عليه: كان ابن جرير أحد الأئمة الأعلام يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفنائه وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله بسيرا بالقرآن، عارفا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة .. والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام عارفا بأيام الناس وأخبارهم هذا ابن جرير في نظر الخطيب البغدادي وهو شهادة عالم خبير بأحوال الرجال.

وذكر أن أبا العباس بن سريج كان يقول: محمد فقيه عالم .. وهذه الشهادة جد صادقة فأن الرجل برع في علوم كثيرة منها علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه والتاريخ وغيرها.

وقد صنّف في علوم كثيرة وأبدع التأليف وأجاد فيما ألف.

.. ..

الفصل السابع

في مؤلفاته النافعة

وقد ذكرنا أن الشيخ رحمه الله تعالى وقف حياته لخدمة العلم وبذل جهده في سبيل ذلك وقد بارك الله في جهوده من جميع الجوانب التي تناولها تعلمًا وتعليمًا وتدريسًا وتأليفًا ومن هذه الجهود المباركة مؤلفاته التي خلدها للمسلمين .

وقد كانت مؤلفاته كثيرة وعظيمة ، ومن الخير للثقافة وللدارسين أن بعضها سلم من الضياع وطبع وما زال ينبوعًا للبحث والدرس .
ومن الأسف أن بعضها مفقود فمسي الا يطول فقده وأن يوفق الله الباحثين الى العثور عليه واحيائه .

وقد ادهشت غزارة إنتاجه تلاميذه وأدهشت من بعدهم . . ذكر الخطيب البغدادي أنه سمع من علي بن عبيد الله اللفي أن الطبري واظب على الكتابة أربعين سنة وأنه كان يكتب في كل يوم أربعين ورقة ، ومعنى هذا أنه كتب نحو ستمئة ألف ورقة .

ومن تلك المؤلفات النافعة كتابه

١ - جامع البيان في تفسير القرآن الذي نحن بسدره .

٢ - تاريخ الأمم والملوك .

(١) انظر الطبري الحوفي ص ٧٦ .

٣ - كتاب زيل المذيل وهو في نحو ألف ورقة خرج باملأه بعد سنة
بمنوان "المنتخب من كتاب زيل المذيل"

وهو في تاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم الى عصر الطبرى (١)

ذكر فيه تاريخ من قتل ومن مات من الصحابة في حياة الرسول . و تاريخ
من عاشوا بعده من أصحابه وروا عنه أو نقل عنهم علم الى أن يبلغ
شيوخه الذين سمع منهم ، ولم يفته أن ينسب الضعف الى بعض

ال محدثين

٤ - كتاب اختلاف الفقهاء في كثير من الأحكام الشرعية . (٢)

٥ - كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام . . . ويؤيد بلطيف القول
دقة الفكر وعمق النظر وقوة التحليل ألفه بعد اختلاف الفقهاء
في نحو الفين وخمسائة ورقة وقد بسط فيه مذهبه الذي يحول عليه
جميع اصحابه وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء ، ومن أفضل
أمهات المذاهب . .

وكان أبو بكر بن ربيع يقول : ما ألف كتاب في مذهب أجد من
كتاب الطبرى لمذهبه .

وفي هذا الكتاب فصل جيد في الشروط . يسمى بأمثلة المدول تستجيده
أهل بغداد ويعملون عليه وكان الطبرى مقدا في علم الشروط فيما به .

وما تناوله في هذا الكتاب الكلام في أصول الفقه والكلام في الأجماع
وأخبار الآحاد والمزاسيل ، والناسخ والمنسوخ في الأحكام والمجمل
والمفسر من الأخبار والأوامر والنواهي - والكلام في أفعال
الرسائل والخصوص والعموم والاجتهاد ، وإبطال الاستحسان
كذلك تناول اللباس ، وأصهار الأولاد والشراب .

٦ - كتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام .

هو مختصر كتابة " اللطيف " ، و سبب اختصاره أن أبا أحمد العباسي
ابن الحسن العزيمي راسله في اختصاره فعمل هذا المختصر يسهـل
تناوله وهو في نحو أربعين ورقة .

٧ - كتاب " تهذيب الآثار و تفصيل الثابت عن رسول الله على الله عليه وسلم
من الأخبار " (١) وهو الذي سماه القطفي " شرح الآثار ، وقال
انه لم يكمله ثم عجز العلماء عن اكماله . . وقال ياقوت : لم أرسواه
في معناه .

وذكر السبكي في دلبقات الشافعية أنه من عجائب كتبه ، بدأ فيه بما رواه
أبو بكر السديق ما صح عنده بسنده ثم تكلم على كل حديث بعلمه وطرقه
وما فيه من الفقه والسند واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعاني
والغريب فتم منه مسند العشرة وأهل البيت والموالي و من مسند
ابن عباس قطعة كبيرة . . . ومات قبل أن يتمه

(١) قال الدكتور أحمد محمد الحوفي : " منه نسخة مخطوطة في كبرى
وعاطف أفندي وبايزيد والفتح بالآستانة وأوله في مكتبة الأسكوريال

بأسبانيا . . الطبري للحوفي عن ٧٩ .

٨ - كتاب " بسيط القول في أحكام شرائع الاسلام " .

تناول فيه تسلسل الفقه بالمدينة و مكة والكوفة والبنصرة والشام وخرسسان
وكتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وذكر اختلاف المختلفين واتفاقهم
وذكر فيه المحاضر والسجلات ، والوبايا وأدب القاضى وهو فى نحو
ألفى ورقة على ما ذكره ياقوت أو فى نحو ألف وخمسة ورقة على ما ذكره
السيكسى .

٩ - وكتاب " آداب القضاة وهو أحد الكتب المشهورة بالتجويد والتفضيل
ذكر فيه مدح القضاة وكتابهم وما ينبغى للقاضى أن يعمل به وذكر السجلات
والشهادات والدعاوى البينات وهو فى نحو ألف ورقة .

١٠ - كتاب " النفوس الجيدة والأخلاق الحميدة " وما سماه بأدب . .
النفس الشريفة والأخلاق النفيسة .

- تناول فيه عدة أمور : كالورع والأخلاق والشكر والرياء والكبر والتواضع
والخشوع والسير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذكر كثيرا من الدعاء
وفضل القرآن وأوقات الاجابة ودلائلها .

- أنجز منه نحو خمسة ورقة فى أربعة أجزاء ، وكان بدأ فى تأليفه
سنة ٣١٠ هـ ومات بعد مدة قبل أن يكمله .

١١ - كتاب " المسند المجرى " .

- ذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس

١٢ - كتاب " الرد على ذى الأسفار " .

- رد فيه على داود بن على الأصمى ، بمد أن لزم داود مدة وكتب

من كتبه كثيرا .

— وكان السبب في تأليف هذا الكتاب أن مناقشة جرت بين داود . .
والطبرى وانتصر فيها الطبرى ، فشق ذلك على أصحاب داود
وكلم أحدهم أبا جعفر بكلمة موجهة فقام من المجلس وعمل هذا الكتاب
الـخ . . .

١٣- وكتاب " القراءات و تنزيل القرآن " (١)

— ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن ، فصل فيه أسماء
القراء بالمدينة و مكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها — وبين وجه كل
قراءة ويشتمل هذا الكتاب على كتاب ابى عميد القاسم بن سلام لأنه
كان عنده عن أحمد بن يوسف وعليه بنى كتابه .

— وقد وصف هذا الكتاب أبو علي الحسن (٢) بن علي الأهوازي المقرئ
بأنه جليل كبير ، ويقال : رأيت في ثمانية عشر مجلداً بخطوط كبار

١٤- رسالة السير في معالم الدين :

— كتبها الى أهو طبرستان فيما وقع بينهم من الخلاف في الاسم والسمى
وفي مذاهب أهل البدع ولعلها هي التي سماها الصفدى " التمسير
في أصول الدين " — وهي في نحو ثلاثين ورقة .

١٥- رسالته المسماة " بصريح السنة "

— ذكر فيها مذهبه و ما يدين به ويعتقده ، والجزء الأخير منها فى
الاعتقاد (٣) .

(١)

(٢) هو أبو علي الحسن بن علي بن ابراهيم بن ترد الأهوازي مقرئ الشام
ولد سنة ٣٦٢ و توفي سنة ٤٤٦ هـ — انظر الأعلام للزركلى ٢/٢١٨ .

(٣) ذكر الحوفى في كتابه الطبرى أنه طبع الجزء الأخير منها في بساي بالهند سنة
١٢٢١ هـ ثم طبع بمصر واسم الكتاب عند أكثرهم شرح السنة .

- وهي في عدة أوراق .

١٦- كتاب " فضائل علي بن أبي طالب " :

- تناول في أوله صحة الأخبار الواردة في غدير خم ثم عقب بفضائل علي ولكنه لم يتم الكتاب .

- وغدير خم ، موضع بين مكة والمدينة عن ثلاثة أميال من الجحفة وهو مجتمع ماء تصب فيه عين ، وحوله شجر كبير .

- يروى الشيعة عن البراء بن عازب أنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم ، فأمر بتخفيف مكان بين الأشجار الملتفة بالفدير استعداداً لأقامة الصلاة ثم نادوا بالصلاة جامعة . . . فملينا الظهر ، ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب فقال الستم تعلمون أني أولى بكل

مؤمن من نفسه ؟ قلنا : بلى فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره وأخذل من أخذه ، وأدر الحق معه حيث دار . . . الأهل بلغت قالها ثلاثاً والشهامة

يتخذون هذا اليوم عيداً ، وأول من اتخذه معز الدولة البوهي سنة ٣٥٢هـ

ثم جعله الفاطميون عيداً في مصر سنة ٣٦٢هـ منذ قدم المعز اليه^(١) وما وقد نظم السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٣هـ هذه القصة في أبيات

منها : -

عجبت من قوم أتوا أحمد
بخطه ليس لها موضع
قالوا له : لو شئت أعلمتنا
الى من الغاية والمفزع

(١) انظر الطبري للهِوفى عن ٨١-٨٢ . . والطل والنحل للشهرستاني

إذا توفيت وفارقتنا . . . وفيهم في ذلك من يطمع
فمندها قام النهى الذى كان بما يأمره يسعد
يخطب مؤمرا وفى كفه كف على نورها يلمع
من كنت مولا ه فهذا له مولى . فلم يرضوا ولم يقنعوا
وظل قوم غاظة قوله كأنما آنا فهم تجدد

وقد كذب بعض علماء بغداد ماروى حول غد يريرخم ، وقال : ان عليا
كان بليلين حينذاك فلما علم الطبرى ألف كتابه في ذلك وكثر الناس لاستماعه .^(١)

- ١٧ - كتاب فضائل أبى بكر وعمر . . لم يتمه .
- ١٨ - كتاب فضائل العباس عاجله الموت قبل اكماله .
- ١٩ - كتاب فى عبارته الرويا .
- جمع فيه أحاديث ومات ولم يتمه .
- ٢٠ - كتاب مختصر مناسك الحج .
- ٢١ - كتاب فى الرد على ابن عبد الحكيم على مالك .
- ٢٢ - كتاب مختصر الفرائض
- ٢٣ - كتاب الموجز فى الأصول -
- أبتأ فيه برسالة الأخلاق لكنه لم يتمه
- ٢٤ - المدد والتنزيل .

(١) ذكر الحوفى فى كتابه الطبرى على وجه التعليل - فى منتخب تاريخ علم
الدين البرزالي أنه رأى الكتاب فى مجلدين ضخمين ثم أحال ذلك الى مقدمة
كتاب اختلاف الفقهاء للطبرى صفحة ١٢ .

٢٥ - مسند ابن عباس .

٢٦ - كتاب المستشرق .

٢٧ - اختصار من أقوال الفقهاء .

.. .. ٤٠

الفصل الثامن

مذهبه في العقيدة

أوعقيدته أو ألوان من أرائه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : رأيه في الإمامة

المبحث الثاني : براءته ما اتهم به من التشيع .

المبحث الثالث : رأيه في الإمام أحمد بن حنبل .

ولا شك أن الطبري سليف العقيدة وقد حكى تلميذه عبد العزيز بن محمد الطبري أن شيخه أبا جعفر يذهب في جبل مذهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف وطريق أهل العلم المتسكين بالسنن فيضى على مناهجهم لا يعبأ بلومة لائم .

وقد خالف المعتزلة في جميع ما خالفوا فيه الجماعة .

وخالفهم في قولهم بخلق القرآن ، وخالفهم بإبطال رؤية الله يوم القيامة .

وناقضهم فيما ذهبوا إليه من تخليد أهل الكبائر في النار .

وغير مذهبهم في إبطال شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم

يقرهم على أن استطاعة العبد سابقة على فعله ، وكان يعتقد أن ما أخطأه

لم يكن ليصمه وما أعباه لم يكن ليخطئه وأن جميع ما في العالم لا يكون إلا بمشيئة

الله . (١)

(١) انظر معجم الأدباء ٨١/١٨ و تفسير الطبري في مواضع كثيرة منها . . .

وهذا مثال مما خالف فيه المستزلة " فقد ذهبوا الى أن الناس لن يروا خالفهم سبحانه وتعالى يوم القيامة لأن رؤيته تعده وهو غير محدود .

وذهب السلف الى امكان هذه الرواية وضمهم الطبري المترجم له هذا ففي قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) .

ذكر الطبري الأراء المختلفة في تفسير الآية ، وهي قول بعضهم : لا تحيط به الأبصار وهو محيط بها ، وقول كآخرين : لا تراه الأبصار وهو يراها ، وقول غيرهم : لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا وأما في الآخرة فانها تدركه وأصحاب هذه المقالة رأوا أن الادراك في الآية يسيران فيه الرواية .

وقول فريق رابع : لن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها .

ثم علق الطبري على هذه الأراء بقوله : والصواب ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليلاً ومنها سبحانه .

فالمؤمنون يرونه والكافرون محجوبون عنه كما قال تعالى " (كـ)

(١) انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ()

ثم أفهم منكرو الروئية بقوله : ان منكرى الروئية لا يرجعون ممن قولهم الا ما لبس عليهم الشيطان مما يسهل على أهل الحق البيان عن فساد وانهم لا يرجعون في قولهم الى آية محكمة من التنزيل ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة فهم في التلزمات يتخبطون .

وفي العمياء يترددون نعوذ بالله من الحيرة والضلالة^(١) ويظهرون أنه كان يتشدد في نزوه السلفى حتى لقد ذكر تلاميذه أنه كفر المخالفين لأراء السلف وكفر الذين اجترؤا على تكفير الصحابة من الخوارج والروافضى .

وكان صادقا على ما يراه من هذه الأمور

سأله أبو بكر بن كامل من سبقك الى تكفير أهل الأهواء ؟

فقال الطبرى : اسبقنى اما ان عادلان عبد الرحمن بن مهدي

ويحسى بن سعيد القطان .

.. ..

(١) انظر الطبرى للحوفى ص ٢٢٤ - ٢٣٥ .

المبحث الأول

مذهبه في الامامة (الخلافة)

ويذهب الطبري الى امامة أبي بكر أولا ثم الى امامة عمر ثم عثمان ثم
على رضى الله عنهم أجمعين على هذا الترتيب وكذلك يرى الطبري
أن ترتيب الخلافة في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة وهذا الذي
رأه الشيخ رحمه الله تعالى هو مذهب أهل السنة والجماعة .

لأنهم يرون أن الأحق بالخلافة أبو بكر رضى الله عنه لفضله وسابقته
وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له على جميع الصحابة واجماع الصحابة
على ذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى .

ويقول في مرضى الوفاة يومكم عنى أبو بكر بلا روغان .
ويظل يمنع من امامة غيره حتى يرى في صورة ميلان .

ويقول لو كنت الخليل لواحد في الناس كان هو الخليل الداني
لكنه الأخ والرفيق وصاحبى وله علينا منة الاحسان
ويقول للصديق يوم الفارلا تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان
الله ثالثنا وتلك فضيلة ما خازها الا فتى عثمان

ويرون أنه يليه في ذلك عمر رضى الله عنه لفضله وعهد أبي بكر
اليه ثم عثمان رضى الله عنه لفضله وتقدمهم أهل الشورى له
ثم على رضى الله عنه لفضله واجماع أهل عصره عليه .

وقد استدل أهل السنة والجماعة على هذا الرأي الذي ذهبوا اليه بأدلة كثيرة منها ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

علي قليب ، عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها دنها أو دنوسين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر لـ
لـ ، ثم استعالت غربا () فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر
عبرقيا من يفرى فريه ، حتى ضرب الناس بمطن ()

وقد كان الطبري ^(١) مخالفا للفرق النحلة كل المخالفة التي كانت على خلاف مذهب السلف كالرافضة الذين غلوا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغلوا في أهل البيت ونصبوا المدواة لجمهور الصحابة كالثلاثة وكفروهم ومن والاهم وقالوا لا ولاه إلا بهراء أي لا يتولى أحد بعد علي حتى يتهرا من أبي بكر وعمر وكفروا من قاتل عليا وقالوا : إن عليا امام مسموم وسبب تسمية الشيعة بالرافضة أنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين حين قالوا له : تهرا من الشيعيين

(١) الدلو العليمة التي تتخذ من جلد ثور - المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٥٢

(٢) والمطن مبرك الابل مرض الغنم عند الماء والجمع أعطان يقصطل

ضربت الابل بمطن رويت وبركت وضرب فلان بمطن روى ابله ثم أقام

علي الماء ج ٢ ص ٦١٥

(٣) انظر شرح الطحاوية ص ٥٣٤

أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما وعمر رضى الله عنهما - فقال : معاذ
الله وزيراً جدي (١) . . . فسموا الرافضة .

وكالغواج الذين كانوا على طرفى نفقيش للرافضة وهم الذين خرجوا
على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وفارقوه بسبب التحكيم
وكانوا اثني عشر ألفاً فأرسل اليهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما - فجاد لهم
ووعظهم فرجع بعضهم وأصربعضهم على المخالفة له . . . وهم يكفرون
علياً وعثمان ومن ولاهما .

وأما أهل السنة والجماعة فكانوا وسطاً بين غلوا لرافضة وجفاء
الغواج وتقديرهم فهداهم الله لموالاته الجميع ومحبتهم وعرفوا لكل
حسنة وفضله وكان الشيخ متمسكاً بطريق السلف فى كل ذلك وأما ما أُلحق
به من انه رافضى - كما سنوضحه - فمحض لفتراء عليه . . . والله أعلم .

.. ..

(١) انظر كتاب الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة والوسطية ص ١١٧

المبحث الثاني

برائته مما أتهم به من التشيع

نسب اليه بعض المؤرخين ميلا الى التشيع فقال صاحب لسان الميزان :

كان فيه تشيع يسير ومولاة لا تضر . (١)

وقال ياقوت : انه كان يتهم بالتشيع لذلك قيل انه دفن ليلا

خوفا من العامة . (٢)

وهالغ أحمد بن علي السليمانى الحافظ ، فأفزع في قوله : كان

الطبرى يضع للروافض (٣) .

وهذه التهمة التى ألمحت به لا أساس لها لأنها وهم باطل ولعميل

مردها الى عدة أسباب :

أولا : أنه ألف كتابا في فتنائل علي بن أبي طالب ، و رد على علماء

بغداد الذين أنكروا ما روى حول غد يرخم كما سبق .

ثانيا : أن بعضهم خلط بين اسمه واسم عالم آخر يماثله ولا يخالفه الا فى

اسم الجند هو أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبرى

وقد كان هذا رافضا . . وله مؤلفات منها فكتاب الرواة عن أهل

البيت (٤)

(١) لسان الميزان ١٠٠/٥ (٢) معجم الأديباء ٤٠/٨

(٣) لسان الميزان ١٠٠/٥

(٤) انظر الطبرى للحوافى ص ٢٤٢ .

خامسا : ونرجح أن التشيع فرية أراد بعضهم أن يلصقها بالطبري أو التمس الأمر على بعضهم فمزأها اليه .

ذلك أنه ألف كتابا في فضائل علي ، ولكنه ألف كتابا آخر في فضائل أبي بكر وعمر ، إذ سعى جماعة من طبرستان يسطرون السننهم في السحابة ويسبون أبا بكر وعمر ، فألف كتابا يشيـد بفضل الخليفتين ورد على دعاوى المتهجمين عليهما ، وقد وعفهما بأنهما اماما هدى ، وأنكر علي من لا يعفهما بذلك .

ثم ألف كتابا في فضائل العباس بن عبد المطلب .

فلو كان متشيعا - كما زعموا - ما ألف هذين الكتابين

وما أشاد بفضائل ثلاثة من كبار السحابة جرحهم الشيعة .

ولو أنه كان رافضيا - كما زعموا - ما قسى بكفر الخوارج

والشيعة الذين كفروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان

لا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم ولا يجيز التوارث بينهم وبين

المسلمين .

لهذا كان ابن حجر محقا في قوله :

(ان اتهام السليمانى لأبى جعفر رجم بالظن الكاذب لأن

الطبرى كان من كبار أئمة الاسلام المعتدلين ، ولسنا ندعى عمته

من الخطأ ولكن لا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى ، وينهض

أن يتأنى العالم فيما يصف به عالما آخر ولا سيما بامام كبير كالطبرى) .

ومن هنا ظهرت براءته من هذه التهمة التي أثار حولها

بعض الناس والله أعلم .

.. ..

((المبحث الثالث))

ذكر ما جرى بينه وبين الحنابلة

كان الحنابلة في عصر الطبري رحمه الله تعالى قد كثر فسي

بغداد عددهم وعظم نفوذهم واشتدت حملاتهم على مخالفيهم .

وكان الطبري كما تبين من أخلاقه جريئاً في الحق لا يعارى وحر

الرأى لا يقلد ولا يحاكي ، فقد كان شافعي المذهب في أول

حياته ، وأفتى به في بغداد عشر سنين ، وطلقه عنه ابن بشرار

الأحول استاذ أبي العباس ابن سريج . (١)

ثم انفرد بمذهب مستقل - واختيارات خاصة به جودها

واحتج لها . (٢)

فلما ألف كتابه (اختلاف الفقهاء) أغفل ذكر أحمد

ابن حنبل ، على حين أنه ذكر كثيراً من الفقهاء مثل أبي حنيفة ،

والشافعي ومالك والأوزاعي ، وغير هؤلاء من الصحابة والتابعين

وتابعيهم .

(١) أنظر الطبري للحوفي ص ٢٤٦ .

(٢) طبقات المفسرين ٣٠ - والأنساب ٣٦٧ ، والفهرست

وقيل بأنه سئل في ذلك فقال : لم يكن ابن حنبل فقيها
انما كان محدثا .

وإذا فقد تهيأت الأسباب لأن يتحرض به الحنابلة فبدأ
بعضهم بالتعصب عليه كالحماسي والبياضي وجعفر بن عرفة .
ثم قدمه جماعة منهم وشرفوا المسجد يوم الجمعة وسألوه
سؤالين أولهما عن امامهم أحمد بن حنبل ، وثانيهما عن حديث
الجلوس على العرش . (١)

فأجاب الطبري عن هذا السؤالين بقوله عن السؤال الأول :

أما أحمد فلا يعد خلافة .

قالوا قد ذكره العلماء في الاختلاف .

قال : (ما رأيته روي عنه ، ولا رأيته أصحابه يسألون

عليهم) .

وعن السؤال الثاني بقوله :

وأما حديث الجلوس على العرش فمحال - وأنشد :

سبحان من ليس له أنيس . . . ولا له في عرشه جليس

(١) ذكر الحوفي في تعليق كتابه (الطبري) أن الحنابلة كانوا

بذهبون في معنى قوله : (ومن الليل فتجد به نافلة

لك عسى أن يملكك ربك مقاما محمودا) ، إلى أن الله

يجلس على العرش ويصعد النبي منه جزءا له على تهجده

فلما سمعوا ذلك غضبوا وأهاجوا عليه العامة واتهموه بأنه رافضى ورموه
بمحابرهم وقيل انها كانت ألوفا .

قام الطبرى وقصد داره ، فلم يكتف خصومه بما اقترفوا ، بل جعلوا
يرمون الدار بالحجارة حتى عمارت على بابه كالنمل .

وهينئذ اضطر رئيس الشرطة الى أن يركب فى آلاف من جنوده
لينموا الطبرى من العامة ، ووقف على بابه يوما الى الليل ، وأمر برفع
الأحجار .

ويقال ان الطبرى كان قد كتب على بابه بيت الشعر السابق . .
فأمر رئيس الشرطة بمحوه .

ويقال أيضا ان بعض أصحاب ابن حنبل كتب فى مكان بيت الشعر
هذه الأبيات :

لأحمد منزل لا شك عال اذا وافى الى الرحمن واقد
فبذنبه ويقمده كريما على رغم لهم فى أنف هامد
على عرش ينلغه بطيب على الأكباد من باغ عاند

له هذا المقام الفرد حقا كذاك رواه ليث عن مجاهد (١) .

وعدم ذكر الطبرى أحمد بن حنبل من ضمن الفقهاء الذين ذكروهم

(١) تنتهى رواية راوى السبلوس الى مجاهد تفسير الطبرى ٩٧/١٥ .

لا يخلق هذه المدواة بينه وبين الحنابلة لأنه عدّه من المحدثين . . .
وعلى سبيل الفرض لعدم عدّه من المحدثين فإنه لم يخترع من عدّه بـترك
شيء ذكره غيره ،

لأن الطبري إذا أغفل ^{ذكر} ابن حنبل في الفقهاء لم يفعل إلا ما فعله
بعض سابقيه ولا حقيقه .

لأنه لم يذكره الطحاوي في اختلاف الفقهاء ، ولا الديلم في
(تأسيس النظر) ولا النسفي في (منظومته) ، ولا العلاء السمرقندي
في مختلف الرواية ولا الفراهسي الحنفي في (منظومته) ولا غيرهم من الحنفيّة
كذلك لم يذكره أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأعمى المالكي الاندلسي
في كتابه (الدلائل في أمهات المسائل) ولا محمد بن عبد الرحمن . .
السمرقندي . السخاوي في كتابه (عمدة الطالب لمعرفة المذاهب)
ولا الغزالي في كتابه (الوجيز) ، ولا النسفي في كتابه (الوافي) ولا ابن عبد
البر المالكي في كتابه (الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء أبي حنيفة ، ومالك
والشافعي) . (١)

بمد هذه الفتنة خلا الطبري في داره ، ، وقيل انه ألف كتابه
المشهور في الاعتذار اليهم ، وذكر فيه مذهبه واعتقاده وجرح من ظهر
فيه غير ذلك ، وأشار بأحمد بن حنبل ، وذكر مذهبواصول اعتقاده
وقرأ الكتاب على الحنابلة ، ولم يزل يذكر ابن حنبل الى أن مات .

(١) انظر الطبري للحوافي نقلا عن كتاب عقيدة الطالب في ملاحقة الفقهاء

ثم انه لم يخرج كتابه " اختلاف الفقهاء " ، فلما مات وجدوه مدفونا
فى التراب فأخرجوا الكتاب ونسخوه .

ويذكر بعض المؤرخين أن الحنابلة كانوا يحولون بين الناس والسمع
عليه ، فكان لا يخرج ولا يدخل عليه أحد . (١)

وقد ورد السبكى على هذا بأن الحنابلة لم تكن شوكتهم تمكنهم
من ذلك ، وأن مكانة الطبرى كانت أعظم من أن يقدروا على منعه مسن
الظهور ويمزوا اعتكافه الى تباعده من الأراذل المتعرضين له ، حتى انه
لم يكن يأذن فى لقاءه والاجتماع به الا لمن يختارهم ويعرف أنهم
على السنة .

ويقول انه كان لا يخشى فى الله لومة لائم مع عظم ما يلحق به من الأذى . .
والشناعات من جاهل وحاسد وملحد .

ثم قال الموفى : لكن رد السبكى غير مقنع ، لأن الحنابلة قد
آذوه فى المسجد وتعقبوه الى داره ، ولولا عاهد الشرطة لتمادوا فى
عدوانهم . . . والذين يستطيعون أن يفعلوا ذلك لا يصعب عليهم أن يحولوا
بين الأذى والراغبين فى السماع منه .

على أن كثيرا من المریدين الراغبين فى أن يجلسوا الى الطسبرى
ليستموا له لا بد أنهم توقعوا عدوان الحنابلة عليهم فكفوا عن التردد اليه .

(١) انظر معجم الأدباء ٤٣/١٨ .

ولعل ما يوفق هذه الآراء ما ذكره^(١) ياقوت من أن الطبرى شرح مذهبه وأزل ما كان الحنابلة يظنون فيه أو يتهمونه به .

ووضح رأيه في الامام أحمد بن حنبل ، فصالحوه وكفوا عنه وحينئذ استأنف طلابه التردد على مجالسه .

قال الحوفى صاحب الطبرى :

"على أنى أرجع الى ما قاله الطبرى في تفسير الآية الكريمة () ومن الليل فتجهد به ناظلة لك عسى أن يمشك ربك محمودا) فأجده يذكر رأى الحنابلة في المرتبة الثانية بغير أن يسميهم ، ويرجع الرأى الأول ثم يعود الى الرأى الثانى ، فيعلق عليه بأنه ليس محالا .

ولا أجد بيت الشعر :

سبحان من ليس له أنيس ولا فى عرشه جلس

فهل يرجع هذا الى أنه بعد معاداة الحنابلة له رجع عن رأيه وذهب الى أن رأيهم غير مستحيل يتراضاهم ؟

وإذا كان لم يعرف فى حياته أنه عدل عن رأى من أرائه ليجارى أصحاب رأى آخر فهل لى أن افترض أن ما زيد على تفسيره للأية مدخول عليه ؟

جاء فى تفسير الآية الكريمة :

(١) انظر الطبرى للحوفى ٢٤٩ - ٢٥٠ .

() اختلف أهل التأويل في معنى المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم
ذلك المقام هو الشفاعة يوم القيامة ، ثم ذكروا أصحاب الرأي . .
وقال آخرون : بل ذلك المقام أن يقصد الله معه النبي صلى الله
عليه وسلم على عرشه ثم ذكر من قالوا ذلك .

وعلق بأنه يفضل الرأي الأول ، وذكر أحاديث عن النبي تؤيده
وأراء عن الصحابة والتابعين .

ثم عاد فتردد إذ قال هذا هو الصحيح من القول في تأويل المقام
المحمود لكن ما قاله مجاهد من أن الله يقصد محمدا صلى الله عليه وسلم
على عرشه قول غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر لأنه لا خبر عن رسول
الله ولا أحد من الصحابة أو التابعين بأهالة ذلك .

ولأن النظرا ينتهي الى خروج النبي () استحالة () عن بشريته ،
أو مشابهته لله .

وأنت ترى الحوفي أنه قد أثار السؤال ولم يجب عليه ولمه ترك
الاجابة عليه ليتفكر في حله المتفكرون أو أنه اشتبه عليه الأمران وعجز عن
قطع أحدهما دون الآخر .

هل هذا الجزء من الكلام مدخول في تفسيره ولا يمكن أن يتوانى . .
الطبرى في اظهار الحق الذي يمتقده أو جاملمهم ليرضيهم ويكف بذلك
شهرهم ؟ .

والذى يظهر لى أن الشيخ رحمه الله تعالى كان ثابتاً وعماداً على
إظهار الحق الذى كان يعتقدُه ولذلك صحح ورجح رأى الأول من الأراء
التي ا بها فى تفسير الآية الكريمة وكرر هذا الترجيح . ولو كان
متازلاً عما اعتاده من الجراءة فى الحق لما قدم هذا الرأى ورجحه .

وأما تقريره بعدم مدفوعة صحة الرأى الثانى فيشمل أمرين الأمر
الأول أنه من باب تفويض العلم الى الله فى صحة ذلك أو عدم صحته
لأن هذا هو السور .

والأمر الثانى أنه تناوله لثلاثين سنة بالنسبة الى الجماعة الذين
تعالوه ومن هنا نعلم أن هذا الجزء ليس مدخولاً على تفسير الشيخ
بل من كلامه وأنه لم يتنازل الشيخ عن جراته فى قول الحق الذى تعوده
وحينئذ لم تقصد السامة الى نشر الخلاف بين صفوف أهل العلم
... والله أعلم .

الفصل التاسع

فسي ذكر أهم منهجه في تفسيرة

وقد نهج الطبري رحمه الله تعالى طريقة خاصة التزمها ولم يحد عنها تتميز بمدة سمات هذه أبرزها وأهمها .

(١) الاعتماد على المأثور :

- ذلك أنه اعتمد على التفسير بالمأثور ، ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، متبعا لطريقة الاسناد الدقيقة في عرض الروايات .

- وبهذا استطاع تفسيره بأنه سجل لما أثر من أراءه .

لكنه كان في أكثر تفسيره يلخص الفكرة العامة التي ينتظمها من هذه الروايات ، ويصوغها بقلمه ثم يعقب عليها بذكر الروايات التي قصدتختلف في التفصيل والايجاز .

فان كانت هناك روايات أخرى تعارض ما ذكر في تلخيصه وفسي تفصيله سجلها بعد ذلك وعقب عليها .

من أمثلة هذا قوله في تأويل الآية الكريم ((لا اله الا هو الحي

القيوم)) . . الآية

فأما تأويل قوله : ((لا اله الا هو)) فأن معناه النهي عن أن يعبد

شيء غير الله الحي القيوم ، لا اله سواه ولا محبوب غيره بحق .

يعنى : ولا تعبد وا شيئا سواه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم

والذى سمفته ما وصف فى هذه الآية .

وأما قوله ؛ ((الحى ، فأنه يعنى الذى له الحياة الدائمة ، والبقاء
الذى لا أول له يحدد ولا آخر له يومئذ ^(١))) ان كان كل ما سواه فأنه
وان كان حيا فلحياته أول محدود وآخر ما مود ينقطع بانقطاع أمدها
وينقض بانقضاء غايتها .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :-

و بما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثت عن عمار بن الحسن قال : حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه
عن الربيع : قوله : ((الحى)) حى لا يموت .

حدثنى المثنى قال : حدثنا اسحاق قال : حدثنا ابن أبى جعفر
عن أبيه عن الربيع مثله .

وأما قوله : ((القيوم)) فأنه الفيوم من القيام .

ومعنى قوله : القيوم ، القائم برزق ما خلق ، وحفظه كما قال أمية :

لم تخلق السماء والنجوم .؟ والشخص معها لم يقوم

قدره المهيمن القيوم والحشر والجنة والنعيم

الأمر شأنه عظيم ^(٢)

(١) يومئذ : ينتهى

(٢) انظر الطبرى للحوفى ص ١٠٤-١٠٦ .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وهو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر ما قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا عيسى

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله : ((القِيَامُ)) قال

القائم على كل شيء .

حدثني موسى قال ج : حدثنا عمرو قال : حدثنا أسباط عن أبيه عن الربيع

: القِيَامُ قيم كل شيء يكلوه ويرزقه ويحفظه .

وقال في تأويل قوله تعالى : ((لا تأخذه سنة ولا نوم))

يعنى تعالى ذكره بقوله : ((لا تأخذه سنة)) لا يأخذه نكاس

فينعس ولا نوم فيثثثقل نوما والوسن خشورة النوم ومنه قولـــــــــــــــــه

عدي بن الرقاع :

وسدان أقصده النكاس فرنقت

في عينه سنة وليس بنائم .

(١) من أبيات له في الشعر والشعراء وقبل البيت في ذكره عما حبه (أم القاسم)

وكأنها وسط النساء أعارها .: عينه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النكاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

يصطاد يقظان الرجال حديثها وقصير بهجتها بروج العالم

- والجاذر بقرة الوحش - وهي حسان العيون وجاسم موضع تكثر فيه

الجاذر . . . وأقصده النكاس قطه النكاس يقال : وعضته حبة . . . =

قال أبو جريير على ما قلناه من أنها خشورة (١) النوم في عين الانسان
قول الأعشى ميمون بن قيس :

تعاطى الضجيج اذا أقلت بمعد النعاس وقيل الوهن (٢)

= فأقعدته أى قتته على المكان - أى من فوره و (رنقت) أى خالطت
عينه . . وأعله من ترنق الماء وهو تكديره بالطين حتى يغلب على
الماء وحسن أن يقال : هو من ترنق الطائر جناحيه وهو رفرفته اذا
خفق بجناحيه فى الهواء فتبت ولم يطر ثم قال ابن شاعر : وهذا
المجاز أعجب الى فى الشعر . . هذا من التعليق ٣٨٩/٥ .

(١) الخشورة : نقيض الرقة ، يقال : " خشر اللبن والعسل ونحوهما " اذا ثقل
وتجمع والمجاز منه قولهم : وفلان خاثر النفس أى ثقلها ، غير طيب
ولا نشيط ، قد فتر فتورا واستعمل الطيرى استملا بارعا ، فجفلس
للنوم و خشورة ، وهى شدة الفتور - تعليق شاعر .

(٢) د يوانه وهو من البيت الذى سلف ٣٤٥/١ ، ٣٤٦ ، وفى ذكر نساء
استمتع بهن :

اذا هن نازلن أقرانهن وكان المصاع بما فى الجون

تعاطى الضجيج اذا أقلت بمعد النعاس وقيل الوس

صريفه طيبا طعمها لها زيد بين كوب وود ن

وقوله تعاطى من قولهم للمرأة : " وهى تعاطى خلسها - أى عاهاها
أى تناوله قبلها وريقها .

وقال محمود محمد شاعر : وقوله : (أقلت) هو عندى بمعنى سامحت
وطاوتوانقات من القبول وهو الرضا ولم يذكر ذلك أصحاب اللفظة ولكنه

و خلاصة ما ذهب اليه تـجـه الـى مـعـنـين :

المعنى الأول أن السنة هي النعاس والمعنى الثاني أن السنة بمعنى
النعاس وقبل النوم وهي الحالة التي تمرى الانسان وتغمره قبل الاستغراق
فى النوم أو عدم الوعى بعد القيام من النوم .

وذلك قال الطبرى رحمه الله تعالى :

حدثنى يونس: قال اخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله تعالى

" (لا تأخذه سنة ولا نوم) () قال : الـمـسـنـان الـذـى يـقـوم مـن الـنـوم لـا يـمـقـل

حتى ربما أخذ السيف على أهله و انما عنى تعالى ذكره بقوله

(لا تأخذه سنة ولا نوم) () لا تحله الأفات ولا تتاله المعهات وذلك أن

السنة والنوم معنيان يفهمان فهم الفهم ، ويزيلان من أعابها

= جيد فى العربية شبيه بقولهم : " أسعدت " من السداح اذا . .

أسهلت وانقادت ووافقت ما يطلبه عما حبيها وذلك هو الجيد عنى . .

الصريقية الصخر الطيبة جعلها صريقية لأنها أخذت من السدن

ساعتئذ كاللبن الحريف وهو اللبن الذى ينصرف من الضرع حارا اذا

حلب . . ومعنى هذه الابيات :

اذا انقادت لصاحبها بعيد رقادها أو قبل وسندها عاطية من ريقها

خمرا صرفا تفور بالزبد وذلك بدأ فتور النفس وتغشيره

الطباع .

عن الحالة التي كان عليها قبل أن يصيبها فتأويل الكلام ان كان الأمر على ما وصفنا : الله لا اله الا هو الحي الذي لا يموت - القيوم على كل ما هو دونه الرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من عا حل الى حال .

ولا
لا تأخذه سنة ولا نوم ، لا يضره ما يضر غيره يزيه عما لم يزل عليه تتقل الأحوال وتصريف الليالي والأيام .

بل هو الدائم على حال ، والقيوم على جميع الأنعام ، لو نام كان مفلوجا مقهورا لأن النوم غالب النائم قاهرة .

ولو وسن لكانت لكانت السموات والأرض وما فيها دكا لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته ، والنوم شاغل التدبير والنحاس ينضمع المقدر عن التدبير بوسنه .

كما حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر قال : وأخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله (لا تأخذ سنة ولا نوم) أن موسى سأل الملائكة . هل ينام الله فأوحى الله الى الملائكة وأمرهم أن يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه ثم تركوه حين يروه أن يكرهما فجعل ينمسن وهما في يديه في كل يد واحدة وجعل ينمسن وينتهه وينمسن وينتهه حتى نمسن نعمسه فضرب باحد هما الأخرى فكسرهما قال معمر : انما هو مثل ضربه الله يقول : فكذلك السموات والأرض في يديه .

٢- انكاره على من يفسر القرآن بالرأى

تجذب الطبرن رحمه الله تعالى التفسير بالرأى وحمل على أصحابه
للأهواء السياسية والحربية والجنسية والمذهبية وما شاكلها مما
لا يقصد اليه القرآن الكريم .

ويريد بهذا الرأى المذموم الذى هو غير جار على قوانين العربية
ولا موافق للأدلة الشرعية ولا مستوف لشروط التفسير وهذا هو
مورد النهى ومحط الذم ، وهو الذى يرمى اليه كلام ابن مسعود
ان يقول : (ستجدون أقواما يدعونكم الى كتاب الله وقد نبذوه وراء
ظهورهم فمليكم بالملم واياكم والبدع واياكم والتقطع)

وكلام عمران يقول : " انما أخاف عليكم رجلين - رجل يتأول القرآن
على غير تأويله ورجل يناغس الملك على أخيه وكلامه أيضا ان يقول " ما
أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاء ايمانه ولا من فاسق بين
فسقه ولكن أخاف عليها رجلا قرأ القرآن حتى أنزله بلسانه ثم تأول
على غير تأويله .

فكل هذا ونحوه وارد فى حق من لا يراعى فى تفسير القرآن قوانين
اللغة ولا أدلة الشريعة جاعلا هواه رائده ومذهبه قائده وهذا هو الذى
يحوصل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأى ومنهم شيخنا محمد بن جرير
الطبرى وأما التفسير الجارى على موافقة كلام العرب ومناهبهم فى
القول مع موافقة الكتاب والسنة ومراعاة سائر شروط التفسير فهو جائز لا
شك فيه .

وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأى المحمود . (١)

وقد عقد الطبرى رحمه الله تعالى فعلا فى مقدمة تفسيره بهذا العنوان

: : ذكر بعض الأخبار التى رويت بالنهى عن القول فى تفسير القرآن
بالرأى .

ثم ذكر فى هذا الفصل أحاديث منها :

" من قال فى القرآن برأيه فليهبوا مقمده من النار ^(١) ومنها :

" من قال فى القرآن بنير علم فليتبوا مقمده من النار . (٢)

وذكر رحمه الله أيضا قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه : أى أرضى

تفلسنى ، وأى سما يظلسنى اذا قلت فى القرآن ما لا أعلم . (٣)

وعلق الطبرى على ما ذكر بقوله :

هذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل آى
القرآن الذى لا يدرك علمه الا بنى بيان رسول الله على الله عليه
وسلم أونصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه .

بل القائل فى ذلك برأيه - وان أعاب الحق فيه - فمخطىء فيما كان
فعله بقله فيه برأيه ، لأن اعابته ليست اعابة مؤمن أنه محق وانما
هى اعابة خارص وظان ، والقائل فى دين الله بالظن قائل على

(١) انظر سند الترمذى ١٧٥ / ٤ .

(٢) انظر الطبرى للحوفى ص ١٠٩ .

(٣) انظر الطبرى للحوفى ص ١٠٩ .

على الله ما لم يعلم .

وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده فقال : (قل انما

حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق ، وان

تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون .^(١)

فالقائل فى تأويل كتاب الله الذى لا يدرك علمه الا ببيان رسول الله

صلى الله عليه وسلم الذى جعل اليه بيانه قائل بما لا يعلم .

وان وافق قلبه ذلك فى تأويله ما أراد الله به من معناه ، لأن القائل

فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به .

وهذا هو معنى الخبر الذى حدثنا به العباس بن عبد العظيم العنبرى

قال : حدثنا هبان بن هلال قال : حدثنا سهيل بن أبى حمز

قال : حدثنا أبو عمران الجوينى عن جندب : أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال : من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ يعنى

صلى الله عليه وسلم أنه أخطأ فى فعله بقلبه برأيه ، وان وافق

قلبه ذلك عين الصواب عند الله لأن قلبه فيه برأيه ليس بقليل عالم أن الذى

قال فيه من قول حق وصواب فهو قائل على الله ما لا يعلم آثم بفعله

ما قد نهى عنه .

(١) سورة الأعراف آية :

(٢) سورة الكهف آية : ٩٤ .

٣ - موقفه من الأسانيد :

ثم ان ابن جرير وان التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها الا أنه في الأعم الأغلب لا يتمقب بتصحيح ولا تضعيف لأنه كان يرى - كما هو مقرر في أصول الحديث - أن من أسند لك فقد حطك البحث عن رجال السند . . ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح فهو بما يسهل هذا قد خرج من العهدة ومع ذلك فابن جرير يقف من السند أحياناً موقف الناقد البصير فيعدل من يعدل من رجال الاسناد ويجرح من يجرح منهم .

ويرد الرواية التي لا ينشق بصحتها ، ويصرح برأيه فيها بما يناسبها فمثلاً نجد عند تفسيره لقوله تعالى :

" فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً " (١)

يقول ما نسمه : روى عن عكرمة في ذلك يعنى في ضم سين سداً . .

وفتحها ما حدثنا به أحمد بن يوسف قال : حدثنا القاسم ، قال حدثنا

الحجاج عن هرون عن أيوب عن عكرمة قال : ما كان من عنقه بنى آدم

فهو السد بفتح السين وما كان من عنقه الله فهو بضم السين .

ثم عقب ابن جرير على هذا السند بقوله : وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك

فإن الذى نقل ذلك عن أيوب هرون ، وفي نقله نظر ولا نعرف ذلك عن

(١) سورة الكهف آية : ٩٤ .

أيوب من رواية ثقة أصحابه . (١)

٤ - تقدير للاجماع

نرى الطبري رحمه الله تعالى يقدر اجماع الأمة ويعطيه سلطانا كبيرا
في اختيارها من يذهب اليه من التفسير ومثال ذلك قوله تعالى :
(فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .

يقول الطبري رحمه الله تعالى ما نصه :

فإن قال قائل : فأى النكاحين عنى الله بقوله : (فلا تحل له من

بعد حتى تنكح زوجا غيره) ٤٠

النكاح الذى هو جماع أم النكاح الذى هو عقد تزويج ؟ قيل
كلاهما وذلك أن المرأة اذا نكحت زوجا نكاح تزويج ثم لم يطأها
في ذلك النكاح : نكحها ولم يجامعها حتى يطلقها لم تحل للأول .
وكذلك ان وطئها واطئ به غير نكاح لم تحل للأول لاجماع الأمة
جميعا على ذلك .

فإن كان ذلك كذلك فمعلوم أن تأويل قوله : " فلا تحل له من بعد
حتى تنكح زوجا غيره " نكاحا صحيحا ثم يجامعها فيه ثم يطلقها .

فإن قال قائل فإن ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله تعالى

ذكره فما الدلالة على أن معناه ما قلت ؟

(١) انظر تفسير ابن جرير ١٦/١٣٠

قبل : الدلالة على ذلك اجماع الأمة جميعا على أن ذلك معناه (١)

٥- انصرافه عما لا فائدة فيه :

ومما لا شك فيه أن الطبري رحمه الله تعالى لا يهتم في تفسيره - كما يهتم غيره من المفسرين - بالأموال التي لا تعنى ولا تفيد فنراه مثلا عند تفسيره لقوله تعالى : () ان قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . . الآيات الى قوله وارزقنا وأنت خير الرازقين) يعرض ما ورد من الروايات في نوع الطعام الذي نزلت به مائدة السماء ثم يعقب على هذا بقوله : وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال كان عليها مأكول وجائز أن يكون سمكا وخبزا .

وجائز أن يكون تمرا من الجنة وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به .
إذا أمر قال قال الآية بظاهر ما احتمله التنزيل .
تالي

ونراه أيضا يسلك هذا المسلك الطيب عند تفسير قوله تعالى :

() وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين (٢)

ويعرض لمحاولات قدماء المفسرين في تحدد يد عدد الدراهم .

هل هي عشرون ، أو اثنان وعشرون أو أربعون ؟ الى آخر ما ذكره من الروايات .

(١) انظر التفسير والمفسرون ١/ ٢١٣ .

(٢) سورة يوسف آية : ٢٠ .

ثم يعقب في ذلك كله بقوله :

والصواب من القول أن يقال : ان الله - تعالى ذكره - أخبر أنهم باعوه
بدراهم معدودة غير موزونة ولم يحدد مبلغ ذلك وزنا ولا عددا ، ولا وضع
عليها دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول وقد يحتمل أن يكون اثنين
وعشرين وأن يكون أربعين وأقل من ذلك أو أكثر .

وأى ذلك كان فإنها كانت معدودة غير موزونة وليس في العلم بمبلغ
وزن ذلك فائدة تقع في دين ولا في الجهل به دخول ضرفيه .

والإيمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه^(١) .

٦ - احتجاجه بالمعروف من كلام الصرب :

وثمة أمر آخر سلكه ابن جرير في كتابه ، ذلك أنه

الاستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة وجعلها مرجعا موثوقا به
عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها وترجيح بعض الأقوال على بعض
فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور . .

الآية)^(٢)

هذه الآية الكريمة يعرض لذكر الروايات عن السلف في معنى لفظ
التنور ، فيروي لنا قول من قال : ان التنور عبارة عن وجه الأرض ، وقول

(١) انظر تفسير ابن جرير ١٢ / ١٠٣

(٢) سورة هود ٤٠

من قال : انه عبارة عن تنوير الصبح ، وقول من قال : انه عبارة عن أعلى الأرض وأشرفها ، وقول من قال انه عبارة عما يختبئ فيه . . . ثم يقول بـمسد أن يفرغ من هذا كله :

(وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله (التور) قول من قال : التـتـور الذى يختبئ فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه الا الى الأظب الأشهر من معانيه عند العرب الا أن تقوم حجة على شىء منه بخلاف ذلك فيسلم لها .

وذلك أنه جبل ثناؤه انما خاطبهم بما خاطبهم به لا فهمهم معنى ما خاطبهم به . (١)

٧ - رجوعه الى الشعر القديم :

كذلك نجد ابن جرير يرجع الى شواهد من الشعر القديم يشكـل واسمع متعاً فى ذلك ما أثاره ابن عباس ومثال ذلك ما ذهب اليه عند تفسيره لقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون) (٢) يقول ما نصه :

والأنداد جمع ند والند العدل والمثل كما قال حسان بن ثابت . . .
أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء .

(١) انظر تفسير الشيخ ٢٥/١٢

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢ .

يعنى بقوله : ولست له بند ، لست له بمثل ولا عدل وكل شىء كان نظيرا للشىء وشبيها له فهو له ند ثم يسوق الروايات عن قتال ذلك من السلف الى غير ذلك من الأشعار التي تعرضها لأجل هذا الغرض .

٨ - اهتمامه بالمذاهب النحوية :

كذلك نجد ابن جرير يتعرض كثيرا لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف ويوجه الأقوال تارة على المذهب البصرى وأخرى على المذهب الكوفى فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) يقول ما نصه :

اختلف اهل العربية فى رافع (مثل) فقال بعض نعاة البصرة انما هو كأنه قال . . وما نقص عليكم مثل الذين كفروا ، ثم أقيس يفسره كما قال : (. مثل الجنة . . . وهذا كثير وقال بعض نحاة الكوفة : انما المثل للأعمال ولكن المراد بالأسماء لأنها أعرف ثم تأتى بالخبر الذى تختبر عنه مع صاحبه ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد) وهكذا بكثير ابن جرير فى مناسبات متعددة من الأهتمام الى ما هو معروف من لغة العرب ومن الرجوع الى . . الشعر القديم ليستند به على .! يقول ومن التمرض للمذاهب النحوية عندما تمس الحاجة الى ذلك ما جعل هذا التفسير يحتوى على جملة كبيرة من المعالجات اللغوية والنحوية التى أگسبت هذا الكتاب شهرة

عظيمة عند جميع الطبقات .

وقال الدكتور محمد حسين الذهبي . :

والحق أن ما قدمه لنا ابن جرير في تفسيره من البحوث اللغوية المتعددة والتي تعتبر كنزا ثمينا ومرجعا مهما في بابها أمر يرجع الى ما كان عليه عاھبنا من المعرفة الواسعة بعلوم اللغوية وأشمار العرب معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ ونرى أن ننبه هنا الى أن هذه البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمرا مقصوبا لذاته وإنما كانت وسيلة للتفسير على معنى أنه يتوصل بذلك الى ترجيح بعض الأقوال على بعض كما يحاول بذلك - أحيانا - أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية بحيث يزيل ما يتوهم من التناقض بينهما . (١)

٩ - مجالته للأحكام الفقهية :

كذلك نجد في هذا التفسير آثارا للأحكام الفقهية يعالج فيها ابن جرير أقوال العلماء ومذاهبهم ويخلص من ذلك كله برأى يختاره لنفسه ويرجعه بالأدلة العلمية القوية فمثلا نجده عند تفسيره بقوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) (٢)

(١) انظر التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ١/٢١٩ .

(٢) سورة النحل آية : ٨ .

نجده يمرض لأقوال العلماء* في حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير
ويذكر قول كل قائل بسنده . . . وأخيرا يختار قول من قال : ان الآية
تدل على حرمة شئ* من ذلك ووجه اختياره هذا فقال ما نصه :
والسواب من القول عندنا ما قاله أهل القول الثاني وهو أن الآية لا تدل
على الحرمة وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره (لتركبوها) دلالة
على أنها لا تملح إذ كانت للركوب للأكل لكان في قوله (فيها) دفع
ومنافع ومنها تأكلون) دلالة على أنها لا تملح إذ كانت للأكل
والدفع للركوب .

وفي اجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره (ومنها تأكلون ،
جائز حلال غير حرام دليل واضح على أن أكل ما قال (لتركبوها)
جائز حلال غير حرام إلا بما نص على تحريمه أو وضع على
تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله على الله عليه وسلم .
فأما بهذه الآية فلا يهرم أكل شئ* ولكنه وضع الدلالة على تحريم
أكل لحوم الحمير الأهلية بوجبه إلى رسول الله على الله عليه
وسلم . . . ووضع على حرمة البغال من كلام العلماء* الذين قبلوا هذه
المسألة في كتاب الأطعمة .

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى : وإنما ذكرنا ما ذكرنا ليسدل
على أن ولا وجه لقول من استدل بسنده الآية الكريمة على تحريم الفرس .^(١)

١٠- خوضه في المسائل الكلامية :-

قال الدكتور محمد حسين الذهبي ولا يفوتنا أن ننبه على ما نلاحظه في هذا التفسير الكبير من تعرض صاحبه لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن الكريم ما يشهد له بأنه كان عالما ممتازا في أمور العقيدة ، فهو إذا ما طبق اصول العقائد على ما يتفق مع الآية أفاد في تطبيقه ، وإذا ناقش بعضا لأراء الكلامية أجاد في مناقشتها .

- وهو في جدله الكلامي وتطبيقه ومناقشته موافق لأهل السنة في آرائهم ويظهر ذلك جليا في رده على القدرية في مسألة الاختيار . . مثلا عند تفسيره لقوله تعالى : في آخر سورة الفاتحة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) نراه يقول ما نسبه :

وقد ظن بعض أهل النباء من القدرية أن وفي وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله : (ولا الضالين) وإضافة الضلال اليهم دون اضافة اضلالهم الى نفسه وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذى وصف به اليهود أنه مغضوب عليهم - دلالة على صحة ما قاله اخوانه من جهلة القدرية جهلا منهم بسعة كسلام العرب و تساريف وجوهه .

ولو كان الأمر على ما ظنه الفبي الذي ومفنا شأنه لوجب أن يكون

كلمة موصوفة بصفة أو مضاف اليه فعلى لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره
وأن يكون ككل ما كان فيه من ذلك فعليه ولو جسد خطأ قول القائل :
تحركت الشجرة اذا حركتها الرياح ، واضطربت الأرض اذا حركتها
الزلزلة وما أشبه ذلك من الكلام الذى يطول بأهنامه الكتاب .
وفى قوله تعالى : (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين منهم بريح الآية (١)
وان كان جريها بأجرا غيرهما اياها ما يدل على خطأ التأويل الذى
تأوله من وصفنا قوله : ففى قوله جل ثناؤه : " ولا الضالين " وادعائه
أن فى نسبة الله الضلالة الى من نسبها اليه من النصارى تصحيحا
لما دعى المنكرون أن يكون الله جل ثناؤه - فى أفعال خلقه سببا
من أجلها وجدت أفعالهم مع انه الله عزه و ذكره ~~لهم~~
فى آى كثيرة من تنزيله أنه المضل الهادى فمن ذلك قوله تعالى
((أفرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا
تذكرون) فأنبا جل ذكره أنه المضل الهادى دون غيره
فكيف بالفعل الذى . يكتسبه العبد كسبا ويوحده الله عيننا
منشأة بل ذلك أحرى أن يضاف الى مكتسبه كسبا له بالقوة
منه علمه والاختيار منه له ، والى الله جل ثناؤه - بايجساد

عينه وبانشائها تدبيراً .

وكثيراً ما نجد الطبرى يتصدى للرد على المعتزلة فى كثير من
أرائهم الاعتقادية فنراه مثلاً يجادلهم مجادلة حادة فى تفسيره
العقلى التزيهى للآيات التى تثبت رؤية الله عند أهل السنة
كما نراه يذهب الى ما ذهب اليه السلف من عدم صرف آيات الصفات
ع عن ظاهرها مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه والرد على أولئك
الذين يشبهون الله بالانسان . (١)

وهكذا نجد ابن جرير أنه لم يقف كمفسر موقفاً بعيداً عن مسائل
النزاع التى تدور حول العقيدة فى عصره ، بل نراه يشارك فى هذا
المجال من الجدل الكلامى بنصيب لا يستهان به مع حرصه كـ
الحريص على أن يحتفظ بسننه ضد وجوه النظر التى لا تتفق وتعاليم
أهل السنة .

١٤ - موقفه من الاسرائليات :

ثم اننا نجد الشيخ ابن جرير يأتى فى تفسيره بأخبار مأخوذة من
القصص الاسرايلى يرويها باسناده الى كتب الأخبار ، ووهب بن
منبه وابن جريج ، والسدى ، وغيرهم .

(١) أنظر ما كتبه على قوله تعالى فى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار . . الاية

سورة الانعام ١٠٣ .

ونراه ينقل عن محمد بن اسحاق كثيرا مما رواه عن سلمة النصارى
الأسانيد التي تسترعى النظر هذا الاسناد .

حدثني ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن أبي عتاب
رجل من تغلب كان نصرانيا عمر من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن
وفقه في الدين وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة ثم عـير
في الاسلام أربعين سنة .

يذكر ابن جرير هذا الاسناد ويووي لهذا الرجل النصارى الأسـل
خبر عن آخر انبياء بني اسرائيل عند تفسيره لقوله تعالى (ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان أسأتتم فلها فاء ذاك جاء وعد الآخرة ليسـوءوا
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا مما علىـوا
تهيرا . (٢) ، (٣)

كما نراه عند تفسيره لقوله تعالى جـ (قالوا يا ذا القرنين ان ياـجـوج
وماـجـوج مفسدون في الأرضي . . الآية .

يسوق هذا الاسناد : حدثنا ابن حميد قال جـ : حدثنا سلمة قال :
حدثنا محمد بن اسحاق قال : حدثني بعض من يسوق أحاديث
الاعاجيم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من عليـم
ذي القرنين أن ذا القرنين كان رجلا من أهل ممراسمه وزبان بن مرزبة . .
اليوناني من لد يونان بن يافث من نوح . . الخ .

(١) انظر تفسير الطبري ٣٤/٢٣/١٥

(٢) سورة الاسراء - ٧ -

وهكذا بكثير ابن جرير من رواية الاسرائيليات ولعل هذا راجع الى ما تأثر به من الروايات التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة .
وان كان ابن جرير يتعقب كثيرا من هذه الروايات بالنقد فتفسيره لا يزال يحتاج الى النقد الفاحص الشامل احتياج كثير من كتب التفسير التي اشتملت على الموضوع والقصص الاسرائيلية على أن ابن جرير - كما قد منا قد ذكرنا السند بتمامه في كل رواية يرويها وذلك يكون قد خرج من العهدة وعلينا نحن أن ننظر السند وننقد الروايات .

ومعد فأن ما جمعه ابن جرير في كتابه من أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه وما نقله لنا عن مدرسة ابن عباس وابن مسعود وعن مدرسة علي بن أبي طالب ومدرسة أبي بن كعب وما استفاده مما جمعه ابن جريج والسدي وابن اسحاق وغيرهم من التفاسير جعلت هذا الكتاب أعظم الكتب المولفة في التفسير المأثور كما أن ما جاء في الكتاب من اعراب وتوجيهات لغوية ، واستنباطات في نواح ممتدة و ترجيح لبعض الأقوال على بعض كان نقطة التحول ونواة لما وجد بعد من التفسير بالرأى المحمود كما كان مظهرا من مظاهر الروح العلمية السائدة في هذا العصر الذي يعيش فيه ابن جرير .

وفي الحق أن شخصية الطبري الأدبية والعلمية جعلت تفسيره مرجعا مهما من مراجع التفسير بالرواية فترجيحاته المخططة تقوم على نظرات أدبية ولغوية فوق ما جمع فيه من الروايات الأثرية المتكاثرة .

وهذا القدر الذي ذكرناه موجز منهج الشيخ في تفسيره وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعل علمي هذا خالصا لوجهه الكريم .

المسجل العاشم

وفاته رحمه الله

=

توفى رحمه الله تعالى ببغداد يوم ٢٦ ستة وعشرين من شوال سنة
عشر وثلاثائة - ٣١٠ هـ في عصر الخليفة العباس المقتدر بالله . (١)

ورثاه كثير من معاصريه منهم أبو سعيد بن الأعرابي بقوله :

حدث مفتح وخطب جليل	دق عن مثله اعطبار الجمهور
قام ناعي العلوم أجمع لما	قام ناعي محمد بن جريسر
فهوت أنجم لها زاهواتي	مؤذونات رسومها بالدثور
وغدا روضها الأنيق هشيم	ثم عادت سهولها كالوعور
يا أبا جعفر مضيت حميدا	غير وان في الجد والتشمير
بين أجم على اجتهد فوفر	موفور ويسمى الى التقى مشكور
مستعقا به الخلود لسدى	جنته قدن في غطة وسرور

ورثان ابن (٢) دريد بقصيدة منها

لن تستطيع لأمر الله تعقيا فاستجد السمير أو فاستشعر الحموا
وافزع الى كنف التسليم وارض بما

قضى المهين مكروها ومحبا

أوى أبو جعفر والعلم فاصطبها أعظم بذنا عماحيا اذاك مسحوا

(١) انظر معجم الأديباء ٤٠/١٨ ، ٤٨ ، والطبرى للحوفى ص ٢٨٠ .

(٢) هو ابن سعيد احمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ابن الاعرابي مؤرخ من علماء الحديث من أهل البصرة له كتاب الاخلاص . . انظر الأعلام ١٩٩/١ - ولد سنة ٢٤٤ - ت ٣٤٠ هـ .

(٣) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان من قحطان أبوبكر =

ان المنية لم تتغيب به رجلا بل أظفت علما للدين منسوبا

الى اخر ما قال :

فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته .

انه ولي ذلك والقادر عليه .

وعلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

.. ..

= من أئمة اللغة والأدب بحاحب المقصورة الدريدية ولد سنة ٢٢٣ - ١٢٦١ هـ
أنظر الأعلام للزركلي ٦ / ٣٩٠ .

الباب الثاني

نشأة القراءات وتطورها

(٢) الباب الثاني (١)

نشأة القراءات و تطورها



مرتا القراءات القراءانية بخطوات كثيرة قطعتها حتى استقرت علما من علوم القرآن الكريم ، ومجالا من مجالات الدراسات الموضوعية عند الباحثين .
و تتمثل تلك الخطوات التاريخية في نشوئها تعليما لتلاوة آي القرآن وسورة .

فكان القرآن يقرأ للتعلم ثم تطورت قراءته الى حفظه كله أو بعضه عن ظهر قلب .

ثم خطت القراءة الى رواية تسند القراءات الى الرسول على الله عليه وسلم ثم تطورت الى مجال تخصصي مجرد له أستاذة وتلامذة .
ومنه الى علم ذي قواعد وأصول ومولفات وأبحاث .

الخطوة الأولى من هذه الخطوات تعليم جبريل القرآن للنبي (ص) وقد نشأت القراءات القراءانية أول ما نشأت بتعليم . .
جبريل للنبي على الله عليه وسلم آياه بأمر من الله تعالى ، وذلك في بدء نزوله وبأول آية منه حيث نزل جبريل عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والتسليم من عند الله بالآيات الخمس الأولى التي من سورة العلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر هذه القصة محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه (١) وهذا نحوه : " عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أول

(١) أنظر فتح الباري ١/ ٢٢ .

أول ما بدى به رسول الله على الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا السالحة ففى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبيب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعمد - الليالى ذوات العدد قبل أن يفرغ الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جلباءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ قال ما أنا بقارىء قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغنى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . . قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم . . الحديث .

وقد أعريت هذه الآيات الخمس - وهى قوله تعالى ((اقرأ باسم ربك الذى خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) - بوضوح عن اقرأ وتعليم جبريل القرآن النبوى على الله عليه وسلم حيث قال : ((اقرأ))

ولا شك أنها كانت قراءة تعليم بغية حفظ النبى على الله عليه وسلم القرآن متقيا بذلك الرسالة الالهية الى البشرية .

وكما نطق النبى على الله عليه وسلم القرآن من الله على لسان جبريل تام بتعليم الصحابة هذا الوحي با مثالا لأمر الله حيث أنزل عليه هذه الآيات ((يا أيها المدثر قم فأندر . . الآيات) وقام أيضا بقراءته أمام من يدعوهم الى الاسلام امثالا لقوله تعالى ((وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) (١)

ثم ان الصحابة الذين طلقوا القراءة عن رسول الله عليه وسلم قد اختلف أخذهم عنه صلى الله عليه وسلم فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرفواهد ومنهم من أخذ عنه بحرفين ومنهم من زاد لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتزم لفظا واحدا عند تعليمهم القرآن .

بل أقرأ هذا بقراءة لم يقرئها أخاه ولذلك حصل الاختلاف بين الآخذين منه فيما قروا والدليل على ذلك ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال : ما حك في عذري شيء منذ أسلمت الا اننى قرأت آية وقرأها آخر غير قرأتى فقلت : أقرأك غيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله : أقرأتني آية كذا وكذا ؟

قال نعم . . وقال الآخر : أليس أقرأتني آية كذا وكذا ؟ قال نعم فقال ان ب جبريل وميكال أتيا نى فقدم جبريل عن يمينى وميكال عن يسارى فقال جبريل - أقرأ القرآن على حرف فقال ميكال استزد حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف . (١)

والأمثلة على ذلك كثيرة :

وهذا هو مشأ علم القراءات واختلافها وان كان الاختلاف فى الواقع يرجع الى أمور يسيرة بالنسبة الى مواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم لكنه اختلاف

(١) أنظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادى الفضل ص ٩١ - ٩٢ .

لا تناقض ولا تضاد فيه كلها من عند الله لا من عند محمد ولا من عند جبريل
ولا عند أحد من القراء وغيرهم .

وتعليم النبي على الله عليه وسلم الصحابة وأقراؤه إياهم القرآن
وقراءته أمام من يدعوهم إلى الإسلام من الثوث بمكان لا تفتقر معه إلى
الاستدلال ولكننا نذكر لك الأدلة من باب التوضيح .

منها ما جاء عن عثمان وابن مسعود وأبي (أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من
المعلم والمعلم فيعلمهم القرآن والعمل جميعا . (١)

ومنها أيضا عن أبي عبد الرحمن السلمي : قال : حدثنا من كان يقرئنا
من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم
والعمل . (٢)

الخطوة الثانية في تعليم الصحابة بعضهم البعض في حياته

وقد تمثلت هذه الخطوة في تعليم بعض الصحابة البعض آي القرآن وسوره
ان كانوا غائبين عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان يقع هذا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وإرشاده . . . روى البخاري
بإسناده عن أبي اسحاق عن الجراء : أول من قدم علينا (يعني المدينة)

(١) انظر القراءات القرآنية للدكتور الهادي ص ١٥ نقلا عن القرطبي ٣٩/١

(٢) انظر المصدر السابق نفس الصفحة / ١٥ .

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا
بقراءتنا القرآن ثم عمار وهلال ولما فتح (س) مكة تراك معاذ بن جبل للتعليم
وكان الرحيل اذا هاجر الى المدينة دفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى
رجل من الحفظة ليعلمه القرآن (١)

ومصعب بن عمير هذا هو أول من سمي بالمقرئ حين بعثه النبي
(س) يعلم الأوس والخزرج القرآن في العقبة الأولى .

وجاء في حديث اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه (وكان خباب
ابن الأرت يخطف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن) (٢)

الخطوة الثالثة قيام بعض الصحابة بحفظ القرآن وتحفيظه

وقد تخطت القراءات القرآنية من المرحلة الثانية التي هي عموم اقراء
بعضهم البعض - سوا حفظوا القرآن أولم يحفظوا الى حفظ القرآن وتحفيظه
وهو "المقروء" يسمون طبقة الحفاظ الأوائل .

وقد اشتهر في طبقة الصحابة جماعة بحفظ القرآن وتحفيظه واقراءه .
ومن حفظوا القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ابي بن كعب
(ت ٢٠ هـ) وعبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) وأبو الدرداء عويمر
بن زيد (ت ٣٢٠ هـ) وعثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ) وعلى بن أبي طالب
(ت - ٤٠ هـ) وأبو موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ) وزيد بن ثابت

(١) سيرة ابن هشام ص ٣٦٦/١

(٢)

(ت - ٤٥ هـ) وقال الذهبي بعد ما ذكره هو "الأسبعة" في كتابه
(معرفة القراء) وهو "الأسبعة" هم الذين بلغنا أنهم حفظوا القراءات في
حياسة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم عرضا وعليهم دارت أسانيد
القراء الأئمة العشرة والأئمة العشرة هم .

١- نافع بن عبد الرحمن بن نعيم^(١) مقيء المدينة قرأ على أبي جعفر

وعبد الرحمن بن هرمز ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم وجميعهم

بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم . وراياه هما : عيسى

بن ميناء المقلب بقالون^(٢) وعثمان بن سعيد الطقيب بورش^(٣) .

٢- عبد الله بن كثير مقيء مكة^(٤) قرأ على عبد الله بن السائب ومجاهد

بن جبر ودرياس مولى ابن عباس وقرأ عبد الله بن السائب على أبي

بن كعب وعمر بن الخطاب وقرأ مجاهد على ابن السائب وابن عباس

وقرأ درياس على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب وزيد

بن ثابت وقرأ أبي وعمر بن الخطاب بوزيد على النبي (صلى الله عليه وسلم)

وراياه هما : أحمد بن محمد بن أبي بزة المكي المعروف بالبزري^(٤)

ومحمد بن عبد الرحمن المكي المعروف بـ "قنبل" .^(٥)

(١) ولد رحمه الله تعالى سنة ٧٠ هـ وتوفي سنة ١٦٩ هـ انظر النشر

في القراءات العشر ١/١١٢

(١) ولد سنة وتسعين ومائة ١٩٧ هـ وتوفي سنة ٢٢٠ هـ

(٢) ولد سنة ١١٠ هـ تـ ١٩٧

(٣) ولد سنة ٤٥ هـ وتوفي سنة ١١٨ هـ

(٥) ولد رحمه الله ١٧٠ هـ تـ ٢٥٠ هـ

(٦) ولد سنة ١٩٥ هـ وتوفي سنة ٢٩١ هـ انظر النشر ١/١٢١ .

٣- أبو عمرو بن العلاء مقرأ البصرة^(١) وقرأ على أعلام القراءات في مكة
كمجاهد وابن كثير وفي المدينة كأبي جعفر ، وفي البصرة كيكهم
بن يعمر والحسن البصري ، وفي الكوفة كما عم وكلهم يتصل اسناده . .
صحيحاً الى النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) .

وراياه هما : جعفر بن عمر الدورى ت ٢٤٦ هـ وصالح بن زياد السومى
ت ٢٦١^(٣) .

٤- عبد الله بن عمار الشامي^(٤) قرأ على المغيرة بن شعبة بن أبي شهاب
المخزومي وأبي الدرداء^(٥) وقرأ المغيرة على عثمان ، وأبو السدرداء
وعثمان على النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) ورواياه هما : هشام بن عمار
الدمشقى^(٦) وعبد الله بن أحمد الدمشقى المعروف بابن زكوان^(٧)

(١) ولد سنة ٦٨-١٥٤ هـ

(٢) انظر القراءات القرائية للفضل ص ١٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٨ .

(٤) ولد سنة ثمان أو باحدى وعشرين هـ وتوفى سنة ١١٨ هـ .

(٥) انظر النشر ١/١٤٤ هـ

(٦) ولد سنة ١٥٣ هـ وتوفى سنة ٢٤٥ هـ

(٧) ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفى سنة ٢٠٢ هـ .

- ٥ - عامر بن أبي النجود الكوفي المتوفى سنة ١٢٧ هـ وقيل سنة ١٢٨ هـ
قرأ على أبي عبد الرحمن السلمى عن ابن مسعود وعثمان بن عفان
وعلى بن أبي طالب وزيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم (١)
ورواياه هما : أبو بكر شعبة بن عياش الخياط (٢) والراوى الثانى
حفص بن سليمان الدورى .
- ٦ - حمزة بن عبد الزيت الكوفي (٣) قرأ على سليمان الأعمش وحميدان
بن أعين والمنهال بن عمرو وغيرهم كلهم باسناد صحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم ورواياه هما : خلف بن هشام البزار (٤) .
وخالد بن خالد الصيرفى المتوفى سنة ٢٢٠ هـ .
- ٧ - على بن حمزة الكسائى الكوفي المتوفى سنة ١٨٩ هـ على أشهر الاقوال
عن - ٧٠ - سبعين سنة - قرأ على حمزة وشعبة واسماعيل بن جعفر .
وغيرهم والجميع باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .
ورواياه هما حفص بن عمر الدورى راوى أبي عمرو ، والليث بن خالد
البغدائى المتوفى سنة ٢٤٠ هـ (٥) وهو لاء هم القراء السبعة
أصحاب القراءات السبع وبقية العشرة هم .
- ٨ - أبو جعفر يزيد بن القمقاع المدنى ت ١٣٠ على الأصح قرأ
على ابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عياش عن أبي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر النشر ١/١٥٥ (٢) ولد ٩٥ وتوفى سنة ١٤٣ هـ

(٣) ولد سنة ٩٠ هـ وتوفى سنة ١٨٠ هـ - انظر النشر ١/١٥٥-١٥٦

(٤) ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٥٦ هـ

(٥) ت سنة ٢٤٩ هـ .

وراويه هما : عيسى الحذاء المعروف بابن وردان ت ١٦٠ هـ وسليمان
بن بجاز ت ١٧٠ هـ .

٩ - يعقوب الحضرمي ت ٢٠٥ هـ قرأ على سلام بن أبي سليمان الطويل
ومهدي بن ميمون وغيرهما بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وراويه هما روح بن عبد المؤمن ت ٢٢٥ هـ ومحمد بن المتوكّل
اللؤلؤي المعروف برويس ت ٢٣٨ هـ .

(١)
١٠ - خلف بن هشام البزاز ت ٢٢٩ هـ قرأ على يعقوب الأعشى وسعيد
بن أويس وغيرهما بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
وراويه ادريس بن عبد الكريم ت ٣٩٢ هـ ، واسحاق بن ابراهيم
المروزي المعروف بالوراق ت ٢٨٦ هـ .

(١) اسمه يعقوب بن خليفة صاحب ابس . . هـ النشر (١) / ١٩١ .

الخطوة الرابعة شيوع ظاهرة اختلاف القراءات

وبعد أن استقرت القراءات القرآنية مادة تتلقى وتدرس على أيدي من ذكرت أسماءهم من حفظة وتقليد عليهم بدأت وجوه القراءات المختلفة تخطو خطوة رابعة وتأخذ طريقها في الرواية والنقل وتتوسع دائرية الاختلاف فيها كلما توسعت رقعة البلاد المفتوحة لأن هؤلاء الصحابة المقرئين قد تفرقوا في تلك البلاد المفتوحة وهم مختلفون فيما أخذوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من القراءات .

ويدلنا على هذا ما جاء في أول كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام في ذكر أسماء من نقل عنهم شيء من وجوه القراءات من الصحابة وهم :-

سالم مولى حذيفة (ت ١٢ هـ) وأبو بكر الصديق (ت ١٣ هـ) وعمر بن الخطاب (ت ٢٣ هـ) وابن سمود (ت ٣٢ هـ) وعثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ) وحذيفة (ت ٣٥ هـ) وطلحة (ت ٣٦ هـ) ، وعلى بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ) وسعد بن أبي وقاص (ت ٥١ هـ) وعمرو بن العاص (ت ٥٨ هـ) ، وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) وأبو هريرة (ت ٥٩ هـ) ومعاوية (ت ٦٠ هـ) ، وابن عمر (ت ٦٣ هـ) وابن عباس (ت ٦٨ هـ) ، وعبد الله بن السائب (ت ٧٠ هـ) ، وابن الزبير (ت ٧٣ هـ) وحفصة (ت ٤٥ هـ) وعائشة (ت ٥٨ هـ) وأم سلمة ت ٦٢ هـ .

وهؤلاء المذكورون كلهم من المهاجرين .

ومن الأنصار :

أبي بن كعب (ت ٢٠ هـ) ، وأبو الدرداء (ت ٣٢ هـ) ، ومعاذ بن جبل (ت ٣٣ هـ) ، وزيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) ، ومجمع بن حارثة توفي في خلافة عثمان وأبو زيد^(١) وأنس بن مالك (ت ٩١ هـ) .

وكان شيوخ طاهرة اختلاف القراءات في النصف الأول من القرن الأول الهجري لأن الصحابة المذكورين تفرقوا في البلدان وهم على هذه الحالة فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابع التابعين عن التابعين وهم ج ١ .

ولكن توسع دائرة هذا الاختلاف في القراءات من غير أن يعرف لكل بلد قراءة معينة ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم - بسدر الشقاق في صفوف المسلمين عند ما يلتقون في مناسبة من المناسبات التي تجمعهم حيث يعتقد أهل كل بلد أن القراءة التي أخذوها عن مقرئهم هي الصواب الذي نزل من عند الله دون غيرها من القراءات المتواترة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم مما دعا عثمان رضي الله عنه إلى إرسال قارئ مع كل مصحف بعثه إلى كل بلد من البلدان التي بعث إليها المصاحف المشتمانية ومن هنا تخطت إلى خطوة خامسة .

الخطوة الخامسة

تعيين عثمان رضي الله عنه مقرئاً خامساً لكل مصر

ولقد تخطت القراءات القرآنية من المرحلة السابقة إلى خطوة أخرى

(١) اسمه قيس بن السكن كما رجحه ابن حجر وهو من جمع القرآن على عهد النبي (ص) ومات بعد السبعين من الهجرة وذكره ابن كثير أنه قتل يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة .
- راجع فضائل القرآن .

ذات أهمية و تتمثل هذه الخطوة في تعيين عثمان رضى الله عنه مقرئاً
خاصا لكل مصر من الأسمار التى بعث اليها مصحفا بعد توحيد المصاحف
وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين من الهجرة كما يقول الحافظ القطلان
أوفى حدود سنة ثلاثين من الهجرة كما ذكر ابن الجزرى . (١)

وبعثوا عثمان هـم :-

(١) عبد الله بن السائب المخزومى بعثه الى مكة .
(٢) أبو عبد الرحمن السلمى (ت ٤٧ هـ) الى الكوفة الذى مكث يعلم
الناس من خلافة عثمان الى أيام الحجاج قالوا : وكان مقدار ما مكث
يعلم فيه القرآن سبعين سنة . (٢)

وكان فيما قبله عبد الله بن مسعود الذى بعثه عمر بن الخطاب باليهما
معلما ووزيرا وهو الذى التقى حوله أصحابه وتلاميذه ومفوضوا
بأنهم سرج الكوفة يأخذون عنه القرآن ويقرئونه للناس ويطلقون عنه
الملم ويذيعونه فيهم . (٣)

(٣) عامر بن عبد قيس (ت ٥٥ هـ) بعثه عثمان الى البصرة .

(٤) المفيرة بن أبى شهاب المخومى بعثه الى الشام .

(٥) زيد بن ثابت المتوفى سنة ٤٥ هـ مقرئ بالمدينة وانا أقر عثمان

(١) انظر لطائف الاشارات ١ / ٥٨ .

(٢) انظر القراءات القراءنية للدكتور عبد الهادى الفضل ص ٢٢

(٣) انظر المصدر السابق ٢٢ .

رضى الله عنه و من اجتمع على رأيه من سلف الأمة هذا الاختلاف في النسخ
التي كتبت وبعثت الى الأعمار لعلمهم أن ذلك من جملة ما أنزل عليه
القران فأقروا ليقرأه كل قوم على روايتهم ومن هنا كانت قراءة كل أهل
قطر تابعة رسم مصحفهم

وذلك أن عثمان رضى الله عنه أمر أن تكتب المصاحف الأئمة المختلفة
الرسم وفق اختلاف القراءات المتواترة كما في (قال موسى) في القصص^(١)
حيث كتبت بلا واو في مصحف مكة وبواو في سائر المصاحف وأن تكتب
في بعض الحروف الأخرى بصورة تحتمل الكلمة معها وجوه القراءات المختلفة
كما في (يخادعون) حيث كتبت بغير ألف لتحتمل قراءة (يخادعون) بالألف
وكما في الياقات الزوائد و من المعلوم أن هذا الجمع لم يأت عفواً بل
ان له عاملاً مهماً وهو اطفاء نار الفتنة التي كادت تندلع لولا أن وفق
عثمان لذلك حيث وقعت الاختلافات بين أهل العراق والشام
وغيرهم في القراءات والتي كانت سبباً في جمع المسلمين على هذذة
القراءات المتواترة المعتمدة .

القاضي

ولذلك قال أبو بكر الياقلائي في الانتصار : (لم يقصد عثمان
مقصد ابي بكر في جميع نفس القرآن بين لوحين وانما جمعهم على
القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والفاء ما ليس
كذلك وأخذهم بمصحف واحد بانصاف المهاجرين والأنصار لمسا
خشى الفتنة باختلاف هؤلاء .

الخطوة السادسة

تجرد قوم للقراءات وأخذها ونشرها

وقد تخطت القراءات من مرحلة اقبال المسلمين عليها عموما كمادة تتلقى و تدرس من قبل من سبق ذكرهم الى مجال التخصص والتجرد للقراءات عند قوم عنوا بذلك وذلك أنه تجرد قوم للقراءات والأخذ وعنوا بضبط القراءات اتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل اليهم ويؤخذ عنهم أجمع أهل بلدهم على تعلق قراءتهم ولم يكتفوا عليهم اثنان ولتصديهم للقراءة نسب اليهم .

فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ) ، ثم شيبه بن نصاح (ت ١٣٠ هـ) ثم نافع بن نعيم (ت ١٦٩ هـ) .
وكان بمكة عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ) وحמיד بن قيس الأعرج (ت ١٣٠ هـ) و .

وكان بالكوفة عاصم بن أبي النجود (ت ١٣٩ هـ) ، وسليمان بن الأعمش (ت ١٤٨ هـ) ثم حمزة (١٥١ هـ) ثم الكسائي (ت ١٨٩ هـ) .
وكان بالشام عبد الله بن عامر الشامي (ت ١١٨ هـ) .

وكان بالبصرة عبد الله بن أبي اسحاق (ت ١٢٩ هـ) ، وأبو عمرو البصري (ت ١٥٤ هـ) ثم يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) .

وهذا التخصص من هؤلاء القراء المذكورين وأمثالهم وفر المسادة لوضع علم القراءات وتدوينه والتأليف فيه .

وقد بدأت هذه الخطوة في أواخر القرن الأول

(أ) الهجرى و أول القرن الثانى الهجرى ،

الخطوة السابعة

التأليف فى القراءات وتدوينهم

و يختلف المؤرخون فى أول من ألف فيها فذهب الأكثر الى أنه عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وذهب ابن الجزرى فى غاية النهاية الى أنه أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) .

ثم قال الدكتور عبد الهادى : الفصل :

وبعد تنبى للمسألة فيما وقفت عليه من مصادر ومراجع رأيت أن أول من ألف فى القراءات هو يحيى بن يعمر (٩٠ هـ) ثم تتابع التأليف ثم قال الدكتور الفضل :

وقد حاولت فهرسة أسماء من ألف فى القراءات حتى تبيــــــــــــــــع

بن مجاهد للقراءات السبع ووفق تاريخ التأليف :

-
- (١) أنظر كتاب القراءات القرائية للدكتور عبد الهادى ص ٤٧ .
 - (٢) هو أحمد بن موسى بن العباس التميمى ابو بكر بن مجاهد كبير العلماء بالقراءات فى عصره من أهل بغداد وكان حسن الأدب رقيق الخلق فطنا جوادا له كتاب " كتاب القراءات الكبير ، كتاب قراءة ابن كثير وكتاب قراءة أبى عمرو . . . وقراءة عاصم وقراءة نافع وقراءة حمزة وقراءة ابن عامر وقراءة النهى صلى الله عليه وسلم وكتاب الياقات - ولد سنة ٢٤٥ هـ وتوفى سنة ٣٢٤ هـ - انظر الأعلام ١/٢٤٦ هـ .

وذكر عدد كبيراً أو علمهم السى أربعين مؤلفاً وجاء أربعين
عبيد القاسم بنين سلام الذى اختبروه أكثر المؤرخين أول من ألف
فى القراءات فى هذا الترتيب عشرين :

الخطوة الثامنة

تسبيع السبعة وجمع قراءاتهم فى مؤلف خاص

وقد قام بهذه العملية أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد
التيمى المهدادى المتوفى سنة ٣٢٤ وألف فى ذلك ^{كتاباً} سماه (قراءات
السبعة) وهو أول من سبع السبعة

ولو سألنا عن العلة التى من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بهذه
القراءات دون غيرهم من هم على درجاتهم لوجدنا الجواب كالاتى :
وهو أن القراء كانوا فى القرن الثانى والثالث كثيرين فى العدد
فأراد الناس فى آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع أن يقتصر على
القراءات المعتبرة المتواترة فنظروا الى امام شهر بالثقة والأمانة وهى
الدين وكمال العلم ، قد طال عمرة ، واشتهر أمره وأجمع أهل عصره
على عدلته ففما نقل وثقته فيما قرأ وروى وعلمه بما يقرأ فلم يخرج
قراءته عن خط مصحفهم المنسوب اليهم ، فأفردوا من كل قطر وجهه
اليه عثمان مصحفاً . اما ما هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك القطر
فلم يجدوا الا هؤلاء السبعة المشهورين الموصوفين بهذه الصفات
المعتبرة :

وهو : —

- (١) نافع بن أبى نعيم المدنى .
وابن كثير المكي
- (٢) وأبو عمرو البصرى .

- (٣) وأبو عمرو البصري .
- (٤) . وعبد الله بن عامر الشامي .
- (٥) . وعاصم بن أبي النجود الكوفي .
- (٦) . وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي .
- (٧) . وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي .

كل هؤلاء المذكورين ممن اشتهرت امامته ، وطال عمره في الاقراء
وارتحل الناس اليه من البلدان (١) .

ويقول الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (ت ٤٨٥ هـ) . وانما
اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدو بهم لسببين :-

أحدهما : أنهم تجردوا لقراءة القرآن ، واشتدت بذلك عنايتهم فضع
كثرة علمهم ومن كان قبلهم أو في زمنهم من نسب السبب
القراءة من العلماء لم يتجربوا لذلك تجردهم ، وكان
الغالب على أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من
المعلوم .

والآخر : أن قراءتهم وجدت مسندة لفظا أو سماعا حرفيا
حرفا من أول القرآن الى آخره ، مع ما عرف من فضائلهم
وكثرة عملهم بوجوه القراءات (٢) .

(١) انظر الابانة ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) انظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادي الفضل ص ٣٤ .

- (٣) وأبو عمرو البصري .
- (٤) وعبد الله بن عامر الشامي .
- (٥) وعاصم بن أبي النجود الكوفي .
- (٦) وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي .
- (٧) وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي .

كل هؤلاء المذكورين من اشتهرت امامته ، وطال عمره في الاقراء^١
وارتحل الناس اليه من البلدان (١) .

ويقول الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (ت ٤٨٥ هـ) . وانما

اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدو بهم لسببين :-

أحدهما : أنهم تجردوا لقراءة القرآن ، واشتدت بذلك عنايتهم فضع
كثرة علمهم ومن كان قلوبهم أو في زمنهم ممن نسب اليهم
القراءة من العلماء لم يتجربوا لذلك تجردهم ، وكان
الغالب على أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من
العلوم .

والآخر : أن قراءتهم وجدت مسندة لفظا أو سماعا حرفيا
حرفا من أول القرآن الى آخره ، مع ما عرف من فضائلهم
وكثرة علمهم بوجهه القراءات (٢) .

(١) انظر الابانة ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) انظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادي الفضل ص ٣٤ .

وما يجب معرفته أن هذا الذى ذكرناه لا يدل على أنه ليس
هناك قراءات متواترة غير السبع المذكورة فى هذه الخطوة بسبل
القراءات الثلاث المتممة للعشر متواترة بلا شك وهى قراءة أبى
جعفر ويعقوب الحضرمى و خلف العاشر .

الخطوة التاسعة

مرحلة الاحتجاج للقراءات

وتخبطت القراءة الى مرحلة الاحتجاج لها وبيان العطل فيها
ومعنى ذلك أنهم يذكرون لكل قراءة من القراءات أو رواية من الروايات
وجهها صحيحا توجه اليه من ناحية اللغة والاعراب والصرف والمعانى
وما الى ذلك .

وكان أول من ألف فى الاحتجاج للقراءات السبع . . أبابكر
محمد بن السرى المتوفى سنة (٣١٦ هـ) المعاصر لابن مجاهد
الا أنه لم يتم كتابه فقد صدر منه سورة الفاتحة وجزء من سورة
البقرة ثم محمد بن الحسن الأنصارى (ت ٣٥١ هـ) ألف كتاب
السبعة بمللها الكبير (١) .

٣ - ثم أبوبكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار (ت ٣٦٢ هـ) ذكر
له ابن النديم فى الفهرست (٢)

ألف كتاب " احتجاج القراءات ، كتاب السبعة بمللها الكبير "

(١) أنظر الفهرست ٣٣ خيطا

(٢) أنظر القراءات للدكتور الهادى ص ٤٠ .

كتاب السبعة الأوسط ، كتاب الأوسط (آخر)

• كتاب الأصغر ويعرف بـ (شفاء الصدور) .

٤ - الحسين بن خالوية (ت ٢٧٠ هـ) ألف كتابه " الحجاة
في علل القراءات السبع .

٥ - أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ألف كتابه " الحجاة في الاحتجاج
للقراءات السبع " وقد اختصره مكى بن أبي طالب
القيسي (ت ٤٣٧ هـ) .

وليس معنى ذلك أن الاحتجاج بدأ في هذه المرحلة ، فقد
ذكر ابن النديم أن محمد بن يزيد العمري المتوفى سنة ٢٨٥ هـ
كان قد ألف (كتاب احتجاج القراء)^(١) وكذلك تلميذه
ابن السراج (ت ٣١٣ هـ) الذي ألف كتابا في احتجاج
القراء .

وانما المعنى أن الاحتجاج في هذه المرحلة صار ظاهرة من
ظواهر التأليف في القراءات .

الخطوة العاشرة

• • مرحلة تفريد القراءات • • الخ

وقد نهج المؤلفون في القراءات إلى هذا المنهج من تفريد
القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها دفعا لما علق فسي

(١) انظر القراءات للدكتور الهادي ص ٤٠ .

(٢) هو محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق أبو الفرج بن أبي يعقوب
النديمي صاحب كتاب الفهرست كان معتزليا شعبيا توفي سنة ١٠٤٧ هـ
انظر الأعلام للزركلي : ٢٥٣/٦ .

كثير من الأذهان من الأحرف السبعة الوارد ذكرها في الحديث الشريف (انزل القرآن على سبعة أحرف) هي القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد واعتبرها الصحاح .

قال ابن الجزري : (وقال الامام شيخ الاسلام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي) بعد أن ذكر الشبهة التي من أجلها وقع بعض الصوأم الأغبياء في أن أحرف هؤلاء الأئمة السبعة هي المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم (أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ان الناس انما ثمنوا القراءات وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لاجل هذه الشبهة ثم قال : وانى لم اقتفوا أثرهم تشبها في التصنيف أو تعشيرا أو تفريدا الا لانه زالة ما ذكرته من الشبهة .

ويقصد بالتفريد افراد قراءة واحدة بالتأليف والتسديس ذكر ست قراءات فقط . . . وهكذا . . . ليملم من هذا أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة كما توهم وليملم في رأى آخر ، أن القراءات السبع ليست هي وحدها المتواترة . (٢)

.. ..

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجذري ١ / ٤٣

(٢) انظر القراءات للدكتور ص ٤٦ .

الفصل الثاني

التعريف بالقراءات

تعريف القراءات

عرف الزركشي القراءات بقوله : " القراءات :

اختلاف ألفاظ الوحى المذكور - فى الحروف وكيفيةها
من تخفيف و تشديد وغيرها " . (١)

ويفهم من تعريفه : أن القراءات تختص بالاختلاف فيه من ألفاظ
القرآن الكريم ، بينما نجد علماء القراءات يوسعون فى
دائرة شعول القراءات الى المتفق عليه أيضا ، وذلك فى
تعريفهم لعلم القراءات .

يقول ابن الجذرى : " القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن
واختلافها معزوا لناقله " . (٢)

(٣)
وعرفها الدمياطيى البنا بقوله : " القراءات علم يعلم منسسه
اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم فى الحذف والاثبات
والتحريك و التسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والابدال
وغیره من حيث السماع " .

يضاف الى ذلك : أن ابن الجذرى والدمياطيى اشترطا فى

(١) انظر البرهان / ١ / ٣١ .

(٢) منجد المقرئين / ٣

(٣) انظر اتحاف فضلاء البشر ص ٥٥ .

القراءة النقل والسماع ، ولعل ذلك لأن (القراءة سنة متبعة) كما يقول زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي (١) ولاجل ذلك قال ابن الجزري أيضا : * واليحذر القارىء الاقراء بما .. يحسن فى رأيه دون النقل ، أوجه اعراب أولفئة دون رواية * (٢)

وفى تعريف زكريا الأنصاري - (المتوفى ٩٧٥ هـ) نقف على شرط آخر هو تطبيق المقتول أو المسموع على القرآن الكريم حيث يقول : * القراءة بالكسر والوتخفيف الراء المهملة هى عند القراء : أن يقرأ القرآن سواء كانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متابعا ، أو أدا بأن يأخذ من المشايخ ويقراء * (٣)

وفى ضوء هذه التعريفات نخلص الى أن القراءة : هى النطق بألفاظ القرآن الكريم كما نطقها النبي صلى الله عليه وسلم أو كما نطقت أمه صلى الله عليه وسلم سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم واحدا أو متعددا .

ويعنى التعريف أن القراءة قد تروى لفظا واحدا وهو ما يعبر عنه بالمتفق عليه بين القراء ، وقد تروى أكثر

(١) انظر الاتقان للسيوطي ٧٥/١

(٢) انظر منجد المقرئين لابن الجزري ص ٣

(٣) انظر القراءات القرآنية للدكتور الهادى ص ٥٦ .

من لفظ **واخذ** وهو ما يمبر عنه بالمختلف فيه بين القراء .
وقد عرفت ما سبق من هذه التعريفات أن القوم ذهبوا إلى
أن القراءات تشمل المختلف فيه والمتفق عليه من ألفاظ القرآن الكريم
وهو رأى المذكورين في هذا الفصل عدا الزركشى لأنه قدها
بالمختلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم والراجع عندي رأى الجماعة
لأنه يدل على أن القراءات معرفة أراء الفاضل القرآن الكريم
المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر متفقا وخطفا
وأما تقيدها بالمختلف فيه فلا دليل على أن فائدة هذا
الاختلاف في تعريف القراءات بين هؤلاء المذكورين تظهر في الفرق

بين القراءات والقرآن وقد جاء في ذلك أقوال أهمها قولان :-

(١) اعتبار القرآن والقراءات حقيقتين متغايرتين :

وقد ذهب إلى رأى محمد بن عبد الله الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ
حيث قال في كتابه " البرهان " (١) : (القرآن والقراءات حقيقتان
متغايرتان) فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه
وسلم للبيان والاعجاز . . والقراءات اختلاف الفاضل الوحي
المذكور في الحروف وكيفية من تخفيف وتشديد وغيرها .
وتعمه فيه القسطلانى ناقلا في كتابه " لطائف الاشارات
في فنون القراءات " نص قوله المذكور .

(١) انظر ١/ ٣١٨ .

(٢) والقول الثاني عدم الفرق بين القراءات والقرآن طالما ثبت علم

تواترها وهذا رأى الجمهور .

(٣) والقول الثالث وهو رأى ابن دقيق العيد - اعتبار كل

قراءة قرآنا حتى القراءات الشاذة وهو رأى ساقط لأن القرآن يشترط فيه التواتر والقراءة الشاذة ما وراء العشر المتواترة فليس فيها هذه الصفة الأعلى

وقد ذهب بعض القراء المتأخرين الى تعريف آخر وهو

أن القراءة المعتمدة ما صح سندها ووافق المصاحف العثمانية ،

ووافق العربية .

واشهر من عرف عنه ذلك مكى^(١) بن أبى طالب القيس

حيث قال : القراءة الصحيحة ما صح سندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساغ وجهها فى العربية ووافقت خط المصحف ، وشاع

هذا القول بعده حتى ^{فى} تمه ذلك أكثر المتأخرين ومشى

عليه ابن الجزرى فى "نشره واطيبه" وهما كتابان صلبا

عمدة فى فن القراءات يدرسهما كل من أراد تحصيله وكتابات

مدرستهما تسبخ عليهما رداً التقديس .

(١) هو مكى بن أبى طالب بن حيو بن محمد بن مختار ابو محمد القيس

القيروانى ثم الأندلسى القرطبى امام علامة محقق عارف استاذ القراء

والمجودين - ولد سنة خمسين وثلاثمائة (٣٥٠ هـ بالقيروان)

وله كتب كثيرة فى علم القراءات وتوفى رحمه الله تعالى سنة

سبع وثلاثين وأربعمائه (٤٣٧ هـ) غاية النهاية ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠ .

وأنكر الجمهور ذلك حتى قال الامام العلامة^(١) الشيخ علي النورى فى كتابه "غيث النفع فى القراءات السبع" بعد أن أورده :
" وهذا قول محدث لا يمول عليه " بل لقد قرر هذا الامام أن "مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أن التواتر شرط فى صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية - أقول : وهذا حكم صحيح يقتضيه المنهج السليم فى كل ما يرجع الى النقل وبذلك تمتاز وجوه القراءات من الأحاديث الصحيحة التى يكتفى فى ثبوت صحتها بنقل العدل الضابط عن مثله فى سلسلة تنتهى الى الصحابي دون اشتراط التواتر فى بعضها .

وقد نظم ابن الجزرى هذا الضابط الذى أنكره كثير من أهل العلم بقوله :

وكل ما وافق وجه نحوى وكان للرسم احتمال لا يحوى

(١) هو أبو الحسن على بن محمد النورى بن سليم المصفاقى كان رجلاً صالحاً تقياً عفيفاً متكلماً محدثاً مفسراً واعظاً عارفاً بعلوم العربية بأسرها وبأصول الفقه وفروعه والقراءات وأحكامها . . وكان مصلحاً أنشأ المدارس وصنف كتباً كثيرة فى القراءات والتجويد والفقه وغيرها ومن ذلك "كتاب غيث النفع فى القراءات السبع" وهو عمدة الطلاب والمقرئين فى الدنيا ولد بمصفاق بطنس فى سنة ثلاث وخمسين والى ١٠٥٣ هـ وتوفى بها سنة سبع عشرة ومائة بمسجد الألف .

وصح باسنادا هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان وحيثما يختك ركن
أثبت شدوذه لو أنه في السبعة وأنت ترى ما في هذا الضابط من
اخضاع القراءات المقبولة المعتبرة له لأنه يبدو منه جليا أن القراءات
تعتبر شاذة إذا لم تدخل تحته وهذا بعيد عن الواقع الهندي تعيظه
القراءات القرآنية وذلك أن المنحول عليه في ذلك إنما هو التلقى والأخذ
ثقة عن ثقة وأما عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم بطريق
التواتر وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا
الباب وإنما هي مرجع جامع للمسلمين على كتابهم . . ولكن
في حدود ما عدل عليه وتعنيه وقد عرفت أن المصاحف لم تكن
منقوطة ولا مشكولة ، وأن صورة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه
القراءات المختلفة وإذا لم تحتلها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف
ثم كتبت في مصحف ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر وهلم
جرا فلا غرو أن كان التمويل على النقل والرواية هو العمدة في باب
القراءة (١)

مناقشة هذا الضابط

والركن الأول من الأركان الثلاثة التي إذا اختل ركن منها في القراءة
تعتبر شاذة هو موافقة القراءة اللغة العربية ولو بوجه كما ذهب
إلى ذلك ابن الجوزي

(١) انظر مناهل العرفان للزرقاني ٤٠٥/١ - ٤٠٦ .

ومن وافقه على ذلك (١)

ولا شك أن هذا المذهب يدل دلالة واضحة على أن القراءات
القراءة انية تخضع لقواعد النحو وما وافق منها وجها من وجوه النحو
كان صحيحا ممتبرا وما خالف ذلك كان مردودا .

ولذلك قال أبو شامة (٢) : انه نسب الى أئمة السبعة قراءات
أنكرها أهل اللغة وغيرهم فسد من ذلك الجمع بين الساكنين فسى
تاءات البزى ، وادغام أبى عمرو ، وقراءة حمزة (فما استطاعوا) وتسكين
أبى عمرو (بارئكم) " وينصركم " ، وبأمركم ويشعركم " . ثم ذكر
أشياء من هذا القبيل الى أن قال : فكل ذلك محمول على قلبة
ضبط الرواة فيه ثم قال : " وان صح النقل فيه فهو من بقايا الأحرف
السبعة التي كانت القراءة الصاحبة عليه على ما هو جائز في المربية
فصيحها كان أو دون ذلك

وأما بعد كتابة المصاحف على اللفظ المنزل فلا ينهى قراءة ذلك
اللفظ الا على اللغة الفصحى من لغة قرئش حملا لقراءة النبي
صلى الله عليه وسلم والسادة من الصحابة على ما هو اللائق فانهم على

(١)

(٢) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان ابو القاسم المقدس
ثم الدمشقي الشافعي المعروف بأبى شامة الشيخ الامام الحجة والحافظ
والذو الفنون وقيل له أبو شامة لأنه كان في حاجبه الأيسر شامة =

لغة قريش فكذا قراءاتهم . . هذا ومن المجيب كيف أخضعوا . . .
كتاب الله لأراء الناس التي تحتل الخطأ والصواب والقراءات القرائية
توقيفية لا يكون فيها الا الصواب طالما عرف تواترها عن النبي صلى
الله عليه وسلم وهل كانت وجوه النحو وغيرها حاكمة على كتاب الله ؟
حتى تجعل هذه القواعد متنوعة والقراءات تابعة لها ؟ ونهـراً
الى الله من القول بذلك .

وهل وجدت قواعد النحو وغيره قبل القرآن حتى نحكمها في قبول
القرآن ورفضه ؟ وقد وضعت هذه القواعد النحوية بالاسم حيث
وضع أبو (١) الأسود الدؤمي قواعد النحو في عهد علي بن أبي طالب
بأمره أياه وذلك لما رأى ضعف اللغة العربية يتسرب الى الأمة
الاسلامية نتيجة اختلاط العرب بالمجيم من جرأ الفتوحات
التي قام بها المسلمون في تلك البلاد المفتوحة .

وقد ذكر النحاة العوامل التي دعت أمير المؤمنين بالأمر

= كبيرة ولد سنة ٥٩٩ وتوفي في شهر رمضان من يوم التاسع عشر سنة

٦٦٥ هـ - انظر غاية النهاية ١/٣٦٥/٣٦٦ .

(١) اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي قاض البصرة ثقة جليل أول من
وضع مسائل في النحو بإشارة علي بن أبي طالب أسلم في هاية (س)
ولم يره وهو من المخضرمين توفي في طاعون الجارف سنة ٦٩ من
الهجرة بالبصرة - أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفان وعلي بن ابي
طالب وروى القراءة عنه بابنه أبو حرف ويحيى بن يعمر - انظر غاية

النهاية ١/٣٤٥ - ٣٤٦ .

بذلك وذلك أن أبا الأسود كان على سطح بيته وعنده بنته فقالت :
" يا أبت ما أحسن السماء " برفع النون من أحسن ، وكسر الهمزة من . .
السماء فقال أي بنيسة نجومها فقالت : يا أبت ما أردت بهذا انمسا
أردت التعجب من حسنها فقال لها : قولي " ما أحسن السماء " وافتحى
فاك " فلما أصبح أبو الأسود الدؤلي بكر إلى أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب فأخبره القصة فوضع الأسم والفعل والحرف ثم قال :
إنح نحو هذا فلذلك سمي هذا الفن نحوا .

وقد بين أبو عمرو الداني توقيفية القراءات وأن العبرة فيها بالنقل
المحض لا قواعد النحو وغيره في كتابه " جامع البيان " بمسند
حكاية انكار سيويه لقراءة أبي عمرو التي جعل أبو شامة من القراءات
التي لا يجوز القراءة بها اليوم - مع أنها متواترة عند القراء المعروفين
وهي اسكان كلمة (بارئكم) هذا نص كلمة " والاسكان اصح في النقل
وأكثر في الأداء " وهو الذي اختاره وأخذ به إلى أن قال : وأئمة
القراءة لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفضى في
اللفظة والأقبس في العربية بل على الأثبت في الأثر والاصح في النقل
والرواية اذا ثبتت عندهم لا يرد لها قياس عربية ولا فحولفة لأن القراءة
سنة متبعة يلزم قبولها والمسير اليها .

ثم قال الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني بمد أن نقل كلام
أبي عمرو الداني هذا : هذا كلام وجيه فأن علماء النحو انمسا

انما استمدوا قواعد من القرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العرب
 فاذا ثبت قرآنية القرآن بالرواية كان القرآن هو الحكم على علماء النحو
 وما قصدوه من قواعد . . . ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم اليه لا أن
 نرجع نحن بالقرآن الى قواعدهم المخالفة له نحكمها فيه . (٣)

وقد ذهب هؤلاء الذين قالوا : بموافقة القراءة وجه النحو الى أنه لا بد
 من ذلك ولو كان وجهها ضعيفا كما نقل عنهم الشيخ عبد الفتاح الميرفتي
 في كتابه (هداية القارى الى تجويد كلام الباري) (١) وأشار
 الى معنى ذلك ابن الجزرى حيث قال في (نشره) : (وقولنا في الضابط
 ولو بوجه نوريد وجهها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا
 عليه أم مختلفا فيه) (٢)

ومن الأسف كيف تصح هذه الدعوى من هؤلاء الأفاضل وقد علم
 أن الفاظ القرآن الكريم كلها في أعلى الفصاحة والبلاغة .

وأما ما ذهبوا اليه فإنه يشمر أن ألفاظ القرآن على مراتب منها
 ما هو أفصح ومنها ما هو فصيح ، ومنها ما هو ضعيف ولم يقلل
 بذلك مسلم فضلا عن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والذين تقدر
 بهم الحجة في الأرض .

(١) أنظر الكتاب المذكور له ص ٤٦ .

(٢) أنظر النشر في القراءات العشر ١ / ١٠ .

(٣) أنظر مناهل العرفان للزرقاني ١ / ٤٢٢

ويقرر هذا الضابط أيضا أنه يوجد في نظم القرآن أسلوب عال
وأسلوب نازل فأني يوجد هذا الوجه الضعيف الذي ذكره
في القرآن الكريم وجميع ألفاظ القرآن الكريم على درجة واحدة في البلاغة
والفصاحة ولذلك قال الخطابي ^(١) بعد ذكر اعجاز القرآن " وإنما
يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم
وساط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن الكريم وجدت هذه الأمور منه في غاية
الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب
من ألفاظه ولا ترى نظما أحسن توكيفا وأشد تلاوفا وتشاكلا من نظمه وأما
المعاني فلا يخفى على ذي عقل أنها هي التي تشهد العقول
بالتقدم في أبوابها والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها
¼ وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام فأما
أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم
الخبير الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا .

ثم قال الخطابي : فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزا
لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنا أصح المعاني

(١) هو الأديب اللغوي المحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم
الخطابي البستي ولد رحمه الله تعالى : في رجب سنة ٣١٩ وأقام
ببست وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٣٨٨ هـ

من توحيد له عزت قدرته وتنزيهه له في صفاته ، ودعاء الى طاعته
وبيان بمنهج عبادته من تحليل وتحرير وحظر وابطاح ومن وعظ وتقويم
وأمر بمحروف ونهي عن منكر وارشاد الى معاسن الأخلاق وزجر
عن مساوئها واضحا كل شيء ، منها موضعه الذي لا يرى شيء منه
ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه (١)

وهذا القرآن الذي بهذه المثابة كيف يكون في الفاظه وجهه ضعيف
حتى بنوا أركانهم هذه على هذه القاعدة وهذا يكفى لعدم اعتبار
هذا الركن .

وأما الركن الثاني من الأركان الثلاثة التي اذا اختل ركن منها في
القراءة عارت القراءة شاذة فهو موافقتها لرسم المصاحف العثمانية
ولا يخفى عليك ما يقرر هذا الضابط من جعل القراءة تابعة للرسم ويؤيد
رأى جولد (٢) تسهير حيث قال بمحة كل قراءة يحتلها رسم
المصحف مع أن الأمر بخلاف ذلك لأن بعض ما يحتله الرسم صحيح
مثل (فتبينوا) وبعضه مردود مثل قراءة حماد الراوية (أباه)
في سورة التوبة . (٣)

(١) أنظر ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للسرحاني والخطابي وعبد الظاهر

الجرجاني ص ٢٧ .

(٢) أنظر كتاب رسم المصحف والاحتجاج بالقراءات للدكتور عبد الفتاح اسماعيل

شليبي ص ٢٧ .

(٣) آية ١١٤ وانظر الاتحاف للدبياطي ص ١٤٥ .

(وما كنتم تستكثرون) في سورة الاعراف (١) مع أن هذه القراءة قد استشهد بها جولدك تسهير على ما ذهب إليه ومذهب أن القراءة تابعة للرسم مذاهب باطل فالأصل أن الرسم تابع للرواية والنقل وأن . . . القراءة منقولة من أفواه الرجال الحفظة لا كما يقرب هو لا الوضع .

فإننا احتمل الرسم قراءة غير مروية ولا مسندة اسنادا متواترا ردت وكذبت وكفر متعمدا . (٢)

وإذا جاءت القراءة بطريق التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم نتعمد به وكان تزيلا من حكيم حميد ومن هنا نصرف أن الاعتماد بالدرجة الأولى في نقل القرآن الكريم على النطق والنقل الصحيح عن أفواه الحفاظ المقرئين ولذلك لم يكتب عثمان رضي الله عنه بالمصحف حين وجه المصاحف إلى الأمصار بل أرسل مع كل مصحف من يوافق قرائته ذلك المصحف فأمر زيد بن ثابت أن يقرأ بالمدينين، وبمكة عبد الله بن السائب مع المكي والصفيرة شهاب مع الشامي ، وأبنا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي ، وعامر بن قيس مع البصري وبمكة مصحفا إلى اليمن وآخر إلى البحرين فلم نسمع لهما خيرا ،

(١) آية ٤٨ ولم ترو هذه القراءة في السبع ولا العشر ولا الأربع

- أنظر انحاء فضلاء البشر للدماطي ص ٢٢٥ .

(٢) أنظر منجد المقرئين لابن الجزري ص ١٧ .

ثم قال الجعبري (١) ج: " والاعتماد في نقل القرآن متفقا ومختلفا على الحفاظ ولهذا أنفذهم الى أقطار الاسلام للتعليم وجعل هذه المصاحف ثوانى حرصا على الانقاذ ومن ثم ارسل الى كل اقليم المصحف الموافق لقراءة قارئه في الأكثر (٢) ، (٣)

وأيتها لا نسلم لهم هذا الضابط على الاطلاق كما أطلقوا فلا بد من تقييد مراعاة قواعد الرسم لمن يكتب المصحف ولذا قال الخزاز بعد ذكر جمع عثمان للقرآن الكريم :

فينفى لأجل ذاك أن نقتضى مرسوم ما عمله في المصحف
ونقتضى بفعله وما رأى في عمله لمن يخط ملجأ

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل الجعبري نسبة الى قلعة بنى بالسس والرفه على الفرات ولد في فيها وسكن دمشق مدة ثم ول شيخه الخليل ألى أن مات بها واشتهر بالجعبري تقى الدين برهان الدين أبو العباس كان عالما بالقراءات والفقه واللغة والنحو وله نحو مائة كتاب :

منها كنز المعاني شرح الاماني . الخ - ولد سنة ٦٤٠ هـ وتوفى سنة ٧٣٢ هـ .

(٢) انظر دليل الحيران شرح مورد الظمان في رسم المصحف ص ١٧
(٣) انظر دليل الحيران ص ١٧ - (٤) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم الأموي الشريش الشهير بالخرزاز أصله من شريش مدينة بالمدوة الاندليسة وسكنه بمدينة فاس وبها توفي وهو من ادرك القرن السابع وأول القرن الثامن ولم تذكر المصادر سنة ولادته ووفاته - انظر دليل الحيران ص ٥-٦ .

لا تترب على هذا الضابط بطلان قراءة القرآن الا اذا قرئ على
المكتوب على الرسم العثماني وعلى ذلك فلو قرأ احد القرآن من المصحف
الذى كتب على قاعدة الاملاء التى تخالف رسم المصحف فلا يكون ذلك .
المقروه قرآنا لأنه مخالف لرسم المصحف العثماني .

أقول : وفى زماننا هذا قبل من يتقن حقيقة الرسم العثماني ولو ألزمتنا
هذا الرسم فى كتابة المصحف مطلقا كما ألزم كثير من العلماء
لوقع كثير من المعاصرين فى قراءة القرآن على سهيل الخطأ مثل ذلك
الآيات الكريمة برسمها العثماني .

(١) من نساء المرسلين (١)

(٢) من تلقا نفسى (٢)

(٣) يا أيكم الفستون (٣)

(٤) لا تاتيسوا من روح الله (٤)

ان القارى الذى تعود قراءة المصحف والمجلات فى زماننا بالرسم
الاملائى اذا اراد أن يقرأ الآيات السابقة - ولم يكن حافظا ولا

(١) الانعام آية ٣٤ .

(٢) يونس آية : ١٥ .

(٣) العلم آية : ٧

(٤) يوسف آية : ٨٧ .

ولا متلقية لهاها من أفواه الحفاظ فانه قرأته سستخالف مع التزهد
الموحى به من عند الله وكذلك ذكر العلماء في موضوع كتابة
المساحف ثلاثة آراء :

الرأى الأول : أنه توقفى وهو مذهب الجمهور .

الرأى الثانى : أنه اصطلاحى لا توقفى وعلى هذا الرأى فيجوز
مخالفته و من جنح الى هذا الرأى ابن خلدون فى
مقدمته والقاضى أبوبكر الباقلانى فى الانتصار .

والرأى الثالث : وجوب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلات
المعروفة الشائعة عندهم ولا تجوز كتابته بالرسم
المشائى لثلا يوقع فى اللبس وهذا مذهب المـ
بن عبد السلام .

وصاحب البرهان ولكل أدلة يستدلون بها . (٢)

وهذا الرأى يقوم على رعاية الاحتياط للقران من ناحيتين
ناحية كتابته فى كل عصر بالرسم المعروف فيه ابصارا
للناس عن اللبس والخلط فى القران وناحية ابقائه

(١) هو الامام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى

شيخ الاسلام توفى سنة ٦٦٠هـ أنظر شذرات الذهب ٣١٠/٥

(٢) أنظر الأدلة للجميع فى مناهل العرفان للزرقانى ص ٣٧٠-٣٧٨

رسمه الأول المأثور يكتبه العارفون ومن لا يخشى عليهم الالتباس ولا شك أن هذا الاحتياط هو المطلب الديني الجليل خصوصا في جانب حماية التنزيل .

وعرفت من ذلك كله أن المعتمد في القرآن الكريم هو النقل المحض والرواية والأخذ عن المختصين فيه .

وأما الركن الثالث : فهو صحة السند ولا يخفى عليك أن في هذا الركن مراضنة شديدة عند العلماء وذلك أنهم ذكروا بدل صحة السند (التواتر) وهو لا^١ الذين ذهبوا الى ذلك كثيرون .

منهم النويري^(١) صاحب شرح طيبة النشر اذ يقول

ما نصه : (وقوله : وصح اسنادا) ظاهره أن القرآن يكتفى في ثبوته مع الشرطين المتقدمين بصحة السند فقط ولا يحتاج الى تواتر وهذا قول حاد مخالف لاجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم ولقد

(١) هو الامام النويري شارح طيبة النشر أبو القاسم محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد فقيه مالكي عالم بالقراءات وكان ورعا أبي القضاة وله تصانيف في منها شرح طيبة النشر في القراءات المشرفة لشيخه الحافظ ابن الجزري والقول مجاز عن ق لمن قرأ بالشاذ وشرح درة المضيئة في القراءات الثلاث منطوقة في القراءات الثلاث الزائدة على السبع - ولد رحمه الله . ١٠٨٥ هـ وتوفي سنة

ضل بسبب هذا القول قوم فصاروا يقرءون الناس أحرفا لا يصح لها
سند أصلا ويقولون ليس التواتر بشرط وإذا طولبوا بسند
صحيح لا يستطيعون ذلك .

وهذا واقع تعيشه القراءات القرآنية اليوم لولا حفظ
الله كتابه .

وذلك أن كثيرا من الناس المؤلفين فيها قسمواها نتيجة مما
حدث من هذه الأمور إلى قراءة متواترة واحادية وشاذة .

فالتواترة عندهم المقطوع باتصالها بالنبي صلى الله عليه
وسلم فقال صاحب هذا التقسيم فتتظم في هذا القسم : المتواترة
والمفوضة من الأقسام وسميت (المتواترة) ولم أسماها (المقطوع
بها) للاحتفاظ بالمصطلح القرائى الموروث .

الاحادية

ويراد بها بالقراءة الجامعة للأركان الثلاثة ولم يبلغ نقلها مستوى

تفيد القطع باتصالها بالنبي (ص) .

الشاذة :

وهى المخالفة للرسم العثمانى (١)

ولا شك بطلان هذا التقسيم حيث أنه يثبت أن بعض القراءات ليس

(١) أنظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادى ص ٥٩ .

ثبوتها عن النبي بطريق القطع بسبل بالاجتهاد - كما يدل على ذلك تقسيمهم هذا .

ويوهم هذا المذهب أيضا أن القراءات القرآنية تتفاوت في درجاتها المتواترة - المستفيضة - الأحادية . وقد عرفت تمرير الجميع من عرضنا تقسيمهم هذا وذهبوا الى أن جميعها صحيح القراءة بها وكذلك الثاني المستفيضة والقسم الأخير الذي هو ثبوت القراءة بطريق الأحاد^x فيه نظر حيث صرح أصحابه بأن هذه القراءة لم يقطع اتصالها بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب الى ذلك الدكتور عبد الهادي الفضل (١)

ومن المعلوم أن القراءة اذا لم يثبت مجيئها عن النبي صلى الله عليه وسلم قطعا فقد حصل فيها الشك والريب وهذا قول باطل يرفضه القرآن الكريم قال تعالى : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٢) (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) .

وأقرب الى هذا الرأي ما ذكره الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) حيث قال بعد ذكره فوائد اختلاف القراءات

(١) انظر القراءات القرآنية للدكتور المذكور ص ٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية ١ - ٢

(٣) سورة السجدة آية ١ -

(هذا طمعت نلك فاختلفوا في الآية اذا قرئت بقراءة عين على قولين : أحدهما أن الله تعالى قال بقراءة واحد، الا أنه أذن أن يقرأ بقراءة عين . . وليس هذا الخلاف من نفس الزركشى ولكنه نقل عن غيره حيث أغربه بقوله :

() وهذا الخلاف غريب رأيت في كتاب " البستان " (١) لأبي الليث السمرقندي .

ثم اختاروا في المسألة توسطاً وهو أنه ان كان لكل قراءة تفسير يفاير الآخر فقد قال بهما جميعاً و تسمى القراءات بمنزلة آيتين مثل قوله () (ولا تقربوهن حتى يظهرن) .

وان كان تفسيرهما واحداً كالبيوت بكسر الباء - والبيوت بضمها - فأنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود لسانهم .

أقول : حتى ان هذا القول المختار عندهم هو عين اللطعن في القراءات القرائنية لأنه يودى الى أن في القرآن شيئاً لم يكن من كلام الله بل من كلام غيره بالاذن فيه حيث أذن للقبائل أن ينطقوه حسب ما تعود لسانهم وهذا خلاف ما أثبتته الشرع الحكيم من أن القرآن كلام الله لقوله تعالى (حتى يسمع كلام الله . . الآية) (٢)

(١) هو كتاب بستان المارفين ، لأبي الليث السمرقندي نسرين محمد الحنفي المتوفى سنة ٣٧٥ قال صاحب كشف الظنون : وهو كتاب مختصر مفيد على مائة وخمسين باباً في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية الخ . . انظر تعليق البرهان هامشه ص ٣٢٦

(٢) سورة التوبة . . آية ٦ -

وقوله (ولو تمول علينا بمرض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ^(١)) سبحانه هذا
بهتان عظيم .

و خلاصة الكلام في هذا الموضوع : أن القراءات القرآنية سنة
متبعة ونقل محض . . تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من
الله تعالى بواسطة جبريل أمين الوحي وأن الركن الأساسي في
نقل القرآن الكريم - كما يظهر للمتأمل - هو التواتر - كما حقق
ذلك صاحب غيث النفع - وأما الركنان الباقيان - موافقة
القراءة الرسم واللفظة العربية - فالغالب أنهما أضيفا
اليه للوقاية والاستعداد ما من شأنه قد يؤدي إلى الفوضى في القراءة
عند المتأخرين وليكون من الثلاثة ما ينطبق تمام المطابقة على
القراءات العشر المعروفة . . والله أعلم .

.. ..

(١) سورة الحاقة آية : ٤٤-٤٧ .

الفصل الثالث

مصداق القراءات

وما لا شك فيه أن القراءات القرآنية سذة متبعة ونقل محض
نقلها النبي صلى الله عليه وسلم عن الله بواسطة جبريل أمين الوحي
ثم نقلها الصحابة رضي الله تعالى عليهم أجمعين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونقلها التابعون عن الصحابة ثم تناقلها من تلامه من
أجيال المسلمين جيلا عن جيل ، شأنها في ذلك شأن الحديث
الشريف بل هي أقوى منه وذلك لتوافر الدواعي على نقل القرآن
بالتواتر .

ويعنى هذا : أن المصدر الذي أخذت منه القراءات تلك
الروايات التي تتحدث عما سمع من في رسول الله صلى
الله عليه وسلم من القراءات بواسطة جبريل عن الله تعالى .

و تتمثل هذه الروايات القرآنية في الآتى :-

- (١) الاختلافات بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في عهد
كالذى حدث بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم (قال البخارى
رحمه الله تعالى : ثنا سميد بن عفير ، حدثنا ، الليث حدثنى
عقيل عن أبى شهاب ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير
. ان . المسور بن مخزومة وعبد الرحمن بن عبد القادرى ، حدثاه :
أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سمعت هشام
بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم
فاستسمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها
رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فكدت أساوره فى الصلاة

فتبصرت حتى سلم ، فلبيتسه بردائه ، فقلت ! من أقرأك هذه
السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت : كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أقرأنيها على غير ما قرأت ، فأنطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقلت : انسى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على
حروف لم تقرأنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أقرأ
يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال صلى الله
عليه وسلم (كذلك أنزلت)) ثم قال : (اقرأ يا عمر) فقرأت
القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كذلك
أنزلت) (أن القرآن - أنزل على سبعة أحرف فأقرأوه ما تيسر منه)^(٢)

(٢) الاختلافات التي وقعت في عهد عثمان رضي الله عنه في القراءات
والتي نجم عنها توزيع القراءات على المصاحف التي بعثها عثمان رضي
الله عنه في القراءات والتي نجم عنها توزيع القراءات على المصاحف التي
بعثها عثمان رضي الله عنه الى الامصار وطورها ونظمها وألف
المختصون فيها حتى عرفت بهذا العنوان (القراءات المتواترة)
أو القراءات السبع المشهورة) وفهمنا من ذلك أن المصدر الوحيد
للقرآات عند المسلمين هو الرواية المتواترة الثابتة عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

— وقد نقل ابن الجزري عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت —
الصحابية وعن ابن المنكدر وعروة بن الزبير وعمر بن

(١) أنظر فضائل القرآن لابن كثير ع ٣٦ .

عبد الصمير وعامر الشعبي من التابعين : أنهم قالوا : والقراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول . فاقروا^(١) أو كما علمتموه)

ويقول أبو عمرو وعثمان بن الصلاح : (يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قرآنا^(٢) .

ويقول ابن الجزرى رحمه الله تعالى : (واليحذر القارىء الاقراء بما يحسن فى رأيه دون النقل أو وجهه اعراب أو لغة دون رواية^(٣))

ويقول أبو عمرو والدانى عثمان بن سعيد رحمه الله تعالى : ()
() ووأتمية القراءة لا تمتد فى شىء من حروف القرآن على الافشى فى اللغة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأمر والاصح فى النقل والرواية اذا ثبت عندهم لا يرد لها قياس عربية ولا فشوا لفة . . لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها^(٤) وهذه هى القراءات القراءات المهيبة عند السلف الصالحين الذين وفقهم الله لاتباع الحق ولكن شذ قوم منهم ابن مقسيم^(٥)
حيث نهىهم سبب الى جواز القراءة بما وافق الرسم وان لم يـــــــرو^(٦)

(١) انظر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١٧/١

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٣٨/١

(٣) انظر منجد المقرئين لابن الجزرى ص ٣

(٤) انظر مناهل العرفان ٤١٥/١

(٥) انظر غيث النفع ص ٢١٨ .

هذا من المتقدمين .

و من المعاصرين أبو القاسم الخوافي الذي قرأ القرآن القراءات اجتهاد
من القراء^١ و ابراهيم الابيارى الذى نصى على أنها اجتهاد .
وجاء فى الاتقان : () وقال قوم من التكلمين : أنه يسوغ أعمال
الرأى والاجتهاد فى اثبات قراءه وأوجهه اذا كانت تلك الأوجه
صوابا فى العربية وان لم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم
قرأ بها .

و أبى ذلك أهل الحق و أنكروه وخطئوا من قال به^(١) والرأى
بأن القراءة اجتهاد مخالف لما عليه المسلمون عامة علما وعملا وذلك كاف
فى رده . والله أعلم .

.. ..

(١) أنظر الاتقان للسيوطى ٧٨ / ١ نقلا عن الانتصار للقاضى أبى بكر
الباقلانى .

الفصل الرابع

اختلاف القراءات وأسبابه

الاختلاف في اللغة أن يكون الأمر في جهة والآخر في جهة أخرى
وفي اصطلاح القراء امام من أئمة القراءات الى أن ينطق
حرفاً من حروف القرآن الكريم مخالفاً به غيره من القراء وقد عرفت
بذلك الحرف بسبب المواظبة عليه ولزومه به والاقراء به والاختيار به
ثابتاً ذلك له الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد قسم العلماء رحمهم الله تعالى نسبة القراءة الى الأئمة ومن
بعدهم الى أربعة أقسام هي :

(١) القراءة : اذا نسبت الى أحد الأئمة كقراءة نافع رحمه
الله تعالى . مع اتحاد الرواية والطرق .

(٢) الرواية : اذا نسبت الى الراوي عن الامام كرواية قالون عن نافع .

(٣) الطريق اذا نسبت الى الراوي عن الامام كطريق أبي نسيب
عن قالون .

(٤) الوجه اذا نسبت الى اختياري القاري . (١)

أوجه الاختلاف :

وقد تتبع كثير من العلماء القراءات القرائية على اختلاف انواعها
محاولين حصر وجوه الاختلاف فيها وضوءها الأعلام مثل ابن
قتيبة والفخر الرازي وابن الجزري وابن عبد البر .

(١) أنظر اتحاف فضلاء البشر للدماطي ص ١٧-١٨ .

وانتهت محاولات الجميع الى أن أوجه الاختلاف في القراءات منحصرة

في الآتي :-

(١) الاختلاف في حركات الكلمة بلا تفسير في معنى الكلمة

و صورتها نحو (ويضيق صدرى) ^(١) حيث قرئ برفع . .

((يضيق)) ونصبها .

(٢) الاختلاف في الحركات مع تفسير المعنى وبقاء الصورة نحو

((وكفلها زكريا)) ^(٢) فقد قرئ بتخفيف الفمـلـ

ورفع (زكريا) وقرئ بتشديد اطفـمـل ونصبـيـ

(زكريا) .

(٣) الاختلاف في حروف الكلمة مع تفسير معنى الكلمة وبقاء صورتها

نحو (انظر الى المظام كيف ننثرها) ^(٣) حيث

قرئ (ننثرها) بالزاي المعجمة ، وقرئ (ننثرها)

بالراء المهلطة .

(٤) الاختلاف في الحروف مع تفسير الصورة وبقاء المعنى نحو

(و زادكم في الخلق بسطه ^(٤) بالسين المهلطة و (بسطه)

بالصاد المهلطة .

(٥) الاختلاف في الحروف مع تفسير المعنى وتغيير الصورة نحو :

(وطلع مفضود) حيث قرئ (وطلع) بالحاء المهلطة

(١) الشعراء آية : ١٣

(٢) سورة آل عمران آية : ٣٧

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٩ .

(٤) سورة الأعراف : ٦٩ .

.....

(واطلح بالعين المهبطة ^(١)) .

(٦) الاختلاف في التقديم والتأخير نحو (و قتلوا و قاتلو) ^(٢)

(٧) الاختلاف في الزيادة والنقصان نحو قوله تعالى (و ما عطسته

أيديهم) الذي قرئ أيضا ^(٣) (و ما عطت أيديهم) وقولسه

تعالى (فان الله هو الفنى الحميد ^(٤)) الذي قرئ أيضا

(فان الله الفنى الحميد) .

أسباب الاختلاف

أما أسباب الاختلاف فقد اختلف فيها على أقوال هي :

(١) اختلاف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم . . فقد ورد أن

النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتزم عند تعليمه القرآن

للمسلمين لفظا واحدا .

وقد تقدم لك مثال ذلك في اختلاف عمرو وهشام في قراءة

سورة الفرقان حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرأ

كلا منهما بما لم يقرئ الآخر .

(٢) اختلاف النزول

ذهب الى هذا القول صاحب كتاب الصان في مقدمته

حيث قال (و الوجه الثالث من القراءات هو ما اختلف باختلاف

النزول بما كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم - القرآن

على جبريل في كل شهر رمضان ، وذلك بعد ما هاجر

(١) سورة الواقعة : ٣٩ . (٢) سورة يس : ٣٥

(٣) سورة آل عمران : ١٩٤ . (٤) سورة الحديد : ٢٤

الى المدينة - فكان أصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقون
منه حروف كل عرض ، فمنهم من يقرأ على حرف و من يقرأ
على آخر الى أن لطف الله - عز وجل - فجمعهم على آخر
العرض أو على ما تأخر من عرضين أو ثلاثة حتى لم يقع
فى ذلك اختلاف الا فى أحرف قليلة ، والذي وقع من هذه الاختلافات
فرقها أصحاب رسول الله (ص) على المصاحف العثمانية ولهذه العلة
اختلف مصاحف أهل الشام وأهل العراق^(١) وأهل الحجاز
فى أحرف معدودة ويؤيد هذا القول ما روى فى قصة عمر وهشام
التي مر ذكرها فى فصل مصادر القراءات حيث جاء فيها قوله
صلى الله عليه وسلم : (كذلك أنزلت) ما يدل على أن اختلاف
القراءة فيها بسبب تمدد النزول .

(٣) اختلاف الرواية عن الصحابة رضى الله عنهم : وهو مذهب جمهور

المقرئين . . جاء فى تاريخ القرآن للكردى ج : (وسبب

اختلاف القراءات السبع وغيرها كما قال ابن أبى هاشم أن الجهات

التي وجهت اليها المصاحف كان بها من حمل منه أهل تلك الجهة

وكانت المصاحف خالية من النقطة والشكل .

- قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة

والصحابه بدورهم كانوا قد تلقوه سماعا من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وكان^{بعض} ما تلقوه مختلفا كما قال الزرقانى رحمه الله تعالى :

(١) أنظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادى الفضل ص ٩٣ .

و ثم ان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قد اختلفوا
أخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمنهم من أخذ
القرآن عنه بحرف واحد و منهم من أخذ عنه بحرفين و منهم
من زاد ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال فاختلفوا
بذلك أخذ التابعين عنهم . . . وأخذ التابعى التابعين وهم
جسرا حيث وصل الأمر على هذا النحو الى الأئمة القراء
المشهورين الذين تخصصوا وانقطعت للقراءات يضبطونها
و يسنون بها وينشرونها . (١)

وهذا القول الثالث والقول الأول موادهما واحد تماما لأن
قراءة الصحابة هي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وان كانوا
مختلفين فيما بينهم لأن كلا منهم تلقى القراءة عنه صلى الله
عليه وسلم والاختلاف بين القولين اختلاف لفظى كما هو
واضح .

(٤) اختلاف اللفات أو اللهجات :

وأول من ذهب الى هذا القول ابن قتيبة في كتابه (تأويل
مشكل القرآن) و تبعه أبو شامة حيث قال : (القرآن العربى
فيه من جميع لغات العرب لأنه أنزل عليهم كافة فاختلفت القراءات
فيه لذلك) (٢)

(١) أنظر مناهل العرفان ١ / ٤٠٦

(٢) أنظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادى ص ٩٥ .

ومن المعلوم أن هذا السبب لم يكن الحلة عندهم - لجميع -
اختلافات القراءات وإنما لبعضها .

وذلك أننا لو ألقينا نظرة قصيرة على مفردات القراءات لرأينا
أن ليس كل القراءات . . . لهجات .

ولنأخذ مثالا - القراءات التالية

يخدعون - يخادعون - يكذبون - يكذبون - فأزلهما - فأزالهما
لا يقل - لا تقل - ووعدنا - ووعدنا . . . الى غير ذلك .
- ثم تأتي اللهجات في مثل ما ذكره ابن قتيبة من ذلك بامالة
وادغام وما شكاكلها وفي بعض الكلمات مثل الصراط " فيسه
ثلاث قراءات السين والصاد والاشمام وكلها لغات العرب
قد تلقيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعليهم
والقدسى ويهسب . . الخ . .

وهذا السبب أيضا يرجع الى السبب الأول يعنى : قراءة
الرسول (على الله عليه وسلم) والحق أن أصحاب هذه اللغات
لم يقرؤا من عند أنفسهم بل لقنهم النبي صلى
الله عليه وسلم ايها ليسهل عليهم أخذ القرآن
بلغتهم التي تعودوها .

(٥) عدم نقط وشكل المصاحف الأئمة واجتهاد القراء
في قراءتها دون اعتماد على رواية ونقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم .

وهذا القول مذهب المستشرق جولدم تسهيل ومن لف لفه مثل ابراهيم اليبارى الذى نعى على أن القراءات اجتهاد من القراء حيث قال هذا المستشرق : (وترجع قسم كبير من هذه الاختلافات الى خصوصية الخط العربى ، الذى يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط .

بل كذلك فى حالة تساوى المقادير الصوتية ، يدعو اختلاف الحركات الذى لا يوجد فى الكتابة العربية الأصلية ما يحدد به الى اختلاف مواقع الاعراب للكلمة وبهذا الى اختلاف دلالتها (٢)

وإذا فاختلاف هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات فى الحصول الموصل القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول فى نشأة حركة اختلاف القراءات فى نصوص لم يكن منقوطة أصلاً أو لم تتحصرى الدقة فى نقطه أو تحريكه (٣) .

(١) اجناس كولد مهورولد سنة ١٢٦٦ و توفى سنة ١٣٤٠ هـ هو

مستشرق مجرى موسى - رحل الى سوريه سنة ١٨٧٣ فتصرف

بالشيخ طاهر الجزاوى - انظر الاعلان للزركلسى ٨٠/١

(٢) انظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادى ص ٩٧ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٩٧ .

وقد تصدى للرد على جولد تسهير كثير من العلماء منهم:

- (١) عبد الواحد حموده في كتابه : (القراءات واللهجات) الفصل العاشر .
 - (٢) محمد ظاهر الكردى في كتابه (تاريخ القرآن - الرد على الأنفج القائلين باستنباط القراءات من الرسم) .
 - (٣) الدكتور عبد الرحمن السيد في بحثه (كولد تسهير والقراءات) المنشور بمجلة المريد باصدار جامعة البصرة .. السنة الأولى ، العدد الأول .
 - (٤) لمبب السميد في كتابه (المصحف المرتل)
 - (٥) الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله تعالى في كتابه (القراءات في نظر المستشرقين والمطهدين) .
- وخلاصة هذه الردود من هؤلاء العلماء الأجلاء وجزاهم الله خيرا عن القرآن وأهله كالاتى :-
- (١) أن شيوع ظاهرة القراءات القرائية قبل تدوين المصاحف الأئمة وكان الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا حفظ المصاحف والكتب (١)
 - (٢) ظهور حركة القراءة قبل وجود النقط والشكل كما
 - مر .
 - (٣) اعتماد القراءات على النقل والرواية كما تقدم ونذكر هنا

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٦/١ .

أيضا قول الصفاقسي في كتابه (غينست النفع)^(١) وقال
الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن الحاج في (المدخل) :
لا يجوز لأحد أن يقرأ بما في المصحف الا بعد أن يتعلم
القراءة على وجهها أو يتعلم مرسوم المصحف^٤ وما يخالف منه
القراءة فان فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة^(٢)
وقوله الآخر في المصدر نفسه : (لا يلزم موافقة التلاوة للرسم
لأن الرسم سنة متبعة قد توافقت التلاوة وقد لا توافقه انظر
كيف كتبوا (وجائى) بالألف قبل الياء و...
(لا أذبحنه) و (ولا أضفوا) بألف بعد (لا)
ومثل هذا كثير والقراءة بخلاف ما رسم) .
وقد ذكرنا هذا القول - وان كان مرفوضا أساسه (كما
علمت لبيان بطلانه .. والله أعلم .

.. ..

(١) انظر ص ٢١٨

(٢) أنظر القراءات القرآنية ص ٩٩ .

الفصل الخامس

قواعد اختلاف القراءات

وقواعد اختلاف القراءات كثيرة منها :

(١) التخفيف عنلى هذه الأمة وإرادة اليسر بها شرفها لها ورحمة بها كما ثبت فى الصحيح : (ان القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف وان الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد وذلك أن الأنبياء بحثوا عليهم الصلاة والسلام الى قومهم الخاضعين بهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم بحث الى جميع الخلق احمرهم وأسودهم وعربهم وعجمهم . وان العرب الذين نزل القرآن بلفظهم كما لغاتهم مختلفة والسنتهم شتى و يحسر على أهدهم الانتقال من لغة الى غيرها أو من حرف الى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك لا بالتعليم ولا بالمساج لاسيما الشيخ والمرأة المجوز ومن لم يقرأ كتاباً قط كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم فلو كلفوا المدول عن لغتهم والانتقال عن أسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطيع فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرئ كل قبيلة بلغتها الأصلية وما جرت عليه عادتهم فالتميم يهمز والقريش لا يهمز والآخرون يقرأ (قيل وغيض بأشمام الضم مع الكسر .

وهذا يقرأ عليهم وفيهم بالضم والآخرون يقرأ عليهم و منهموا الى غير ذلك ولو أراد كل فسويق من هؤلاء أن يـزول

عن لفته وما جرى اعتياده طفلا و ناسنا و كهلا لا شتد
ذلك عليه و عظمت المحنة فيه ولم يمكنه الا بعد رياضة
النفس مدة طويلة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل
لهم متسعاً في اللغات الكثيرة عليهم في الدين .

(٢) ما في ذلك من نهاية البلاغة و كمال الاعجاز و غاية الاختصار و جهال
الايجاز اذا كل قراءة منها بمنزلة^(١) الآية ان كان
تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية
على حدتها لم يخفف ما كان في ذلك من التطويل .

(٣) ما في ذلك من عظيم البرهان و واضح الدلالة ان هو مع كثرة الاختلاف
و تنوعه لم يتطرق اليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل
كله يصدق بعضه بعضا و يبين بعضه بعضا و يشهد بعضه
لبعض على نضط واحد و ما ذاك الا آيات بالصفة
وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم^(٢)

(٤) سهولة حفظه و تيسير نظمه على هذه الأمة ان هو على هذه
الصفة من البلاغة والوجازة فانه من يحفظ كلمة ذات أوجه
أسهل عليه و أقرب الى فهمه و ادعى لقبوله من حفظه
جملا من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة .

(٥) اعظام اجور هذه الأمة من حيث انهم يفرغون جهدهم في تتبع معاني
ذلك و استنباط الحكم والأحكام من دلالة كميل لفظ

(١) أنظر النشر لابن الجوزي ص ١/٥٢

(٢) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ص ١/٥٣

واستخراج كمين أسراره وامنهم النظر وامنهم الكشف
عن التوجيه والتعليل والترجيح والتفصيل بقدر ما ييلع
غاية علمهم ويوصل اليه نهاية فهمهم () فاستجاب لهم
ربهم أنسى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) والأجر
على قدر المشقة .

(٦) بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم
كتاب الله ربهم هذا التلقى وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث
عن لفظة لفظة والكشف عن صيغة صيغة وإتقان تجويده حتى
حموه من خلل التحريف وحفظوه من الطغيان والتطيف فلم
يهطوا تعجز يكما ولا تسكيننا ولا تخميما ولا ترقيقا
حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الامالات وميزوا بين الحروف
بالصفات ما لم يهتد اليه الا بآلهام باري النعم .

(٧) ما ادخره الله تعالى من المنحة العظيمة والنعمة الجليلة
الجسيمة لهذه الأمة الشريفة من اسنادها كتاب ربها واتصال هذا
السبب الالهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الامانة
المحمدية واعظا مما لقدر أهل هذه الملة العنيفة .

وكل قارىء يوصل حروفه بالنقل الى أصله ويرفع ارتيابه
الاتحاد قطعا بوصله فلولم يكن من الفوائد الا هداه الفائدة
الجليلة لكفت - ولها يكن من الخصائص الا هذه الخصيصة
النبيلة لوفت . (١)

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٥٣/١ .

(٨) ظهور سر الله تعالى في تولية حفظ كتابة المزهر وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز فان الله تعالى لم يخل عصرا من العصور ولو في قطر من الأقطار من امام هجرة قائم بنقل كتاب الله تعالى واتقان حروفه ورواياته وتصحيح جوده وقراءته يكون وجوده سببا لوجود هذا السبب القويم على سمر الدهور . . ويقاوه دليلا على بقاء القرآن العظيم في المصاحف وأصدور (١) .

(٩) الجمع بين حكمتين مختلفين بمجموع القراءتين كقوله تعالى :
(٢٣) (فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) . . الآية
قرىء اللفظ الكريم (يطهرن) بالتخفيف والتشديد ففى حرف الطاء ولا ريب ان صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة فى طهر النساء من الحيض لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وأما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة ومجموع القراءتين يدل على أمرين :

أحدهما : أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بانقطاع الدم .

وثانيهما : أنها لا يقربها زوجها أيضا إلا ان بالفت فى الطهر .

وذلك بالاعتقال فلا بد من الطهر من كليهما فى جواز

قربان النساء وهو مذهب الامام الشافعى ومن وافقه .

(١) أنظر النشر ٥٤/١ .

(٢) سورة البقرائة ٢٢٢ .

(١٠) الدلالة على حكمين شرعيين ولكن فن حالتين مختلفتين كقوله تعالى
في بيان الوضوء (فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق واسحوا
برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) .

قرئ بلفظ ^{ينصب} (وأرجلهم ، ويجزئ) فالنصب يفيد طلب غسلها
× لأن العطف هينئذ يكون على لفظ (وجوهكم) المنصوب
وهو مفسول .. والجريفيد طلب مسحها لأن العطف
هينئذ يكون على لفظ (رؤوسكم) المجرور وهو . مسح
وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسح يكون للابس
الخف وأن الفسل يجب من لم يلبس الخف والقراءاتان
أفادت أن كلا الحكمين جميعا .. والله أعلم .

.. ..

الفصل السادس

أنواع اختلاف القراءات

ذكر ابن الجزري أنه تدبر اختلاف القراءات كلها فوجده

أنه لا يخلو من ثلاثة أحوال :-

أحدها : اختلاف اللفظ والمعنى واحد .

الثاني : اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد ،

والثالث : اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد

بل تيفقان من وجه آخر لا يقضى التضاد .

فأما الأول فكالإختلاف في الصراط ، وعليهم ويسوده

والقدس ، وبمسب ، ونحو ذلك ما يطلق عليه أنه لغات فقط .

وأما الثاني فنحو (مالك ، ملك في الفاتحة لأن المراد فسوس

القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وطيبه ، وكذا (يكذبون

ويكذبون) بتخفيف الذال وتشديد ها لأن المراد بهما المنافقون

لأنهم هم الذين يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكذبون فسوس

أخبارهم وكذا كيف نشرها (بالراء والزاي لأن المراد بهما فسوس

المظالم وذلك أن الله تعالى أنشرها أي أحياها وأنشرها أي رفع

بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى الممنين فسوس

القراءتين .

وأما الثالث : فنحو : (وظنوا أنهم قد كذبوا بالتشديد

والمستغيفف ، وكذا (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال)
بفتح اللام الأول ورفع الأخرى ، وبكسر الأول ونصب الثانية
وكذا (للذين هاجروا من بعد فتوا وفتنوا) بالتسمية والتجهيل
وكذا (قال لقد علمت) بضم التاء وفتحها فاءن في ذلك كله
وان اختلف لفظا ومعنى وامتنع اجتماعه في شىء واحد
فانه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد .

والتناقض

فأما وجهه تشديد (كذبوا) فالمعنى : وتيقن الرسل
أن قومهم قد كذبوهم ، ووجه التخفيف فالمعنى : وتوهم
الرسل اليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن
في القراءة الأولى يقين والضامير الثلاثة للرسل . . والظن
في القراءة الثانية شك والضامير الثلاثة للمرسل اليهم . (١)
وأما وجهه فتح اللام الأول ورفع الثانية من (لتزول) فهو أن
يكون (ان) مخففة من الثقيلة أى : وان مكرهم كان من الشدة
بحيث تقطع منه الجبال الراسيات من مواضعها .

وفي القراءة الثانية : ان نافية : أى : ما كان مكرهم وان
تمازجتم وتفاقم ليزول منه أمر محمد على الله عليه وسلم

(١) انظر النشر لابن الجزرى ١/٥٠ - ٥١ .

ودين الإسلام ففي الأول تكون الجبال حقيقة وفي الثانية مجازاً^(١)

وأما وجه (من بعدما فتنوا) على التجهيل فهو أن الضمير

يعود للذين هاجروا (وفي التسمية يعود الى (الخاسرون) .

وأما وجه ضم تاء (علمت) فإنه أسند العلم الى موسى

حدِيثاً منه لفرعون حيث قال لموسى : (انى لأظنك يا موسى

مسحوراً) فقال موسى على نفسه (علقت ما أنزل هو ولا

الا رب السموات والأرض بماتر فأخبر موسى عليه السلام

عن نفسه بالعلم بذلك أى أن العالم بذلك ليس بمسحور .

ووجه قراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم لفرعون

مخالفة من موسى بذلك على وجه التقريع لشدة معاندته

للحق بعد علمه ، فليعلم بعد ذلك علم اليقين أنه ليس فى

شئ من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض^(٢)

.. ..

(١) أنظر النشر فى القراءات المشر لا بن الجزرى ١ / ٥١ .

الفصل السابع

بيان معنى الاختيار في القراءات

والاختيار في اصطلاح القراء أن يختار القارئ من بين قراءته وروياته التي أتقنها ليدوام عليها ويلزمها ويمسرف بها وتؤخذ عنه فتسبب اليه قراءة معينة .

ومثال ذلك أن يكون القارئ قد أتقن القراءات المشـرر المتواترة فيختار من بين هذه القراءات - مثلا - قراءة نافـع فيقرئ الناس بها ويداوم عليها ويلزم عليها . . فنافع - مثلا - قرأ على سبعين من التابعين واختار ما قرأه ورواه عنهم ما تفق عليه اثنان .

وترى ما سوى ذلك وهكذا سائر القراء وعبارة

القرطبي التالية تعطينا صورة واضحة عما ذكرنا :

قال في تفسيره :

(وهذه القراءات المشهورة هي اختيـصارات أولئك الأئمة

القراء ، وذلك أن كل واحد منهم اختار ما روى وعلم وجهه من

القراءات ما هو الأحسن عنده (١) والتزمه ورواه وأقرأه ، وعرف

به ونسب اليه فـقيل قراءة نافـع وقراءه ابن كثير) .

وتعرفنا على معنى الاختيار في القراءات يوهـك لنا أيضا أن اجتهاد

(١) انظر القراءات المشهورة للدكتور عبد الهادي الفضل ع ١٠٥ .

القراء لم يكن في وضع القراءات - كما توهم البعض - وإنما هو في اختيار الرواية ، وفرق بين الاجتهاد في اختيار الرواية والاجتهاد فتنسي وضع القراءة .

والحظير المجمع عليه عند المسلمين منسب على الاجتهاد في وضع القراءة لا الاجتهاد في اختيار الرواية . . . والى ذلك أشار ابن الجزرى بقوله : عن نسبة القراءة الى القارىء وإضافتها اليه بأنها (إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد^(١))

ويعنى بذلك أن القارىء يختار القراءة ويدوم عليها

ويلزمها حتى يشتهر بها ويقصد اليه فيها فتسبب اليه .

الا أن الاختيار عند القراء الأواثل كالسبحة أو المشطرة

أو من سبقهم أو عاصروهم كان ينبع من المصادر والوجوه .

والاختيار عند العلماء وأهل الأداة من المتأخرين

كان اختياراً من حروف القراء السبحة أو العشرة كاختيارات

الدانى وابن الجزرى .

وليس معنى الاختيار أن يفضل الشخص قراءة متواترة

على قراءة متواترة مثلها معتقداً أن هذه القراءة المختارة هى

أصوب من الأخرى وليس هذا بمعنى الاختيار المعلوم عند القراء بل

هو طعن في القراءة المرجوحه كما سبق الإشارة اليه ذلك . . . والله أعلم . . .

(١) انظر النشر في القراءات العشر ١ / ٥٢ ، والقراءات للدكتور الفضلى ص ١٠٥

الفصل الثامن

الفرق بين القراءات والتجويد

وما لا شك فيه أن علم القراءات وعلم التجويد يتداخلان في دراسة ما يرتبط بتلاوة القرآن الكريم من مسائل ، ومن هنا نعرف أن بينهما تداخلا في جملة الموضوعات حتى عادت تلك الموضوعات مجتمعة مشتركة بينهما .

وإذا أردنا أن نعرف الفرق بين القراءات والتجويد فملينا - قبل كل شيء - أن نطلب معرفة ذلك من خلال تعريف كل منهما وذكر أسماؤها وموضوعاتهم منتهين بعد ذلك إلى بيان وتحديد نقاط الالتقاء ونقاط الافتراق ونعيدهم تعريف ابن الجزري المتقدم للقراءات في فصل تعريف القراءات وهو :

((القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لنا قلها)) (١) .

ويعنى هذا التعريف : أن علم القراءات يبحث في الصورة اللفظية للكلمة القرائية :

وإذا تأملنا في كتب القراءات التي تضع القواعد لها نجدها تقسم القراءات إلى قسمين :-

(١) انظر منجد المقربين لابن الجزري ص ٣ .

(١) القسم الأول : الأصول :

ويقصد بها الأحكام العامة التي تأخذ شكل قواعد تطرد في عموم الكلمات القرائية . . وفق مواردها .

(٢) القسم الثاني : الفروع :

ويصطلح عليها بالفرش (ويراد بها الأحكام الخاصة التي تقتصر على موارد الجزئية فقط والأصول القرائية : (أمثال : الإدغام : ها الكناية المد والقصر الهمز . . أحكام الميم الساكنة . . وأحكام النون الساكنة والتنوين ، الفتح والامالة وبين اللفظين الوقف . والفرش القرائي مثل ما ورد في قرآت سورة الفاتحة حيث قرأ عام والكساعي (مالك) بالألف وقرأ باقي السبعة (ملك) بغير ألف وشكنا في جميع السور .

و أما التجويد فقد عرفه الشيخ زكريا الأنباري (في الدقائق المحكمة ص ٨) بقوله : (والتجويد لغة التحسين واعطائها تلاوة القرآن بآء عطاء كل حرف حقه من مخرجه وعنفته)^(١)

وقال بعضهم : تجويد القراءة : هو تصحيح الحروف وتقويمها واخراجها من مخرجها وترتيبها مراتبها وردها الى أصولها

(١) أنظر القراءات القرائية للدكتور الفضل ص ١٢٧ .

والحاقها بنظائرها .

ويقهم من ذلك أن تجويد القراءة يثقف على أريحة أمور :

أحدها : معرفة مخارج الحروف .

الثاني : معرفة صفاتها .

الثالث : معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام .

الرابع : رياضة اللسان وكثرة التكرار .

ونستطيع أن نقول بتفكير آخر : ان علم التجويد يبحث عن

المسورة الصوتية للحرف الهجائي القرائي .

أما موضوعات التجويد فأمثال : مخارج الحروف وصفات

الحروف ، أحكام الميم الساكنة ، أحكام النون الساكنة والتووين

، المد والقصر ، الادغام ، الوقف .

وخلاصة القول في هذا :

(١) أن علم القراءات وعلم التجويد يلتقيان في دراسة بعض موضوعات

ما يعرف بالأصول القرائية عند القراء . . أمثال : أحكام

النون الساكنة والتووين والوقف والادغام .

(٢) وأن علم القراءات ينفرد يبحث ما يعرف بالفرش أو الفروع

القرائية

(٣) وأن علم التجويد ينفرد يبحث مخارج الحروف وصفاتها

والذي نقر به أن علم التجويد انبثق من علم القراءات

في فترة مبكرة مقتصرًا على دراسة أحكام الأصوات والتي
تتمثل بشكل واضح في مخارج الحروف وسمفاتها . (١)

والله أعلم ،

(١) انظر القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادي الفضل ص ١٢٨ .

الباب الثالث

القراءات التي أنكرها الشيخ في تفسيره

باب الثالث

فسى . .

بيان القراءات المتواترة التي أنكرها الشيخ
فسى تفسيره

وهذا الباب الذي جعلته عنوان هذه الرسالة يتضمن القراءات

التي أنكرها ونفى عنها عفة الصواب ، والقراءات التي فضل بعضها

على بعض مع تواتر الجميع .

وانما جعلتها باها واحدا لأن تفضيل القراءة المتواترة

عن مثلها يعتبر انكارا لقراءة مرجوحه دون الراجحه وهذا أمر

منهى عنه عند السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

(١)

ولهذا حكى أبو عمر الزاهد : في كتاب (اليواقيت) عن ثعلب

أنه قال : (^{إذا}) (^أ) اختطف الاعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل اعرابا

على اعراب في القرآن وإذا خرجتالى الكلام (كلام الناس)

فضلت الأقوى وهو حسن .

(١) اليواقيت في اللفظة : لأبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز

صاحب ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ - انظر كشف الظنون

وقال أبو جعفر النحاس : (حكى اختلافهم في ترجيح (فك
رقبة) بالمصدرية والفعلية فقال : (والديانة تحظر الطعن
على القراءة التي قرأ بها الجماعة ولا يجوز أن تكون مأخوذة الا عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال : (أنزل القرآن على سبعة
أحرف) .

فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم احدهما على
الأخرى (١)

وقد قرر صاحب هذا القول أن تفضيل قراءة متواترة على
مثلها يعد طعنا في القراءة المرجوحة وهذا هو الواقع بل شك .

وقال أبو جعفر النحاس أيضا : (السلامة عند اهل
الدين أنه اذا سمعت القراءتان عن الجماعة الا يقال : أحدهما
أجود لأنها جميعا عن النبي صلى الله عليه وسلم فيأثم من
قبح ذلك وكان رؤساء الصحابة رضى الله عنهم ينكرون مثل هذا (١) .
ومن هنا نصرف أن انكار القراءة المتواترة وتفضيلها
على مثلها هو عين الطعن فيها .

(١) أنظر البرهان في علوم القرآن ١/٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للنزكشى ١/٣٤٠ .

أقول وبالله التوفيق : ليس هذا العمل الذى لردت القيام
به أمرا يطعن علم الشيخ رحمه الله تعالى ويمس فضله
وكرامته و يقلل قيمته ، وانما هو بيان للحقائق العلمية التى
يجب أن يكشف النقاب عنها . ويلقى الضوء عليها .

لأن الكلمة التى تصدر عن العلماء الأجلاء = مثل هذا
الشيخ الذى ^{هو} جبل من جبال الدينا = سواء كانت صوابا
أو غيره = تسير بها الركبان وتطير بلا جناح .

وبيان الملاحظات فيها أخرى وأقدم من بيان مقالة
الناس الآخرين .

ولهذا قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فيما استدركه
على أبى عبيد - وذلك نيف وخمسون موضعا :

(ولا نعلم أن الله عز وجل أعطى أحدا من البشر موثقا
من الخلو طوأمانا من الخطأ فنستنكف له منها بل وصل عبادة بالعجز

(١) انظر كتاب (تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة) ص ١٢-١٣ .

وقرنهم بالحاجة ووصفهم بالضعف والمجلة فقال : (وخلق

الانسان ضعيفا) (وخلق الانسان من عجل) و (وفوق

كسلى علم عليم) ،

(١)

ولا نعلمه حتى بالعلم قوما دون قوم ولا وقفه على زمن دون

زمن بل جعله مشتركا مقسوما بين عبادہ يفتح لآخر منه ما أغلقه

عن الأول وبنه المقل منه على ما أغفل عنه المكثر ، ويحييه بما خسر

يتمقب قول متقدم وتال يمتبر على ماضى .

وأوجب على من علم شيئا من الحق أن يظهره وينشره

وجعل ذلك زكاة العلم كما جعل الصدقة زكاة المال . وقد

قيل اتقوا زلة العالم ، وزلة العالم لا تعرف حتى تكشف ، وان لم

تعرف هلك بها المقلنون ، لأنهم يلقونها من العالم بالقبول ،

ولا يرجعون الا بالاظهار لها واقامة الدلائل عليها ، واحضار

البراهين . . وقد يظن من لا يعلم من الناس ، ولا يضع الأمور

مواضعها أن هذا اغتيا بالعلماء ، وطعن على السلف ، وذكر

للسوتى وكان يقال : اعف من ذى قبر وليس ذلك كما ظنوا لأن

الغيبه سب الناس بلئسيم الاختلاف وذكرهم بالفواحش

وهذا هو الأمر العظيم المشبه بأكل لحوم الميتة فأما هفوة فى حرف

أوزلة فى معنى أو اغفال أو وهم أو نسيان فعماد الله أن يكون

(١) انظر كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبه ص ١٢-١٣ .

هكذا من ذلك الباب وأن يكون المنبه عليه آشبا بل يكون مأجورا
عند الله مشكورا عند عباده الصالحين الذين لا يعيل بهم هوى
(١)
ولا تدخلهم عسية ولا يجمعهم على الباطل تحزب (٠٠٠)

هذا
ومد فأنه في علاج الموضوع نهجا متواضعا ان شاء الله
تعالى والتزم هذه الطريقة غالبا وهى :

أنى أكتب أولا الآية التى جاءت فيها تلك القراءات التى . .
تعرضها الشيخ وأذكر رقمها فى الهامش غالبا ثم أعرض
نص كلام الشيخ رحمه الله تعالى رحمة واسعة الذى أتى فيه بتلك
القراءات المذكورة بتامه ظاهريا وان طال ليكون القارئ على تصور
تام ما نقوله هل كذبنا عليه أو ذكرنا ما هو الواقع ثم نرد على
ذلك بما فتح الله علينا من الأدلة بأسلوب مهذب .

ثم أذكر أصحاب القراءات التى تعرضها ببيان أسماءهم
وهم القراء العشرة الذين اشتهرت عنهم القراءات العشر المتواترة
ثم نوجه القراءات ونذكر آراء علماء التوجيه فيها وأحيانا أبدى
رأى الخاص مدعما بالأدلة وهكذا الى آخر الباب وأستعين بالله وهو
المستعان فأقول وبه التوفيق .

.. ..

(١) انظر كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ص ١٣٠ .

القرءات

التى فى سورة البقرة

قال الشيخ رحمه الله :

(القول في تأويل (مالك يوم الدين) ثم قال أبو جعفر القسراء
مختلفون في تلاوة (ملك يوم الدين) فبعضهم يثوّه (ملك يوم الدين)
وبعضهم يثوّه (مالك يوم الدين) (١) ينصب الكاف وقد استقصينا
حكاية الرواية عن روى عنه في ذلك قراءة في كتاب القراءات
وأخبرنا بالذي تختار من القراءة فيه والعلّة الموجبة صحّة ما أختارنا
من القراءة فيه فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع إذ كان الذي
قصدنا له في كتابنا هذا البيان عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه
قراءتها ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب أن الملك
من الملك وأن المالك مؤخوذ من الملك فتأويل قسراء
من قرأ ذلك (ملك يوم الدين) أن لله الملك يوم الدين خالهما
دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً
جبابرة ينازعونه الملك وينازعونهم الانفراد بالكبرياء
والعظيمة والسلطان والجبرية فأيقنوا بملقاء الله يوم الدين أنهم
الصفرة الأذلة وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة
والبهاء كما قال جلّ ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله (يوم هم
بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)
فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري ج ١ ص ٥٠

عاروا يوم الدين من ملكهم الى ذلّة و عفار و من دنياهم الى خسار
ثم قال الشيخ رحمه الله و أما تأويل قراءة من قرأ (مالك يوم الدين)
فما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن
عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس (مالك
يوم الدين) يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكما كملكهم
في الدنيا ثم قال لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال عواها .

ثم قال الشيخ : و أولى التأويلين بالآية و أصح القراءتين في
التلاوة عندى التأويل الأول و هى قراءة من قرأ (ملك) بمعنى الملك
ثم وجه القراءة و بالغ في ذلك الى أن قال : فبين اذا أن أولى
القراءتين بالسوا بواجب التأويلين بالكسب قراءة من قرأ
(ملك يوم الدين) بمعنى اخلاص الملك له يوم الدين دون قراءة
من قرأ (مالك يوم الدين) بمعنى أنه يملك الحكم بينهم و فصل
القضاء منفردا به دون سائر خلقه .

هذا نص كلام الشيخ و هذه القراءة التى فضل الشيخ
عليها قراءة (ملك) هى قراءة عامر و الكسائى و يعقوب و خلف
من العشرة و هى قراءة متواترة ثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم و القراءة
الأخرى و هى أيضا متواترة ثابتة عن قراءة منى عدا المذكورين و هم
النبى (ص)
نافع و ابن كثير و أبو عمرو البصرى و ابن عامر و حمزة .

و أقول ان القراءتين متواترتان لا فضل لاحدهما على

الأخرى وأسلوب الشيخ في توجيه هذه القراءات يقتضى تصويب
احدى القراءاة على الأخرى ومفهوم كلامه يدل على أن
قراءة (ملك) صواب وقراءة (مالك خطأ) وليس بمصد السواب
الالخطأ حيث قال : فتبين اذا أن أولى القراءتين بالصواب
وأحسن التأولين بالكتاب قراءة من قرأه (ملك) دون قراءة
من قرأه (مالك) (١) وكلام الشيخ هذا يتضمن انكار قراءة
اثبات الألف حيث قال : دون قراءة من قرأ (مالك) على هذا
ولا يجوز لأحد أن ينكسر قرءة متواترة أجمعت القراء على
تواترها وثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

لأن اختلاف القراء في القراءات كله صواب وحق ولا يمكن
بأى حال من الأحوال الحكم على القراءة الثابتة المتواترة بالخطأ والحكم
على الأخرى بالصواب ما دامت كلتا القراءتين ثابتتين عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

(٢)
وهذا مذهب السلف في هذا الموضوع كما ذكر ابن الجوزى
بأنه ليس فى شىء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض وكلمة
ونقل اليها بالتواتر
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقد وجب قبوله ولم
يسع أحدا من الأمة رده ولزم الايمان به وان كله منزل من عند الله ان كل

(١) انظر جامع البيان تفسير ابن جرير الطبرى ج= ١ ص ٥٠

(٢) انظر كتاب النثر فى القراءات العشر ج ١ ص ٥١ .

قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الايمان بها كلها
واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً لا يجوز ترك موجب احدهما
لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض والى ذلك أشار عبد الله
بن مسعود رضى الله عنه بقوله (لا تختلفوا فى القرآن ولا تتنازعوا فيه
فانه لا يختلف ولا يتماقت الا ترون أن شريعة الاسلام فيه واحدة
حدودها وفرائضها وأمر الله فيها واحد ولو كان من الحرفيين^(١)
يأمر بشئ^{*} ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك
كله ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فانه من كفر بحرف منه
كفر به كله قال ابن الجزرى رحمه الله والى ذلك أشار النبى على الله
عليه وسلم حيث قال لأحد المختلفين (أحسنت) وفى
الحديث الآخر (أصبت) وفى الآخر
(هكذا أنزلت) فصوب النبى على الله عليه وسلم قراءة
كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله وهذا افتراق
اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء فانه اختلاف القراء كلسه حق
وصواب نزل من عند الله وهو كلامه لا شك فيه واختلاف الفقهاء
اختلاف اجتهادى والحق فى نفس الأمر فيه واحد فكل مذهب
بالنسبة الى الآخر صواب لا يحتمل الخطأ من ذلك الخطأ
والصواب وكل قراءة بالنسبة الى الأخرى حق وصواب فى نفس

(١) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/ ١٥٠ .

(٢) انظر جامع البيان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٩٣ .

الأمر تقطع بذلك و تؤمن به وهذا ما عليه السلف ومسئ
المجيب بعد هذا البيان من السلف محاولة الشيخ نفى بعض
القراءات دون بعض فرحمه الله وعفا عنه والله أعلم .

(٢) قال أبو جعفر^(٢) محمد بن جرير عفا الله عنه وغفر ذنبه بعد

توجيه القراءات في قوله تعالى (وما يخدعون الا أنفسهم

وما يشمرون) (٢) فالواجب اذا أن يكون السميع من

القراءة (وما يخدعون الا انفسهم) دون (وما

يخدعون) لأن لفظ المخادع غير موجب تثبت خد يعمد

على صحة ولفظ خادع موجب تثبت خد يعمد على

صحة ، ولا شك أن المناق قد أوجب خد يعمد الله لنفسه

بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه فلذلك وجبت

الصحة لقراءة من قرأ (وما يخدعون الا انفسهم) ومن

الدلالة أيضا على أن قراءة من قرأ (وما يخدعون الا انفسهم)

أولى بالصحة من قراءة من قرأ (وما يخدعون) .

أن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يخدعون الله والمؤمنين

في أول آية فمحال أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه لأن ذلك

تضاد في المعنى وذلك غير جائز من الله تعالى .

(١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٩٣

(٢) سورة البقرة آية - ٩ -

وهذا هو نفس كلام الشيخ رحمه الله تعالى حول هذه

القراءات وفيه انكار لقراءة ((وما يخادعون الا أنفسهم)) .

وفي كلام الشيخ قصور من جميع الجوانب ((:-

أولا : عده مجيء مصدر ((وما يخادعون الا أنفسهم)) بعد

لفظ ((يخادعون الله والذين آمنوا محالا بدعوى

أنه نفى عنهم ما أثبتت لهم في الأول وهو اثبات مخادعتهم

لله والمؤمنين أولا ثم نفى ذلك عنهم مرة أخرى ثم

ذكر أنه تناقض وغير جائز من الله تعالى x خفى أن الشيخ

قد فاتة قاعدة عظيمة وهي أن المشاكلة أمر

مهم عند العرب والقرآن الكريم نزل بأفصح لسان العرب

ولا يبعد أن يأتي لفظ ((وما يخادعون الا أنفسهم))

بمعنى يخادعون مشاكلة لفظ ((يخادعون الله

والذين آمنوا))

ومع أن فاعل يأتي كثيرا بمعنى الواحد

تغيير المشاركة كفعل مثل ((قاتلهم الله)) بمعنى

قاتلهم الله ولا وجه لانكار ذلك .

ثانيا : ان عبارة الشيخ فيما سبق وهي قوله ((وذلك غير جائز

من الله توهم أن هذه القراءة افتراء على الله ولم تكن من

عند الله وهذا لا يجوز عن مثل هذا الجيل الراسخ
ان يصدر
x

الا أن الانسان قد يهفوا من حيث لا يشعروا لأنه
أنجذب الشيخ للأجل حل المعاني التي تترتب
على هذه القراءات دون أن يستعرض الأبحاث التي تتعلق
بالألفاظ التي حللها ووجهها باحثا المعنى التي . .
تحتوى عليها هذه الألفاظ القرآنية المظنية .

وثالثاً : قوله فالواجب إذا أن يكون الصحيح من القراءة

((وما يخدعون الا أنفسهم)) دون ((وما يخادعون
الا أنفسهم)) . . وأنت ترى في هذه العبارة
نفيًا عريحا لقراءة ((وما يخادعون)) لأن مقابل
الصحيح هو الضعيف والفاقد فأنى لها الضمف
وهي قراءة متواترة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقرأ بها بهذه القراءة من القراء نافع بن نعيم شيخ
قراء المدينة وابن كثير المكي وأبو عمرو ويعكفك هؤلاء
قدوة وقرأ بالقراءة الثانية ابن عامر التامى وعاصم وحمة
والكسائى ويعقوب وأبو جعفر وخلف العاشر باختياره
وكلتا القراءتين متواترة ثابتة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يمكن فى أى حال من الأحوال انكسار
قراءة تواترت عند أهل هذا الشأن والأسلوب السدى
وجه الشيخ به هذه القراءة لا يليق بشرف
القراءات لأن اختلاف القراءات لا يكون فيه تناقض ولا تخالف

بل يكون كله حقاً ومحواباً ولهذا أثبت جميع من وجهه
القراءات في هذا الموضع هذا اللفظ ووجهه بتوجيهه
سليم لا يمس إحدى القراءات وعلى سبيل المثال (اسمع
ما قال ^(١) أبو محمد مكى بن أبى طالب
القبسى في كتابه :

” الكشف عن وجوه القراءات السبع ”

((وما يخذعون الا أنفسهم)) ولة من قرأ
بغير ألف أن أهل اللغة حكوا (خادع وخدع
بمعنى واحد والمفاعلة قد تكون من واحد
كقولهم : داويت العليل وعاقبت اللبس فلما كان (خادع
وخدع)) بمعنى واحد اختار خدع فحمله
على معنى الأول لأنه بمعنى (يخذعون) ولم يحمله
على اللفظ فبين على أن الأول محمول على (يخذعون)
وأيضاً فأن فعل أحض بالواحد من فاعل
ان (فاعل) أكثر ما يكون من اثنين ويقوى هذا المعنى
أن مخادعتهم انما كانت للنبي صلى الله عليه وسلم
وللمؤمنين ولم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

(١) انظر الكتاب المذكور ١/٢٢٤/٢٥٥

مخادعة فدل على أن الأول واحد بمعنى يخدعون فجرى
الثاني على معنى الأول ويدل على ذلك قوله تعالى
لنبيه عليه السلام ((وأن يریدوا أن یخدعوك)) (١)
فقد كان الخداع مهم خاصة وقد أجمعوا على : قوله
تعالى ((وهو خادعهم)) النسل آية ١٤٢ . - من (خدع)
وأیضا فانه الاخبار جرى عنهم في صدر الآية بالمخادعة
لله فيعمد أن تنفي عنهم تلك المخادعة التي أوجبها
لهم وأخبرنا عنهم بالمخادعة في صدر الآية . . ومعنى
(يخادعون الله) أي أولياء الله وأنبياء الله ومعنى
الخداع اظهار خلاف ما في النفس والنبي على
الله عليه وسلم والمؤمنون لا يفعلون معهم هذا ثم قال
المكي : وعلة من قرأه بألف أنه لما كان ((يخادعون . .
ويخدعون)) في اللفظة بمعنى واحد أجرى الثاني
على لفظ الأول فذلك أحسن في المطابقة والمشاكلة
بين الكلمتين أن تكونا بلفظ واحد وأیضا فان المبرد
قال : معناه ((وما یخادعون بتلك المخادعة المذكورة
أولا الا أنفسهم اذ وبالها راجع عليهم) فوجب
ألا يختلف اللفظ لأن الثاني هو الأول .

(١) الأنفال آية : ٦٢ .

وأخيراً قال أبو محمد المكي بن أبي طالب القيسي :
وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن وهو أن (خادع
وخدع) بمعنى واحد في اللزعة فيكون : (وما يخادعون
وما يخدعون) بمعنى واحد من فاعل واحد () ..
وأقول والجمع بين هذه القراءات والتوفيق بينها هو
الذي يجب علينا كما ذهب إلى ذلك علماء التوجيه أن
نتأدب به ونذهب إليه دون أن نحاول تفضيل قراءة على قراءة .

ثالثاً : قال تعالى () في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب
(١)
(٢)
أليم بما كانوا يكذبون ()

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : اختلفت القراء
في قراءة ذلك فقراه بعضهم (بما كانوا يكذبون) مخففة
الذال مفتوحة الياء وهي قراءة معظم أهل الكوفة وقراه
آخرون (يكذبون) بضم الياء وتشديد الذال مكسورة
وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة وكان الذين
قروا ذلك بتشديد الذال وضم الياء رأوا أن الله جل ثناؤه
أنما أوجب للمنافقين العذاب الأليم بتكذيبهم نبيهم محمداً

(١) انظر جامع البيان تفسير ابن جرير الطبري ج ١ ص ٩٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٠ .

على الله عليه وسلم بما جاء به وأن الكذب بلولا التكذيب
لا يوجب لأحد اليستير من المذاب فكيف بالأليم منه
وليس الأمر في ذلك عندى كالذى قالوا وذلك أن الله أنبأ
عن المنافقين فى أول النبأ عنهم فى هذه السورة بأنهم
يكذبون يدعواهم الايمان واظهارهم ذلك بألسنتهم
خداعا لله عز وجل ورسوله وللمؤمنين :
فقال : (ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر
وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا بذلك ممن
قبلهم مع استسراهم الشك والريبة وما يخدعون
بصنيعهم ذلك الا بأنفسهم دون رسول الله على الله
عليه وسلم والمؤمنين وما يشعرون بموضع خد يعتهم
أنفسهم وأستدراج الله عز وجل اياهم باءلائسه
لهم . . فى قلوبهم شك أى نفاق وريبه والله زائد هم
شكسا وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم
بأسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم فى قلوبهم ذلك
كذبه لا ستسراواهم الشك والمرضى فى اعتقادات
قلوبهم فى أمر الله وأمر رسوله على الله عليه وسلم فأولى
فى حكمة الله جل جلاله أن يكون الوعيد منه لهم على
ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح . افعالهم ونميم أخلاقهم
دون ما لم يجبر له ذكر من أفعالهم ان كان سائر آيات

تنزيهه بذلك نزل وهو أن يفتح ذكر محاسن أفعال
قوم ثم يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من
أفعالهم ويفتح ذكر مساوي أفعال أفعال آخرين
ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتداء به ذكره من أفعالهم
فكذلك الصحيح من القول في الآيات التي افتتح فيها ذكر
بعض مساوي أفعال المنافقين أن يختم ذلك بالوعيد على
ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم فهذا مع دلالة
الآية الأخرى على صحة ما قلنا وشهادته بأن الواجب
من القراءة ما اخترنا وأن السوابب من التأويل ما تولنا
من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الأليم
على الكذب الجامع معتى الشك والتكذيب وذلك
قول الله تبارك وتعالى ((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون) والآية الأخرى (٢) في
المجادلة : اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله
فلهم عذاب مهين) فأخبر جل ثناؤه أن المنافقين
بقلبيهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اعتقادهم

(١) سورة المنافقون آية - ١ -

(٢) سورة المجادلة آية - ١٤ -

فيه ما هم ممتقنون كاذبون ثم أخبر تعالى ذكره أن . . .
المذاب المبهين لهم على ذلك من كذبهم ولو كان
الصحیح من القراءة على ما قرأه القارئون في سورة البقرة
() ولهم عذاب أليم بما كان يكذبون (لكانت القراءة في
السورة الأخرى والله يشهد ان المنافقين لمكذبون ليكون
الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيدا على التكذيب لا على
الكذب وفي اجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة
في قوله () والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) بمعنى
الكذب وأن ابعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين
المذاب الأليم على ذلك من كذبهم أوضح دلالة على أن
الصحیح من القراءة في سورة البقرة (بما كانوا يكذبون)
بمعنى الكذب وأن الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين
فيها على الكذب حق لا على التكذيب الذي لم يجز له
ذكر نظير الذي في سورة المنافقين سواه .
وهذا هو نص كلام الشيخ حول هذه القراءتين عفا الله عنا
وعنه .

. . . وفي كلامه هذا ما أخذ من عدة وجوه عندي والله يهدينا

الى الصواب : . .

(١) المأخذ الأول :

عدم ذكر أصحاب القراءة اتالا اجمالا ومثلا يقول في الذين
قرأوا بالتخفيف وهي قراءة معظم أهل الكوفة ولم يذكر أسماء
الكوفيين الا مجملة وهذا لا يكفي في بيان المراد في هذا
الموضوع وهؤلاء الذين أجمعهم الشيخ هم : عاصم بن أبي
النجود وحمزة والكسائي وخلف العاشر وأيضا قال
الشيخ : عند ما ذكر قراءة الذين يقرؤون (يكذبون)
بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال مكسورة :
وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والهمزة وأجمل
الشيخ هؤلاء القراء كما سبق وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو
البيسري وابن عامر وأبو جعفر ويزيد بن القعقاع
وبعقوب و ينهض للشيخ أن يبين هؤلاء القراء بياننا
شافيا من غير اجمال ليعلم الناس أن هذه القراءة منسوبة الى
فلان وفلان .

(٢) المأخذ الثاني :

عندى قوله رحمه الله () فأولى في حكمة الله جلا جلا جلالته
أن يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح الخبر عنهم الى قوله رحمه
الله - فهذا مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا وشهادتها
بأن الواجب من القراءة ما اخترنا وأن الصواب من التأويل

ما تولنا من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب
الأليم على الكذب الجامع الجامع معنى الشك
والتكذيب .

ومفهوم كلامه أن عادة الله جرت في كتابه أنه بدأ كلمة بذكر
محاسن القوم يختتمه بذكر الوعد والجزاء على هذه المحاسن
وإذا بدأ كلامه بذكر قبائح القوم وسأوتهم ختمه بذكر
الوعيد والعقاب للذين ترتبوا على هذه القبائح وهنا حكى الله
الله عن المنافقين بأنهم قالوا : (آمننا بالله وباليوم الآخر)
بلسانهم مع عدم إيمانهم بقلوبهم وهذا يعترف كذبا حيث كان
قولهم هذا مخالفا للواقع ونفس الأمر . . . والكذب هو الذي
وقع عنهم وليس التكذيب ولهذا ادعى أن الصحيح من
القراءة قراءة التخفيف لا قراءة التشديد . . . وليس الأمر
كذلك لأن قولهم : آمننا بالله واليوم الآخر تكذيب لله
ورسوله . فيما جاء به عن الله تعالى لأن سياق الكلام
في نفس السورة يشهد بذلك وذلك قوله تعالى : (وإذا قيل
لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء . . . الآية)
وهنا أظهروا ما أخفوه في نفوسهم قبل ذلك من عدم الإيمان
بالله واليوم الآخر وما حكى الله عنهم بقوله :
((أنؤمن كما آمن السفهاء)) تكذيب منهم لما نصهم
القاتل المفهوم من قبل من قوله تعالى :-

((واذأ قيل لهم آمنوا كما آمن الناس))

وأيضاً ان العديد من آيات القرآن الكريم جاءت بذكر
الوعيد على التكذيب كما قال تعالى :

((ان الذين كذبوا بآياتنا سوف نعطيهم نارا كلما نضجت

جلودهم بدلنا هم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله

كان عزيزا حكيما (1)

وقال تعالى :

((وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار

ما آتيناهم فكذبوا رسلنا فكيف كان كيرا (2)

واستشهادى بهذه الايات ليس لتأييد قراءة التشديد

وانما هو لاثبات وعيد الله الكافرين والمنافقين العذاب الأليم

على التكذيب الذى هو أعم من الكذب . . وأما القراءة

اذا ثبتت بطريق التواتر فلا يمكن انكارها والتعرض لها . .

بالتضعيف ولا حاجة الى تأييدها بالأدلة لأنها سنة

متممة يأخذها الآخر عن الأول وحينئذ فلا ينفى

الحكم على كون بعض القراءات عوالمها دون بعضها كما حصل

ذلك للشيخ رحمه الله تعالى وعفا عنا وعن

(1) سورة النساء رقم الآية ٥٦

(2) أنظر سورة السبا آية : ٤٥ .

حيث قال :-

((بأن الواجب من القراءة ما اخترنا وأن الصواب ممن التأويل ما تأولنا من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية الكريمة العذاب الأليم على الكذب الجامع معنى الشك ..

والتكذيب وذلك قوله تعالى :-

(١)

((إذا جاءك المنافقون ... الآية))

والآية الأخرى في المجادلة :

((اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله

فلهم عذاب مهين)) .

- والشيخ رحمه الله تعالى هنا خالف ما عليه علماء التوجيه فادعى

أن الكذب أعم من التكذيب لأن من كذب بشيئا واقما فقد

كذب فيه ولا عكس .

(٢) المأخذ الثالث :

في قوله :

ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارون في سورة

البقرة :

((ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون))

بالتشديد لكنت القراءة في السورة الأخرى :

((والله يشهد ان المنافقين لكاذبون))

ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيدا على التكذب —
لا على الكذب وفي اجماع المسلمين أن السواب من القراءة في
قوله تعالى () والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ()
بمعنى الكذب ^{الشيخ} وكلامه هذا محض قياس لأنه قام سورة
البقرة على قراءة سورة المنافقين ولا يوجد قياس البتة
في القراءات لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر
عن الأول وكيف يتأتى القياس فيما مجاله النقل والرواية والطمق
عن أفواه المشايخ ولهذا قال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى
رحمه واسمعة :

وما لقياس في القراءة مدخل

فدوتك ما فيه الرضا متكفلا

واذا فاهن ما ذهب اليه الشيخ من القياس لا يكون له حجة
وتصويب قراءة التخفيف
في انكار قراءة التشديد ^x واثبات التخفيف لا من بعيد ولا من
قريب .

ما دامت كلتا القراءتان متواترتين ثابتتين عن النهي على الله
عليه وسلم .

(٤) المأخذ الرابع :

قوله : وأن ايمان الله تبارك وتعالى المنافقين العذاب الأليم
على ذلك من كذبهم أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءات
في سورة البقرة (بما كانوا يكذبون) بمعنى الكذب وأن الوعيد

من الله تعالى ذكره للمنافقين على الكذب لا على التكذيب

أقول : وفي كلامه هذا الحكم على صحة قراءة الخفيف وثبوتها . . .

((يكذبون)) .

وعدم صحة قراءة التشديد وطلانها وهذا لا يجوز لأنه يوردى
الى انكار هذا القراءة والقراءة اذا تواترت لا يرد لها أى قياس
لأنها كلها من عند الله لا شك فى ذلك .

وهذه القراءة التى أنكرها هى قراءة نافع وابن كثير وأبى
عمرو وابن عامر وأبى جعفر ويعقوب وهى قراءة أكثر القراء
العشرة فكيف يمكن انكارها .

ومن المصحب أن علماء التوجيه يخالفون الشيخ فيما ذهب اليه
فى توجيه المعانى .

اسمع ما قال أبو محمد مكي بن أبى طالب القيسى فى كتابه

" الكشف عن وجوه القراءة السبع " (١)

قوله : (بما كانوا يكذبون) قرأه الكوفيون وهم عامر وحمزة
والكساعى وخلف العاشر - بفتح الياء مخففا وقرأه الباقيون
وهم الذين سبق ذكر أسمائهم - بضم الياء وفتح الكاف
وكسر الذاك شديدا ثم قال المكي : وعلّة من خفف أنه

(١) أ . نظر ج ١ ص ٢٢٢ .

أنه حمله على ما قبله لأنه قال تعالى :

(وما هم بمؤمنين) فأخبر أنهم كاذبون في قولهم
(آنا بالله وباليوم الآخر فقال (وما هم بمؤمنين) أي ما هم
بمصدقين في قولهم ثم قال (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)
أي يكذبهم في قولهم آنا بالله وباليوم الآخر وأيضا
فإن التخفيف محمول على ما بعده لأنه قال تعالى ذكره بعد
ذلك (وإذا القوالذين آمنوا قالوا آنا وإذا خلوا إلى
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون)
فقولهم لشياطينهم (انا معكم) دليل على كذبهم في قولهم
للمؤمنين و (آنا) فحسنت القراءة بالتخفيف ليكون الكلام
على نظام واحد مطابق لما قبله و لما بعده وأيضا فلا بد
من أن يراد بالآية المنافقون أو الكاذبون أو هما جميعا
فإن أراد المنافقين فقد قال فيهم : (والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون) وان أراد المشركين فقد قال فيهم
: (وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد) (١)
وان أرادهما جميعا فقد أخبرنا عنهم في هذين الموضعين
بالكذب فالكذب أولى بالآية ثم قال المكي في توجيهه

(١) سورة المؤمنون آية - ٩٠ - ٩١ .

قراءة التشديد : وعلّة من شدّده أنه حمّله أيضا على ما قبله
وذلك أن الله جلّ ذكره قال عنهم : ((في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا)) والمرض الشك ومن شك في شيء
فلم يتيقنه ولا أقرب بصحته ومن لا يقرب بالشئ ولا أقرب
بصحته فقد كذب به وجهده فهم مكذبون
لا كاذبون وأيضا فأن التكذيب أعم من الكذب وذلك أن كل
من كذب بما رقا فقد كذب في فعله وليس كل من كذب
مكذبا لغيره .

قال أبو محمد : والقراءتان متداخلتان ترجع الى معنى واحد
لأن من كذب برسالة الرسل وحجة النبوة فهو كاذب على
الله ومن كذب على الله وجهده فهو مكذب بما
أنزل الله .

وهذا المذهب الذي ذهب اليه مكي بن أبي طالب من الجمع
والتوفيق بين هاتين القراءتين هو الطريق الأسلم في هذا
الباب لأن جميع القراءات من عند الله لا فضل لأحدهما على
الأخرى طالما أنها تواترت عند علماء هذا الشأن وعرفت
أنها من القراءات المشهورة في الأصار .
والشيخ رحمه الله حاول أن يقارن بين القراءات من زاوية البحث
عن المعاني ولم يوفق فيما حلّوله حيث وقع فيما هو أشد منه من

انكار القراءة احياناً وتفضيل بعضها على بعض حيناً آخر
ومع أنه ألزم نفسه في بداية الأمر أنه لا يتعرض في تفسيره
توجيه القراءات وذكر أن ذلك يعرضه عن الغرض الذي
ألف الكتاب لأجله وهو بيان معاني القرآن ومع ذلك وقع
منه ذلك ، والكمال لله عفا الله عنا وعنه وأسكنه فسيح جنته .

(٥) قال تعالى :

(١)
((فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه . . الآية))
قال أبو جعفر رحمه الله ^(٢) : اختلف القراء في قراءة ذلك
فقرأتهم ((فأزلهما)) بتشديد اللام بمعنى
استزلهما من قولك : زل الرجل في دينه اذا هفا فيه
وأخطأ فأتى ما ليس له اتيانه وأزله غيره اذا سببه ما يزل
من أجله في دينه أو دنياه ولذلك أضاف الله تعالى ذكره الى
أبليس خروج آدم وزوجته من الجنة فقال : ((فأخرجهما))
بمعنى ابليس ما كانا فيه لأنه كان الذي سببه الخطيئة
التي عاقبها الله عليها بأخراجهما من الجنة وقراءة آخرون
((فأزلهما)) بمعنى ازالة الشىء عن الشىء وذلك تحيته

(١) سورة البقرة آية ٢٦ .

(٢) انظر جامع البيان تفسير آي القرآن للطبري ج ١ ص ١٨٦ .

عنه ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى (وتأولس القراءتين . .
بالصواب قراءة من قرأ (فأزلهما) لأن الله جل ثناؤه قد
أخبر في الحرف الذي يظنوه بأن ابليس أخرجهما مما
كانا فيه وذلك هو معنى قوله تعالى (فأزلهما) فلا وجه
أن كان معنى الازالة معنى التحية والاعتراف أن يقال
(فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) .
ولكن المعنى المفهوم أن يقال : فاستزلهما ابليس عن طاعة
الله كما قال جل ثناؤه (فأزلهما الشيطان) وقرأت به
القراء فأخرجهما بأستزلا له اياهما من الجنة .^(١) أقول
ولا يخفى عليك ما في هذه العبارة التي ساقها الشيخ أثناء
توجيه هذه القراءات في هذه الآية الكريمة من الإنكار الصريح
الواضح لقراءة (فأزلهما) بباء ثانياً - الألف بين الزاي
واللام وتخفيف اللام - - حيث قال : وأولى القراءتين بالصواب
قراءة من قرأ (فأزلهما) ثم ساق ما يبرر له موقفه من نفي
غير هذه القراءة التي عدها من القراءة المتواترة الثابتة عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

وكيف يستقيم للشيخ رحمه الله تعالى تصويب بعض القراءات دون

بعضها مع أن القراءات كلها اذا تواترت حق وصواب
نزلت من عند الله والنبى صلى الله عليه وسلم عوِّب المختفين
فيها فقال للجميع " ((أصبت)) " وللآخر (هكذا
أنزلت) (الا أن الشيخ انساق مع تحليل المعانى فوقع
فيما وقع فيه ولا ينبغي أن يقع ذلك فى موضوع القراءات لأنه
لا مجال للاجتهاد والرأى فى ذلك لأنها سنة متبعة
يأخذها الآخر عن الأول وهذه القراءة التى مال الشيخ الى
عدم كونها عوِّبا هى قراءة حمزة الذى قال الامام الشاطبى
فيه :

(وحمزة ما أركاه للمتورع اما عهوا للقراآن مرتلا)

والقراءة الأخرى التى سمَّها الشيخ رحمه الله تعالى هى
قراءة الباقيين من العشرة المشهورين وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو
والهجرى وابن عامر الشامي وعاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب
وخلف الماشر . (١)

وهذا المسلك الذى سلكه الشيخ رحمه الله لم يسلكه أحد
من علماء التوجيه الذين عنوا بتحليل القراءات وتعليقها
والتوفيق بينها وانما مذاهبهم فى ذلك محاولة الجمع بين القراءات
من حيث المعانى ان تيسر لهم ذلك والا وجهوا كل قراءة

(١) انظر النشر فى القراءات المشر لا بن الجزرى ٢ / ٢١١
والبدور الزاهرة للشيخ القاضى ص

الى معنى يحتمله اللفظ الكريم ولا يتعرضون لتقليب
شأن القراءة دون الأخرى .

وهذا التأديب هو المطلوب في هذا الباب لما ذكرنا آنفا
ودونك ما كسبه ^(١) مكي بن أبي طالب في توجيه هلمتين
القراءتين للقراءات قال رحمه الله تعالى : قوله تعالى :
(فأزلهما) : قرأه همزة بألف مخففة وقرأه الباقيون
بغير ألف مشددا .

وعلة من قرأ بالألف أنه جملة من الزوال وهو التحية واتبع
في ذلك مطابقة المعنى ^{ما قبله} على الضد وذلك أنه قال تعالى
ذكره : آدم : (أسكن أنت وزوجك الجنة) فأمرهما
بالثبات في الجنة و ضد الثبات الزوال فسمى
ابليس اللعين فأزلهما بالمعنى عن المكان الذي أمرهما
الله بالثبات فيه مع الطاعة فكان الزوال به أليق لما ذكرنا
وأيا فانه مطابق لما بعده في المعنى لأن بعده (فأخرجهما
ما كانا فيه) والخروج عن المكان هو الزوال عنه فلفظ
الخروج عن الجنة يدل على الزوال عنها .

ثم قال مكي رحمه الله تعالى :

وعلة من قرأ بغير ألف الاجماع في قوله (انما استزلهم

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٢٣٥ - ٢٣٦ .

الشیطان (١) أى الزلّة فليس للشیطان قدرة على
زوال أحد من مكان الى مكان (ازالة أحد من مكان الى مكان
آخر) انما قدرته على ادخال الانسان فى الزلزل فيكون
ذلك سببا فالى زواله من مكان الى مكان آخر بذنبه والقوى
ذلك أنه قال فى موضع آخر (فوسوس لهما الشيطان) (٢)
والوسوسة انما هى بادخالهما فى الزلزل بالمعصية وليست
الوسوسة بازالة منه لهما من مكان الى مكان الى مكان انما
هى تزيين فعل المعصية وهى الزلّة لا الزوال وأيضا فإنه
قد يحتل أن يكون معنى (فأزلها) من زل عن المكان
اذا تحس عنده فيكون فى المعنى كقراءة من قرأ بالسيف
من الزوال .

قال أبو عبيد : من قرأ بغير ألف ذهب الى الزلزل فى الدين
كقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) (٣)

ومن خف فأراد ازالتهما عن موضعهما .

وأنت ترى من جرأ هذا التوفيق والجمع بين هذه القراءات
ما يشرح مدرك هيث قدر عاىب هذا الكتاب جميع القراءات
ولم يتعرض لكارأحدى القراءتين وتصويب الأخرى . . وهذا

(١) آل عمران آية ١٥٥ . (٢) الأعراف : آية - ٢٠

(٣) سورة النحل آية - ٩٤ .

التوفيق هو اللائق لحرمة القران الكريم
وأقول : ان هذا الأسلوب الذى استخدمه الشيخ فى توجيهه
هاتين القرائتين فى تفسيريه ليسى بمسواب والمسواب
كتوجيه هو إلا الأفاضل من علماء التوجيه حيث لا يقل قيمة
أيه قراءة تواترت عند علماء هذا الشأن لأن كل قراءة تحمل
معنى خاصا بهذا اللفظ الكريم وان كان يتفق أحيانا
معنى القرائتين أو القراءات فلا تخلو قراءة أن تحمل هذا
الطابع الخاص وهذا من اعجاز القرآن الكريم لأن كل قراءة
بمنزلة الآية وانكار قراءة كأنكار آية وهذا لا يجوز فى أى حال
من الأحوال وأما الشيخ فمما الله عنا وعنه فهتمصيكثيرا
للمعاني . . فإذا كانت احدى القراءات أقرب لمعنى اللفظ
صحتها دون غيرها ومع أنه لوقف قليلا لظهر له سر هذا
الاختلاف والكمال لله سبحانه وتعالى .

(٦) قال تعالى : (فطلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو
التواب الرحيم) (١)

قال محمد بن جرير الطبرى رحمه الله (٢) تعالى : وقد قرأ

(١) سورة البقرة آية : ٣٧

(٢) أنظر جامع البيان تفسير آى القرآن للطبرى ج١ ص ١٩٣ .

بعضهم (فلقى آدم من ربه كلمات) فجعل الكلمات
هي المتلقى آدم وذلك وان كان من جهة العربية جائزا
اذ كان كسل ما تلقاه الرجل فهو له تلقى وما لقيه فقد
لقيه فجاز للمتكلم ان يوجه الفعل الى أيهما شاء
ويخرج من الفعل أيهما (مجاز) أحب فقير
جائز عندى فى القراءة الا رفع آدم على أنه المتلقى الكلمات
لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل من علماء السلف
والخلف على توجيهه التلقى لآدم دون الكلمات وغير
جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة بقول من
يجوز عليه السهو والخطأ .

وقد ذهب الشيخ فى توجيهه هذه القراءات فى هذذة
الآية الكريمة الى انكار قراءة نصب آدم على كونه مفعولا
به مقدا ورفع الكلمات على كونها فاعلا مؤخرًا وحكم بعدم
جوازها من ناحية القرائية وان أجازها من ناحية اللفظة
العربية حيث قال : وان كان من جهة العربية جائزا
ففسر جائز عندى فى القراءة الا رفع آدم وادعى أن قراءة
رفع آدم ونصب الكلمات مجمع عليها دون الأخرى وأين الاجماع
الذى يدعى الشيخ وقد كان خارا جا عنهم ابن كثير المكي شيخ
القراء المكيين الذى قرأ على قراءته الامام

الشافعي^(١) وذكر أنها متواترة ولذلك ترك الامام الشافعي قراءة أهل المدينة التي يقرأ بسها شيخه مالك رحمه الله والتزم هذه القراءة التي هي قراءة ابن كثير وذكر توأمة من تواترها .

وما لا شك فيه أن جميع القراءات العشر متواترة بدون . . استثناء وكان الامام الشافعي تربى في مكة وتلقى القراءات على المكيين ولذلك ذهب إلى اثبات البسطة بين السورتين في جميع القراءات ما عدا سورة براءة لأن مذهب قراء مكة اثبات البسطة بين السورتين وكذلك مذهب قالون عن نافع وعاصم والكسائي وأبي جعفر الفصل بالبسطة بين كل سورتين والفرض من هذا الكلام أن الشافعي رحمه الله تعالى شهد بتواترها أي بتواتر قراءة ابن كثير فكيف يجوز للشيخ انكار هذه القراءة الثابتة المتواترة .

وما جزمها بقوله : ولا يجوز الاعتراض على القراءة المجمع عليها بقول من يجوز عليه السهو والخطأ .

وهذه القراءة التي نقاها الشيخ هي قراءة ابن كثير المكي رحمه الله والقراءة الأخرى التي صوبها الشيخ وادعى الاجماع عليها

(١) أنظر مناهل العرفان للزرقاني ١/٤٥٣-٤٥٤ - الطبعة الثالثة

هي قراءة من عدا بن كثير وهم نافع بن نعيم المدني وأبو عمرو
الهمداني وأبن عامر الشامي وعاصم بن أبي النجود وحمزة والكسائي
وأبو جعفر ويعقوب الحضرمي وخلاف الماشرو وما يجب العلم
به أن القراءة اذا تواترت ولو جاءت من قارىء واحد أو من
راو لا يرد لها قياس ولا يمترضا معترض لأن القراءة سنة متممة
لا تدخل للقياس فيها فهي بمنزلة الآية لا يجوز انكارها
لكسن الشيخ عفا الله عنا وعنه زلت قدمه في هذا الباب
وتجاوز الله عنا وعنه . وان قلت ان الشيخ انجذب مع
حل المعاني فعصل منه ما حمل من انكار هذه القراءة
فقد علمت رضاه لحل المعاني من جهة اللغة العربية
وزيادة على ذلك فان علماء التوجيه لم يذهبوا الى ما ذهبه
في توجيه هذه القراءات .

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب^(١) القيسي رحمه الله تعالى
(وعله من نصب (آدم) ورفع (الكلمات) أنه جعل (الكلمات)
استفدت (آدم) بتوفيق الله له لقوله اياها والدعاء بهيها
فتاب الله عليه . . وأيضاً فإنه لما كان الله جل ذكره من أجل
الكلمات تاب الله عليه بتوفيقه اياه لقوله لها كانت هي التي أنقذته

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٣٧/١

ويسرت له التوبة من الله فهي الفاعلة وهو المستفد بها وكان
الأصل أن يقال على هذه القراءة : فنقلت آدم من ربه
كلمات ولكن لما كان يمد ما بين المونث وفعله حسن حذف
علامة التانيث وهو أصل يجرى في كل القرآن اذا جاء فعل
المونث بغير علامة .

وقيل : انما ذكر لأنه محمول على المعنى لأن الكلام والكلمات
واحد فحمل على الكلام فذكر وقيل ذكر لأن تانيث
الكلمات غير حقيقي انما ذكر لها (من لفظها) حقيقة .

ثم قال مكي رحمه الله تعالى :

(وعلة من قرأ برفع (آدم) ونصب (الكلمات) أنه
جعل (آدم) هو الذي تلقى الكلمات لأنه هو الذي قبلها
ودعا بها وعمل بها فتاب الله عليه فهو الفاعل لقبول الكلمات
وفى تقديم (آدم) على الكلمات تقوية أنه الفاعل . . وقد
قال أبو عبيد في معنى (فتلقى آدم من ربه كلمات) معناه :

قبلها فأنما كان آدم قابلاً للكلام مقبول فهو المفعول و آدم
هو الفاعل وعليها الجماعة وهي قراءة العامة وقد ذكر نحو
الكلام كل من ابن خالويه في كتابه الحجة في القراءات

السبع ص ٥١ وزاد ج ٦٩١ . وأبو زرعة في كتابه
الحجة .

وهذا هو توجيه العلماء نحو هذه القراءات وقد بدأ لك

من كلامي هذا التأكيد مع القراءات وعدم تمرضهم لاحدى
القراءتين بالنفس والانكسار بل يوجهون كلا الى معنى
يناسبها ويليق بقدر سويتها وهذا هو الواجب في هذا
الباب بدون أى اعتراض من أحد لأن جميع القراءات من عند الله
ولا يمكن الخوض فيها (لا يسأل عما يفضل وهم يسألوا)
والله أعلم .

(٧) قال تعالى : ((وان أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون
الا الله وبالوالدين احسانا ونزى القربى واليتامى والساكين
وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتهم الا قليلا
منكم وأنتم معرضون) .

- قال الشيخ أبو جعفر^(١) محمد بن جرير الطبري رحمه الله
تعالى ((وأما الحسن)) فأن القراء اختلفت فسمى
قراءته فقرأته عامة قراء الكوفة غير عام ((وقولوا للناس
حسنا)) بفتح الحاء والسين وقراءته عامة المدينة (حسنا)
بضم الحاء وتسكين السين واختلف أهل العربية في فرق

(١) سورة البقرة الآية - ٨٣ .

(٢) أنظر جامع البيان تفسير أى القرآن ج ١ ص ٣١٠ .

ما بين معنى قوله (حسنا وحسنا) فقال بمرض البعريين
هو على أحد وجهين أما أن يكون يراد بالحسن الحسن وكلاهما
لغة كما يقال البخل والبخل واما أن يكون جعل الحسن
هو الحسن في التشبيه وذلك أن الحسن مصدر والحسن
هو الشيء الحسن ويكون ذلك حينئذ كقولك انما أنت
أكل وشرب .

وقال آخر بل الحسن هو الاسم العام الجامع لجميع معاني
الحسن والحسن هو البعض من معاني الحسن ولذلك قال جل
ثناؤه اذا أوعى بالوالدين (ووعينا الانسان بالوالدين
حسنا) يعنى بذلك أنه أوعاه فهبها بجميع معاني
الحسن وأمر في سائر الناس بهمض الذي أمره به في والد يسه
قال تعالى: (وقولوا للناس حسنا) يعنى بذلك بعض معاني
الحسن والذي قاله هذا القائل في معنى الحسن بضم الحاء
وسكون السين غير بعيد من السواب وأنه اسم لنوعه الذي
سمى به وأما الحسن فانه عفة وقمت لما وبف به وذلك يقع
بخاى وان كان الأمر كذلك فالسواب من القراة في قوله :
(وقولوا للناس حسنا) لأن القوم انما أمروا في هذا العهد الذي
قيل لهم : (وقولوا للناس حسنا) باستعمال الحسن من
القول دون سائر معاني الحسن الذي يكون بخير القول وذلك
نمت لخاى من معاني الحسن وهو القول فلذلك اختصرت

قراءته بفتح الحاء والسين على قراءته بضم الحاء وسكون
السين . . انتهى المزاد من كلام الشيخ رحمه الله تعالى^(١)
أقول والله التوفيق :

وفى كلامه هذا ما أخذ ^{عندي} من عدة وجوه :

الوجه الأول : أنه ذكر أن الذين يقرؤون (حسنا)
=====

بفتح الحاء والسين عامة قراء الكوفة ما عدا
عاصم. ولم تكن هذه القراءة لعامة الكوفيين
فقط بل يقرأ بها ينقوب الحضرمي . . .
وهو من أهل البصرة .

الوجه الثاني : أنه قال : ان عامة قراء المدينة يقرؤون
=====

(حسنا) بضم الحاء وسكون السين وهذا
القول يوهم أنه لا يشاركهم أحد في هذه القراءة و
مع أن هذه القراءة ليست خاصة بالمدينة
بل يقرأ بها ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري
وعبد الله بن عامر الشامي وأبو جعفر يزيد
بن القمقماح ونافع بن نعيم المدنيان
والخلاصة أن الذين يقرؤون

(١) انظر تفسير الطبري ١ / ٣١٠ .

بفتح الحاء^(١) والشين جمزة والكسائي

ويعقوب الحضرمي وخلف الفاشر ،

والذين يقرؤون بضم الحاء وسكون السين
من العشرة نافع وابن كثير المكي وأبو جعفر
الطبري وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي
وعاصم بن أبي النجود الكوفي وكان علسي
الشيخ أن يمين ذلك ولكن حصل منه غموض
في بيان القراء ولا ينبغى هذا .

الوجه الثالث : ذهابه الى تفضيل احدى القراءتين علسي
=====

الأخرى وذلك حيث يقول : بمد توجيهه
القراءتين والخوض في المعاني التي يضمنها
النظم الكريم : فلذلك اخترت قراءته
بفتح الحاء والسين على قراءته بضم الحاء
وسكون السين وهذا التفضيل والتصويب
لا يجوز في أي حال من أحوال طالما تواترت
القراءة وشبهت عن النهي على الله عليه وسلم
لأن القراءات كلها عوَابٌ وحقق لا شك

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للمكي ١ / ٢٥٠ .

بفتح الحاء^(١) والشين جمزة والكسائي

وبعقوب الحضري وخلف الفاشر .

والذين يقرؤون بضم الحاء وسكون السين

من المشرة نافع وابن كثير المكي وأبو جعفر

الطبري وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي

وعاصم بن أبي النجود الكوفي وكان علسي

الشيخ أن يمين ذلك ولكن حصل منه غموض

في بيان القراء ولا ينبغي هذا .

الوجه الثالث : نهاه الى تفضيل احدى القراءتين علسي

=====

الأخرى وذلك حيث يقول : بعد توجيهه

القراءات والخوض في المعاني التي يضمنها

النظم الكريم : فلذلك اخترت قراءته

بفتح الحاء والسين على قراءته بضم الحاء

وسكون السين وهذا التفضيل والتصويب

لا يجوز في أي حال من أحوال طالما تواترت

القراءة وشهدت عن النبي صلى الله عليه وسلم

لأن القراءات كلها بحسب وجوبها لا شئناك

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للمكي ١ / ٢٥٠ .

في ذلك كما بينا عدة مرات في مثل هذه
المواضع في انكساره بعض القراءات . .
القراءة سنة متممة ولا تدخل لانسان في اثباتها
ونفيها ما دامت متواترة عند علماء هذا الشأن
واذا فالقراءتان متواترتان نزلتا من عند الله
لا فضل لاحدهما على الأخرى ولذلك
ذهب علماء التوجيه الى توفيق وجمع هذه
القراءات من غير تعرض لانكار احدي القراءتين
واليك ما كتبه أبو محمد مكي بن أبي طالب
القيسي قال رحمه الله تعالى : (١)

قوله : (حسنا) قرأه حمزة والكسائي
بفتح الحاء والسين جملاؤه سفة لمصدر
مخذوف ، تقديره ، وقولوا للناس قسولا
حسنا وقرأه الباقر بضم الحاء واسكسان
السين على أنها لنة في (الحسن) يقال
الحسن والحسن والبخل والبخل ، والرشد
والرشد ، فهو كالأول وتقديره ، وقولوا

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للمكي ١ / ٢٥٠ .

للناس قولاً ذا حسن بيوتول في الممـنى
الى حسن وقد رأيتكيف ترجع القراءتان
الى معنى واحد وهذا التوفيق هو
الواجب في هذا الباب .

(٨) قال تعالى (وان يأتوك أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم
أخرجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) . الآية . .
قال أبو جعفر رحمه الله تعالى (٢) (واختلف القراءة (القراءة)
في قراءة قوله تعالى (وان يأتوك أسارى تفادوهم) فقراه
بعضهم (أسرى تفادوهم) وبعضهم : (أسارى تفادوهم)
وبعضهم (أسارى تفادوهم) وبعضهم أسرى تفادوهم)
قال أبو جعفر : فمن قرأ ذلك : (وان يأتوك أسرى) فإنه
أراد جمع (الأسير) ان كان على فعيل على مثال جمع
أسماء ذوى المعاني التى أتى واحد ها على تقدير (فعيل)
ان كان (الأسير) شبيه المعنى - فى الأذى والمكروه
الداخل على الأسير ، ببعض معانى المعاني - وألحق
جمع المسلحق به بجمع ما وسفناه ، فقيل : (أسير وأسرى)

(١) سورة البقرة آية - ٨٥ -

(٢) انظر جامع البيان فى تفسير اى القرآن المطبوع ج١ ص ٣١٧

المحقق ج٢ ص ٣١١

كما قبل : (مريض ومرضى) وكسبر وكسبرى وجرح
وجرحى)

وقال أبو جعفر : وأما الذين قروا ذلك (أسارى) فأنهم
أخرجوه على مخرج جمع (فملان) إذ كان جمع (فملان)
الذى له فعلى (قد يشارك جمع (فعيل) ، كما قالوا :
(سكارى وسكبرى) ، وكسالى وكسلى فشبها (أسيرا)
وجمعه مرة (أسارى) وأخرى أسرى) بذلك قال أبو
جعفر رحمه الله تعالى :

وأولى بالصواب قراءة من قرأ (وان يأتوكم أسرى) لأن فمالي
في جمع فعيل غير مستفيض في كلام العرب فإذا كان ذلك
غير مستفيض في كلامهم وكان مستفيضا فاشسيا فيهم جمعها كان
من الصفات - التي بمعنى الآلام والزمانة - وواحدة على تقدير
(فعيل) على فعلى (كالذى وعفنا قبل وكان أحد ذلك
(الأسير)

كان الواجب أن يلحق بنظائره وأشكاله فيجمع جمعها
دون غيرها من خالفها .

وأما من قرأ (تفادوهم) فإنه أراد : انكم تفدوهم
من أسروهم ويفدى منكم - الذين أسروهم ففادوكم بهم -
أسراكم منهم .

وأما من قرأ ذلك (تفد وهم) فإنه أراد انكم يا ممشر
اليهود (ان أتاكم الذين اخرجتموهم من ديارهم أسرى
فد يمتوهم فاستنقذتموهم .

وهذه القراءة أعجب التي من الأولى - أعنى (أسرى
تفد وهم) لأن الذى على اليهود فى ديارهم فدا أسراهم
بكل حال فدى الأسرى أسراهم أم لم يفد وهم
أقول وبالله التوفيق :

وتوجيه الشيخ رحمه الله تعالى تناول عدة أمور كلها لا تخلو
عن مأخذ عندى :

المأخذ الأول : أنه ذكر أربع قراءات - بقوله : فقراه

بعضهم (أسرى تفد وهم) ولم يذكر
أصحاب هذه القراءة ثم قال : وبعضهم
(أسارى تفاد وهم) ولم يبين أيضا
أصحاب هذه القراءة ثم قال : وبعضهم
يقرا (أسارى تفد وهم) ولم يذكر
أصحاب هذه القراءة أيضا ثم قال : الأخيرة
أدهى وأمر : وبعضهم يقرا (أسرى
تفاد وهم) وهذه القراءة لم تكن من
القراءات العشر وقد أحقها الشيخ
رحمه الله تعالى بالقراءات العشر

المتواترة ولم يهين شدوذها وقصد
عرف عند العلماء المحققين من أهل الفن
أن ما وراء المشر شاذة .

والقراءة الأولى ^{التي} أسرى بهم الشيخ ولم يهين
قارئها (أسرى تغدوهم) هي
قراءة ^(١) حمزة من القراء المشهورة

كما قال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى:
وحمزه (أسرى فسى اسارى)
(والقراءة الثانية التي أجمل الشيخ

ولم يصرح أصحابها (أسارى تغاد وهم)
هي قراءة أبي جعفر ^(٢) يزيد بن

القمقاع ونافع بن أبي نعيم المدنيين
والكسائي وعاصم الكوفيين وبعقوب الحضرمي
والقراءة الثالثة ^(٣) التي أهمل الشيخ ذكر

أصحابها أيضا (أسارى تغدوهم)
هي قراءة ابن كثير المكي وأبي عمر والبهرسي
وابن عامر الشامي وخلف العاشم

(١) أنظر النشر في القراءة المشهورة ٢ / ٢١٨ والبدر الزاهرة ص ٣٣

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) نفس المرجع السابق .

والقراءة الرابعة (أسرى تفاد وهم) هـى
قراءة خارجة عن القراءات العشر المشهورة
فى الأوصار كما ذكرنا آنفا وكان الواجب
عليه ألا يذكرها مع هذه القراءات المتواترة
الا اذا تبين شذوذها اذا دعت الحاجة
الى ذكرها لحل المعانى كما جـوز
ذلك العلماء لبيان الأحكام وغيره مما يتعلق
ببيان المعنى .

المأخذ الثانى :
=====

(وأولى بالسواب قراءة من قرأ) وان يأتوكم
أسرى) لأن فعالى فى جمع فمىل غير مستفيض
فى كلام العرب فانه كان ذلك غير مستفيض
فى كلامهم وكان مستفيضا فاشيا فيهم
جمع ما كان من الصفات - التى بمعنى الآلام
والزمانة - وواحدة على تقدير (فمىل) على
(فعلى) كالذى ومعنا قبل وكان
أحد ذلك الأسير ، كان الواجب أن يلحق
بنظائره وأشكاله فيجمع جمعها دون غيرها
من خالفها) وذهابه الى كون قراءة
(وان يأتوكم أسرى) عواها دون الأخرى

بدعوى أن فعالي في جميع فصائل غير مستفيض

في كلام العرب غير سلم لأن القراءات إذا

تواترت لا تخضع لقياس عربي ولا يحكم عليها

بكلام العرب بل القرآن الكريم هو الحاكم

على كلام العرب كما أتهمنا ذلك في مناقشة

فصل تعريف القراءات ولذلك قال

الأمام الشافعي رحمه الله تعالى . . وما

القياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه

الرضا متكفلاً بما ثبت تواترها

علم أن جميع القراءات حق عوابع عند

الله ولا تكون هيئتها قراءة عوابع وأخرى

غير عوابع لما ذكرنا .

المأخذ الثالث:

أجاب الشيخ لحوق هذا بأشكاله

فيجمع على (أسرى) دون (أسارى) لعل

ذكرها وهذه العلة لا تكون لهجة

في عزمه على هذا الجمع (أسرى) دون أسارى

ما دامت القراءة متواترة

والأثر على ذلك اتهام القراءة بكونها خطأ وكان عليه أن لا يتعرض
لكل اليتة فيما مجاله التثقي والأخذ عن أفواه أهله .

المأخذ الرابع :
=====

وان كان هذا أهون مما سبق (= قوله بعد توجيهه قراءة
(تفادواهم ، تفذوهم) : (وهذه القراءة أعجب الى من
الأولى بمعنى (قراءة) تفذوهم) أعجب اليه من قراءة
(تفادواهم) ثم ذكر العلة التي دعت الى ذلك فقال لأن الذي
على اليهود في دينهم فداء أسراهم بكل حال فدى الآسيون
أسراهم أم لم يفذوهم .

وهذا الذي ذهب اليه لا يسوغ له ما ذهب اليه من تفضيل
قراءة (تفذوهم) لما ذكر ^{على الأخرى} لأن المفاداة المفاعلة أى المشاركة
من الجانبين فالقراءة على الأخرى جاءت على الأصل لأن كل واحد
من الفريقين يدفع من عنده الأسارى ^{من} ويأخذ من عند الآخرين من
الأسرى فكل واحد مفاد (فاعل) والمفاعلة بابهما المفاعلة
وأيضا فإن المفاعلة قد تكون من واحد فيكون معناه معنى قراءة من قرأ
بغير ألف فيفقد معنى القراءتين .

فأما من قرأ بفتح التاء من غير ألف فانه بناء على أن أحد

الفريقين يفدى أصحابه من الفريق الآخر بمال أو غيره من عرض . وكذلك
المادة في المفلوس ، هو يفدى ما أخذ له الغالب . . فالفصل

من واحد ان لا يكون كل واحد من الفريقين غالبا . ، وانما تحمّل
المفاعلة على القراءة بالألف أن لكل واحد من الفريقين أسيرا
فيفادى كل واحد منهما أسيرهم ويدفع ما عنده من الأسرى بما عند
الفريق الآخر من الأسرى وحينئذ لا داعى لا تفضيل باحدى
القراءة على الأخرى حتى من ناحية صياغة المعانى رغم أن القراءات
اذا تواترت لا يوتر فيها شيء من هذه القياسات كما علمت كثيرا
واليك ما كتبه من علماء التوجيه كل من ابن خالوية فى كتابه الحجة
فى القراءات السبع^(١) ومكى بن أبى طالب القيسى^(٢) (فى كتابه
الكشف عن وجوه القراءات السبع) قال : (وطلة من قرأ (أسرى)
على (فملى) أنه جمع أسير كجريح وجرحى و قتل) بمعنى
مأسور و مجروح و مقتول .

فلما كان (جريح و قتل) يجمعان على (فملى) ولا يجمعان على
فملى فعلى فعمل لأسير) ذلك . . فهو أصله .
وحجة من قرأ (أسارى) على وزن (فعلى) أنه شبهه بـ (كسالى)
وذلك أن الأسير ، لما كان محبوسا عن تصرفه صار كالكسلان
الذى حبسه الكسل عن كثير من تصرفه فلما اشتبهها فى هذا المعنى
حملا فى الجمع على بناء واحد فجمع (كسلان) على (كسالى)
وهو باب أسير . وجميع (أسير) على (أسارى) وهو باب (كسلان)
فكل واحد محمول على الآخر . . أقول وبالله التوفيق و منه المول :
وهذا التوفيق والجمع بين هذه القراءات هو الواجب فى هذا الباب
لأن القراءات كلها من عند الله حق و صواب ولا يجوز تفضيل احدى . .
القراءات على الأخرى والله أعلم بصواب ما قلنا .

(١) أنظر كتاب الحجة فى القراءات السبع ج ١ ص ٨٤ للإمام خالويه
(٢) أنظر كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع لابن محمد مكى ج ١ ص ٢٥

٨ - قال تعالى :
(قل من كان عدوا لـ جبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله
صدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين)^(١) - من كان عدوا
لله وملائكته ورسوله وجبل جبريل وميكال فإن الله وعده
الكافرين) آية ٩٨٠٠ .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

(وأما جبريل فإن للمرب لغات فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون
جبريل وميكال بغير همز بكسر الجيم . والرا من جبريل . .
وبالتخفيف ، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة
أما تميم - وقيس وبعض نجد يقولون : (جبريل) وميكيل
على مثال جبرعيل وميكاعيل فتح الجيم والراء وبهمز وزيادة
ياء بعد الهمزة ، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل الكوفة كما
قال جرير بن عطية^(٢) .

عبد والعليب وكذبوا بمحمد وجرير وميكال^(٣)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (وقد ذكر عن الحسن البصري

(١) سورة البقرة آية - ٩٧ -

(٢) أنظر جامع البيان تفسير ابن جرير الطبري ج ١ ص ٣٤٦ - ص ٣٥٠

تحقيق شاكر ج ٢ ص ٨٨ ٣ .

(٣) ديونه : ٤٥٠ ونقائض جرير والأخطل ٨٧ من قصيدته
الدامغة في هجاء الأخطل والمضير إلى تغلب رهط الأخطل ==

وعهد الله أبين كثير أنهما كانا يقرآن (جبريل) بفتح الحيم وترك
الهزة قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (وهي قراءة غير جائزة القراءة بها
لأن ففليل) في كلام العرب بغير موجود ثم قال : وقد اختار ذلك
بمضهم وزعم أنه اسم أعجمي كما يقال : سمويل وأنشد فــــي
ذلك (١)

بحيث لو زنت لخم بأجمعها ما وازنت ريشة من ريش سمويلا

وفي كلامه ملاحظات :

أولا : ابهام القراءة الذين قروا هذه القراءات من ذلك قوله
=====
وعلى هذه القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ولم يبين
الشيخ هؤلاء القراء بذكر أسمائهم عراحة وكان نسبهم الى بلادهم

== وقبله : قبح الآله توجو تغلب كلما شبح الحجيج وكبروا
اهللا .

(١) هو الربيع بن زياد العبسي ، أحد الكلمة من بنى فاطمة بنت
الخرشب الأنبارية - الأغاني ج ١٤ : ٩٢ ، ١٦٠ ، ٢٢٠ .
واللسان (ستل) من أبيات أرسل الربيع الى النعمان
بن المنذر في خبر طويل حين قال لبيد في رجزه مهلا ^{أبيت اللعن} _{و زعم}
أنه أبرى الخبيثة . . . لا تأكل معه وذكــــر
من فمله قبيحا كريها فرحل الربيع عن النعمان وكان له ند يما
وأرسل اليه أبياته :

لئن رحلت جمالا الى سعة ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
حيث لروزنت لخم بأجمعها لم يعد لواريشة من ريش سمويلا
ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيتهم صبا لجأ وغسويلا
فأثبت بأرضك بعدى واختل متكا مع النطاسر طورا وابن توفيل

وأبو جعفر يزيد بن القمقاع ومن المصريين أبو عمرو البصري و يعقوب
الحضري وأيضا ان هذه القراءة ليست لهؤلاء المذكورين فقط
ويقرأ بها أيضا معهم عبد الله بن عامر الشامي وحفص من الكوفيين
وكان عليه أن يسند القراءة الى جميع أصحابها لا الى البعض فقط
وقوله : عندما ذكر قراءة (جبرئيل) : وعلى القراءة
بها عامة قراء أهل الكوفة ، ولم يبين أسماءهم أيضا ، وهم شمعة
ولكنه يقرأ بحذف الياء كما قال الشاطبي رحمه الله : (والياء
يحذف شمعة - وحمزة والكسائي وخلف الماشر قال الامام الشاطبي
رحمه الله تعالى :

" وجبريل فتح الجيم والراء بعدها وهي همزة مكسورة صحبة " تلا
بحيث أتى والياء بحذف شمعة ومكيهم في الجيم بالفتح وكسلا
وأشد من ذلك قوله - بعد ذكر قراءة بن كثير بفتح الجيم وكسر الراء
من غير ^{همزة} (جبريل) : " وهي قراءة غير جائزة القراءة بها لأن فعليلا
في كلام العرب غير موجود وهذا انكار ظاهر ونفي بين القراءة
متواترة ثبتت عن النبي على الله عليه وسلم وعلى ذلك النفي بأن فعليلا
غير موجود في كلام العرب وهذه الملة التي ذكرها لا تكون له حجة
لأن القراءة اذا تواترت لا يرد لها قياس عربي كما ذكرنا غير مرة فسي
علاج كلام الشيخ رحمه الله .

وخلاصة القول في هذه القراءات ^(١) أن حمزة وعلي الكسائي

(١) أنظر النشر في القراءات العشر ٢/٢١٩ ، والهدور الزاهرة
ص ٣٥ .

وخلف العاشر يقروُن بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة ويا سا كنة بمد
الراء هكذا (جبرئيل) ويقرأ شمعة بفتح الجيم وفتح الراء
وهمزة مكسورة بدون يا هكذا (جبرئيل) ويقرأ ابن كثير
المكسى من السمعة بفتح الجيم وكسر الراء بدون همزة بمده وأن
نافعا وأبا عمرو وابن عامر وأبا جعفر ويعقوب الحضرمي يقروُن بكسر
الجيم وكسر الراء ويا سا كنة بعد الراء من غير همز وهكذا
(جبرئيل) وهذه أربع قراءات مشهورة في هذا اللفظ
الكريم كان هناك لفات أخرى . تركنا ذكرها خوفا
من الاطالة وعدم الداعي الى ذكرها لأن مرادنا بيان القراءات
التي وجهها الشيخ وتعرض بنفيها .

والطهونة الرابعة أن الشيخ رحمه الله تعالى ذكر
ميكال مع جبرئيل ولم يتعرض للقراء الذين هم أصحاب هذه القراءات في
(ميكائيل) لا اجمالا ولا تفصيلا وهذا يوهم أن أصحاب
هذه القراءات هم أصحاب القراءات (في جبرئيل) وليس الأمر
كذلك ، وذلك أن الذين يقروُن بقراءة (ميكال) بنيرهموز ولا ياء
بعدها (أبو عمرو البصري ويعقوب الحضرمي) وحف الكوفى
والذين يقروُن (ميكائيل) بهمزة من غير ياء بعدهم نافع بن نعيم
وأبو جعفر المدنيان والذين يقروُن (ميكائيل) هم ابن كثير
مع خلاف قنبل لأنه يوافق في وجه المدنيين وابن عامر
وشعبة وهمزة والكسائي وخلف العاشر وهذه ثلاث قراءات متواترة

في هذا اللفظ الكريسم وكان الواجب على الشيخ أن يبين ذلك
ما دام قرن ذكر (ميكال) (بجبريل) ولكنه لم يفصل (١) .

٩ - قال تعالى :

(انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب

الجحيم) (٢)

قال محمد ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : قرأت عامة القراء

(ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) بضم التاء من تسأل

ورفع اللام منها على الخبر بمعنى يا محمد انا أرسلناك بالحق

بشيرا ونذيرا فبلغت ما أرسلت به وانما عليك البلاغ والانتذار

ولست مسؤلا عن كفر بما أتيت به من الحق وكان من أهل الجحيم

ثم قال الشيخ رحمه الله : وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا

تسأل عن اصحاب الجحيم) جزما بمعنى النهي مفتوح التاء

من تسأل وجرم اللام منها — ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء (انا

أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لتبلغ ما أرسلت به لا تسأل عن اصحاب

الجحيم فلا تسأل عن حالهم وتأول الذين قروا هذه القراءة

(١) انظر النثر في القراءات المشرلا بن الجزري ٢ / ٢١٩ . والبدور
الزاخرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي ع ٣٥

(٢) سورة البقرة آية - ١١٩ -

ما حدثنا ^(١) أبو كريب قال حدثنا وكيع عن موسى بن عبيدة محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست شمري ما فصل أبواب فنزلت (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) .
قال أبو جعفر : والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر لأن الله جل ثناؤه قصي قصي أقوام من اليهود والنصارى وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجرأتهم على أنبيائه ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (انا أرسلناك) يا محمد (بالحق بشيرا) من آمن بك واتبعك من قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه (ونذيرا) من كفر بك وخالقك فبلغ رسالتي فليس عليك من أعمال من كفر بك - بعد ابلاغك إياه . .
رسالتي - تمة ولا أنت مسؤل عما فعل بعد ذلك . . ولم يجز - لسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عن أصحاب الجحيم - ذكر فيكون لقوله : (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) وجه بوجه إليه . . وإنما الكلام موجه إلى ما دل عليه ظاهر المفهوم حتى تأتي دلالة بيينة تقوم بها الحجة على أن المراد به غير ما دل عليه ظاهره فيكون حينئذ مسلما للحجة الثابتة بذلك ولا خصم

(١) ذكر الشيخ أحمد محمد شاركر في التحقيق أن الحديث مرسل فأن محمد ابن كعب بن سليم القرظي تابعي والمرسل لا تقوم به حجة ثم قال اسناده ضعيف بضعف روايه : موسى بن عبيدة بن نشيط الرسدي : ضعيف جدا مترجم في التهذيب والكبير للبخاري ٢٩١/١/٤ والصغير ١٧٢-١٧٣ .

تقوم به الحججة على أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يسأل -
في هذه الآية - عن أصحاب الجحيم ، ولا دلالة تدل على أن ذلك
كذلك في ظاهر التنزيل . . والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر
على ما مضى ذكره قبل هذه الآية وعن ذكر بعدها من اليهود
والنصارى وغيرهم من أهل الكفر دون النهي عن المسألة عنهم ثم
قال الشيخ رحمه الله تعالى :

فإن ظن ظان أن الخبر الذي روى عن محمد بن كعب
صحيح فإن في استحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم -
في أن أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأن أبويه كانا منهم - ما
يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب إن كان الخبر عنه صحيحا
مع أن في ابتداء الخبر بعد قوله : (أنا أرسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا) ب (الواو) بقوله (ولا تسأل عن أصحاب
الجحيم) وتركه وعمل ذلك بأوليه (بالفاء) وأن يكون (أنا
أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فلا تسأل عن أصحاب الجحيم - أوضح
الدلالة على أن الخبر بقوله (ولا تسأل) أولى من النهي والرفع
به أولى من الجزم ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وقد ذكر أنها
في قراءة أبي : (وما تسأل عن أصحاب الجحيم) وفي قراءة ابن مسعود
(ولن تسأل عن أصحاب الجحيم) وكلتا هاتين القراءتين تشهد
بالرفع والخبر فيه دون النهي .

وقوله : واليهما عندى من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع

يدل دلالة واضحة على أن القراءة الأخرى خطأ وباطل لأن ضدد
العواب الخطأ والشىء يعرف بضده ليس الأمر كذلك لأن هذه
القراءة (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) بفتح تاء المضارعة وجزم
اللام على النهى - قراءة متواترة ثابتة معروفة عند القراء المشرة ولا
يمكن أن تكون خطأ ما دامت تواترت عند القراء المعروفين فى الأعمار
ولو لم يكن لها وجه عند من لم يظهر له وجه هذه القراءة ومع أن
إذا تواترت
القراءة لا بد لها من وجه توجه إليه وان كان خافيا عن بعض الناس
x
لأنها كلام المعلم الخبير (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد) فكيف لا يكون لها وجه والقراءة اذا
تواترت حق وعواب ولا يجوز لأحد الحكم عليها بالخطأ دون
الأخرى فمفا اللعنا وعنه .

وقوله : (ولم يجبر - لمسألة رسول الله على الله عليه وسلم
ربه عن أصحاب الجحيم - ذكره فيكون لقوله : ولا تسئل عمن
أصحاب الجحيم) بوجه إليه . الخ - لا يدعم حجته فى انكار
هذه القراءة المتواترة لأنه ثبت أن النبى على الله عليه وسلم قال :
(ليت شمرى ما فعل أبواى) والحديث وان كان مرسل لا يحتج به
وفى اسناده ضعف الا ان هناك ما يقولها فقد ثبت فى صحيح مسلم
أن النبى على الله عليه وسلم سأل ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له
ربه وسأل ربه أن يزور قبرها فأذن له

وقوله : ا أيضا (والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية وعن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر دون النهي عن المسألة عنهم - لا يبرر له ما ذهب اليه من معارضة هذه القراءة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن هناك نكاحا قاطعا من القرآن الكريم ينص على أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن سؤال المغفرة لأهل الجحيم وهو قوله تعالى (١) ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) . . سورة التوبة آية ١١٣ . . وسبب نزول هذه الآية الكريمة كما ذكره الشيخان وأحمد عن ابن المسيب أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال : (أى عم) قل : لا اله الا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل) فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أنا على ملة عبد المطلب : فقال النبي صلى الله عليه وسلم . . (لأستغفرن لك ما لم أنه عندك) فنزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد تبين)

(١) سورة التوبة : آية ١١٣ .

هذه الدار الاطلاع عليها وهذا فيه تخويف لهم وتسلية له عسى
الله عليه وسلم .

وقوله رحمه الله تعالى : (وقد ذكر أنها في قراءة أبي :
(وما تسأل) وفي قراءة ابن مسعود : (ولن تسأل) وكلتا هاتين
القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي - لا يكون لـه
هجمة فيما ذهب اليه من نفي قراءة الجزم لأن هاتين القراءتين اللتين
استدل بهما قراءتان شاذتان فأنى لهما معارضة القراءة
المتواترة فتبين من ذلك أن ما احتج به الشيخ من هاتين
القراءتين في انكار هذه القراءة لا عبرة له لما ذكرنا .

وأيضاً فإن الشيخ رحمه الله تعالى ذكر أن عامة القراء
قرأوا بهذه القراءة ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ، بضم التاء من
(تسأل) ورفع اللام منها على الخبر ولم يبين أصحاب هذه
القراءة من العشرة^(١) وكان الواجب عليه أن يوضح ذلك وهم :
أبن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وحمزة وأبو جعفر
وخلف الماشر والقراءة الثانية التي هي قراءة الجزم هي قراءة
نافع المدني ويعقوب الحضرمي وكان الواجب عليه أن يبين أسماء
هؤلاء القراء العشرة و لو في بعض المواضع والله أعلم .

(١) انظر النثر في القراءات العشر لابن الجزري ٢ / ٢٢١ ، والبدور

هذه الدار الاطلاع عليها وهذا فيه تخويف لهم وتسليية له على
الله عليه وسلم .

وقوله رحمه الله تعالى : (وقد ذكر أنها في قراءة أبي :
(وما تسأل) وفي قراءة ابن مسعود : (ولن تسأل) وكلتا هاتين
القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي - لا يكون لــــه
حجة فيما ذهب اليه من نفي قراءة الجزم لأن هاتين القراءتين اللتين
استدل بهما قراءتان شاذتان فأني لهما ممارسة القراءة
المتواترة فتبين من ذلك أن ما احتج به الشيخ من هاتين
القراءتين في انكار هذه القراءة لا عبرة له لما ذكرنا .

وأيضاً فإن الشيخ رحمه الله تعالى ذكر أن عامة القراء
قرأوا بهذه القراءة ولا تسأل عن أصحاب الجهم ، بضم التاء من
(تسأل) ورفع اللام منها على الخبر ولم يبين أصحاب هذه
القراءة من المشرة^(١) وكان الواجب عليه أن يوضح ذلك وهم :
أبن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وحمزة وأبو جعفر
وغلف العاصم والقراءة الثانية التي هي قراءة الجزم هي قراءة
نافع المدني ويعقوب الحضرمي وكان الواجب عليه أن يبين أسماء
هؤلاء القراء المشرة و لو في بعض المواضع والله أعلم .

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٢١ ، والبدور

قال تعالى :

(وان جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين
(١)
والماكفين والركع السجود) .

قال أبو جعفر (٢) : اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم
(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى بكسر الخاء على وجه الأمر
باتخاذ مصلى . . . وهي قراءة عامة : المصرين الكوفة والبصرة
وقراءة عامة قراءة أهل مكة ، وبعض قراءة أهل المدينة ثم قال الشيخ
رحمه الله تعالى : وذهب اليه الذين قروءه كذلك من الخبير
الذي :

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا : حدثنا هيثم قال
أخبرنا حميد عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : قلت
يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله (واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى) ثم ساق الأحاديث التي في هذا المعنى
(٣)

(١) سورة البقرة رقم الآية ١٢٥ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ٣ ص ٣٠ - المطبعة
ج ١ ص ٤٢١

(٣) حديث بأربعة أسانيد صحاح وهو مختصر من حديث خطول رواه
أحمد في المسند ١٥٧-١٦٠-٢٥٠ عن هيثم وعن ابن أبي
عدى وعن يحيى ثلاثتهم عن حميد عن أنس ورواه البخاري أيضا
عن مسدد عن يحيى كما ذكره بن كثير من رواية البخاري .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : قالوا : فأنما أنزل الله تعالى ذكره
هذه الآية أمراً منه نبيه صلى الله عليه وسلم بأخذ مقام إبراهيم
مصلّى فغير جائز قراءتها - وهي أمر - على وجه الخبر .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وقراه بعض قراءة أهل المدينة
والشام (واتخذوا) بفتح الخاء على وجه الخبر ثم اختلف في الذي
عطف عليه بقوله (واتخذوا) إذا قرئ كذلك على وجه الخبر
فقال بعض نحوي البصرة : تأويله ، إذا قرئ كذلك : (وان
جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) اتخذوا من مقام إبراهيم
مصلّى .

وقال بعض نحوي الكوفة : - بل ذلك معطوف على قوله :
(جعلنا) فكان معنى الكلام (وانما جعلنا البيت مثابة للناس
وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى) .

قال أبو جعفر : والصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا :
(واتخذوا) بكسر الخاء على تأويل الأمر بأخذ مقام إبراهيم
مصلّى (للخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
ذكرناه آنفاً وأن عمرو ابن علي حدثنا قال حدثنا يحيى بن سعيد
قال ، حدثنا جعفر بن محمد قال حدثني أبي عن جابر بن عبد الله
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (واتخذوا من مقام إبراهيم

(١) . (مصلی)

وقوله رحمه الله تعالى : بعد ذكره لقراءة الأمر التي هي
بكسر الخاء من قوله تعالى (واتخذوا) وتوجيهها (فغير جائز
قراءتها - وهي أمر - على وجه الخبر - فيه انكار ظاهر
لقراءة فتح الخاء على وجه الخبر من قوله (واتخذوا) مع
أنها قراءة متواترة عند القراء المصنفين بالأصوار وهذا لا يجوز
قطعا لأن القراءات كلها من عند الله ولا يمكن أن تكون أحادي
أحادي القراءتين عووبا والأخرى خطأ ما دامت كلتا القراءتين
متواترتين وكذلك قوله : والصواب من القراءة في ذلك عندنا
(واتخذوا) بكسر الخاء على تأويل الأمر باتخاذ مقام
ابراهيم مصلی للحديث السابق = يشعرا أيضا أن ما عدا
هذه القراءة (قراءة الأمر) خلاف الصواب الذي هو
الخطأ والغلط ثم ذكر الحجج التي تهر ما ذهب اليه
من تصويب قراءة الأمر ون غيرها من القراءات المتواترة فقال للخبر السابق
ولرواية جابر بن عبد الله قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بهذه
القراءة أي قراءة الأمر .

وهذه الحجج التي ذكرها الشيخ لا تكون له عمدة في نفسه

القراءة المتواترة وان كانت له عمدة في ثبوت قراءة الأمر وذلك أن النبي

(١) الحديث ١٩٨٩ - عمرو بن علي : هو الفلاس ، من كبار الحفاظ =

صلى الله عليه وسلم يقرأ بقراءات كلها حق وعماً بمن عند الله فلم يزل
جابر بن عبد الله الذي روى هذا الحديث يسمع قراءته بالأمر وفاته
سماع قراءة الفتح التي هي على الخبر وكون جابر لم يسمع
من النبي صلى الله عليه وسلم الا قراءة الكسر لا يفتح في قراءة
الفتح - ما دامت القراءة متواترة مع أن جابر نفسه روى قراءة الفتح أيضاً
فأن الشيخ رحمه الله تعالى لم يسند هذه القراءات التي تعرضناها
الى زوئها بذكر أسماء القراء الا اجمالاً وهذا فيه نوع من
الغموض .

واليك بيان هو القراءات الذين يقروءن بالفتح على الخبر
وهم نافع شيخ قراء المدينة بمعد أبي جعفر وعبد الله بن عامر الشامي
. . توجيه هذه القراءة بالايجاز .

(واتخذوا من مقام ابراهيم مسلّى) على الخبر معطوف
على ان جعلنا البيت) والتقدير يروا ذكر يا محمد ان جعلنا البيت
ماثبة للناس وأما وانكر ان اتخذ الناس من مقام ابراهيم مسلّى
وانكر ان عهدنا الى ابراهيم اخبار عن قبلنا من المؤمنين أنهم
اتخذوا من مقام ابراهيم مسلّى فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان
فحمل على ما قبله وما بعده ليتفق الكلام ويتطابق (ان)
محدوفة مع كل خبر لدلالة (ان) الأولى الظاهرة على ذلك

والباقون من القراء العشرة الذين مقرؤن بكسر الخاء على الأمر^(١)
هم ابن كثير وأبو عمرو والبصري وعاصم وحنزة والكسائي وأبو جعفر
ويعقوب الحضرمي وخلف العاشر - توجيه هذه القراءة أن هذا أمر
من الله إلى هذه الأمة أن تتخذ من مقام إبراهيم مصلًى كما سبق
في الحديث وذكر ما حجب الكشف عن وجوه القراءات السبع هـ هذه
الإشارة قال : وروى مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن
النبي صلى الله عليه وسلم أتى مقام إبراهيم فسبقه إليه عمر رضى الله
عنه فقال عمر : يا رسول الله هذا مقام إبراهيم - إبيك إبراهيم الذى
قال الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم هذا مقام أبينا إبراهيم
الذى قال الله : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى .
وقول عمر رضى الله عنه : هذا مقام إبيك إبراهيم الذى قال
الله فيه (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى) في هذا الحديث
لا يحتمل غير الفتح لأنه سبق طلب عمر أن يتخذوا من مقام إبراهيم
فكان سبب نزول هذه الآية (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى) ويبدو
في الظاهر التمازى بين هذا الحديث والحديث السابق من جابر
نفسه وكلا الحديثين في مسلم إلا أن أحدهما في حجة الوداع والآخر
في موضوع آخر والجمع بين هذه الأحاديث التى ظاهرها التمازى

(١) انظر النشر فى القراءات ٢/٢٢٢ والبدر الزاهرة للشيخ عبد الفتاح

أن قراءة الفتح نزلت حكاية عما كان من الأمم المسلمة السابقة من أنها اتخذت خلف مقام ابراهيم مصلى أو أن الله تعالى أخرج عنهم بذلك بمد أن فعلوه ويحمل على هذا حديث جابر الذي لم يكن في حجة الوداع وأن قراءة كسر الخاء توجه الى أن هذه الأمة أمرت باتخاذ مقام ابراهيم مصلى كما اتخذت الأمم الماضية هذا المقام مصلى وهذا الجمع هو الذي تتراح^{اليه} النفس في هذا الموضوع والله أعلم .

١١- قال تعالى (أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بنافل عما تعملون)^(١)
قال أبو جعفر^(٢) في قراءة ذلك وجهان أحدهما أم تقولون بالطاء فمن قرأ كذلك فتأويله : قل يا محمد - للقائلين لك ممن اليهود والنصارى : (كونوا هودا أو نصارى تهتوا) :-
أتجادلوننا في الله ، أم تقولون ان ابراهيم فيكون ذلك معطوفا على قوله تعالى : (أتجادلوننا في الله) .

والوجه الآخر منهما : (أم يقولون بالياء . ومن قرأ ذلك كذلك وجه قوله : أم يقولون) الى أنه استفهام مستأنف كقوله :

(١) سورة البقرة آية - ١٤٠

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ١ ص ٤٤٦ - الطبعة والنسخة المحققة لمحمود شاکر ج ٣ ص ١٢٢ .

(أم يقولون افتراه) . . . سورة السجدة . . . وكما يقال (انها
لاهل أم شاء) وانما جعله استفهاما مستأنفا لمجيء خبر
مستأنف ، كما يقال : (أتقوم أم يقوم أخوك) فيصير قوله . . .
(أم يقوم أخوك) مستأنفا لجملته ليست من الأول واستفهاما مبتدأ
ولو كان نسفا على الاستفهام الأول لكان خبرا عن الأول فقيـل
(أتقوم أم تقصد) قال الشيخ رحمه الله تعالى :
وقد زعم بعض أهل العربية أن ذلك ان قرئ كذلك بالياء فانه
كان الذي بمسد (أم) جملة تامة فهو عطف على الاستفهام الأول
لأن معنى الكلام قيل : أي هذين الأمرين كائن (هذا أم هذا :
قال أبو جعفر : والسواب من القراءة عندنا في ذلك :
(أم تقولون) (بالتاء) دون الياء عطفًا على قوله (قـيل
أتعاجوننا) بمعنى أي هذين الأمرين تفعلون) ؟ ؟ أتجادلوننا
في دين الله فتزعمون أنكم أولى منا وأهدى سبيلا - وأمرنا وأمركم
ما وصفنا على ما قد بيناه آنفا - أم تزعمون أن ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب ومن سسى الله كانوا هودا وأنعمارى على ملتكـم
فيتضح للناس بهتكم وكذبكم لأن اليهودية والنصارية حدثت بمسـد
هو لا اله الا الله من أنبيائه .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : (وغير جائزة قراءة ذلك بالياء

لشدوذها عن قراءة القراء . (١)

وقول الشيخ رحمه الله تعالى : والصواب من القراءة عندنا
في ذلك (أم تقولون) بالتاء دون الياء يعتمر انكارا لقراءة الغيب
دون قراءة الخطاب مع أن القراءتين متواترتان وهذا لا يليق
بشرف القراءات لأنها كلها كلام الله حق وصواب كما هو معلوم مما
سبق والعلل التي ذكرها في محاولة انكار القراءة بالياء
(أم يقولون) دون القراءة بالتاء لا عبرة لها لأن القراءة
أمر توقيفي لا يدخل للاجتهاد والرأي فيها حتى تنكسر
كما قال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى وما القياس في القراءة
مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا .
وما لقياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا
ومتى تواترت القراءة وجب قبولها والايمان بها ولا يجوز
ردها في أي حال من الأحوال .

وأعجب ما سبق دعوى الشيخ رحمه الله تعالى شدوذ قراءة
الغيب (بالياء) حيث قال : (وغير جائزة قراءة ذلك بالياء
لشدوذها عن قراءة القراء فكيف تكون شادة وهي قراءة متواترة
قرأ بها عدد كبير من المشرة وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة

(١) انظر الحجة للقراءات السبع لابن خالويه ص ٨٩

والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ج ١ ص ٦٦ ٠٢

وأبو جعفر وروح الراوى عن يعقوب والذين يقرؤون بالخطاب التاء
هم ابن عامر ، وحفص ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر
وروي عن الراوى عن يعقوب وأنى للشيخ ادعاء شذوذ قراءة ياء
الغيب مع أن نصف القراء العشرة قروا بها والديانة فى
فى القراءات اذا تواترت ولو كانت رواية وجب قبولها ويحرم ادعاء
شذوذها ولكن الكمال لله فعفا الله عنا وعنه .

وعلماء التوجيه مثل ابن خالويه ومكى ابن أبى طالب وغيرهما
وجهوا القراءتين الى ما يليق بهما ولم يتعرضوا الانكار أى قراءة
منهما ولم يدعوا شذوذ احدهما واليك ما كتبوا فى ذلك (١)

قوله : (أم تقولون) قرأه ابن عامر وحفص ، وحمزة والكسائي
بالتاء على المخاطبة وحسن ذلك لأنه أتبعه ما قبله من الخطاب
وما بعده وذلك قوله تعالى (اتحاجوننا فى الله) .

وقوله : (أنتم أعلم أم الله) فأجرى الكلام على نسق واحد
فى المخاطبة وقرأه الباقر بالياء على أنه اخبار عن اليهود والنصارى
وهم غيب فجرى الكلام على لفظ الفيبة وأيضاً فأن قلبه كلاماً
فى معناه بلفظ الفيبة وهو قوله : (فأن آمنوا) . آية ١٣٧
وقوله : (فقد اهتدوا) وقوله ج : (فأن تولوا) فأنما

(١) أنظر الحجة فى للقراءات السبع لأبن خالويه ص ٨٩
والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى ج ١ ص ٢٦٦ .

فإنما هم في شقاق) وقوله (فسيكفيكم الله) كله بلفظ الغيبة
أخبارا عن اليهود والنصارى فجبري (أم يقولون بالياء) على ذلك
كأنه وهذا مذهب الذي ذهب إليه علماء التوجيه هو
اللائق بهذا المقام . . والله أعلم . (١)

١٢- قال تعالى :

(أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من
أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا
فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) (٢)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وأما قوله (٣) تعالى :

(فدية طعام مسكين) فإن القراءة مختلفة في قراءتها فيمض
يقرأ بإضافة (الفدية) إلى الطعام وخفض الطعام وذلك
قراءة معظم قراء أهل المدينة بمعنى : وعلى الذين يطيقونه أن
يسفدوه طعام مسكين فلما جعل مكان (أن يقدوه) الفدية أضيف
إلى الطعام كما يقال (لزمى غرامة درهم لك) بمعنى : لزمنى

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٢٦٦ .

(٢) سورة البقرة آية - ١٨٤ .

(٣) أنظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ٣ النسخة المحققة

لشاكر ص ٤٣٨ .

أن أغرم لك درهما . وآخرون يقرؤنه بتنوين (الفدية) ورفع

الطعام بمعنى الابانة في الطعام ، عن معنى (الفدية)

الواجبة على من أفطر في صومه الواجب ، كما يقال : (لزمي

غرامة ، درهم لك) فتبين (بالدرهم) عن معنى الغرامة

ماهي ؟ وما حدها ؟ وذلك قراءة معظم قراء أهل

العراق .

قال أبو جعفر :

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (فدية طعام) بإضافة

الفدية الى (الطعام) لأن الفدية اسم للفعل وهي غير

(الطعام) المفدى به الصوم .

وذلك أن (الفدية مصدر من قول القائل (فديت)

صوم هذا اليوم بطعام مسكين أفديه فدية - كما يقال جلست

جلسة ومشيت مشية (والفدية) فعل و (الطعام) فيها

فإن كان ذلك كذلك فبين أن أصح القراءتين إضافة (الفدية)

الى (الطعام) . . وواضح خطأ قوله من قال : ان ترك بإضافة

(الفدية) الى الطعام أصح في المعنى من أجل أن (الطعام)

عنده هو (الفدية) مقتضية مفديا ومفدى به وفدية .

فإن كان (الطعام) هو (الفدية) والصوم

هو المفدى به فأين اسم فعل المقتدى الذي هو (فسدية)

ان هذا القول خطأ بين غير مشكّل . . ثم قال الشيخ رحمه
الله تعالى و أما الطعام فانه مضاف الى (المسكين) والقراءة
في ذلك مختلفون فقرأه بعضهم بتوحيد (المسكين) بمعنى : وعلى
الذين يدليقونه فدية طعام مسكين واحد لكل يوم أفطره كما
حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال ، حدثنا حسين الجعفي
عن أبي عمرو أنه قرأ (فدية رفع منون) طعام (رفع بغير تنوين
(مسكين) وقال عن كل يوم مسكين وعلى ذلك عظم قراءة أعمال
المسراق .

و قرأه آخرون بجمع (المساكين) فدية طعام ساكين
بمعنى : وعلى الذين يخليقونه فدية طعام ساكين عن الشهر
اذا أفطر الشهر كله كما حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي
عن يعقوب عن بشار عن عمرو عن الحسن (طعام ساكين
عن الشهر كله)

قال أبو جعفر : وأعجب القراءتين التي قرأه من قرأ
(طعام مسكين) ، على الواحد لأن في ابانة حكم المفسطو
يوما واحدا وصولا الى معرفة حكم المفطر جميع الشهر - وليس في ابانة
حكم المفطر جميع الشهر وصول الى ابانة حكم المفطر يوما واحدا
وأياما هي أقل من أيام جميع الشهر وأن كل (واحد) يترجم
عن الجميع وأن الجميع لا يترجم به عن (الواحد) فلذلك اخترنا

قراءة تلك بالتوحيـد .

وقول الشيخ رحمه الله تعالى :

(وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (فدية طعام) باضافة
(الفدية الى الطعام . الخ) انكار واضح لقراءة تنوين (الفدية)
ورفع الطعام على البدل او عطف بيان من (فدية) كما هي قراءة
الجمهور وذهب الشيخ الى انكار قراءة التنوين (فديه)
ورفع (طعام) وتصويب قراءة قراءة اضافة (فدية) الى
الطعام بقوله : فيبين أن أصح القراءتين اضافة (الفدية)
الى الطعام وقال وواضح خطأ قول من قال : ان ترك اضافة
الفدية الى الطعام أصح في المعنى من أجل أن الطعام عنده
هو الفدية . الخ وفي كلامه نظر من عدة أمور الأهم الأول أنه لا يوجد
من يقول ان هذه القراءة أصح في المعنى من تلك ولكن جمهور
القراء قروا بتنوين (فدية) ورفع (طعام) وقد
ترك هؤلاء اضافة الفدية الى الطعام ان كان تركهم لاضافة (فديه)
الى (طعام) يعتبر خطأ ولكن هؤلاء القراء يمتنعون
تواتر
صحة قراءتهم لأنها كلها من عند الله .
الثاني : أنه ذكر أن معظم قراء أهل العراق يقروا بتنوين
الفدية ورفع الطعام وفي ذلك تساهل لأن هذة القراءة

ليست للمراقبين قط بل يقرأ بها غيرهم من القراء واليك
بيانهم :-

قرأ ببتنوين (فديسة) ورفع (طعام)

هشام من أهل الشام وأبو عمرو البصرى وعاصم وحمزة والكسائي وخلف
العاشر ويعقوب الحضرمي وابن كثير المكي .

والذين يقرأون بالاضافة ابن ذكوان الشامى ونافع بن ابي

نسيم وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيان . (١)

الثالثة : أنه ذكر الحجج التي تكون له دليلاً لأنكار قراءة

التنوين دون قراءة الاضافة فقال : (وواضح خطأ قول من قال

ان ترك اضافة (الفديسة) الى الطعام أصح من المعنى من

أجل أن الطعام عنده هو الفدية الى أن قال فأن كان

الطعام هو الفدية والصوم هو المفدى به فأن اسم

فعل المفدى الذى هو (فدية) ان هذا القول خطأ

بين غير مشكك .

وقيل كل شيء أن القراءة اذا ثبتت بطريق التواتر

لا يردها أى قياس ولا أى علة ولا يخفى عليك ما فى كلام

(١) أنظر النشر فى القراءات المشرقة ٢/ ٢٢٦ .

والبدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضى ص ٤٣ .

الشيخ من الحكم بالخطأ على القراءة المتواترة وهذا غير جائز.

والعلل التي تمسك بها . . . لا قائمة لها حتى فسى

موضوع آخر فضلا عن الموضوع الذي مداره التوفيق والأخذ

والتلقى وعلى سبيل المثال فقد قال الشيخ رحمه الله

تعالى في منع قراءة التنوين : وأولى القراءتين بالصواب قراءة

من قرأ (فدية) طعام (بـ) ضافة الفدية الى الطعام لأن الفدية

اسم للمفعل وهي غير الطعام المفدى به الصوم الى قولـه

والفدية فصل والطعام وغيرها . .

وهذه العلل مردودة عليه لأن المصدر قد يذكر ويبراد

به اسم المفعول كما في حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال (من أحدث في أمرنا هذا

ليس منه فهو رداى مرودود عليه ما جاء به) من البدعة .

وكما يذكر اسم المفعول ويراد به المصدر كما في قوله تعالى

((بأيكـم المفتون)) ((أىكم الفتنة وهي الجنون

مع أنه قد جاء من النص القرأنى ما يدل على أن الفدية

يراد به غير الحدث الذى هو المصدر - قال تعالى فى نفس هذه

السورة ((سورة البقرة)) : ((وأتموا الحج والعمرة

لله فأن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم

حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من

من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك (١) . . الآية
فبين الله سبحانه وتعالى أن الفدية تطلق على الذات كما تطلق على
الحدث لأن الصدقة التي بين بها الفدية طعام والنسك
كذلك ذبح شاة وهذا كلها ذوات فعلم من ذلك أن دعوى . .
الشيخ رحمه الله تعالى بأن الطعام غير الفدية جاعلا ذلك مانعا
من موانع هذه القراءة قراءة التنوين باطلة لما علمت من هذا
النص الكريم وعلم من ذلك أيضا أن القراءةتين متفقتان في المعنى
لأن الاضافة عند النحاة قد تكون بمعنى من وقد تكون بمعنى
فسي وقد تكون بمعنى اللام وهذه على معنى من البيانية .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى القراءة التي في الساكين
وقال : قرأ بمض القراءة بجمع (ساكين) ومعهم بالافراد
(مسكين) ثم قال : الشيخ رحمه الله تعالى : وأعجب
القراءتين التي في ذلك قراءة من قرأ (طعام مسكين) على الواحد
بمعنى : وعلى الذين يطيقونه عن كل يوم أفطروه فدية طعام
مسكين ثم ذكر العلة التي جعلته يميل الى هذا التفضيل فقال
لأن في ابانة حكم المفطر يوما واحدا وصولا الى معرفة حكم المفطر
جميع الشهر - وليس في ابانة حكم المفطر جميع الشهر وصول

(١) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

الى ابانة حكم المفطر يوما واحدا الخ . .

واقول بالله التوفيق و تفضيله هذه القراءة يحنى (قراءة

الافراد) على غير قراءة الجميع غير سديد

لأن القراءات سنة متبعة فلا تكون قراءة افضل من قراءة

أخرى طالما علم تواترها ولا يجوز لأحد أن يفضل قراءة على

أخرى بل الواجب قبل ذلك وعدم الخوض فيها لأنها كلها

من عند الله وعلى سبيل فرض الاستئناس بهذه الحج التي

ذكرها لو كانت القضية في غير القرائن فأن جمع مساكين

له وجه لطيف يوجه اليه وذلك أنه سبقة جمع وهو

قوله تعالى (وعلى الذين) وكل واحد من هؤلاء يلزمه اذا أفطر

طعام مسكين فالذي يلزم جميعهم اذا أفطروا اطعمام

مساكين كثيرة على واحد عن كل يوم أفطره مسكين فالذهاب

الى الجمع لهذا المعنى والشيخ رحمه الله تعالى لم

يذكر أسماء الذين يقرؤون بالجمع ولا أسماء الذين يقرؤون بالافراد

وهذا فيه نوع من الابهام واليك بيانا بأسماء الذين يقرؤون بجمع

مساكين وهم :

نافع بن نعيم (١) وابن عامر الشامي وأبو جعفر يزيد بن
القمقاع المدني كما قال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى :
وفدية نون وارفع الخفض بعد في طعام الذي غصصن
دنا و تندلا ساكين مجموع وليس منونا ويفتح منه التنوين
عم وأبجلا .

١٣ - قال تعالى :

() واقتلوهم حيث ثقتهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم
والفتنة أشد من القتل ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوك فيه فإء فأتلوكم فقتلوهم ج كذلك جزاء الكافرين ()

قال الشيخ رحمه الله تعالى (٣) والقراءة مختلفة فـ
قراءة ذلك فقراته عامة قراءة المدينة ومكة : (ولا تقتلوهم عند
المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإء فأتلوكم فقتلوهم) بمعنى
ولا تبتدئوا - أيها المؤمنون - المشركين بالسقتال عند المسجد
الحرام حتى يبدؤكم به فإء ن بدأوكم به هناك عند المسجد الحرام
في الحرم فقتلوهم فإء ن الله جعل ثواب الكافرين على كفرهم

(١) انظر النشر في القراءات العشر ٢٢٦/٢ والبدور الزاهرة

ص ٤٣ .

(٢) سورة البقرة رقم الآية - ١٩١ .

(٣) انظر تفسير الطبري ج ٣ النسخة المحققة لابن شاكرو ص ٥٦١ - ٥٦٨ .

وأعمالهم السيئة القتل في الدنيا والخزى الطويل في الآخرة

ثم قال : وقرأ ذلك عظم قراء الكوفين : (ولا تقتلوهم عند

المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فأن قتلوكم فقتلوهم) بمعنى

ولا تبدؤهم بقتل حتى يبدؤكم به .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأولى هاتين القراءتين بالصواب قراءة من قرأ : ولا تقتلوهم

عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فأن قتلوكم فقتلوهم) لأن الله

تعالى ذكره لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فسي

حال - إذا قتلهم المشركون - بالاستسلام - لهم حتى يقتلوا

منهم قتيلا بعد ما أذن له ولهم بقتلهم فتكون القراءة بالاذن

بقتلهم بعد أن يقتلوا منهم أولى من القراءة بما اخترنا وإن كان

ذلك كذلك فمعلوم أنه قد كان تعالى ذكره أذن لهم بقتلهم

إن كان ابتداء القتال من المشركين قبل أن يقتلوا منهم قتيلا وبمعنى

أن يقتلوا منهم قتيلا .

وقد أسسن الشيخ في توجيه هاتين القراءتين توجيهها

طيبا حيث حمل كل قراءة على المعنى الذي يوافقها ويلائمها

لولا تعرضه أخيرا لأحدى القراءتين بالانكار وهو القراءة

بغير الف في الأفعال الثلاث ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام

حتى يقتلوكم فيه فأن قتلوكم فقتلوهم) وهذا التفضيل لا يليق

غير صحيح - ٢٦٧ - الصحيح ٤٦٦

بقراءة القراءات لأنها حقا وصواب طالما ثبت تواترها .

وأيا فأن الحجة التي اعتمد عليها في انكار القراءة بفسير

ألف لا تكون قاطعة في نفس هذه القراءة ولو كانت في غير القراءات لأن القراءة بالألف يكون توجيهها حتى يبدؤكم بالقتال فالقتال عرضة للقتل فيمكن أن يقتل الهادون منهم في أول وهلة قتيلا وهذا لا يدل على الاستسلام ثم بعد ذلك يقاتل المسلمون المشركين فيقتلون منهم قتلى واذا فالقراءتان متدخلتان حسنتان لأن من قاتل قتل ومن قتل فمعد قتال قيل وكذلك يكفي فسي توجيهه قراءة غير الألف جواب الأعمش عند ما سأله حمزة الزيات صاحب هذه القراءة قال حمزة للأعمش لأن أعمش شيخه :

أرايت قراءتك (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) ، اذا قتلوهم كيف يقتلونهم ؟ قال : ان الحرب اذا قتل منهم رجل قالوا (قتلنا) واذا ضرب منهم رجل قالوا ضربنا .

وقد أبهم الشيخ الذين يقرؤون بالألف (ولا تقتلوهم) . ولم يذكر أسماءهم حيث قال : فقرأته عامة قراء المدينة ومكة واليك بليان أسمائهم .

وهم نافع وابن كثير و أبو عمر وابن عامر وعاصم و أبو جعفر

ويعقوب .

وكذلك ابهم الذين يقرؤون ذلك بغير ألف وهم حتمزة
الزيات والكسائي وخلف العاشر ، والله أعلم .

وكان على الشيخ أن يذكر أسماء هؤلاء القراء المعروفين
وأما نسبتهم الى بلادهم فلا تكفى لأن بعض الباحثين لا علم
لهم بالقراءات ويشكل عليهم ذلك .

١٤ - قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبصروا

خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى (٢) وقد اختلف القراء

فى قراءة ذلك فقراءته عامة قراء أهل الحجاز (ادخلوا فى السلم)

بفتح السين وقراءته عامة قراء الكوفيين بكسر السين فأما الذين

فتحوا السين (من المسلم) فأنهم وجهوا تأويلها الى المسالمة

بمعنى ادخلوا فى الصلح و المسالمة وترك الحرب واعطاء

الجزية .

وأما الذين قرؤوا ذلك بكسر السين فأنهم مختلفون فى

تأويله فمنهم من يوجهه الى الاسلام بمعنى (ادخلوا فى الاسلام

كافة) و منهم من يوجهه الى الصلح بمعنى (ادخلوا فى الصلح)

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٨

(٢) أنظر جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢ المطبوع ١٨٨٥

ويشهد على أن السين تكسروهي بمعنى اللصلح بقول زهير
بن أبي سلمى (١) .

وقد قلتما ان ندرك السلم واسما بعال و معروف من
الأمر نسلم .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى التأويلات بقوله (ادخلوا في السلم) قول من قال

: معناه ادخلوا في الاسلام كافة وأما الذي هو أول القراءتين

بالصواب في قراءة ذلك فقراءة من قرأ بكسر السين لأن ذلك اذا

قرئ كذلك وان كان قد يحتمل معنى الصلح فاه معنى الاسلام

ودوام الأمر الصالح عند الضرب أغلب عليه من الصلح والمصالحة

وينشد بيت أخي كندة . (٢)

دعوت عشيرتي للسلم لما رأيتهم تولوا مدبرين

بكسر السين بمعنى دعوتهم للاسلام لما ارتدوا .

(١) ديوانه : ١٦ من معلقته النبيلة والضمير في قد قلتما

للساعيين في أي قد استقر الأمر واطمئنت النفوس فاتسع

للناس فيه بالآ يتسع في زمن الحرب وكان الحارث ه وهرم

قد حملا الحمالة في أموالهما ليصلح الناس . .

— من تعليق احمد شاعر .

وأما دعواه بأن قراءة الكسر (في السلم) أصوب من قراءة
الفتح في السين (في السلم) فغير مقوله لأن القراءتين متواترتان
فلا داعى الى تفضيل أحدهما على الأخرى ما دام الأمر كذلك
وقد أحسن الشيخ في توجيه القراءتين حيث استشهد بكلام
العرب على أن السلم يأتى بفتح السين وكسرهما بمعنى الاسلام
والسلاح وهو كذلك لولا نقضه ذلك بقوله : وأما الذى هو أولس
القراءتين بالصواب فى قراءة ذلك فقراءة من قرأ ذلك بكسر السين
ثم أطال الكلام فى بيان الحجج التى دعت الى ذلك وهـــــ
الحجج كلها مهما قويت وكثرت لا تعارض القراءات المتواترة .
وأىضا انه كما دلت فى ذكر أصحاب القراءات لم يصح
أسماءهم أى لم يسند كل قراءة الى ذوبها . بذكر صريح
أسمائهم بل أجمل ذلك حيث قال فى ذكر الذين يقرؤون بكسر
السين من (السلم) وقرآته عامة قراءة الكوفيين وهذا الاجمال
لا يكفى فى بيان المراد هنا والميك بيان أسماء أصحاب هذه القراءة
وهــــم أبو عمرو البصرى وابن عامر .
وهذا لم يذكره الشيخ بتاتا حتى اجمائرو عاصم وحمزة
ويعقوب الحضرمى وخلف العاشر .

وكذلك أبهم الشيخ أصحاب قراءة الفتح في السنين من (السليم) حيث قال : (فقرأت عناية قراء أهل الحجاز (أدخلوا في السلم) بفتح السين) ولم يبين هؤلاء القراء بذكر صريح أسمائهم وكان عليه أن يبين ذلك والميك بيان أسمائهم :

وهم نافع وأبو جعفر المدنيان وابن كثير المكي والكسائي وخلاصة القول في ذلك أن كلتا القراءتين حق وصواب من عند الله لا تكون احدهما صوابا والأخرى غير صواب . . والله أعلم .

١٥ - قال تعالى :

((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) (١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : (٢) وفي قوله (حتى يقول الرسول) وجهان من القراءة : الرفع والنصب ز ، ومن رفع فانه يقول : لما كان يحسن في موضعه (فعل) أبطل عمل (حتى) فيها لأن (حتى) غير عامله في (فعل) وانما تعمل في يفعل اذا تقدمها (فعل) وكان الذي بعدها (يفعل) وهو ما قد فعل وفرغ منه وكان ما قبلها ممن

(١) سورة البقرة رقم الآية : ٢١٤

(٢) انظر جامع البيان ج ٢ المطبعة ص ١٩٩ والنسخة المحققة لابن

شاکر ج ٤ ص ٩٠ .

من الفعل غير متناول ، فالفصح من كلام الصيرب حينئذ الرفوع
في (يفعل) وابطال عمل (حتى) عنه وذلك نحو قول القائل :
(قمت الى فلان حتى أضربه) ان كان الضرب قد كان وفرغ منه
وكان القيام غير متناول المدة فأما اذا كان ما قبل (حتى) من الفعل
على لفظ (فعل) متناول المدة وما بعدها من الفعل على لفظ
غير منقضا فالصحيح من الكلام نصب (يفعل) واعمال (حتى)
وذلك نحو قول القائل : (مازال فلان يطلبك حتى يكلمك وجمعا
ينظر اليك حتى يثبتك) فالصحيح من الكلام - الذي لا يصح
غيره - النصب بـ (حتى) كما قال الشاعر (١)

مطوت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان
فنصب (تكل) والفعل الذي بعد (حتى) ماضى لأن الذي
قبلها من المطو متناول .

(١) ديوانه : ١٨٦ و معاني القرآن للقراء ١ : ١٣٣ - وسيبويه
١ - ٢٠٣ / ٢ / ٤١٧ و رواية سيبويه سريت بهم وفي المواضع
الثاني روى حتى تكل غريهم مطا بالقوم يمطو تطوا
مد بهم وجد في السير يقول : جد بهم ورد هم في السير
حتى كلت مطاياهم فصارت من الاعاء الى حال لا تحتاج معها
الى أرسان تقاد بها وصار راکبها من الكلال الى القاء
الارسان وطرحها على الخيل لا يباليون من تعبهم واعاءهم
كيف تسير ولا الى أين - ابن شكر - تعليقه .

والصحيح من القراءة - ان كان ذلك كذلك - (وزلزلوا حتى يقول
الرسول) نصب (يقول) ان كانت (الزلزلة) فعلا متطاولا
مثل المطوب بالابل وانما الزلزلة في هذا الموضع : الخوف من العدو
لا (زلزلة الأرض) فلذلك كانت متطاولة وكان النصب في (يقول)
وان كان بمعنى (فعل) أفصح وأصح من الرفع فيه .

اقول وبالله التوفيق و ما ذهب اليه الشيخ رحمه الله تعالى
من أن النصب في (يقول) أفصح وأصح من الرفع فيه لا يليق
بهذا الموضوع الذي مناه التلطي والأخذ والتوقيف ما دامت القراءة
التي ذهب الشيخ الى مرجوحيتها متواترة عند القراءة المشهورة
لأن القراءات كلها بمنزلة واحدة كما بين النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك للمختلفين في ذلك والقاعدة أن القراءة اذا تواترت
لا يردها أى قياس عربى لأنها كلام الله البارى الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (

كما قال الشاطبى رحمه الله تعالى :

وما القياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا
ذلك
وأىضا فأن قوله :- والصحيح من القراءة - ان كان كذلك
(وزلزلوا حتى يقول) (نصب) يقول) اذا كانت الزلزلة
فعلا متطاولا يدل دلالة واضحة على أن قراءة الرفع باطلة وضعيفة
لأن مقابل الصحيح هو الباطل والضعيف وهذا لم يقل به أحد
من الذين وجهوا هذه القراءات في هذه الآية الكريمة .

وقد ذكر كل من ابن خالبويه ومكي بن أبي طالب وجنسه^(١)
القراءة بالرفع أن الفعل دال على الحال التي كان عليها الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا تشمل (حتى) في حال . . فلمسا
كان ما بعدها للحال لم تعمل فيه . . والتقدير (وزلزلوا فيمسا
مضى حتى ان الرسول يقول : متى نصر الله فحكى الحال التي
كان عليها الرسول قبل : كما حكيت الحال في قوله تعالى (وكلبهم
باسط ذراعيه) . . الكهف : ١٨ . فكذاك (حتى يقول
الرسول) حكى حالا كان عليها الرسول فيما مضى .
فائدة : والرفع بمد حتى على وجهين : أحدهما أن يكون
السبب الذي أدى الفعل الذي قسمل (حتى) قد مضى والفعل
المسبب لم يمض ، ولم ينقطع نحو قولك (مرض) حتى لا يرجونه
اي مرض فيما مضى
x الآن لا يرجى فيحس الحال التي هم عليها الآن فيرفع ولا تحمل
الآية على هذا المعنى لأنها لحال قد مضى ، فحكى ، والوجه
الأخر أن يكون الفعلان جميعا قد مضيا نحو قولك سرت حتى
أدخلها أي : سرت قد دخلت ، فالدخول متصل بالسير وقد
مضيا فحكيت الحال التي كانت لأن ما مضى لا يكون حالا الا على
الحكاية فعلى هذا تحمل الآية في الرفع لا على وجه الأول من وجهي

الرفيع. (وحتى) هذه التي يرفع الفعل بعدها ليست العاطفة
ولا الجارة انما هي التي تدخل على الجمل فلا تشمل وتدخّل
على الصبغ والخبر . . . فان كان ما بعد حتى منكميا دالا على
حال قد انقضت أو على حال في الوقت لم ينقض فلا سهيل الى النصب
بها لأنها لا تنصب الا غير حال تنصبه بمعنى (كي) أو بمعنى
السي أن (

ووجه القراءة بالنصب أن (حتى) جعلت غاية للزلزلة
فنصبت بمعنى (الى أن) والتقدير : وزلزلوا الى أن قال
الرسول فجعل (قول الرسول) غاية لخوف أصحابه أي : لم يزلوا
خائفين الى أن قال الرسول صلى الله عليه وسلم فالعلان قد مضى
جميعا . (١)

والواجب في موضوع مداره التوقيف كالقراءات عدم الذهاب
(٢)
الى ترجيح شيء على آخر وعدم الخوض في ذلك امثالا لقول
النبي صلى الله عليه وسلم (لا تختلفوا في القرآن فإنه لا يختلِف)
لأن القراءات كلها حق وصواب لا فضل لاحدهما على الأخرى .
وقد أجمعهم الشيخ القراءات ولم يبين أصحاب القراءات
واليك بيان ذلك .

(١) أنظر الحجة في القراءات السبع لابن خالوية ص ٩٦ وأنظر
أيضا الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب
القيسي ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .
(٢) والذي يظهر لي أن هذا الكلام لعبد الله بن مسعود .

والذى يقرأ برفع اللام نافع بن نعيم شيخ المدينة بعد أبي

جمفر .

والياقون من القراء الحشرة يقرأون بنصب اللام من (يقول) وقد

عرفت توجيه القراءتين وعرفت أيضا أن ترجيح الشيخ قراءة النصب

على قراءة الرفع من شأن قراءة الرفع كما ذكرنا والله أعلم .
لا ينقص

١٦- قال تعالى :

(يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير و منافع للناس

واثمهما أكبر من نفعهما ويئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك

يبيِّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (١)

قال محمد بن جرير الطبرى (٢) رحمه الله تعالى واختلف القراء

فى قراءة ذلك فقراء عظم أهل المدينة ، وبعض الكوفيين ، والبصريين

(قل فيهما اثم كبير) بالباء بمعنى قل فى شرب هذه والقمار

هذا كبير من الأثام .

وقراء آخرون من أهل المصرين البصرة والكوفة قل فيهما اثم كبير

بمعنى الكثرة من الأثام وكأنهم رواه أن الاثم بمعنى الأثام وان كان

فى اللفظ واحدا فوصفه بمعناه من الكثرة .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالباء

(١) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(٢) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن ١ / ٢١٠ .

(قل فيهما اثم كبير) لاجماع جميعهم على قوله (اثمهما
أكبر من نفعهما) وقراءته بالباء وفي ذلك دلالة بيينة على أن الذى
وصف به الاثم الأول من ذلك هو العظم والكبر لا الكثرة فى
العدد ولو كان الذى وصف به من ذلك الكثرة لقل واثمهما
أكثر من نفعهما .

أقول وبالله التوفيق والسداد .

ان هذا المذهب الذى ذهب اليه الشيخ رحمه الله تعالى غير جائز
فى هذا المقام الذى مداره التوقيف لأنه يؤدى الى الحكم على
القراءة التى بمقابل القراءة التى صوّبها الخطء حيث قال : وأولى
القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالباء (قل فيهما اثم
كبير) ثم احتج على تصويب قراءة الباء دون قراءة التاء بأن جميع
القراء أجمعوا على القراءة بالباء فى قوله تعالى فى نفس الآية
(واثمهما أكبر من نفعهما) هذا واجماع القراء على القراءة بالباء
فى قوله تعالى : (واثمهما أكبر من نفعهما) لا يعارض قراءة تواترت
عن النبى صلى الله عليه وسلم لأن القراءة سنة متبعة ولا دخل للقياس
فيها حتى قال الشيخ هذه القراءة المجمع عليها بالقراءة التى جرى
فيها اختلاف القراء حيث قال : وفى ذلك دلالة بيينة على أن الذى
وصف به الاثم الأول من ذلك هو العظم والكبر لا الكثرة فى العدد
ولو كان الذى وصف به من ذلك الكثرة لقل (واثمهما أكبر من نفعهما)
حينئذ ولا عبرة لقياس الشيخ هذا لأن الصمدة فى باب القراءات تواتر
القراءة والتلقى والأخذ من أفواه الذين لهم قدم راسخ فى ذلك

لأنها سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول .

وقد أحسن الشيخ في توجيه هاتين القراءتين حيث وجهه
كل قراءة الى المعنى الذى يليق بها حيث اعتبر وصف الاثم بالكثرة
في قراءة التاء لأنه بمعنى الأثام ولكنه نقض ما بناه محكما حيث قال
() وفى ذلك دلالة بينة على أن الذى وصف به الاثم الأول من
ذلك هو العظم والكبر لا الكثرة فى العدد ولو كان الذى وصف
به من ذلك الكثرة لقيل (واثمهما أكبر من نفعهما) وقد عرفت
ما فى ذلك مما سبق .

وخلاصة القول فى ذلك أن كلتا القراءتين متواترة نزلتا من عند
الله كل منهما حق وصواب لا مزية لاحدهما على الأخرى .

توجيه القراءتين حينئذ كالآتى :-

والذين قرأوا بالتاء فى (كبير) حملوا على معنى العظم والتقدير
قل فيهما اثم عظيم ويقوى ذلك قوله (واثمهما أكبر من نفعهما)
بالتاء من العظم وقد أجمعوا على أن شرب الخمر من الكبائر فوجب
أن يوصف اثمه بالكبر فكذلك ينهى أن يوصف ما قرب من الشرك
بالمعظم وهو شرب الخمر لأنها كبائر والمعظم والكبير سواه .

والذين قرأوا بالتاء (فى اثم كثير) حملوه من الكثرة حملا
على المعنى وذلك أن الخمر تحدث مع شربها، أثار كثيرة من لفظ
وتخلط وسبب وأيمان وعداوة وخيانة وتغريط فى الفرائض وفى ذكر
الله وفى غير ذلك وعلى ذلك يحسن أن توصف بالكثرة . . وقد قال

بعد ذلك (و منافع للناس) فجمع المنافع ، وكذلك يجب أن تكون الأثام جمعا ، والجمع يوصف بالكثرة ، ، وأما قوله (واثمها أكبر من نفسها) بالباء فإثما ذلك لأن الأثام الثاني واحد والأول بمعنى الأثام ، فحسن في الأول الكثرة لكثرتة ولم يحسن في الثاني الكثرة لظته في المعنى وحينئذ فالقراءتان متواترتان متداخلتان لأن القراءة بالثاء مراد بها العظم ولا شك أن ما عظم فقد كثرت وقد كبر . (١)

وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هذه القراءات فقال : فقرأه عظم أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين (قل فيهما اسم كبير) بالباء . . . الخ . . . وأنت ترى هذا الاجمال الذي لم يتمرض الشيخ فيه ببيان أسماء لقراءه بذكر صريح أسماءهم وترك أيضا من أصحاب هذه القراءات ابن عامر والشامي وابن كثير من أهل مكة واليك بيان أسماء القراء فالذين يقرؤون بهذه القراءة ب (الباء) نافع بن نعيم وأبو جعفر المدنيان وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي ويعقوب الحضرمي وخلف الماشري .

وقال أيضا في الذين يقرؤون بالثاء : وقرأه آخرون من أهل

(١) انظر الحجة في القراءات السبع لابن خالوية ج ١ ص ٩٦ والكشف

عن وجوه القراءات لمكي ج ١ ص ٢٩٢ .

المصريين البصرة والكوفة (قل فيهما أثم كثير) وقد نهج الشيخ نفس
المنهج في ابهام أصحاب هذه القراءة كما عرفت سابقا وبیان ذلك
كالاتى :

والذين يقرؤون بالثاء حمزة والكسائي . . والواجب عليه بیان ذلك
بذكر صريح أسمائهم لأن الذين يقرؤون كتابه هذا ليسوا
أشخاصين فقط بل هم جمهرة الأمة ولا شك أن ذلك يشكل عليهم
ويصعب عليهم معرفة صريح أسمائهم اذا أسندوا الى بلدانهم
فقط . . والله أعلم .

١٧- قال تعالى : _____ :

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض
ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله
ولا تقربوهن ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) (١)
قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (٢) اختلفت القراءة في قراءة
ذلك فقراء بعضهم (حتى يطهرن بضم الهاء وتخفيفها وقراءه آخرون
بتشديد الطاء) (والهاء) (أى فتح الطاء) .

وأما الذين قرؤوه بضم الهاء وتخفيفها فأنهم وجهوا معناه الى :
ولا تقربوا النساء في حال حيضهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن .

(١) سورة البقرة آية = ٢٢٢

(٢) انظر جامع البيان ج ٤ على النسخة المحققة لابن شاكر ص ٣٨٢

وعلى النسخة المطبوعة ج ٢ ص ٢٢٧ .

وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد الهاء وفتحها فانهم عنوا به :
والهاء
حتى يفتسلن بالماء وشدوا الطاء لأنهم قالوا : معنى الكلمة
حتى يتشهرن ، أدغمت التاء في الطاء لتقارب مخرجيهما .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة
من قرأ (حتى يطهرن) بتشديد الطاء وفتحها ، بمعنى حتى
يغتسلن - لاجتماع الجميع على أن حراما على الرجل أن يقرب امرأته
بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر ، وإنما اختلف في (التطهر)
الذي عناه الله تعالى ذكره فأهل له جماعها .

فقال بعضهم : هو الاغتسال بالماء لا يحل لزوجهما
أن يقربها حتى تنسل جميع بدنها .

وقال بعضهم هو الوضوء للصلاة .

وقال آخرون بل هو غسل الفرج فإذا غسلت فرجها فذلك
تطهرها الذي يحل به لزوجهما غشيانها .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإذا كان اجماع من الجميع
أنا لا تحل لزوجهما بانقطاع الدم حتى تطهر كان بيننا أن أولسى
القراءتين بالصواب أنهما للباس عن فهم سامعها وذلك هو الذي
اخرنا ، إذ كان في قراءة قارئها بتخفيف الهاء وضمها ما لا يؤمن
من معه اللبس على سامعها من الخطأ في تأويلها فيرى أن لزوج الحائض
غشيانها بعد انقطاع دم حيضها عنها وقبل اغتسالها وتطهرها . أهـ

وفي كلامه هذا ما أخذ عندي من عدة وجوه :

الوجه الأول :

ذهابه الى تصويب قراءة تشديد الطاء وفتحها دون قراءة التخفيف
والضم وذلك أن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول فـ إذا
تواترت القراءة فلا يجوز الخوض فيها بدعوى أنها غير موجهة المعنى
الذي يناسب توجيهها فإذا خفى على الانسان بادراك التوجيه الذي
توجه اليه القراءة فعليه أن يؤمن بهذه القراءة ويمتد أنها صواب من
عند الله وأن لا يحكم عليها بالخطأ لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا
أن الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين يؤمنون بما أنزل اليهم من
عند الله حيث قال : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . . الآية)

ومع أن كل قراءة لها توجيه واضح لو تأمل الانسان بانصاف
لظهر له وجه ذلك بأدنى تأمل ، والقاعدة أن القراءة المتواترة
حق وصواب من عند الله .

الوجه الثاني :

احتجاجه بالاجماع من الجميع حرمة اتيان الرجل

قربان امرأته بحد انقطاع حيضها حتى تظهر وذلك أن الاجماع
من هؤلاء المذكورين لا يدفع القراءة المتواترة ، مع أن قراءة التخفيف

والضم وان دلت على أن النجاسة هو انقطاع الدم - بناءً على ما قيل :
ان الطهر انقطاع الدم والتطهر هو الاغتسال أو الوضوء أو غسل
الفرج - الا أنه لما ضم اليها قوله تعالى : (فاذا تطهروا) صار
المجموع هو النجاسة ، والآية لما دلت على وجوب الأمرين وجب
أن لا تنتهي هذه الحرمة الا عند حصول الأمرين فتبين من ذلك أن مرجع
القراءتين واحد ولا داعي لانكار قراءة دون أخرى .

والوجه الثالث :

ادعائه وجود اللبس على السامع في قراءة تخفيف الطاء
وضم الهاء فيفهم السامع من تلك القراءة أن للزوج اتیان زوجته بمجرد
انقطاع الدم ولو لم تغتسل حيث قال : (فاذا كان اجماع من
الجميع أنها لا تحل لزوجها بانقطاع الدم حتى تطهر كان بيننا أن
أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للبس عن فهم سامعها . . الخ)

وأين اللبس في كلام الله وقد أنزله الله بيانا لما أشكل على
الناس وتبياناً لكل شيء حيث قال منزله (هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين) ومتى حدث في كتاب الله لبس حتى يتسنى للشيوخ
هذا الادعاء .

وعليه أينظر الى النظم الكريم معاً لأنه لم تتم الفائدة الا بقوله :

(فاذا تطهروا بالماء فاتوهن) فهذا تمت الفائدة والحكم لأن

الكلام متمم لبعضه ببعض والمعنى على ذلك حتى ينقطع دمها
فإذا اغتسلن بالماء بعد انقطاع دمها فاتوهن من حيث أمر المولى
سبحانه كما أن قوله تعالى : (فاتطهرن) لا فائدة إلا إذا كان
متملا بيطهرن ، إذ الوطء قد يتم بزوال الدم ^{قبل} فلا بد من النظر
اليهما معا وبه يتم الحكم والفائدة في أن لا توطء الحائض إلا بانقطاع
الدم ، والتطهر بالماء فلو حمل الأول على التشديد وفتح الهاء محل
الثاني للزم أن توطء الحائض إذا تطهرت بالماء وان لم ينقطع عنها
الدم ، ففي التخفيف بيان الشرطين اللذين مع وجودهما توطء الحائض
وهما : انقطاع الدم والتطهر بالماء وكيف يكون في هذه القراءة اللبس
بل فيها البيان الذي بعده بيان شأن كلام الله تعالى في جميع
القضايا التي أعيت الجميع حلها لولا كلام الله العيين .

ولا شك أن كلتا القراءتين مؤداهما واحد كما ذكرنا ، وفي
اختلاف هاتين القراءتين بيان للحكم الشرعي وهو الجمع بين حكميين
مختلفين وهو أن الحائض لا يقرها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها
وتطهر بالاغتسال ، وهذا من روائع البيان في القرآن الكريم (الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد) فملا
عن أن يكون فيه اللبس .

وقد أهدم الشيخ قراء هاتين القراءتين كما دلت عليه بيان

ذلك :

وقد أشار إلى أن في هذا المعول حذفاً ولم يستطع بيانه ولعل هذا
الناسخ المحذوف هو الذي أثبتته لدلالة المقام عليه .

والذين يقرأون بتشديد الطاء والهاء : حمزة والكسائي

وخلف العاشر وشعبة .

وباقي القراء العشرة وهم : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو

البحري ، وابن عامر الشامي وحذف ويعقوب الحضرمي ، وأبو جعفر ،

يقرأون بسكون الطاء وضم الهاء وتخفيفها . . والله أعلم .

(١٨) قال تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف

لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده

وعلى الوارث مثل ذلك فان أراد فصلا عن تراعى منهما وتشاور فلا

جناح عليهما وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم

اذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون

بصير) .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (اختلقت القراء في قراءة

ذلك فقراء عامة قراء أهل الحجاز والكوفة والشام) لا تضار والدة

بولدها) بفتح الراء بتأويل لا تضار على وجه النهي ، وموضعه

اذا قرئ كذلك جزم غير أنه هرك - ان ترك التضعيف بأخف

الحركات وهو الفتح ، وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض أهل

البصرة) لا تضار والدة بولدها) ، ومن قرأه كذلك لم تحتسب

قراءته معنى النهي ولكنها تكون بالخبر عطفًا بقوله) لا تضار) على

قوله : (لا تكلف نفسا الا وسعها) ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى
بعد أن ذكر بحثا طويلا في طلب الصوغ لذلك ؛

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأت (الفتح)
بالنصب لأنه نهى من الله تعالى ذكره كل واحد من أبوي المولود عمن
مضارة صاحبه له حرام عليهما ذلك باجماع المسلمين فلو كان ذلك خبيرا
لكان حرام عليهما ضرارهما به كذلك . أهـ

وقوله : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بالنصب
الخ - يدل دلالة واضحة على أن قراءة الرفع غير صواب وليس الأمر كما
أوهم الشيخ في ذلك ، وذلك أن قراءة الرفع قراءة متواترة ثابتة وهي
حق وصواب من عند الله وقد سبق بيان ذلك في عدة مواضع بما ينفي
عن الاعادة .

وأما الحجج التي اعتمد عليها الشيخ في انكار هذه القراءة
وأمثالها فلا قائمة ولا سوق لها في معارضة ورد القراءة المتواترة
وعلى الشيخ ألا يتدخل في مثل هذا الموضوع لرد القراءة لأن هذا
موضوع توقيفي لا ينبغي فيه الجدل بأى حال من الأحوال ما دامت
القراءة متواترة .

وأما محاولة الانكار بعد ما تبين ذلك بدعوى أنها لا تقبل التوجيه
والأخرى تقبله فجدد خطير لأن النهي على الله عليه وسلم صواب
المختلفين ولم يخطئ أحدا منهما فقال للجميع أصبت .

وقد تركه الشيخ قراءة عشرية وهي قراءة أبي جعفر - حيث
انه يقرأ بسكون الراء مخففة (ولا تضار والدة .. الآية) .

وقد أبهم الشيخ أصحاب القراءتين ولم يذكر صريح أسمائهم
كعادته في تعرضه لهؤلاء القراء ، واليك بيان ذلك :

والذين يقرأون بفتح الراء شديدة على النهي نافع وابن عامر
وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاصم .

والذين يقرأون برفع الراء شديدة : ابن كثير ، وأبو عمرو
وبعقوب ، وقد عرفت قراءة أبي جعفر من العشرة التي تركها الشيخ .

وتوجيه القراءتين : فوجه القراءة بالرفع أنه جعل لا نفيها
لا نهيا وانح ما قبله من قوله تعالى : (لا تكلف نفسا الا وسعها)
وأيا أيضا فان النفي خبر والخبر قد يأتي في موضع الأمر ، نحو قوله
تعالى : (والمطلقات يتربصن) البقرة - ٢٢٨ ، وقوله :
(تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله) الصف - ١١ .

فكذلك هذا أتى بلفظ الخبر ومعناه النهي ووجه القراءة بالفتح
أنه جعل نهيا على ظاهر الخطاب فهو مجزوم لكن فتحت الراء لالتقاء
الساكنين لسكونها وسكون أول المشدود وخصها بالفتح دون الكسرة
لتكون حركتها موافقة لما قبلها وهو الألف أو لأن الفتح أخف
القراءتين

الحركات . وهيئذ تهم أن معناهما واحد - والله أعلم . (١)

(١) أنظر الحجة لابن خالوية ج ١ ص ٩٧ والكشف ج ١ ص ٢٩٦ .

(١٩) قال تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم) (١) .
فجمع قارى

(٢)
قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (اختلفت القراءة في ذلك فقرا بعضهم (وصية لأزواجهم) بنسب وصية بمعنى فليوصوا وصية لأزواجهم وقرا آخرون (وصية لأزواجهم) برفع الوصية ، ثم ذكر الاختلاف في رفعه فقال : وأولى القراءتين بالسواب في ذلك عندنا قراءة من قرأه رفعا لدلالة ظاهر القرآن على أن مقام المتوفى عنها زوجها في بيت زوجها المتوفى حولا كاملا كان حقا لها قبل نزول قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) ، وقبل نزول آية الميراث ولتظاهر الأخبار عن رسول الله على الله عليه وسلم بنحو الذي دل عليه الظاهر من ذلك أوصى لهن أزواجهن بذلك قبل وفاتهم أولم يوصوا لهن فلن قال قائل وما الدلالة على ذلك :

قيل : لما قال الله تعالى ذكره : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) وكان الموصى لا شك انما يوصى في حياته بما يؤمر بانفاذه بعد وفاته وكان محالا أن يوصي بعد وفاته

(١) سورة البقرة آية ٢٤٠ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٢ المطبوعة ١٣٥٩

وكان محالا أن يوصي بعد وفاته فكان تعالى ذكره : (انما جعل
لامرأة الميت سكنى الحول بعد وفاته) علما بأنه حق لها وجب في ماله
بغير وصية منه لها ، ان كان الميت مستحيلا أن يكون منه وصية بعد
وفاته ولو كان معنى الكلام على ما تأوله من قال فليوصي وصية لكان
التنزيل : (والذين يحضرون الوفاة ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم)
كما قال : (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا
الوصية) .

بعد فلو كان ذلك واجبا لهن بوصية من أزواجهن المتوفين
لم يكن ذلك حقا لهن اذا لم يوصى أزواجهن لهن به قبل وفاتهم
ولكان لورثتهم اخراجهن قبل الحول ، وقد قال الله تعالى ذكره :
(غير اخراج) ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنه في تأويله قارئه
وصية لأزواجهم بمعنى أن الله تعالى (كان أمر أزواجهن بالوصية
لهن وانما تأويل ذلك) والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا كتب
الله لأزواجهم عليكم وصية منه لهن أيها المؤمنون أن لا تخرجوهن من
منازل أزواجهن حولاً) أه .

أقول : والقراءة التي صوب الشيخ أختها ومنها . قراءة
متواترة من غير شك ولا يجوز لأحد أن يعتقد أن القراءة المتواترة غير
صواب بيد أن كلام الشيخ ظاهر في أنها غير صواب ، والذي حطبه
على ذلك ذهبه الى القياس وانسياقه مع التوجيه ظنا منه أن القراءات

علم أن

تخضع للقياس ، ومتى كان القياس حاكما على القراءات وقد القسرات
x
أمر توفيقى يجب التسليم فيه ولذلك قال : بعد أن قرر أنه لا يمكن
توجيه المبنى على قراءة النصب لأن وصية المتوفى بعد وفاته مستحيلة
حتى يوجه إليه الأمر بتقدير فليوصوا وصية - ولو كان معنى الكلام على
ما تأوله من قال : فليوصى وصية لكان التنزيل (والذين يحضرهم
الوفاة ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) كما قال تعالى : (كتب
عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية) .

بعد فلو كان ذلك واجبا لهن بوصية من أزواجهن
المتوفين لم يكن ذلك حقا لهم إذا لم يوصى أزواجهن لهن به قبل
وفاتهم ولتكان لورثتهم اخراجهن قبل الحول) .

وقد قال الله تعالى ذكره : (غير اخراج) وهذا القياس
الذى تمسك به الشيخ فى انكار هذه القراءة المتواترة لا يدفهبها
ولا يعارضها ما دام علم تواترها وقد سبق للى أن القياس لا دخل
له فى القراءة .

وأىضا دعوى الشيخ أن قراءة النصب لا توجيه لها غير
مقبولة لأنه يمح أن يقدر المذوف (كتب الله وصية لأزواجهم على
وارثة المتوفى أن يسكنوهن فى بيته حولا كاملا من غير أن يتعرضوا
بهن بالاخراج من بيوت أزواجهن فى هذه المدة التى جعل الله
لهن متاعا) .

وبالجملّة فان القراءة اذا تواترت لا يجوز لأحد أن يتعرضها بأدنى شيء من الطعن والانكار وان لم يظهر للانسان وجه توجيهها فليفوض العلم الى الله ولا يخض فيما لا علم له لأنها كلام الله تعالى (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فكيف تطيب نفس المسلم لمعارضة كلام الله تعالى ؟ ولكن الانسان معرض للخطأ ولهذا حصل منه ما حصل في هذا الموضوع والحق عدم الخوض في ذلك كما ذكرنا غير مرة في هذه الرسالة .

والدليل على أن الشيخ أراد انكار قراءة دون أخرى هنا وفيما جميع ما سبق منه وما يأتي قوله : (وانما يجوز اختيار بعض القراءات على بعض لبيّنونة المختارة على غيرها بزيادة معنوية أوجبت لها السحة دون غيرها وأما اذا كانت المعاني في جميعها متفقة فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقروءاً به من غيره . (١))

وهذا هو الأساس الذي بنى عليه الشيخ مذهبه فيما ذهب اليه من انكار بعض القراءات دون بعض وذلك أنه اذا لم يظهر له وجهه

(١) جامع البيان للطبري ج ٢ المطبوعة من ٣٢٣ عند تفسير قوله تعالى (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) وهنا ذهب الى تصويب القراءتين ولكنه قال : هذا المقال فتأكد منه .

توجيه القراءة أو مخالفتها القياس أنكرها وحكم عليها بالخطأ وقد سبق لك بيان ما في ذلك من كلام السلف .

وعلى ذلك فالقراءتان متواترتان لا فضل لاحداهما على

الأخرى كلها حق ومساوية عند الله . يجب الايمان به - والله أعلم .

وأيا قد أبهم الشيخ أصحابها ^{القراءتين} x ولم يذكر

اسماءهم سراحة كما دتسه في كتابه ، وهنا ما يوقع الانسان فسى

ليس وخصوصا الذين ليس عندهم دراية لهذا الفن هيث ان قراء الكتاب

من جميع الطبقات ومن هنا كان لزاما عليه أن يبين ذلك .

واليك بيان ما فات الشيخ رحمه الله تعالى :

(الذين قرأون برفق التاء في " وصية " من القراء المشهورة

نافع ، وأبو جعفر المدنيان ، وشعبة ، والكسائي ، ويعقوب وخلف

في اختياره ابن كثير المكي)

(والذين يقرأون بنصب التاء في " وصية " أبو عمرو والبصرى

وابن عامر الشامي ، وحفص وحمزة الكوفيان) .

(٢٠) قال تعالى : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه

له أضعافا كثيرة والله يفيض ويهسط واليه ترجعون) (١)

(١) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (وقد اختلف القراء في
قراءة قوله (فيضاعفه) بالألف ورفعه بمعنى الذي يقرض الله قرضاً
حسناً فيضاعفه له نسق يضاعف على قوله يقرض .
وقرأه آخرون بذلك المعنى (فيضمفه) غير أنهم قرؤوا بتشديد
العين واسقاط الألف .

وقرأه آخرون (فيضاعفه له) بإثبات الألف في (يضاعف)
ونصبه بمعنى الاستفهام فكأنهم تأولوا الكلام (من المقرض لله قرضاً
حسناً فيضاعفه له) فجعلوا قوله (فيضاعفه) جواباً للاستفهام وجعلوا
(من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً اسماً) لأن الذي وصلته بمنزلة
(عمرو وزيد) فكأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى قول القائل (من
أخوك فتكرمه) لأن الأصح في جواب الاستفهام بالفاء إذا لم يكن
قبله ما يعطف به عليه من فعل مستقبل نصبه ثم قال الشيخ رحمه الله
تعالى :

وأولى هذه القراءة عندنا بالصواب قراءة من قرأ (فيضاعفه له)
بإثبات الألف ورفع (يضاعف) لأن في قوله (من ذا الذي يقرض
الله قرضاً حسناً فيضاعفه) معنى الجزاء والجزاء إذا عمل في جوابه
القاء لم يكن جوابه بالقاء إلا رفعا فلذلك كان الرفع في (يضاعفه)
أولى بالصواب عندنا من النصب وإنما اخترنا الألف في (يضاعف) من
حذفها وتشديد العين لأن ذلك أفصح اللغتين وأكثرهما على السنة
المرب . أهـ (١)

أقول : وقد عرفت مما سبق من الرودود التي تناولناها
على ما وقع فيه الشيخ من انكار بعض القراءات التي سجلناها ان القراءة
اذا ثبتت بطريق التواتر لا يرد لها أى قياس ولا يعارضها أى شيء بل
يجب قبولها على الرأس والعين .

ولذلك لا عبرة لما ذهب اليه الشيخ هنا محتجا به على انكار
ما أنكره من القراءة - حيث قال : (وأولى هذه القراءات عندنا
بالسواب قراءة من قرأ (فيضاعفه له) باثبات الألف ورفع (يضاعف)
ثم ذكر العلة في ذلك حيث قال : (لأن في قوله تعالى (مسن
ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) فيضاعفه) معنى الجزاء ، والجزاء
اذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء الا رفعا - هذا والعلة
التي تعلق بها الشيخ لا تكون له حجة قوية لأن النص الكريم واضح فسي
افادة الاستفهام كما قال ابن مالك في ألفيته .

ومثل ماذا بعد ما استفهام أو من اذا لم تلغ في الكلام وهينئذ

فترجيح الشيخ قراءة الرفع على قراءة النصب في (فيضاعفه) غير
سديد لأمر :

الأمر الأول : - أن موضوع القراءات ليس كما في الموضوعات الأخرى حتى
يجوز للإنسان نقده ما دامت القراءة متواترة .

والثاني : أنه قدر معنى الشرط في الاستفهام والقاعدة النحوية

تتعلق على عدم التقدير أولى من التقدير وغاية ما هنالك أن النحاة

والمعنى من التقدير النية والاضمار

ولم يذهبوا الى مذهبه هذا
قالوا بين الشرط والموصول شبهها في افادة العموم ^x وأما المدول عما
يفيده النظم الكريم فلا داعي له فيعتبر خووجا عن الأدب المطلوب
مكتاب الله
والثالث : أن كلام الشيخ يوهم أن القراءات المتواترة على مراتب
منها ما هو عوَاب ومثلها ما هو دون ذلك فان قال قائل اذا قلت
زيد أفضل من عمرو فقولك هذا لا يدل على أن عمرو لا فضل له
وان دل على أنها اشتركا في الفضل وزاد زيد عليه فيه .

وكلام الشيخ من هذا القبيل لا يدل على أن القراءة الثانية
ليست عوَابا بل يدل على أنها دون الأخرى في كونها عوَابا .
قلت : ان القراءات كلها بمنزلة واحدة فاذا علم تواترها
لا يكون بعضها أعوَاب وبعضها عوَابا بل كلها حق وعوَاب من عند
الله والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم للمخلفين
جميعا (أصبت) .

ومتى اعتقد الانسان أن هذه القراءة دون هذه القراءة فسي
الاصوية فقد أنكر القراءة المرجوحة عنده لأن لا يتعدد ولما ذكرنا
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا والسؤال الذي
يشيره من لا علم له بحقيقة كلام الله ساقط لا عبرة له ولكن هاتين
القراءتين على طريق السلف ولا تمدل عنه .

وقد أبهم الشيخ في أصحاب هذه القراءات كما دته ولم يذكر
عريخ اسمائهم الا ما أجمل بقوله : (وقرأه آخرون وهذا لا يكفي

في هذا المقام وقد وعدناك في هذه الرسالة بيان ذلك - واليهك

بيان بأسمائهم فالذين يقرؤون يتخفيف العين وألف قبلها مع رفع

الفاء : نافع وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف الماشر. (١)

والذين يقرؤون بتشديد العين وحذف الألف مع رفع الفاء :

ابن كثير المكي وأبو جعفر المدني .

والذي يقرأ بالألف والنصب عاصم ابن أبي النجود الكوفي فقط .

والذين يقرؤون بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء :

عبد الله بن عامر الشامي ، ويمقوب الحضرمي ، ولم يتعرض الشيخ

هذه القراءة الأخيرة مع أنها من العشرة - فتبين من ذلك أن هذا

اللفظ الكريم (فيضاعفه) فيه أربع قراءات متواترة وتوجيه هذه القراءات

بلا إيجاز كالآتي :

ومن رفع يضاعف عطف على (يقرئ) ومن نصب فعلق بصواب

الاستفهام .

• ووجه تخفيف (يضاعف) لقوله (أضمافا كثيرة) .

• ووجه تضعيف (يضمفه) التكرير ومداومة الفعل .

وخلاصة الموضوع أن هذه القراءات كلها متواترة وصواب من

عند الله لا فضل لأحداها على الأخرى ويجب أن يعتقد ذلك ويؤمن به - والله أعلم .

(٢١) قال تعالى : (أو كما الذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قال وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) (١)

قال محمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى (٢)

وأما قوله (لم يتسنه) ففيه وجهان من القراءة أحدهما (لم يتسن) بحذف الهاء فى الوصل وإثباتها فى الوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء فى (يتسنه) زائدة علة كقوله (فهذا هم اقتده) ويجعل (فعلت) منه تسنيت تسنيا واعتل فى ذلك بأن السنة تجمع سنوات سنينه فجاءت على ذلك وان كان قليلا أن يكون على تسنيت فعلت بدلت النون ياء لما كثرت النونات كما قالوا تظنيت وأعله الظن ، وقد قال قوم : هو مأخوذ من قوله (من حمأ مسنون)

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

(٢) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن ج ٣ ص ٢٥٠ .

وهو المتضير وذلك أيضا اذا كان كذلك فهو أيضا مما بدلت نونه يا
وهو قراءة عامة قراءة الكوفة .

والآخر منهما اثبات الهاء في الوصل والوقف ومن قرأه
كذلك فانه يجعل الهاء في (يتسنه) لام الفعل ويجعلها مجزومة
بلم ويجعل فعلت منه (تسنيت) ويفعل (أتسنه) تسنها
وقال في تصدير السنة سنيهة ومنه أسنيت عند القوم وتسنيت عند هم
اذا أقمت سنه .

هذه قراءة عامة قراءة أهل الحجاز والمدينة
من القراءة
ثم قال الشيخ : والسواب عندى في ذلك اثبات الهاء
في الوصل والوقف لأنها شتهة في مصحف المسلمين ولا ثباتها وجهه
صحح في كلتا الحالتين في ذلك ومعنى قوله (لم يتسنه) لم يأت
عليه السدون فيتغير على لغة من قال : أسنيت عندكم أسنة اذا أقام
سنة كما قال الشاعر :

وليست بسنها ولا رجيبة . . . ولكن عرايا في السنين الجوائع
فجعل الهاء في السنة أصلا وهي اللفظة الفصحى وغير
جائز حذف حرف من كتاب الله في حال وقف أو وصل لإثباته وجهه
معروف في كلامها فان اعتل ممثل بأن المصحف قد ألحقت فيه
حروف هن زوائد على نية الوقف والوجه في الأمل عند القراءة حذفهن
وذلك كقوله (فهداهم اقتده) وقوله (يا ليتنى لم أوكتابيية)

فان ذلك هو ما لم يكن فيه شك أنه من الزوائد وأنه الحق على نية الوقف فأما ما كان محتملا أن يكون أصلا للعرف غير زائد ففيه جاز - وهو في مصحف المسلمين مثبت عرفه الى أنه من الزوائد والصلوات على أن ذلك وان كان زائدا فيما لا شك أنه من الزوائد فان العرب قد تصل الكلام بزائد فتتطرق به على نحو منطقتها به في حال القطع فيكون وصلها باياه وقطعها سواء .

وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك بإثبات الهاء في الوصل والوقف غير أن ذلك وان كان كذلك فلقوله (لم يتسنه) حكم مفارق حكم ما كان هاؤه زائدا لا شك في زياداته فيه ، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وما يدل على صحة ما قلنا من أن الهاء في (يتسنه) من لغة من قال : قد أسنهنه والمسانحة ما حدثت به من القاسم بن سلام قال : حدثنا ابن مهدي عن أبي الجراح عن سليمان بن عمير قال : حدثني هاني * مولى عثمان قال : كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت فقال زيد سله عن قوله (لم يتسنن أو لم يتسنه) - فقال عثمان اجعلوا فيها هاء ثم ساق سند آخر من هاني البربري قال :

كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فأرسلني يكتف شاة السبي أبي بن كعب فيها (لم يتسنن) وقأمهل الكافرين ولا تهديل للخلق قال فدعا بالداواة فمحا احدى اللامين وكتب لا تهديل للخلق الله

ومحا (فأمهل) وكتب الـ (فمهل الكافرين وكتب لم يتسنه) الحق فيها
الهاء ، ثم قال الشيخ ولو كان ذلك من (يتسنى) أو (يتسنن)
لما ألحق فيه أبي هاء لا موضع لها فيه ولا أمر عثمان بالحاقها فيه
أهـ .

أقول : وقد أحسن الشيخ في توجيه هاتين القراءتين حيث
وجه كليهما إلى المعنى الذى يليق بها وذكر باشتقاق كليهما
القراءتين كلمة عرفت غير أنه ذهب إلى عدم جواز حذف الهاء فى
حال وصل (يتسنه) بما بعده وقد تواترت هذه القراءة عند أهل
الفن ، وقد دعم الشيخ رحمه الله تعالى رأيه هذا بأن الهاء أعلىسة
وليست زائدة وغير جائز حذف حرف من كتاب الله فى حال وقف أو وصل
لإثباته وجه معروف فى كلامها ، ويقول عثمان حين سئل عن هذا
الحرف كيف يكتب (يسنن أو يتسنه) فقال : اجملوا فيها هاء
وكذا ما جرى لأبى حيث عرضت عليه كتف شاة فيها (لا تهديل للخلق
وفأمهل الكافرين مها يتسنه) فمحا احدى اللامين من للخلق فكتب
هكذا : (لا تهديل لخلق الله) وحذف الهمزة من (فأمهل) وكتب
هكذا (فمهل الكافرين وكتب (لم يتسنه) الحق فيها الهاء وهذا
هو ما اعتمد عليه الشيخ فى اعتراض هذه القراءة هذا .

وأما ما ذهب إليه فى ذلك من أن الهاء أعلىسة وليست زائدة فقد

عرفت من توجيه الشيخ نفسه وغيره من علماء التوجيه بأن القوم ذهبوا

الى زيادتها فكل بنسبي على ذلك مذهب قراءته .
وأما قوله : وغير جوائز حذف حرف من كتاب الله في حال وسئل
أو وقف لا ثباته وجه معروف في كلاما فلا يقبل منه على الاطلاق لأنه وجد
في قاعدة الرسم حذف الحرف الأعلى من غير وجود علة داعية الى ذلك
وذلك حذف الواو من هذه الأفعال الأربعة وهي : (ويدعوون
الانسان ، ويمحوا الله الباطل ، يوم يدعو الداع ، سندعوا
الزبانية) فانها كتبت في المصحف العثماني هكذا : (ويسدع
الانسلن ، ويمح الله الباطل يوم يدع الداع سندع الزبانية) ولكن من
غير نقط ولا شكل في الجميع .

قالوا : والسرفى حذفها من (يدع الانسان) هو الدلالة
على أن هذا الدعاء سهل على الانسان يسارع فيه كما يسارع الى الخير
بل اثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير .

والسرفى حذفها من (ويمح الله الباطل) الاشارة الى سرعة
ذلهابه واضمحلاله .

والسرفى حذفها من (يوم يدعو الداع) الاشارة الى سرعة
الدعاء وسرعة اجابة الداعين .

والسرفى حذفها من (سندع الزبانية) الاشارة الى سرعة
الفعل واجابة الزبانية وقوة البطش . (١)

(١) أنظر مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ -

وكذلك حذفت الياء كما في قوله تعالى (يوم يأت لا تكلم نفس
الا بانته) وقد قرأ بعض القراء باء ثبات الياء وهم - من السبعة -
نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو البعري ، والكسائي - الا أنهم
يختلفون في الوصل والوقف فابن كثير يثبت في الحالين أي في حال
الوقف والوصل ونافع وأبو عمرو والكسائي يثبتون في الوصل ويحذفون
في الوقت .

وكذلك يعقوب من العشرة يثبت في الوصل والوقف وأبو جعفر
من العشرة يثبت في حال الوصل ويحذف في الوقف وناقى القراء يحذفون
هذه الياء من (يأت) وقفا ووصلا وغير ذلك ما هو تابع للرسم كثير
لا يحصر .

وأما قول عثمان لما سئل عن ذلك اجعلوا فيها الهاء لا ينزع
قراءة الحذف لان القاعدة المتبعة في رسم ما فيه قراءتان أو أكثر
أن الكلمة اذا قرئت على وجهين تكتب ب رسم احدهما كما رسمت
الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف وهي : (ملك يوم الدين ،
يخضعون الله ووعدنا موسى نقدوهم) ونحوها وكلها مقروءة
بأشياء الألف وحذفها

وغيبة الأمر في ذلك أنه بين الرسم الذي ترسم عليه الكلمة ولم يبين وجه القراءة في ذلك ، ومن المعلوم أن رسم المصحف يبرأ به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تهديد ولا تغيير ، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لأغراض شريفة ظهرت عند المتخصصين .

ولهذا الرسم فوائد كثيرة من ذلك :

الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الامكان وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة اذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتل هاتين القراءتين أو لأكثر ، فان كان الحرف الواحد لا يحتل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل وذلك ليعلم جواز القراءة به والحرف الذي هو الأصل مثل كلمتي (الصراط والمصيطرين) بالصاد المبدلة بالسين فانهم كتبوها بالصاد وعدلوا عن السين التي هي الأصل لتكون قراءة السين وان خالفت الرسم قد أتت على الأصل فيعتلان وتكون قراءة الاثمام أيضا محتطبة ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات هذا الاحتمال وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل كليهما .

وللقاعدة أن القراءة اذا تواترت فلا يعارضها شيء ، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ووجب الايمان به ، ولهذا قرر العلماء أنه لا يجوز التحويل على المصاحف وهداها بل لا بد من التثبت ففى الأراء والقراءة بالأخذ عن حافظ ثقة وان كنت فى شك من ذلك هل يستطيع المصحف وهده بأمر رسم يكون أن يدل قارئاً أيا كان على النطق ؟

وفى السند الثانى أبو وائل من أهد الصحيح

وهو مجهل أيضاً :

الصحيح بفتوح السور الكريمة مثل (كهسى) (حم) (عسق) (طم) ومن هذا الباب الروم والتسهيل والامالة والاشمام وهذه الامور لا تخضع الا للنفس والمشاهدة وهذه القراءة التى ذهب الشيخ الى أنها مرجوحة هي قراءة متواترة يقرأ بها الثقات من القراء وهم يعقوب الحضرمي ، وهمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر .

والقراءة الثانية التى ذهب الشيخ رحمه الله تعالى الى كونها

سوابها دون القراءة الماضية هي قراءة الباقيين من العشرة وهم :

نافع وابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر وعاصم ،

وأبو جعفر المدني والقراءتان متواترتان لا فضل لاحدهما على

الأخرى - والله أعلم .

(٢٢) قال تعالى : (ان تعدوا الصدقات فنمما هي وان تخفوها
وتؤتوها للفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما
تعلمون خبير) (١)

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - : اختلف القراء
في قراءة قوله تعالى (ويكفر عنكم من سيئاتكم) فروى عن ابن عباس أنه
كان يقرؤه (وتكفر عنكم) بالتاء ومن قرأه كذلك فانه يعنى به بمعنى
ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ما ذكر في الآية من سيئاتكم ، وقرأ ذلك
بعد عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة .

(وتكفر عنكم) بالنون وهزم بالسرا يعنى (وان تخفوها
وتؤتوها للفقراء تكفر عنكم من سيئاتكم بمعنى مجازة الله عز وجل مخفي
الصدقة بتكفير بعض سيئاته بصدقته التي أخفاها ثم قال الشيخ
رحمه الله تعالى : وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب قراءة
من قرأ (وتكفر عنكم) بالنون وهزم الحرف على معنى الخبر مسن
الله عن نفسه أنه يجازى المخفي صدقته من التطوع ابتغاء وجه مسن
صفته بتكفير سيئاته وانما قلريه كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء فسي
قوله (فهو خير لكم) لأن الفاء هنالك حلت محل جواب الجزاء ،

(١) سورة البقرة رقم الآية ٢٧١ .

استئنافاً فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه فمضى
أنه غير داخل في الجزاء ، ولذلك من العلة اخترنا جزم نكفر
عطفاً به على موضع الفاء من قوله (فهو خير لكم) وقراءته بالنون . أهـ
أقول وبالله التوفيق : ان في كلام الشيخ هذا ما أخذ عندي
من عدة وجوه :

الأول : ذكره أن ابن عباس يقرأ بالتاء في (ويكفر) من غير
إشارة منه إلى أن هذه القراءة قراءة شاذة وهذا ما يوقع في اللبس .
والثاني : ذهب إلى أن الصواب من القراءات المذكورة قراءة
النون والجزم في الراء محتجاً على ذلك بأنه يؤذن أن تكفير الله
من سيئات المتصدق داخل فيما وعد الله المتصدق وأن يجازي الله
به وإذا رفع لا يؤدي إلى قطع ذلك بل يحتمل أن يكون كذلك
وأن يكون خبراً مستأنفاً .

ومن المعلوم أن في هذا اللفظ الكريم (ويكفر) ثلاث
قراءات متواترة القراءة الأولى (ونكفر) بضم النون (حرف لمضارعة
وجزم الراء) وهذه القراءة هي التي عدّها الشيخ صواباً دون القراءتين
الباقيتين ، ويقرأ بهذه القراءة : نافع ، وأبو جعفر المدنيان
وحمزة ، والكسائي ، وخلف الماشر من القراء المشرة .
والقراءة الثانية بالنون ورفع الراء وهي قراءة ابن كثير المكسي
وأبي عمرو البصري ويعقوب الحضرمي وشعبة .

والقراءة الثالثة بالياء ورفع الراء وهي قراء ابن عامر الشامي
وحفي ، وهذه القراءات كلها على درجة واحدة لا فضل لاحداها
على الاخرى بل كلها حق وصواب من عند الله ولا يجوز في أى حال
من الأحوال الذهاب الى أن قراءة أصوب من قراءة وهذا يؤدي الى
التقليل من شأن القراءة التي ذهب الى كونها مرجوحة .
وهذا لم يكن ولن يكون لأن القراءة ستة متبعة لا مجال للرأى
فيها تنبيه ذكر الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى في كتابه
(البرهان فى علوم القرآن) (١) أنه ينبغي التنبه على شىء وهو أنه
قد ترجع باحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القسرة
الأخرى وهذا غير مرضي ، لأن كليهما متواترة ، وقد حكى أبو عمر
الواهد فى كتاب (اليواقيت) عن ثعلب أنه قال : اذا اختلف
الاعراب فى القرآن عن السبعة لم أفضل اعرابا على اعراب فى القرآن
فانما خرجت الى الكلام (كلام الناس) فضلت الأقوى وهو حسن .

وقال أبو جعفر النحاس : وقد حكى اختلافهم فى ترجيحهم
(فك رقبة) بالمصدرية والفعلية فقال : والديانة تحظر الظمن
على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون مأخوذة الا عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال : (أنزل القرآن على سبعة أحرف)
منهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم احداهما على الأخرى .

(١) أنظر البرهان فى علوم القرآن للشيخ نفسه ج ١ ص ٣٣٩ .

وقال في سورة المزمل : السلامة عند أهل الدين أنه إذا
صحت القراءة فإن عن الجوع ألا يقال : أحدهما أجود لأنهما جميعا
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأثم من قال ذلك وكان رؤسا
الصحابة رضي الله عنهم ينكرون مثل هذا . أهـ (١)
وهذا هو طريق الحق الذي لا طريق غيره في هذا
الموضوع كما علمت مما سبق من الردود التي أسلفناها حول هذا
ومن كلام هؤلاء الفضلاء الذي مر بك قريبا .

والوجه الثالث :

ان الشيخ لم يبين أصحاب هذه القراءات ، وقد بينا لك ذلك
والقراءة الرابعة التي أشار إليها الشيخ رحمه الله تعالى بأنها قسراءة
ابن عباس هي قراءة شاذة وعليه أن يبين شذوذها ولكن لم يبين
ذلك عفا الله عنا وعنه .
وخلاصة القول في ذلك أن القراءات الثلاث كلها قراءات متواترة
لا فضل لاحداها على الأخرى والعلل التي احتج بها الشيخ لا تعارضها
ولا تفضل بعضها على بعض .

(١) أنظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

توجيه اللشركات :-

=====

ووجه من قرأه بالياء أن بعده (والله بما تعطون خبير)
ولم يقل (ونحن) فأتى بلفظ الغائب في (يكفر) لما بعده مسن
لفظ الغائب .

ووجه من قرأه بالنون أنه أجراه على الاخبار من الله جل ذكره
عن نفسه لأنه هو المكفر للشيئات ، وحسن أن يأتي على لفظ المخبر
للتفخيم والتمظيم .

ووجه من جزم الفعل أنه عطفه على موضع الفاء في قوله (فهو
خير لكم) لأن موضع ذلك جزم إذ هو جواب الشرط .

ووجه من رفع الفعل أنه قطعه ما قبله وجعله خبراً متبداً
معدوف وتقديره على قراءة النون (ونحن نكفر عنكم) وعلى قراءة الياء
(والله يكفر عنكم) والله أعلم بما قلنا .

(٢٣) قال تعالى : (فان لم تفعلوا فأنونا بحرب من الله ورسوله

وان تهتم فلکم رؤس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون) (١)

يقول محمد بن جرير الطبري : واختلف القراء في قراءة قوله

(فأنونا بحرب من الله ورسوله) فقرأته عامة قراء أهل المدينة

(فأنونا) بقصر الألف من (فأنونا) وفتح نالها بمعنى كونوا على

(١) سورة البقرة ج ٣ - رقم الآية ٢٧٩ .

علم واذن .

وقراه آخرون وهي قراءة عامة قراء الكوفيين (فاذنوا) بمد
الألف من قوله (فاذنوا) وبكسر الذال بمعنى اذنوا غيركم أعلموهم
وأخبروهم بأنكم على حربهم ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : (وأولى
القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ " فاذنوا " بقصر ألفها وفتح
ذالها بمعنى اذنوا ذلك واستيقنوه وكونوا على اذن من الله عز وجل
لكم بذلك وانما اخترنا ذلك لأن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله
عليه وسلم أن ينبذ الى من أقام على شركة الذي لا يقر على المقام عليه
وأن يقتل المرتد عن الاسلام منهم بكل حال الا أن يراجع الاسلام أذنه
المشركون بأنهم على حربهم أولم يأنوه فاذا كان الأمر بذلك لا يخلو
من أحد أمرين اما أن يكون مشركا مقيما على شركه الذي لا يقر عليه
أو يكون مسلما فارتد وأذن بحرب فأى الأمرين كان فانما نهى اليه
بحرب لا أنه أمر بالايذان بها ان عزم على ذلك لأن الأمران كان
اليه فأقام على أكل الربا مستحلا له ولم يؤذن المسلمون بالحرب لم
يلتزمهم حربهم وليس ذلك حكمه في واحدة من الحالين فقد علم أنه المأذون
بالحرب لا الاذن بها . أه

أقول : ان قول الشيخ : وأولى القراءتين بالصواب في

ذلك قراءة من قرأ (فاذنوا) بقصر الهمزة وفتح الذال يوهم أن هذه

القراءة صواب راجحة من الأخرى وقد علمت ما سبق أن تفضيل

القراءة على الأخرى وترجيح بعضها على بعض لا يجوز ما دامست
القراءتان متواترتين لأنها كلها حينئذ حق وصواب ، وهذا المذهب
الذي ذهب إليه الشيخ رحمه الله تعالى من عند بعض القراء المتواترة
صوابا ، وعد الأخرى هي متواترة أيضا غير صواب غير لائق بهكذا
الموضوع الذي مداره التوقيف .

والحجة التي احتج بها الشيخ لا تقلل من قيمة القراءة التي
عدها الشيخ مرجوحة وهي قراءة المد وكسر الذال من (فأذنوا)
لأن القراءة اذا ثبتت تواترها لا يعارضها أي شيء من القياسات
العقلية والانسان اذا لم يظهر له وجه معناها فعليه أن يفوض الملهم
الى الله العليم الخبير الذي أنزل هذا القرآن الكريم .

وعلى ذلك فتوجيه القراءتين هكذا ووجه القراءة بالقصر
وفتح الذال من (فأذنوا) أنه أمر للمخاطبين بترك الراء ،
أمروا أتعلموا ذلك هم أنفسهم ، فالمعنى : فان لم تتركوا الراء
فأيقنوا بحرب من الله ورسوله ، فهم المقصودون بأن يعلموا ذلك
في أنفسهم ان لم يتركوا الراء .

ووجه القراءة بالمد وكسر الذال من (فأذنوا) أنه جعله
أمرا للمخاطبين بترك الراء أن يعلموا بذلك غيرهم ممن هو على مثل
حالهم في المقام على الراء وعلى ذلك أن القراءتين ترجمان الراء
معنى واحد لأن المد يتضمن معنى القصر لأنهم اذا أعلموا غيرهم
بالحرب من الله ورسوله فقد علموا هم ذلك ان أقاموا على فعل الراء

وليس في علمهم ذلك لأنفسهم دلالة على اعلام غيرهم فالمد أعلم
لأنهم ان لم يتركوا الربا في أنفسهم ويتركه غيرهم من هو على مثل
حالهم فالحرب من الله ورسوله لازم لهم نازل عليهم وعلى من هو مثلهم .
وأيضاً وفي عبارة الشيخ غموض وذلك حيث قال : وقراً

عامه قراء أهل المدينة بالقصر وفتح الذال من (فأنوا) لأن
الذين يقرؤون بهذه القراءة ليس المدنيون فقط ، بل هي قراءة
البريين كذلك حيث يقرأ بها أبو عمرو البصري ويعقوب الحضرمي
وكذلك هي قراءة أهل مكة حيث يقرأها ابن كثير المكي وأيضاً هي
قراءة الشاميين حيث يقرأ بها عبد الله بن عامر الشامي وكذلك هي
قراءة الكوفيين حيث يقرأ بها الكسائي وخلف العاشر ، وحفص عن
عاصم ، كأن علقته أن يمين أصحاب هذه القراءة لثلاثين ظان
أن الذين يقرؤون بهذه القراءة هم المدنيون فقط ولا يقرأ بها
غيرهم .

وخلاصة القول في ذلك أن الذين يقرؤون بهذه القراءة من
المشقة ناخ بن نعيم وأبو جعفر المدنيان وأبو عمرو ويعقوب الحضرمي
البريين والكسائي ، وخلف العاشر ، وحفص الكوفيون وعبد الله
ابن كثير المكي وعبد الله بن عامر الشامي والذين يقرؤون بالقراءة
الثانية أي بالمد وكسر الذال هم حمزة وأبو بكر شعبة عن عاصم
الكوفيان - والله أعلم .

(٢٤) قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا عدايتم به يسر
الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب
كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ويمل الذي عليه الحق
وليسق الله ربه ولا يخس منه شيئا فان كان الذي عليه
الحق سفيها أضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل
وليه بالعدل واشتشهدوا شهداء من رجالكم فان لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل
احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما
دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله فلكم
أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن
تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
الا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايتمت ولا يضار كاتب ولا شهيد
وان فعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله بكل شئ
والله
(١)
عليم) . (

(ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى (٢) : (اختلفت
القراء في قراءة ذلك فقراة عامة أهل الخجاز والمدينة وبعض أهل
العراق) (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى) بفتح الألف

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن لابن جرير الطبري

من (أن) ونصب (تضل وتذكر) بمعنى فان لم يكونا رجلين فرجسئل
وامرأتان كي تذكر اهداهما الأخرى ان ضلت وهو عندهم من المقدم
الذي معناه التخيير لأن التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون
مكان (تضل) لأن المعنى ما وصفنا في قولهم وقالوا : انما
نصننا (تذكر) لأن الجزاء لما تقدم اتصل بما قبله فصار جوابه
مردودا عليه كما تقول في الكلام : انه يعجبني أن يسأل السائل
فيعطى بمعنى أنه يعجبني أن يمطى السائل ان سأل أو اذا سأل
فالذي يعجبك هو الاعطاء دون المسألة ولكن قوله : أن يسأل لما
تقدم اتصل بما قبله وهو قوله (ليعجبني) فتح أن ونصب بها ثم
أتبع ذلك قوله (يمطى) فنصبه بنصب قوله (يعجبني أن يسأل
نسفا عليه وان كان في معنى الجزاء .

وقرأ ذلك آخرون كذلك غير أنهم كانوا يقرؤنه بتسكين السدال
من (تذكر) وتخفيف كافها وقارؤوا ذلك كذلك مختلفون فيما
بينهم في تأويل قراءتهم اياه كذلك وكان بعضهم يوجهه الى أن معناه
(فتصيرا هداها الأخرى ذكرا باجتماعها بمعنى أن شهادتهما
انما اجتمعت وشهادة صا حبتها جازت كما تجوز شهادة الواحد من
الذكور في الدين لأن شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما
جازت فيه من الدين الا باجتماع اثنتين على شهادة واحدة فتصير
شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور فكان كل واحدة

منهما في قول فأول ذلك بهذا المعنى عيرت عما حبتها مههبا
ذكرا وذهب الى قول العرب (لقد أذكرت بفلان أمه) أى ولدته
ذكرا فهي تذكر به وهي امرأة مذكرة اذا كانت تلد الذكور —
الأولاد .

وقال آخرون منهم : يوجهونه الى أنه بمعنى الذكر
بعد النسيان .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وقرأ ذلك آخرون
(ان تضل) احداهما فتذكر احداهما الأخرى (بكسر ان من قوله
(ان تضل) ورفع (تذكر) وتشديده كأنه بمعنى ابتداء الخبر
عما تفعل المرأة : ان نسيت احداهما شهادتها تذكرها
الأخرى من تشبث الذاكرة الثانية وتذكيرها ذلك وانقطاع ذلك
عما قبله ومعنى الكلام عند قارىء ذلك كذلك : (وستشهدوا
شاهدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون
من الشهادة فان احداهما ضلت نكرتها الأخرى على استئناف الخبر
عن فعلها . . الخ) .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهذه قراءة كان
الأعشى يقرأها ومن أخذها عنه ، وانما نصب الأعشى (تضلل)
لأنها في محل جزم بحرف الجزاء وهو (ان) تأويل الكلام على
قراءته (ان تضلل) فلما اندغمت احدى اللامين في الأخرى هو كهها

الى أخف الحركات ووقع (تذكر) بالفاء لأنه جواب الجزاء ، ثم
قال الشيخ رحمه الله تعالى : (والصواب من القراءة عندنا في ذلك
قراءة من قرأ بفتح (أن) من قوله " أن تضل " وتشديد الكاف من
قوله (فتذكر) ونصب الراء منه بمعنى (فان لم يكونا رجلين فليشهد
رجل وامرأتان كي ان ضلت احدهما ذكرتها الأخرى ، وأما نصب
(فتذكر) ففالمعطف على (تضل) وفتحت أن بحلولها محل كي
وهي في موضع جزاء والجواب بعده اكتفاء بفتحها أعني بفتح أن من
كي ونسق الثاني أعني (فتذكر) على (تضل) ليعلم أن السدى
قام مقام ما كان يعمل فيه (وهو ظاهر) قد دل عليه وأدى معناه
وعمله أي عن كي - ثم قال الشيخ : وإنما اخترنا ذلك في القراءة
لاجتماع الحجّة من قداماء القراء والمتأخرين على ذلك وانفراد الأعمش
ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ولا يجوز ترك قراءة جاء بها
المسلمون مستفيضة بينهم الى غيرها ، وأما اختيارنا (فتذكر) بتشديد
الكاف فانه بمعنى تأدية الذكر من احدهما على الأخرى وتعريفهما
بانها ذلك بتذكر فالتشديد به أولى من التخفيف . أه كلام الشيخ .
وقد أحسن الشيخ رحمه الله تعالى في توجيهه هـ
المقراءات حيث حمل كل قراءة على المعنى الذي يناسبها ويستقيم
معها ، ولكنه لم يصب في الانكار حيث أنكر القراءة المتواترة وذهب
الى عدم صوابها حين قال : والصواب من القراءة عندنا في ذلك قراءة

من قرأه بفتح (أن) من قوله (أن تضل احداهما) وتشد يد الكاف من قوله (فتذكر احداهما الأخرى) ونصب الراء منه ، ثم ذكر الملة الباعثة على سلوكه هذا السلك حيث قال : (وإنما اخترنا ذلك في القراءة لاجماع الحجة من قداماء القراء والمتأخرين على ذلك ونفراك الأعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم الى غيرها .

وهذه العلة التي ذكرها الشيخ في انكار قراءة التخفيف فسي (فتذكر) وانكار قراءة تشديد الكاف مع رفع الراء لا تبرر له ذلك لأمر: الأمر الأول ما علمت من أن القراءة اذا تواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يودها أى قياس وأى علة مهما كان الأمر ، وهذا قراءة متواترة لا يختلف فيها اثنان لأنها من القراءات العشر التي أجمع الفقهاء والمحدثون والأصوليون وأهل العلم قاطبة على تواترها .

والأمر الثاني : أن ادعاء اجماع الحجة من القراء على القراءة التي سمها دون الأخرى وادعاء انفرد الأعمش بالقراءة التي أنكرها لا يقلل قيمة القراءة التي ذهب الشيخ الى مرجوحيتها لأن القراءة اذا ثبت تواترها ولو من قارىء واحد حق وصواب ويحرم انكارها لأن العبارة ثبوتها بطريق التواتر فان قال ^{قائل} كيف تكون القراءة متواترة اذا جاءت من قواريء واحد والتواتر يقتضى خلاف ذلك قلنا : بشأن القراءة اذا علم كونها من القراءات العشر علم تواترها لاتفاق العلماء

على ذلك وخصوصا في العصر كما ذهب الى ذلك أفاضل العلماء كابن
البكي وابن الجزري . (١)

والأمر الثالث : أن اختلاف القراء في قراءاتهم اختلاف
تنوع لا اختلاف تضاد وتناقض ولأجل ذلك ذهب السلف الى أن اختلاف
القراء يختلف عن اختلاف الفقهاء لأن اختلاف القراء في قراءاتهم
في نفس الأمر كله حق وموافق بخلاف اختلاف الفقهاء ، ولذلك عسب
النبي صلى الله عليه وسلم كلا من المختلفين وهذا هو الحق السدي
لا يجوز المدول عنه الى غيره .

وقوله : بعد ذكر اجماع الحجة من قدام القراء والمطّخرين
على تلك القراءة التي سويها ، وانفراد الأعمش بتلك القراءة التي
أنكرها : ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم
الى غيرها في غاية السقوط لأنه يوهم أن الذهاب الى اثبات القراءة
الأخرى يوجب تركها ومن الذي قال هذا ؟ لأن القراءة التي
ذهب الشيخ الى سوابها متواترة ثابتة ، والقراءة التي أنكرها قراءة
متواترة ثابتة وأثبت القراء هذه وتلك ومتى تركت ؟ حتى يقول
الشيخ هذا القول عفا الله عنا وعنه .

وقد ذكر الشيخ في أول الأمر أن السواب عنده من القراءة
قراءة من قرأ بفتح (أن) في (أن تمل) وتشديد الكاف من
(فتذكر) ونسب الراء منه ولكنه خالف ذلك حيث ذكر أن الأعمش

ومن قرأ بقراءته ، انفرد بالقراءة التي أنكرها وليس الأمر كذلك لأن الذين يقرأون بغير القراءة التي ذهب الشيخ إلى أرجحيتها ليسوا الأعمش ومن قرأ قراءته فقط ، بل هناك ابن كثير وأبو عمرو البصرى ، ويعقوب الحضرمي يقرأون بتخفيف الكاف مع نصب الراء من (فتذكر) فيبين من ذلك أن القراءات التي أنكرها الشيخ قراءتان قراءة حمزة التي هي قراءة الأعمش ، وقراءة هؤلاء المذكورين حيث يقرأ حمزة بكسر همزة (ان) من (أن تضل) وتشديد الكاف من (فتذكر) ورفع الراء منه ، ويقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بفتح همزة (أن) من (أن تضل) وتخفيف الكاف من (فتذكر) ونصب الراء فلمن ذلك أن في هذا اللفظ الكريم ثلاث قراءات هاتين القراءتين المذكورتين ، والقراءة الثالثة هي التي ذهب الشيخ إلى كونها سواها دون الأخرين . وهي قراءة نافع وأبي جعفر ، وابن عامر ، وعاصم والكسائي ، وخلف العاشم ، وقد أهمل الشيخ ذكر أسماء لقراءته كما دلت عليه هذه هي عريضة اسمائهم كما علمت . . والله أعلم .

(٢٥) قال تعالى : (الا أن تكون تجارة هاضرة نديونها بينكم

فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها . . الآية) (١)

(٢) قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمصرق
وعامة القراء (الا أن تكون تجارة هاضرة) بالرفع وانفرد بمض قسراً
الكوفيين فقرأه بالنصب وذلك وان كان جائز في المربة - اذا كانت
العرب تنصب النكرات والمنعوت مع كان وتضم معها في كان مجهولاً
فتقول : ان كان طعاماً طيباً فأنتابه وترفعها فتقول : ان كان
طعاماً طيباً فأنتابه فتتبع النكرة خبرها بمثل اعرابها فان الذي
اختلف من من القراءة ثم لا أستجيز القراءة بغير الرفع في النكرة
الهاضرة لاجتماع القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم
ولا يعترض بالشاذ على الحجة . أهـ .

المهم من كلام الشيخ رحمه الله - أقول هاللله التوفيق :

وهذا انكار محض لقراءة النصب مع أنها قراءة متواترة والقاعدة
أن القراءة اذا ثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعارضها
أى شىء الا أن ذلك يعترضه من الزلات التي حصلت من الشيخ
أثناء توجيهه للقراءات التي جاءت في تفسيره ، مع أنه ألزم نفسه
في بداية الأمر أنه لا يتعرض توجيه القراءات وعللها ولكن وقع منه
ما وقع لأنه بشر كسائر البشر يجوز عليه الخطأ والنسيان .

وقوله : فان الذى اختار من القراءة ثم لا أستجيز القراءة بغير
الرفع فى التجارة الحاضرة - يفتح الباب للطعن فى القراءات ويبيح
للناس النقد فيها لأنه يفهم منه أن للانسان أن يجيز القراءة ويمسح
ويصوبها ويخطئها كما يشاء ، وهذا لم يقل به أحد لان القراءات
أمد توقيفي وسنة متبعة لا يجوز العدول عنها طالما جاءت بطريق
التواتر ، وقد نهى السلف الصالح عن تفضيل احدى القراءة على
الأخرى فضلا عن الذهاب الى انكار القراءة الثانية ، ولذلك قال
أبو جعفر النحاس : السلامة عند أهل الدين أنه اذا تواترت القراءتان
عن الجماعة لا يقال : أحدهما أجود لأنهما جميعا عن النبي صلى الله
عليه وسلم فبأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل
هذا . أهـ . (١)

أقول : ان قوله : لدعم حجته فى انكار قراءة النصب (لاجماع
القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم ، ولا يعترض بالشاذ
على الحجة واقع بدون تفكير وتأمل لأنه يدل على أن اجماع
القراء يحصل ولو بقى منهم عدد فى الخارج فكيف يكون اجماع العشرة
وقد بقى منهم عاصم وهو من السبعة .

وأيا اعتبار الشيخ رحمه الله تعالى قراءة النصب قراءة شاذة
كما هو صريح كلامه حيث قال : (وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم)
ولا يعترض بالشاذ على الحجة باطل لأن القراءة المتواترة لا تكون
(١) أنظر البرهان فى علوم القرآن للعلام بدر الدين الزركشى ج١ ص ٣٤٠

شاذة ، وقد علم وجود هذه القراءة في القراءة السبع ولا خلاف بين العلماء في تواتر القراءات السبع ، بل العشر ، وقد ذهب الشيخ في توجيه هذه القراءات مذاهب شتى ولا حاجة الى ذكر هذه المذاهب لأنها لا طائل تحتها الا تضخم الرسالة ولذلك لم نذكرها .

توجيه القراءتين : ووجه من قرأ بالنصب (في تجارة حاضرة) أنه أضمرفي (تكون) باسمها ونصب (تجارة) على كونه خبر يكون وحاضره نعت لتجارة والتقدير (الا أن تكون المبايعات تجارة حاضرة) ووجه من قرأ الرفع فيهما أنه جعل كان تامة بمعنى وقع وحدث لا تحتاج الى خبر . . والله أعلم .

ولم يصح أسماء أصحاب هذه القراءات كعادته واليك بيان أسمائهم :

قالذين يقرأون برفع (تجارة حاضرة) من العشرة نافع وابن كثير وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر الشامي ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر ، وأبو جعفر ويعقوب الحضرمي . (١)

(١) أنظر النشر لابن الجوزي ٢/٢٣٧ والهدور الزاهرة للشيخ /
عبدالفتاح القاضى ص ٥٥

والذى يقرأ بالنصب عاصم . . والله أعلم .

(٢٦) قال تعالى : (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فمرهـان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتـموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) (١) .

قال محمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى (٢) : اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته القراء فى الأصار جميعا كتابا بمعنى لم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذى تداينتموه الى أجلسمى فرهان مقبوضة ، وقراء جماعة من المتقدمين ولم تجدوا كتابا بمعنى ولم يكن لكم الى اكتاب كتاب الدين سبيل اما بتعذر الدواه والصحيفة واما بتعذر الكاتب ، وان وجدتـم الدواة والصحيفة .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : والقراءة التى لا يـجـوز غيرها عندنا هي قراءة الأصار (ولم تجدوا كتابا) بمعنى من يكتب لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين ، وان كنتم أيها المتداينون فى سفر بحيث لا تجدون كتابا يكتب لكم ولم يكن لكم الى اكتاب كتاب الدين الذى تداينتموه الى أجلسمى بينكم الذى أمرتكم باكتابـه

(١) سورة البقرة رقم الاية ٢٨٣ .

(٢) أنظر جامع البيان للطبرى ج ٣ + ٤ ص ٩٢ فى المطبوعة

فى مصاحف المسلمين .

والا شهاد عليه سبيل فارتهنوا بديونكم التي تدينتموها الى الأجل
المسمى رهونا تقبضونها ممن تداينسون كذلك ليكون ثقة لكم
بأموالكم .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : فى قراءة قوله تعالى :
(فرهان مقبوضة) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (فرهان
مقبوضة) بمعنى جمع رهن كالكباش جمع كبش ، والبغال جمع بغل
والنعال جمع نعل ، وقرأ ذلك جماعة آخرون (فرهن مقبوضة)
على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع .

وقد وجه بعضهم الى أنها جمع رهن كما تجمع سقفا على سقفا
قالوا : لا نعلم اسما على فعل يجمع على فعل وفعل الا الرهنين
والرهن والسقف والسقف ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :
والذى هو أولى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه (فرهان مقبوضة)
لأن ذلك هو الجمع المعروف لما كان من اسم على فعل ، كما
يقال حبل وحبال ، وكعب وكعاب ونحو ذلك من الأسماء .
فأما جمع الفعل على الفعل أو الفعل فشاء قليل انما جاء
فى أحرف يسيرة وقيل سقف وسقف وسقف وقلب وقلب وقلب
من قلب النخل . . وألخ .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وانما دعا الذى قرأ ذلك
(فرهن مقبوضة) الى قراءته فيما أظن كذلك مع شذوذه فى جمع فعل

أنه وجد الرهان مستعملة في رمان الخيل فأحب صرف ذلك عن
اللفظ المتلبس برمان الخيل الذي هو يغير معنى الرمان الذي
هو جمع رهن ووجد الرهن مقولا في جمع رهن ، وهذا قول
لغريب حيث يدل على أن القراء يتصرفون في ألفاظ القرآن كيف
يشاؤون حيث يتركون لفظ ويضعون مكانه لفظا آخر . أم

أقول : ان في كلام الشيخ رحمه الله تعالى أمورا تحتاج
الى تعليق دقيق فمن ذلك ذكره القراءة الشاذة مع عدم بيان
شذوذها وذلك حيث قال : وقرأ جماعة من المتقدمين (ولم
تجدوا كتابا) ثم وجهها توجيهها طيبا ولكن مع الأسف لم يبين أنها
قراءة شاذة الا ما أشار الى ذلك بقوله : والقراءة التي لا يجوز
غيرها عندنا هي قراءة الأماص (ولم تجدوا كتابا) وهذه الإشارة
تكفي لو كان الشيخ التزم ذلك في القراءات الشاذة عندما يذكرها
ولكن الشيخ عفا الله عنه وعنا يلجأ الى نفس التعبير أحيانا في
القراءات المتواترة عند توجيهه لها أثناء تعرضه للقراءة كما هو موضوع
الرسالة فعلم من ذلك أن هذه الإشارة غير كافية في بيان المراد من
ذلك عند .

والأمر الثاني : الاتيان بالقراءة الشاذة أيضا بسدوين
أن يذكر شذوذها وذلك في قوله (وقرأ آخرون " فرهن ") مخففة
الهاء على جمع رهن ، ثم قال كما تجمع السقف سقفا ، ثم قال :
قالوا لا نعلم اسما على فعل يجمع على فعل وفعل الا الرهن والرهن

والسقف والسقف ، ولم يبين الشيخ شذوذ هذه القراءة ولم يشر الى ذلك ، فضلا عن بيان ذلك مع أن المقام يتطلب ذلك والا تتسرب على ذلك الاتيان بالقراءة الشاذة في الصلاة ممن الذين لا الطام لهم بعلم القراءات اعتمادا منهم على هذا الكتاب الكبير ، وكان عليه بيان شذوذها ولكنه فاتته ذلك عليه رحمة الله تعالى .

والأمرا الثالث قوله : (والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأه (فرهان مقبوضة) لأن ذلك هو الجمع المعروف لما كان من اسم على فعل كما يقال حبل حبال وكعب كعاب ، ثم قال : فأما جمع الفعل على الفعل والفعل فشاذ قليل انما جاء في أحرف يسيرة .

أقول : ان هذه القراءة (فرهن) بضم الراء والهاء قراءة متواترة كيف تكون قراءة شاذة أو مرجوحة ، والقاعدة اذا ثبت تواتر القراءة لا يعارضها أى شيء ، ولكن الشيخ كعادته في ذهابه الى ترجيح بعض القراءة على بعض ذهب الى هذا حيث قال :

(فأما جمع الفعل على الفعل فشاذ قليل ولذلك أى لحكمه على القراءة بضم الراء والهاء بعد بالصواب قال : والذي هو أولى بالصواب فسى ذلك قراءة من قرأه (فرهان مقبوضة) لأن ذلك الجمع المعروف ^{هو} لما كان من اسم على فعل كما يقال حبل وحبال ، وكعب وكعاب وكلامه هذا يؤدى الى اعتبار قواعد النحو والصرف أصلا للقرآن فيرجع بالقرآن

اليهما فيما وافقهما فهو القرآن وما خالفهما فليس بقرآن وهذا خطأ كبير لا يصح أن يكون .

والذى يدل على أن الرجوع بالقرآن الى قواعد النحو والصرف فى الاعتماد على صحة القراءة خطأ كبير ما ذهب اليه العلماء الأجلاء ومن ذلك ما كتبه محمد عبد الخالق عضيمة - الاستاذ بجامعة الأزهر - فى كتابه : " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " (١) وهذا نصه :

(وجهه الفقهاء عنايتهم الى مصدر الشريعة الأول وهو القرآن فأحصوا آيئت الأحكام وأشبعوا القول فيها والحديث عنها ، فالدارس للفقهاء يستطيع بسهولة ويسر أن يهتدى الى الأحكام التى مصدرها القرآن ، والأحكام التى مصدرها غيره ، والقرآن الكريم حجة فى العربية بقراءته المتواترة ، كما هو حجة فى الشريعة فالقراءة التى فقدت شرط التواتر لا تقل شأنًا عن أوثق ما نقل اليها من ألفاظ اللغة وأساليبها ، ثم قال : ولو أراد دارس النحو أن يحتكم الى أسلوب القرآن وقراءته فى كل ما يعرض له من قوانين النحو والصرف ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ذلك أن الشعر قد استبد بجهل النحاة وهولوا عليه بل جاوز كثير منهم حده فنسب اللحن الى أئمة القراءة وربما هم بأنهم لا يدرون ما العربية ، وكان تعويل النحاة على الشعر شفرة نفذ منها الطاعنون عليهم ، لهذا مست الحاجة الى انشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم فى جميع قراءاته ورواياته

(١) أنظر ج ١ ص ١

اذ فى هذه القراءات ثروة لفظية ونحوية جديدة بالدرس ، وفيها دفاع عن النحو تعضد قواعده وتدعم شواهدة . أم

فتبين من ذلك أن القرآن الكريم هو الأصل الذى يرجع إليه بواعد النحو واللفظة ، ولكن الهفوات والزلات التى وقعت من بعض النحاة انما نجمت من عدم عناية هؤلاء بدراسة القرآن الكريم وعدم تعمقهم فى ذلك والا لوجدوا فيه حلا صحيحا فى كل ما أشكل عليهم ، كما قال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقال : (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . . الآية) (١) وقد أبهم الشيخ هذه القراءات التى ذكرها هنا ولم ينسب إلى ذوبها كما هو المطلوب ، واليك بيان ما أبهمه والقراءة التى صوبها الشيخ دون الأخرى هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وعاصم وحمزة ، والكسائي ، وأبى جعفر المدني ، ويعقوب الحضرمي وخلف العاشر .

والقراءة المتواترة التى أنكرها الشيخ رحمه الله تعالى (فرهن) بضم الراء والهاء هي قراءة ابن كثير المكي ، وأبى عمرو البصرى فأعلم ذلك .

(١) سورة آل عمران آية

والقراءة الثالثة التي ذكرها (فرهن) هي قراءة شاذة

أتى بها بدون بيان شذوذها . . والله أعلم .

وقوله (وانما دعا الذى قرأ ذلك) فرهن مقبوضة الى

قراءته فيما أظن . كذلك مع شذوذه .

.. ..

(٢٧) قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وطلائحته وكتبه ورسله لا نفرق بين
أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك
المصير) (١) .

قال محمد بن جرير (٢) الطبري موجهها قوله تعالى :

(لا نفرق بين أحد من رسله) وأما قوله تعالى : (لا نفرق
بين أحد من رسله) بالنون فانه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين
أنهم يقولون ذلك ففي الكلام في قراءة من قرأ (لا نفرق) بالنون متروك
قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه وذلك المتروك هو يقولون ، وتأويل
الكلام والمؤمنون كل آمن بالله وطلائحته وكتبه ورسله يقولون لا نفرق بين
أحد من رسله ، وترك ذكر يقولون لدلالة الكلام عليه كما ترك ذكره
في قوله تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم) ، بمعنى يقولون سلام عليكم ثم قال الشيخ رحمه الله
بعد التوجيه لهذه القراءة ، وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين
(لا يفرق بين أحد من رسله) بالياء بمعنى والمؤمنون كلهم آمن بالله
وطلائحته وكتبه ورسله لا يفرق الكل منهم بين أحد من رسله فيؤمن ببعض

(١) سورة البقرة رقم الآية (٢٨٥)

(٢) أنظر تفسير الطبري - جامع البيان ج ٣ + ٤ ص ١٠١
المطبوعة .

ويكفر ببعض ولكنهم يصدقون بجميهم ويقرون أن ما جاؤا به كان من عند الله وأنهم دعوا إلى الله وإلى طاعته ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين أقروا بموسى وكذبوا عيسى والنصارى الذين أقروا بعيسى وموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ومن أشبههم من الأمم الذين كذبوا بعض الرسل الله وأقروا ببعضهم ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون) لا نفرق بين أحد من رسله) لأنها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض الذي يمتنع معه التشاغر والنمحو والفلط يعنى ما وصفنا من يقولون (لا نفرق) ، ولا يعترض بشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلا ورواية . أم - كلام الشيخ -

أقول : وبالله التوفيق :

ان لا سبيل لأحد في منع القراءة المتواترة حتى يتسنى له القول بعدم جواز القراءة التي بالياء من قوله تعالى (لا نفرق بين أحد من رسله) حيث قال رحمه الله تعالى : والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون (لا نفرق بين أحد من رسله) ثم علل بقوله : ذلك لأنها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض . . الخ .

وقوله : والقراءة التي لا تستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون (لا نفرق) انكار صريح للقراءة الثانية التي بالياء^{تقرأ} في قوله

(لا نفرق) مع أنها قراءة متواترة قرأ بها من العشرة يعقوب الحضرمي رحمه الله تعالى ، ويعقوب الحضرمي هذا كان من سابع القراء المشهورين قبل أن يلجأ (١) ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس الى تسييع السبع فأثبت مكانة الكسائي وحذف يعقوب ، ولهذا قال بعض أئمة القراء : لولا أن ابن مجاهد سبقني الى حمزة لجعلت مكانة يعقوب الحضرمي امام جامع البصرة ، وامام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين ، وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٢) ، والكسائي : انما الحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وكان (٣) السابع يعقوب الحضرمي فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة الكسائي في موضع يعقوب ، أه

وهذا امام جليل قد اعترف جمهور العلماء بتواتر قراءته فيكشف

تكون شاذة حتى حكم الشيخ عليها بالشذوذ حيث قال :

ولا يعترض بالشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقية ورواية
واذا كان مراد الشيخ رحمه الله تعالى بهذا الرأي أن قراءته شاذة حيث
لم يقرأ بها من العشرة غيره فقد أشكل عليه المراد بالقراءات المتواترة

(١) أنظر النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٩ .

ومناهل العرفان ج ١ ص ٤١٠ .

(٢) أنظر النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٦ .

(٣) ويتبادر الى الذهن من هذا الكلام أن هناك من سبع السبعة

قبل ابن مجاهد ، وازالة هذه الشبهة ما يأتي وذلك أن

الذين ألفوا في القراءات في أول الأمر أوصل القراء المشهورين الى خمسة وعشرين وقد كان يعقوب هو السابع في هذا الترتيب المساق . أه

وذلك أن القراءة إذا كانت من القراءات العشر ولو كانت من قارى واحد ولو برواية أو وجه واحد فقد ثبت لها التواتر قطعاً بدون شك ، ولذلك أفتى عبد الوهاب بن السبكي رحمه الله عندما سئل هذه صورة الاستفتاء : ما تقول السادة العلماء أئمة الدين فى القراءات العشر التى يقرأ بها اليوم هل هي متواترة أو غير متواترة وهل كلما انفرد واحد من العشرة بحرف من الحروف متواتراً لا وإذا كانت متواترة فما يجب على من جحد ما أو حرف منها ثم قال لسائل فأجبنى ومن خطه نقلت :

(الحمد لله : القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى والثلاث التى هي قراءة أبى جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة وكل حرف انفرد به واحد من العشر معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكابر فى شىء من ذلك الا جاهل ، وليس تواتر شىء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله ، ولو كان مع ذلك عامياً لا يحفظ من القرآن حرفاً ثم قال : وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا يتطرق الظنون ولا الارتباب الى شىء منه . . والله أعلم كتبه
عبد الوهاب السبكي الشافعي . أهـ (١)

(١) أنظر النشر فى القراءات العشر ج ١ ص ٤٥ - ٤٦ -
(١) وظهر لى بعد التأمل أن الذى أفى والده وليس هو والسائل ولده
عبد الوهاب هذا والله أعلم .

ولا شك بعد ذلك أن هذه القراءة التي أنكرها الشيخ
وذهب إلى عدم اجواز القراءة بها وحكم عليها بالشدوذ هي قراءة
ثابتة بطريق التواتر الذي لا يقبل الجدل ولا العناد الا أنه
أخذاً فحكم عليها بما حكم رحمه الله تعالى ، وقد أبهم الشيخ
رحمه الله تعالى أصحاب هاتين القراءتين ولم يذكر أسماءهم بعضو
كل قراءة إلى قراءتها ، واليك بيان ذلك :

والذين يقرأون بالنون في (١) (تفرق) من عدا يعقوب من
العشرة وهم : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر
الشامي ، وعاصم ، وحشمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، وخلف العاشر .
والذي يقرأ بالياء يعقوب الحضرمي ، كما علمت
واللأعلم .

الشيخ

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزى ٢/٢٣٧

والبدور الزاهرة للشيخ عبدالفتاح القاضي

القراءات

التي في سورة آل عمران

(٢٨) قال الله تعالى (سورة آل عمران) : (شهد الله
أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم) (ان الدين عند الله
الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيبنا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان
الله سريع الحساب) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :
القول في تأويل قوله (شهد الله) الآية يعنى بذلك
جل ثناؤه شهد الله أنه لا اله الا هو وشهدت الملائكة وأولوا العلم
فالملائكة معطوف على اسم الله (لفظ الجلالة) وأنه مفتوحة بشهد
وكان بعض البصريين يتأول قوله (شهد الله) قضي الله ويرفع الملائكة
بمعنى والملائكة شهود ، وأولوا العلم ، ثم قال الشيخ رحمه الله
تعالى :

وهكذا قرأت قراء أهل الاسلام بفتح الألف من أنه على ما
ذكرت من اعطال شهد في أنه الأولى وكسر الألف من أن الثانية
وابتدائها ثم قال سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان
يقرأ ذلك جميعا بفتح ألفيهما بمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو

(١) سورة آل عمران رقم الآية ١٨ - ١٩ .

وأن الدين عند الله الاسلام فعطف بأن الدين على أنه الأولي
ثم حذف واو العطف وهي مراده في الكلام .

واحتج في ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك (شهد الله أنه

لا اله الا هو . . الآية) ثم قال : (ان الدين) بكسر الهمزة

وفتح ان الثانية باعمال شهد فيها وجعل ان الأولى اعتراضا في

الكلام غير عامل فيها شهد ، وأن ابن مسعود قرأ (شهد

الله أنه لا اله الا هو) بفتح أن وكسر ان ^{الأولى الثانية} من (ان الدين عند الله)

الآية على معنى اعطال شهد في أن الأولى وان الثانية مبتدأة

فزعم أنه أراد بقراءته اياهما بالفتح ، جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود

فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قراء أهل الاسلام

المتقدمين منهم والمتأخرين ، وزعم أن ابن عباس وابن مسعود قرأ

به وغير معلوم ما ادعى عليهما برواية صحيحة ولا سقيمة ، ثم قال

الشيخ رحمه الله تعالى : وكفى شاهدا على خطأ قراءته خروجها

من قراءة أهل الاسلام فالصواب اذا كان الأمر على ما وصفنا من قراءة

ذلك فتح الألف من أنه الأولى وكسر الألف من أن الثانية أعني من

قوله (ان الدين عند الله الاسلام) ابتداء أم . البراء من كسب اللام

الشيخ - (١) .

(١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٣ × ٤ ص ١٤٠

أقول وبالله التوفيق :

ان الشيخ صرح أن القراءة بفتح همزة ان من قوله تعالى :
(ان الدين عند الله الاسلام) خطأ فاحش بحيث قال : وكفى
شاهدا على خطئي قراءته خروجها من قراءة أهل الاسلام ، والذي يفهم
من هذا الكلام أن هذه القراءة لا يقرأ بها أهل الاسلام (انما يقرأ
بها غيرهم ، وهذا يعتبر من العثرات التي عثر فيها الشيخ رحمه الله
تعالى لأن هذه القراءة قراءة متواترة قرأ بها امام من أئمة القراء
السبعة وهو الكسائي فكيف يطيب للشيخ حكم الخطأ على القراءة المتواترة
التي تلقىها الأمة بالقبول واعترفوا بتواترها ، وهذا الكلام في غاية من
الخطورة لأنه يتضمن انكار كلام الله وذلك أن من أنكر شيئا من كلام
الله كفر اذا تعمد ذلك ، والشيخ مقامه أرفع من أن ينكر قراءة متواترة تعمدا
ولكنه وقع ذلك سهوا أو خطأ ، وذهب الشيخ بعد أن حكم الخطأ
على قراءة فتح ان من قوله تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام)
الى أن الصواب فتح الألف من أنه الأولى وكسر الألف من أن الثانية
أعنى من قوله (ان الدين عند الله الاسلام) ابتدا وهذا ظاهر
في الحكم على القراءة الثانية بعدم صوابها وهذا لا يجوز كما علمت .
واتهام الشيخ رحمه الله تعالى صاحب قراءة فتح همزة
من قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) بأن الذي حملته

على هذه القراءة محاولة جمع قراءة ابن عباس ، وقراءة ابن مسعود
كما سبق لا وجه له البتة ، وذلك لأن قراءة ابن عباس وابن مسعود
إذا لم تدخلا في العشرة تعتبران من المصنوخ في العريضة
الأخيرة فكيف يجهل امام من أئمة القراء هذه الحقيقة الواضحة
حتى لقن هذه القراءة جماهير الناس ، الى أن وصلتنا هذه القراءة
بطريق التواتر كما سبق التحقيق في ذلك ، والقاعدة أو الميزان
الذي توزن به القراءة اليوم وجودها في القراءات العشر فإذا ثبت
كونها من القراءات العشر فقد جاوزت القنطرة والجسر فما اعلم ذلك
هذا ولم يذكر الشيخ رحمه الله أصحاب هذه القراءات ببيان أسمائهم
واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون بفتح الهمزة من أنه الأولى من قوله تعالى :
(شهد الله أنه لا اله الا هو) وكسر الثانية من قوله (ان الدين
الآية) نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر ، وطاصم
وحمزة ، وأبو جعفر ، ويعتوب الحضرمي ، وخلف العاشر .
والذى يقرأ بفتح الهمزة في الموضعين : الكسائي
كما عرفت ذلك . . والله أعلم . (١)

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٢٣٨/٢

(٢٩) قال تعالى : (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فنبشروهم بعذاب أليم) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى (١) :

اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقراه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قرى الأمصار (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) بمعنى القتل ، وقراه بعض المتأخرين من قرى الكوفة (ويقاتلون) بمعنى القتال تأولا منه قراءة عبد الله بن مسعود وادعى أن ذلك في مصحف عبد الله (وقاتلوا) فقرأ الذي وصفنا أمره من القراءة بذلك التأويل (ويقاتلون) ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه (ويقتلون) لاجتماع الحجة من القراءة عليه به مع مجيء التأويل بأن ذلك تأويله .

أقول وبالله التوفيق :-

يعتبر

ان هذا الكلام انكازا منه بقراءة متواترة وهذا لا يجوز قطعاً

وقد عرفت ذلك فيما سبق ، وذكر الشيخ رحمه الله تعالى أن السدى

(١) سورة آل عمران رقم الآية (٢١) .

(٢) أنظر تفسير الطبري ج ٣ × ٤ ص ١٤٤ المطبوعة

يقراً باثبات الألف بمض المتأخرين وهذا المتأخر الذى يعنيه الشيخ
هو حمزة بن حبيب الزيات الذى قال الشاطبي رحمه الله تعالى فيه
فى حرزه :

وفى يقتلون الشاني قال يقاتلون حمزة وهو الحبر ساد مقتلا
أخبر الناظم رحمه الله تعالى أن حمزة قرأ (ويقاتلون) الذين
يأمرون بالقسط) بضم اليا وفتح القاف وألف بعدها وكسر التاء
وأن الباقيين قرأوا (ويقتلون الذين) بفتح اليا واسكان القاف وضم
التاء بلا ألف والحبر العالم العظيم بفتح الحاء وكسرهما والمقتل
المجرب للأمر ويشير الى أن حمزة ساد دى زمانه على من كان فيه
لخبرته بهذا العلم .

وجزم الشيخ رحمه الله تعالى بأن الصواب من هاتين القراءتين
قراءة (يقتلون) بالألف ثم علل ذلك لاجتماع القراء على ذلك وادعاه
هذا لا يخرج القراءة المتواترة عن كونها صوابا كما سبق ذلك ، وقد
عرفت توجيه القراءتين من توجيه الشيخ رحمه الله تعالى ، وقد أبهم
الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هذه القراءات ولم يبين أسماءهم
واليك بيان ذلك :

والذى يقرأ بالألف حمزة بن حبيب الزيات .

والذين يقرأون (يقتلون) بدون ألف من عدا حمزة من

العشرة .. والله أعلم .

(٣٠) قال تعالى : (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا

حسنا وكفلها زكريا . كلمت دخل عليها زكريا المحراب وجسد

عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو ان

الله يرزق من يشاء بشير حساب (١)

قال محمد بن جرير الطبرى :

اختلفت القراءة فى قراءة قوله تعالى (وكفلها) فقرأت

عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة (وكفلها) مخففة الفاء بمعنى

ضمها زكريا اليه اعتبارا بقول الله تعالى (يلقون أقلامهم أيهم يكفل

مريم) وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بتشديد الفاء (وكفلها زكريا

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ

(وكفلها) مشددة الفاء بمعنى (وكفلها الله زكريا بمعنى وضمها

الله اليه لأن زكريا أيضا ضمها اليه بايجاب الله له ضمها اليه بالقرعة

التي أخرجها الله له (أم (٢)

أقول : - والله التوفيق :

وذهب الشيخ رحمه الله تعالى الى أن قراءة تشديد الفاء

أولى من قراءة تخفيفها بالصواب خروج عن المقياس الصحيح فى هذا

(١) سورة آل عمران رقم الآية (٣٧) .

(٢) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ج ٣ + ٤

الباب لأن القراءتين متواترتان لا أولوية لاحداهما على الأخرى
وقد عرفت مذهب السلف في تفضيل قراءة على أخرى أنه لا يجوز به
يحرم ذلك لأن ذلك يؤدي إلى الطعن في القراءات المتواترة والافتقار
بها وهذا خطير جدا . و

هذا وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هاتين
القراءتين ولم يبين أسماؤهم إلا أن ذكر النسبة إلى البلدان وهذا
غير كاف في بيان أسماؤهم - واليك بيان ذلك :

الذين يقرأون بتخفيف الفاء هم : نافع ، وابن كثير ،
وأبو عمرو ، وابن عامر الشامي ، وأبو جعفر ، ويعقوب الحضرمي .

والذين يقرأون بالتشديد : عاصم ، وحمزة والكسائي

وخلف العاشر . . والله أعلم .

(٣١) قال تعالى : (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي

في المحراب أن الله يبشرك بيحيى صدقنا

بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من

الصالحين) . (١)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : (٢)

اختلف القراء في قراءة قوله : (ان الله يبشرك) فقرأته

عامة القراء (أن الله) يبشرك بفتح الألف من أن بوقوع النداء

عليها بمعنى فنادته الملائكة بذلك ، وقراه بعض قرأ أهل الكوفة

(ان الله يبشرك) بكسر الألف بمعنى قالت الملائكة ان الله

يبشرك) لأن النداء قول ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وذكروا في قراءة عبد الله (فنادته الملائكة وهو قائم

يصلي في المحراب يا زكريا ان الله يبشرك) قالوا واذا بطل النداء

أن يكون عاملا في قوله (يا زكريا) فباطل أيضا أن يكون عاملا في

ان .

ثم قال : والصواب من القراءة في ذلك عندنا (ان الله

يبشرك) بفتح أن بوقوع النداء عليه بمعنى فنادته الملائكة بذلك

(١) سورة آل عمران رقم الآية (٣٩) .

(٢) أنظر جامع البيان للطبري ج ٣ + ٤ ص ١٧٠

ولست الملة التي امتل بها القارون بكسر (ان) من أن عبدالله
كان يقرؤها كذلك وذلك أن عبدالله ان كان قرأ ذلك كذلك فانما
قرأها بزعمهم ، وقد اعترض بيازكريا بين ان وبين قوله (فنادته)
وإذا اعترض به بينهما فان الوبر تعمل حينئذ النداء في ان وتبطله
عنها أما الابطال فانه - أي النداء - بطل عن العمل في المنادى
قبله ، فأسلوكوا الذي بعده مسلكه في بطلان عمله وأما الاعمال
فلأن النداء فعل واقع كسائر الأفعال ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى
وأما قراءة فليس نداء زكريا بيازكريا معترضا به بين ان وبين قوله
(فنادته) واذ لم يكن ذلك بينهما فالكلام الفصيح من كلام العرب
اذ نصبت بقول ناديت اسم المنادى وأوقعوه عليه أن يوقعوا كذلك
على أن بعده وان كان جائز ابطال عمله فقوله : فنادته قد
وقع على مكى زكريا فكذلك الصواب أن يكون واقعا على أن وعاملا فيها
مع أن ذلك هو القراءة المستفيضة في قراءة أمصار الاسلام ولا يعترض
بالشاذ على الجماعة التي تجى مجى الحجة . أم.

أقول : - وبالله التوفيق

ان كلمة هذا في انكار قراءة متواترة والحكم عليها
بالشذوذ كما هو واضح من هذه الكلمات التي سجلناها حيث قال :
والصواب من القراءة في ذلك عندنا (ان الله يبشرك) بفتح أن بوقوع
النداء عليه بمعنى فنادته الملائكة بذلك ، هذا ومن المعلوم

أن الصواب ضده الخطأ وانما يعرف الشيء بقضه وعلى هذا
حكمتنا على قراءة كسر ان بالخطأ والبطلان مع ثبوت تواترها فمتى
كانت القراءة المتواترة باطلا اللهم ان هذه زلة قدم عشر فيهننا
الشيخ رحمه الله تعالى ، وأيضا حكم الشيخ رحمه الله تعالى على قراءة
كسر ان من قوله (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن
الله يبشرك) بالشذذ فيا عجباً كيف تكون القراءة المتواترة شاذة
لأن هذه القراءة من القراءات العشر والقراءات العشر متواترة والشاذة
ما وراء العشر .

والحكم بالشذذ على القراءة لمتواترة التى نقلتها الأمة
جيلا بعد جيل حتى وصلت الينا بهذه الطريقة المحكمة أمر خطير
جدا لأنه يترتب على ذلك منع القراءة بها فى الصلاة لأن القراءة
الشاذة لا يجوز الاتيان بها فى الصلاة ولا يجوز اعتقاد قرانيتها ،
وعلم من ذلك أن ما قام به الشيخ من حكم الشذذ على هذه القراءة
المتواترة انما يعتبر اعتداءً عليها لأن هذا يشكك الناس فى قرانيتها
ويخصم التهمة بها وهيهات ذلك لأن الله قبيض أئمة القراء الذين
أنفوا حياتهم لخدمة القرآن ولا يعاد مثل هذه الشبهة عن قلوب
الناس حيث بينوا القراءة المتواترة عن الشاذة ، وألقوا فى ذلك
كتبا عديدة تغنى الانسان عن مثل هذه الأوهام وجزاهم الله خير
الجزاء عن القرآن وأمله .

وزعمه أن أصحاب هذه القراءة (قراءة كسران) احتجوا
في هذه القراءة بقراءة عبد الله بن مسعود لا وجه له لأن هؤلاء لا حاجة
لهم الى ذلك لأنهم يعلمون علم اليقين أن العمدة في هذا الموضوع
تواتر القراءة وقراءة عبد الله منها ما هي شاذة وأصحاب هذه القراءة
من القراء العشر الذين هم عمد في هذا الباب فتبين من ذلك أن
هؤلاء العشرة لا يعتمدون في شيء من القراءات الا على ما وصل
اليهم متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلم من ذلك أن هذه
القراءة التي أنكرها متوترة بلا خلاف بين علماء المسلمين ويجب الايمان
بها واعتقاد قرآنيته .

هذا وقد أبهم على عادات أصحاب هذه القراءات ولم ينسب
القراءة الى أصحابها بذكر أسمائهم صراحة - واليك بيان ذلك >
الذين يقرأون بفتح همزة ان من قوله تعالى (فنادته الطائفة
وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يبشرك) نافع ، وابن كثير
وأبو عمرو البصرى ، وعاصم ، والكسائى ، وأبو جعفر ، ويعقوب
الحضرمي ، وخلف العاشر .

والذين يقرأون بكسر همزة ان من قوله (فنادته الطائفة
الى ان الله يبشرك) : ابن عامر الشامي ، وحمزة بن حبيب
الزيات .

ومن المحاسن التي لا تنسى له توجيه القراءة توجيهها سديدا
الذى يوضح معنى النظم الكريم .

(٣٢) قال محمد (١) بن جزير رحمه الله تعالى :

وأما قوله (يبشرك) فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته
عامة قراء أهل المدينة والبصرة (أن الله يبشرك) بتشديد الشين
وضم اليا على وجه تبشير الله زكريا بالولد من قول الناس بشـرت
فلانا البشرى بكذا وكذا أى أتته بشارات البشرى بذلك ، وقـرأ
جماعة من قراء الكوفة وغيرهم (أن الله يبشرك) بفتح اليا وضم
الشين وتلخيفها بمعنى أن الله يبشرك بولد يهبه لك من قول
الشاعر :

بشرت عيالى اذ رأيت صحيفة . . . أتتك من الحجاج يتلى كتابها (٢)

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وقد قيل ان بشرت لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم
من قريش وانهم يقولون بشرت فلانا بكذا فأننا أبشره بشرا وهـل
أنت باشر بكذا ، وينشد لهم البيت فى ذلك :

وإذا رأيت الباهسين^(٣) الى العلى . . . غبرا أكهم بقاع ومحمل
فأعنيهم وابشروا بما بشروا به . . . وإذا هم نزلوا ببضك فانزل

-
- (١) أنظر جامع البيان للطبرى ج ٣ + ٤ ص ١٧٠ - ١٧١ .
(٢) انظر تحقيق ابن شاکر فى تفسير الطبرى ج ٦ ص ٣٦٨ نقلا
عن معاني القرآن للفراء وقال (أنشدني بعض العرب) .
(٣) بهش الى الشىء فرح به فأسرع اليه ، وروايتهم (الى النداء)
وهو الكرم والقاع أرض سهلة مستوية يتفرج عنها الجبال
والأكام ولا حصى فيها ولا حجارة ولا تنبت الشجر والمحمل
المجذب يقول اذا جئت الكرام الاسخيا قد أجتهد بهم
السنة والقحط والجذب حتى اغبرت أيدى من قلة ما يجدون
وكثرة ما بذلوا فى معونة الناس فاعنيهم .

فاذا صاروا الى الأمر . . ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :
فالكلام الفصيح من كلامهم بلا ألف فيقال أبشر فلانا بكذا
ولا يكادون يقولون بشروه بكذا ولا أبشره ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :
والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد
الشين بمعنى التبشير ، لأن ذلك هي اللفظة السائرة والكلام المستفيض
المعروف في الناس مع أن جميع قراء الأماصار مجمعون في قراءتهم
(فبم تبشرون) على التشديد والصواب في سائر ما في القرآن من
نظائره أن يكون مثله في التشديد وضم الياء ، ثم قال : وأما روى
عن معاذ الكوفي من الفرق بين التخفيف والتشديد في ذلك فلم نجد
أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح فلا معنى لما حكى
من ذلك عنه ، وقد قال جرير بن عطية :
يا بشر حق لبشرك التبشير . . . ملا غضبت لنا وأنت أمير
فقد علم أنه أراد بقوله (التبشير) الجمال والنضارة والسرور ولم
يقبل البشر ، فقد بين ذلك أن معنى التخفيف والتثقيل في ذلك
واحد . أه .

أقول : - والله التوفيق :

ولا يخفى عليك ما تضمنه كلامه من الانكار لقراءة التخفيف وذلك
حيث جاء بصيغة الحصر الذي لا بعده الحكم الى غيره حيث قال :
(والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين
بمعنى التبشير) وهذه الجملة التي أتى بها الشيخ اشتملت على تعريف

الطرفين يتخللها ضمير الفصل فاذا جاءت الجملة كذلك أفادت
الحصر قطعا ، وعلم من ذلك أنه أراد حصر القراءة المتواترة الثابتة
فى هذه القراءة بضم الياء وتشديد الشين فى قوله (يبشرك) كما
يدل على مراده هنا قوله : (لأن ذلك هى اللفظة السائرة والكلام
المستفيض المعروف فى الناس مع أن جميع قراء الأماص مجمعون فى قراءة
(فبم تبشرون) على التشديد ، ثم جزم على انما يأتى فى القرآن
الكريم من نظائره فالصواب أن يكون مثله فى التشديد وضم الياء كما
صرح ذلك بقوله : (والصواب فى سائر ما فى القرآن من نظائره أن يكون
مثله فى التشديد وضم الياء) .

ولا شك أن هذه القراءة يعنى قراءة فتح الياء وسكون الياء
وضم الشين التى أنكرها الشيخ قراءة متواترة كأختها التى يرجحها
الشيخ والقراءة اذا ثبت تواترها لا تخضع لأى قياس حتى يكون قاهرا
عليها وذلك أن القراءة سنة متبعة يأخذها الأول عن الآخر وأما ما
ادعاه من أن القراءة التى ذهب الى أرجحيتها دون الأخرى هى اللفظة
السائرة ، والكلام المستفيض . . الخ لا يمنع أن تكون قراءة التخفيف
صوابا أيضا ما دام علم تواترها ومع ذلك فانه ثبت مجيها فى كلام
العرب كما استشهد بذلك نفسه حيث قال من قول الشاعر :

بشرت عيالى اذا رأيت صحيفة . . . أتتك من الحجاج يتلى كتابها
ثم قال وقد قيل ان بشرت لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش

واستشهد لك ببيتين من الشعر كما سبق الى أن قال : فالسلام
الفصيح من كلامهم بلا ألف فيقال ابشر بكذا ، ولا يكادون يقولون
بشره بكذا ولا أبشره وحينئذ فلا وجه لادعائه تشو لغة دون أخرى
من هذه اللغات طالما جاءت القراءة بهذه وتلك ، لأن العمدة في
هذا الباب ثبوت القراءة بطريق التواتر لا غير لأن أئمة القراء
لا يحكمون لغة العرب في تصحيح القراءة بل يعتمدون على تواتر
القراءة ، وهذا رزعهما باجماع قراء الأمصار على التشديد في قوليه
تعالى (فيم تبشرون) لا يقدر ^{فما} ولا يمنع من اختلاف القراء في
مواضع أخرى كما في هذه السورة لأن مواضع الاختلاف معلومة عند القراء
كما قال الشاطبي رحمه الله :

مع الكهف والاسراء يبشركم سما نعمًا ضم رحرك واكسر الضم أثقلا
نعم في الشورى وفي التوبة اعكوا لحمزة مع كاف مع الحجر أولًا
أخبر الناظم ^{أن} ضم اليا وفتح الباء وكسر الشين المشددة
لهؤلاء القراء المرموز لهم بكم سمانم وهم : ابن عامر ونافع ، وابن كثير
وأبو عمرو البصري ، وعاصم في لفظ يبشر في هذه السورة وهو في
موضعين : (ان الله يبشرك بيحيى ، ان الله يبشرك بكلمة)
مع اللفظ الذي في سورة الكهف والذي في سورة الاسراء وهو : (ويبشرك
المؤمنين الذين يعملون الصالحات فيهما) والذين يقرأ بالتشديد
في هذه المواضع الأربعة هؤلاء السابقون والذين يقرأون بتخفيف

الشين مع فتح اليا وسكون الباء حمزة ، والكسائي .

ويقرأ المرموز لهم بنعم عم في سورة الشورى وهم : عاصم
وابن عامر ، ونافع بضم اليا وفتح الباء وكسر الشين المشددة في
قوله تعالى (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات)
فتكون قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو وحمزة والكسائي بفتح اليا وسكون
البا وضم الشين مخففة .

والموضع السادس قوله تعالى في سورة التوبة (يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان) .

والموضع السابع قوله تعالى في سورة مريم (يا زكريا انا نبشرك
بغلام) .

والثامن في نفس السورة قوله تعالى : (لتبشربه المتقين) .

والموضع التاسع قوله تعالى في سورة الحجر في الموضع الأول :

(انا نبشرك بغلام عليم) .

وفي هذه المواضع الأربعة الأخيرة يقرأ بالتشديد غير حمزة

فانه يقرأ بالتخفيف في جميع المواضع .

والحق أن القراءتين متواترتان لا شك في ذلك ، والتخفيف

والتشديد لغتان مشهورتان من لغات العرب يقال : بشر يبشر وبشر

يبشر تبشيرا ، وهناك لغة ثالثة جاء بها القرآن وهي : (أبشر)

قال الله جل ذكره : (وأبشروا بالجنة) فصلت . ٣٠ .

والجدير بالذكر أن اختلاف القراء جاء في المضارع فقط

دون الماضي والأمر .

وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هاتين القراءتين

حيث نسب كلا منهما الى البلدان ولم يضيفهم الى أسمائهم بتصريح

أسمائهم - واليك بيان ذلك :

الذين يقرأون بتخفيف الشين المضمومة وفتح الباء : وسكون الباء

حمزة : والكسائي في هذه السورة .

والذين يقرأون بضم اليا وفتح الباء وكسر الشين المشددة

الباقون من المشرة ، وقد سبق لك ذكرهم .. والله أعلم .

.. ..

(٣٣) قال تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي مثل من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) (١) .

قال محمد بن جرير الطبري (٢) رحمه الله تعالى :
اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقراه عامة قراء أهل الحجاز وبعض البصريين (بما كنتم تعلمون الكتاب) بفتح التاء وتخفيف اللام يعنى بعلمكم الكتاب ودراسكم اياه ، وقراه تكم واعتلوه لاختيارهم قراءة ذلك كذلك بأن الصواب لو كان التشديد في اللام وضم التاء لكان الصواب في (تدرسون) بضم التاء وتشديد الراء .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (بما كنتم تعلمون الكتاب) بضم التاء من تعلمون وتشديد اللام بمعنى بتعليمكم الناس الكتاب ودراسكم اياه واعتلوا لاختيارهم ذلك بأن من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم اذ لا يعلمون الا بعد علمهم بما يعلمون ، قالوا ولا موصوف بأنه يعلم الا وهو موصوف بأنه عالم قالوا فأما الموصوف بأنه عالم فغير موصوف بأنه معلم غيره ، قالوا فأولى القراءتين بالصواب

(١) سورة آل عمران رقم الآية (٧٩) .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٣ + ٤ ص ٢٣٤ المطبوعة .

أبلغهما في مدح القوم وذلك بأنهم كانوا يعلمون الناس الكتاب أهـ .
كلام الشيخ في المراد .

ويشير هذا الكلام الذي كتبه الشيخ هنا الى أن احصى
القراءتين أولى من أختها في كونها صوابا دون الأخرى - حيث قال :
وأولى القراءتين بالصواب في ذلك أبلغهما في فمدح القوم وذلك
وصفهم بأنهم كانوا يعلمون الناس الكتاب ، وهذا المذهب الذي يكرره
الشيخ في كتابه هذا في توجيه القراءات مذهب يخالف ما ذهب السلف
اليه من أن تفضيل بعض القراءات على الأخرى غير جائز ، ولو كان هذا
جائز لذهب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما حكم بين المختلفين
في ذلك ، ولكنه صوب الجميع حيث قال : لكل أصبت وأحسن ،
وفي رواية هكذا أنزلت فتبين من ذلك أن القراءات بمنزلة واحدة طالما
ثبت تواتر الجميع ولا مزية لاحداهما على الأخرى وأما ما اعتمد عليه في
ذلك من أنهم قالوا : ولا موصوف بأنه يعلم الا وهو موصوف بأنه
عالم ثم قال : قالوا : فأما الموصوف بأنه عالم فغير موصوف بأنه
معلم غيره - لا يدعم حجته في تقليل شأن قراءة التخفيف وانكارها
وذلك أن التعليم من العلم لأن من علم شيئا هو الذي يتصدى للتعليم
فالعلم والتعليم لا يزم وملزوم لا ينفك أحدهما عن الآخر ، وقوله :
ولا موصوف بأنه يعلم الا هو موصوف بأنه عالم يمكن تسليمه جدا لو كان
الموضوع الذي هو فيه غير القراءات وأما القراءات فلا دخل للتعليقات

والقياسات فيها لأنها سنة متبعة اذا ثبت تواترها لا يقـدح فيها شىء من ذلك (لا يضل ربي ولا ينسى) وأيضا ربما يعلم الانسان الجاهل ما لا علم له خطأ وعشوائيا ولا يبعد هذا فحينئذ ان دعواه من أنه يلزم من التعليم العلم ولا يلزم من العلم التعليم لا يسلم له على الاخلاف عموما ما دام ذلك ممكنا .

والقول الحق أن مجموع القراءتين أفاد معنى عاليا ربما لا يكون فى انفراد قراءة وذلك أن الواجب على المسلم أولا طلب العلم ثم ولذلك بوب الامام البخارى رحمه الله تعالى بقوله : باب العلم قبل القول والعمل ، ثم استدل بقوله تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله . . الآية) (١) ، ثم بعد ذلك يعلم غيره العلم الصحيح الذى هو نابع عن العمل ، وحينئذ فلا داعى لتفضيل القراءة على الأخرى محتجا بما ذكر وعلى ذلك فمؤدى القراءتين واحد إذ أن من علم شيئا علم غيره ولا يكون ذلك الا بعد العلم .

وهذه القراءة التى ذهب الشيخ رحمه الله تعالى الى أنها غير صواب هي قراءة جماعة من القراء العشرة المشهورين وهم : نافع وابن كثير ، وأبو عمرو البصرى ، وأبو جعفر اللدني ، ويعقوب الحضرمي وخلف العاشر . (٢) .

(١) سورة محمد آية ١٩ .

(٢) أنظر النشر فى القراءات العشر ج ٢ ص ٢٤٠ ، البدور الزاهرة ج ص ٦٤ اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ص ١٢٤ .

والقراءة الثانية يعنى قراءة التشديد - هى قراءة ابن عاصم

الشامي ، وعاصم ، وحمزة والكسائي ، والله أعلم .

.. ..

(٣٤) قال تعالى : (ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين

أربابا أیأمرکم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) (١)

قال محمد بن جریر الطبری رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة فی قراءة قوله تعالى (ولا يأمرکم) فقرأته
عامة قراء الحجاز والمدینة (ولا يأمرکم) علی وجه الابتداء من الله
بالخبر عن النبي صلى الله علیه وسلم أنه لا يأمرکم أیها الناس أن تتخذوا
الملائكة والنبيين أربابا واستشهد قارئوا ذلك كذلك بقراءة
ذکروها عن ابن مسعود أنه کان یقرأها وهي ولن يأمرکم فاستدلوا
بدخول لن علی انقطاع الكلام عما قبله وابتداء خبر مستأنف ، قالوا :
فلما صیر مکان لن فی قراءة تنا لا وجبت قراءته بالرفع .

وقراه بعض الكوفيين والبصريين (ولا يأمرکم) بنصب القراءة

عطفا علی قوله : ثم يقول للناس ، وكان تأويله عندهم ما كان لبشر
أن یؤتیه الله الكتاب ، ثم يقول للناس ولا أن يأمرکم بمعنی ولا کان له
أن يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ثم قال الشيخ رحمه الله
تعالى :

وأولى القراءة تین بالصواب فی ذلك (ولا يأمرکم) بالنصب

علی الاتصال بالذی قبله بتأول ما كان لبشر أن یؤتیه الله الكتاب والحکم

والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولا أن يأمركم
أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا لأن الآية نزلت فى سبب القوم
الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتريد أن تعبدك
فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو
الناس الى عبادة نفسه ولا الى اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ، ولكن
الذى له أن يدعوهم الى أن يكونوا ربانيين فأما الذى ادعى من قرأ
ذلك رفعا أنه فى قراءة عبد الله ولن يأمركم استشهاد الصحة بقراءته
بالرفع فذلك خبر غير صحيح سنده وإنما هو خبر رواه حجاج عن
مرون لا يجوز أن ^{لا يكون} ذلك فى قراءة عبد الله كذلك ولو كان خبرا صحيحا
سنده لم يكن فيه لمحتج حجة لأن ما كان على صحته من القراءة ممن
الكتاب الذى جاء به المسلمون وراثه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم
لا يجوز تركه لتأويل نحو قراءة أضيفت الى بعض الصحابة بنقل ممن
يجوز فى نقله الخطأ والسهو . أم المراد من كلامه .

أقول وبالله التوفيق : -

ان كلامه هذا يتضمن انكار قراءة الرفع فى (ولا يأمركم)
مع أنها قراءة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل القراءة التى ذهب
الى كونها صوابا وهى قراءة نصب الراء من (يأمركم) والأساس فى
باب القراءات ثبوتها بطريق التواتر ، وقد كان ذلك حيث ان هذه

القراءة التي أنكرها قرأ بها جماعة من القراء العشرة الذين اذا تواترت
القراءات منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل عنها بعد ذلك
لأنها من القراءات العشر المتواترة عند جمهور العلماء قاطبة ولم يشذ
منهم الا أناس لا قدم لهم في العلم ، وقد قال الشيخ رحمه الله
تعالى :

في الحكم على القراءة التي ذهب الي كونها صوابا دون الأخرى
(وأولى القراءتين بالصواب في ذلك (ولا يأمركم) بالنصب . . الخ .

وكان الواجب عليه أن ينظر الى القراءتين بعين واحدة
ويحكم لهما بالأصوية لا الحكم يكونا ^{القراءتين} حدى صوابا والأخرى بالخطأ
ويعتبر هذا زلة قدم زل فيها الشيخ رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وأما ما قاله الشيخ رحمه الله تعالى من أن الذين قرأوا بقراءة
الرفع استشهدوا بقراءة ذكروها عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرؤها
(ولن يأمركم) فاستدلوا بدخول لن على انقطاع الكلام عما قبله
وابتداء خبر مستأنف قالوا فلما وقع مكان لن في قراءة تنالا وجبت قراءته
بالرفع ، فلا وجه له البتة ، لأن القراء لا يعتمدون في شيء من
القراءات على كلام الصحابة بل يعتمدون على ما ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم بطريق التواتر كيف يعتمدون على موقف الصحابة في هذا الباب
الذي مبناه التوقيف وثبوت التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أنهم
يعرفون معرفة تامة أن قراءة عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة
منها ما هي منسوخة في العرصة الأخيرة ، ومنها ما هي من قبيل

التفسير قال ابن الجزرى رحمه الله تعالى فى كتابه " الشرفسى
القراءات العشر " (١) ÷ :

ولا شك أن القرآن نسخ منه وغير فيه فى العرصة الأخيرة
فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين
وروينا باسناد صحيح عن زر بن حبيش قال : قال لي ابن عباس أى القراء^{تين}
تقرأ به ، قلت : الأخيرة ، قال : فان النبى صلى الله عليه
وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فشهد
عبدالله - يعنى ابن مسعود - ما نسخ منه وما بدل .

فقراءة عبدالله الأخيرة وإذا ثبت ذلك فلا اشكال أن الصحابة
كتبوا فى هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن وما علموه استقر فى العرصة
الأخيرة وما تحققوا صحته (تواتره) عن النبى صلى الله عليه وسلم مما لم
ينسخ وان لم تكن داخله فى العرصة الأخيرة ، ولذلك اختلفت
المصاحف بعض اختلاف إذ لو كانت العرصة الأخيرة فقط لم تختلف
المصاحف بزيادة ونقص وغير ذلك ، وتركوا ما سوى ذلك . أم

وأما قوله رحمه الله تعالى :

فأما الذى ادعى من قرأ ذلك رفعا أنه فى قراءة عبدالله
ولن يأمركم استشهاد لصحة قراءته بالرفع فذلك خبر غير صحيح سنده
وانما هو خبر رواه حجاج عن هرون . . الخ ، فكلام وجيه لو كان القوم

اعتمدوا على قراءته ولكنهم ما ادعوا ذلك ولا اعتمدوا عليها بل اعتمدوا على قراءة متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
وقوله رحمه الله تعالى :

(ولو كان ذلك خبرا صحيحا سنداه لم يكن فيه لمحتج حجة لأن ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذي جاء به المسلمون وراثته عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يجوز تركه لتأويل نحو قراءة أضيفت الى بعض الصحابة بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو ، يوهم أن اثبات هذه القراءة (قراءة الرفع) يؤدي الى ترك قراءة النصب وهذا لم يقل به أحد من القراء وأهل العلم ، ولكنه وهم باطل لما عرفت من أن القراءتين ثبتا بطريق التواتر الذي لا شك فيه ولكنه أخطأ في هذا كسأن البشر عفا الله عنا وعنه .

واليك أصحاب هاتين القراءتين الذين لم يبين الشيخ أسماؤهم فالذين يقرأون بنصب الراء في (ولا يأمركم) ابن عامر الشامي وعاصم ، وحمزة ، ويعقوب ، وخلف العاشر . (١)

والذين يقرأون برفع الراء نافع وأبو جعفر المدنيان ، وابن كثير المكي ، والكسائي ، وفي هذا اللفظ الكريم (ولا يأمركم)

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٤٠

والبدور الزاهرة للشيخ عبدالفتاح القاضي ج ١ ص ٦٤ .

قراءة سبعية تركها الشيخ وهي قراءة أبي عمرو البصرى لأن أبا عمرو
يقرأ بخلف عن الدورى باسكان الراء (من ولا يأمرم) والوجه الثانى
للدورى اختلاس ضمها - فائدة - وقراءة البصرى باسكان الراء
أو اختلاسها لا تنافى قول الشاطبى : (ورفع ولا يأمرم روحه سمنا)
لأن هذا مقيد بما تقدم فى سورة البقرة - أهـ (١)

وقد فات الشيخ رحمه الله تعالى أن يشير الى هذه القراءة
السبعية فاعلم ذلك وتوجيه هاتين القراءتين ظاهر لأن الشيخ أغنانا
عن تعرضه لأنه وجهها توجيهها سليما لولا الاساءة الى قراءة الرفع
والله أعلم .

(١) أنظر الهدور الزاهرة للشيخ / عبدالفتاح القاضى رحمه الله

(٣٥) قال تعالى : (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله
عليم بالمتقين) .

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقراءته عامة قراءة الكوفة :

(وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) جميعا - ردا على صفة القوم الذين
وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقراءته
عامة قراءة المدينة والحجاز وبعض قراءة الكوفة بالتاء في الحرفين
جميعا (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) بمعنى وما تفعلوا أنتم
أيها المؤمنون من خير فلن يكفركم ربهكم ، وكان بعض قراءة البصرة
يرى القراءتين في ذلك جائزا بالياء والتاء في الحرفين ثم قال الشيخ
رحمه الله تعالى :

والصواب من القراءة في ذلك عندنا (وما يفعلوا من خير

فلن يكفروه) بالياء في الحرفين كليهما يعني بذلك الخبر عن الأمة
القائمة التالية آيات الله وإنما اخترنا ذلك لأن ما قبل هذه الآية
من الآيات خبر عنهم فالحاق هذه الآية إذ كان لادلاله فيها تسدل
على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن
معاني ما قبلها وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ . أه
أقول وبالله التوفيق :-

انه صرح هنا بأن الصواب من القراءتين في هذا اللفظ الكريم

قراءة الضيب بالياء في الحرفين ، واحتج في ذلك بأن الآيات التي

قبل هذه الآية بالغيب وارجاع اللفظ الى ما هو أقرب منه أولسى ،
وهذا أسلوب فى غاية الفصاحة لأن الالتفات من الغيب الى الخطاب
وبالعكس من أنواع البلاغة ويمتبر تفننا فى التعبير وجاء القرآن بأفصح لغات
العرب ومجى . قراءة الخطاب بعد تلك الآيات التى تتحدث عن الغيب
من بلاغة القرآن الكريم والحجة التى احتج بها فى انكار قراءة الخطاب
لا تدفع هذه القراءة لأنها قراءة متواترة ، والقاعدة أن القراءة اذا ثبتت
عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر لا يرد ما شىء من التعليلات
والقياسات لأنها سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول منذ أن تلقاها
النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل عن رب العالمين حتى وصلت اليها
بهذه الطريقة المحكمة ، وحينئذ فذهب الشيخ الى كون قراءة الغيب
صوابا وقراءة الخطاب غير صواب غير لائق بشرف القراءات لأنها أمر توقيفى
فتبين من ذلك أن القراءتين متواترتان على درجة واحدة وأما زعمه
أن ابن عباس يقرأ بالغيب فلا يجعل قراءة الغيب صوابا والأخرى خطأ
لأن علماء القراءات لا يعتمدون على جميع قراءات الصحابة ، لأن قراءاتهم
منها ما هو منسوخ ، وما ما هو بدل فى العرصة الأخيرة كما سبق لك
بيان ذلك (١) .

ولكن اعتمادهم اليوم على القراءات العشر المتواترة التى تلتقتها
الأمة بالقبول هذا وتوجيه القراءتين قد اكتفينا فيها بتوجيهه الشيخ

(١) أنظر الصفحة ص ١٣٨ من هذه الرسالة .

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
الدراسات العليا
قسم التفسير

٢١٨٢١
٥٠٠

القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه

إعداد الطالب



محمد عارف عثمان موسى الهري

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام ٤٥٧
الخاص
التاريخ / / ١٤٠٤

للوصول على حالة الما

إشراف

فضيلة الشيخ عبد القادر شيبه احمد

الجزء الثاني

١٤٠٤ هـ
٢١٩٨٤ م

١٤٠٣ هـ
٢١٩٨٣ م

رحمه الله تعالى ، وقد ترك الشيخ رحمه الله تعالى نسبة القراءة التي
ذويها حيث لم يذكر صريح أسمائهم الا ما نسبهم الى البلاد وهذا
غير كاف في هذا المقام - واليك بيان ذلك :-

فالذين يقرأون بالغيب : حفص ، وحمزة ، والكسائي

وخلف العاشر .

والذين يقرأون بالخطاب في الحرفين : نافع ، وأبو جعفر

المدنيان ، وابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصري ، وابن عامر

الشامي ، ويعقوب الحضرمي . . والله أعلم بالصواب .

.. ..

(٣٦) قال تعالى : (بلى ان تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم

هذا يمددكم ربكم بخمسة ألف من الطلائكة مومنين) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلف القراء في قراءة قوله (مومنين) فقرأ ذلك عامنة

قراء أهل المدينة والكوفة (مومنين) بفتح الواو بمعنى أن الله

سومها ، وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة (مومينين)

بكسر الواو بمعنى أن الطلائكة سومت لنفسها ، وأولى القراءتين فسي

ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو لتظاهر الأخبار عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم بأن

اللائكة هي التي سومت أنفسها من غير اضافة تسويمها الى الله عز وجل

أو الى غيره من خلقه ولا معنى لقول من قال انما كان يختار الكسر في

قوله (مومين) لو كان في البشر فأما الطلائكة فوصفهم غير ذلك

ظنا منه بأن الطلائكة غير ممكن فيها تسويم أنفسها بما كان ذلك تسويم

أنفسها بحق تمكينه البشر من تسويم أنفسهم فسوموا أنفسهم بحق

الذي سوم البشر طلبا منها بذلك طاعة ربها فأضيف تسويمها أنفسها

اليها وان كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه وهي اذا كانت موصوفة

بتسويمها أنفسها تقربا منها الى ربها كان أبلغ في مدحها لاختيارها

(١) آل عمران آية ١٢٥ .

طاعة الله من أن تكون موصوفة بأن ذلك مفعول بها . أم (١)

أول وبالله التوفيق :-

وهذه الحجج التي ساقها الشيخ رحمه الله تعالى في توجيهه هاتين القراءتين لتصويب قراءة كسر الواو من قولح تعالى (سومين) لا عبرة لها لأنه ذكر أن التوجيه على قراءة كسر الواو أن الملائكة هي التي جعلت على أنفسها علامة وذلك أبلغ في مدحهم من أن تكون هذه العلامة جعلت عليها من قبل الله أو غيره من الخلق ، ثم هدم نفسه البناء الذي حاول أن يقويه حيث قال :

(وان كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه) فتبين من ذلك أن القراءتين معناهما واحد لأن الله هو الذي أقر الملائكة على تسويم أنفسها ومكنها من ذلك على توجيه كسر الواو من (سومين) وعلى توجيه قراءة الفتح منه هو الذي جعل هذه العلامة تعرف بها الملائكة من البشر وكل ذلك من الله سببا وسببا قال تعالى :

(وما بكم من نعمة فمن الله) وحيث فلا داعي لذكر هذه العلة الواهية لأجل انكار قراءة متواترة وذلك أن القراءة اذا ثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدفعها شيء من العلة النحوية

(١) أنظر جامع البيان للطبري ج ٣ × ٤ ص ٥٣ - ٥٤ .

والصرفية وغيرها من العلل التي يروجها الذين لا علم لهم بحقيقة الموقف ، والذين يريدون الطعن في كلام الله تعالى ، وهيهات ذلك لأن الله تعالى قبض أئمة محققين ومتقنين بذبون الجهل والملاحدة عن ماحة كتاب الله وحينئذ فكلتا القراءتين ثبتت تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث أن كلامهما من القراءات العشر التي أجمعت الأمة على تواترها ، وقد أبهم الشيخ أصحاب هاتين القراءتين بنسبة القراء إلى البلدان ، ولم يصرح أسماءهم كعادته فيما سبق واليك بيان ما أجمله وتركه :

أما الذين يقرأون بفتح الواو من قوله تعالى (١) (مسومين) فهم : نافع ، وأبو جعفر المدنيان ، وابن عامر الشامي ، ولم يذكر الشيخ ابن عامر وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر . والذين يقرأون بكسر الواو هم : ابن كثير المكي ، وقد تركه الشيخ ولم يذكره حتى في نسبه إلى البلد ، وأبو عمرو البصري ويعقوب الحضرمي ، وعاصم الكوفي . والله أعلم .

(١) أنظر البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ / عبد الفتاح

القاضي ص ٦٨ ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري

ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٣٧) قال تعالى : (ان يصسسكم قرح فقد من القوم قرح

مثله وتلك الأيام نداؤها بينا لناس وليعلم الله الذين

آمنوا ويتخذ منكم شهداء^١ والله لا يحب الظالمين) (١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلف القراء في قراءة ذلك فقراءته عامة قراء أهل الحجاز

والمدينة والبصرة (ان يصسسكم قرح فقد من القوم قرح مثله) كلاما

بفتح القاف بمعنى ان يصسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد

فقد من القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (ان يصسسكم قرح فقد من القوم قرح

مثله) بضم القاف فيهما ، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (يان يصسسكم قرح

فقد من القوم قرح مثله) بفتح القاف في الحرفين لاجتماع أهل التأويل

على أن معناه القتل والجراح فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح .

ثم قال الشيخ :

وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرح والقرح بمعنى واحد

ثم قال : والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا . أما المراد

منه . (٢)

(١) سورة آل عمران آية (١٤٠)

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٣ + ٤ ص ٦٧ .

أقول وبالله التوفيق :-

ان هذا المذهب الذي ذهب اليه الشيخ في توجيه هاتين القراءتين مذهب مخالف لما كان عليه السلف الصالح وما كان عليه علماء التوجيه حيث ذهب الى أن قراءة الفتح من الحرفين في القرع أفضل بكونها صوابا دون الأخرى يعني قراءة ضم الكاف ، ومع أن هاتين القراءتين متواترتان .

وخلافه لما كان عليه السلف فانهم اذا ثبتت القراءة بطريق التواتر لا يرون تفضيل قراءة على الأخرى بل يحرمون ذلك ، وقد خالف الشيخ مذهبهم حيث قال : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (ان يمسك قرع فقد مس القوم قرع مثله) بفتح القاف في الحرفين ثم ذكر العلة في ذلك وقال لا جماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح .

ثم حصر الصواب في قراءة الفتح حيث قال :

فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح ، هذا ومن المعلوم أن القراءة لا تخضع لأي قياس طالما جاءت بطريق التواتر ، وهذا الكلام لا يقدر في قداستها .

وخلافه لما كان عليه علماء التوجيه في ذلك قوله : وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرع ، والقرع لعتان بمعنى واحد

الحسين بن أحمد بن خالويه ، وأبو محمد مكي بن أبي طالب التقيسي
وصاحب اتخاف فنضلاء^١ البشرفى القراءات الأربع عشر .

وقال ابن خالويه : (ان يمسسكم قرح) (١) يقرأ بفتح
القاف وضمها فالحجة لمن فتح أنه أراد الجرح بأعيانها والحجينة
لمن ضم أنه أراد ألم الجرح وقبلهما لفتان فصيحتان كالجهد
والجهد قال مكي : (قرح) بضم القاف على أنها ألم الجراحات
وبفتح القاف الجرحات بعينها ثم قال مكي رحمه الله تعالى :
وأكثر الناس على أن القراءتين بمعنى الجرحات بلفتين كالضعف
والضعف . أم

وقد علمت من ذلك أن هؤلاء العلماء الذين وجهوا هاتين
القراءتين^{وجهوهما} هذا التوجيه السليم الذى لايس احدى القراءتين
بأدنى شىء من الانكار والظهن ، ولم يتعرضوا بتفضيل احدى القراءات
على الأخرى .

وكان الواجب عليه أن يسلك مثل هذا المسلك السليم والذى
حصل منه فى هذا الموضوع انما يعتبر خطأ أو غفلة منه فعلم من ذلك
كله أن قراءة فتح القاف وضمها^{وأختها} قرأ^تان ثابتان بطريق التواتر لا فضل
لاحداهما على الأخرى واليك بيان أسماء أصحاب هاتين القراءتين

(١) انظر الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ص ١١٤ ،
والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب
التصليلى ج ١ ص ٣٥٦ .

الذين أبهمهم الشيخ :

فأما الذين يقرأون بفتح القاف من (قرح) نافع بن نعيم

وأبو جعفر المدنيان ، وابن كثير ، وأبو عمر البصري ، وابن عامر

الشامي ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب الحضرمي .

والذين يقرأون بضم القاف من (قرح) شعبة وحمزة والكسائي

وخلف العاشر . (١)

(١) البدور الزاهرة في القراءة العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح

القاضي ص ٦٨ .

(٣٨) قال تعالى : (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير

فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا

والله يحب الصابرين) . (١)

يقول محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى (قتل معه ربيون كثير)

فقرأ ذلك جماعة من قراء الحجاز والبصرة (قتل) بضم القاف .

وقراء جماعة أخرى بفتح القاف وبالألف وهي قراء جماعة

من قراء الحجاز والكوفة .

فأما من قرأ (قاتل) فإنه اختار ذلك لأنه قال : لو

قتلوا لم يكن لقوله (فما وهنوا) وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا

بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعدما قتلوا .

وأما الذين قرأوا ذلك (قتل) فإنهم قالوا إنما عنى بالقتل

النبي وبعض من معه من الربانيين دون جميعهم وإنما نفى الوهن

والضعف عن بقى من الربانيين ممن لم يقتل .

وأولى القراءتين فسنى ذلك عندنا بالصواب قراءة من

قرأ بضم القاف (قتل معه ربيون كثير) لأن الله عز وجل إنما عاتب

بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله : (أم حسبتم أن تدخلوا

الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الذين انهزموا يوم أحد

(١) سورة آل عمران آية (١٤٦) .

وتركوا القتال أو سمعوا الصائح يصبح أن محمداً قد قتل فما همهم
الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال فقال : أفا ان مات محمد
أو قتل أيها المؤمنون ارتد دتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم ثم
أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم ، وقال لهم
ملا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه
إذا قتل نبيهم من المضي على منتهاج^{نبيهم} والقتال على دينه أعداء
دين الله على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم
يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء
إذا قتل نبيهم ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبين^{نبيهم} . أهـ^(١)
وقد أحسن الشيخ في توجيه هاتين القراءتين لو لم يقارن
بينهما مقارنة أدت إلى تفضيل أحدهما على الأخرى حيث قال :

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بضم
القاف (قتل معه ربيون كثير) وقد عرفت ما في ذلك من عدم الجواز
وأن الحق تصويب القراءتين أو القراءات عند اختلاف ذلك طالما علم
تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما ما احتج به الشيخ رحمه الله تعالى : من أن قراءة
ضم القاف وحذف ألف بين القاف واللام من قبوله تعالى : (قتل
معه ربيون كثير) أولى بالصواب من القراءة الثانية بفتح القاف وألف

(١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ج ٣ + ٣

بينها وبين اللام فلا يكون له حجة في ذلك ، وغاية الأمر الذى أفاده
كلامه توجيه قراءة ضم القاف توجيهها طيبا حيث قال معللا ذلك لأن الله
عز وجل انما عاب بهذه الآية والآيات التى قبلها من قوله : (أم
حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ، الذين
انهزموا يوم أحد . . الخ) واعتل أيضا فى دعم حجته التى دعته
الى تفضيل قراءة ضم القاف على الأخرى بأن أصحاب هذه القراءة قالوا
انما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربانيين دون جميعهم وانما نفى
الوهن والضعف عن بقي من الربانيين ممن لم يقتل ، وفى الحقيقة
أن هذه العلة كلها لا تعارض القراءة الثانية ، بل تؤكد ما وتبينها
لأن توجيه القراءة الثانية يعنى قراءة فتح القاف وألف بين القاف واللام
أنه يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون قد أسند الفعل الذى هو
القتال الى النبي صلى الله عليه وسلم ويكون معه ربيون ابتداء وخبر .
وترفع بالظرف والجملة صفة (نبي) ويجوز أن تكون الجملة فى موضع
الحال من الضمير فى (قاتل) ولها فى (معه) تعود على ذلك
الضمير ، ودل المعنى على أن الربانيين قاتلوا مع قتال النبي وجميع
ذلك لما روى عن الحسن وغيره أنه قال : ما قتل نبي قط فى قتال وكان
إضافة القتال اليه أولى من إضافة القتل اليه .

والوجه الثانى : أن يكون قد أسند الفعل

الى الربانيين (دون النبي فأخبر عنهم بالقتال فتكون جملة

(قاتل معه ربيون) صفة لنبي وربيون مرفوع بفعل قاتل على كونه
فاعلا له .

وتوجيه القراءة بغير ألف وضم القاف أنه يحتمل أيضا وجهين
أحدهما : أن يكون فعلا وما يعد صفة لنبي ، والفعل سنند
الى النبي بدلالة قوله (أفان مات أو قتل) فأخبر أن النبي
صلى الله عليه وسلم قد يقتل ، وقد قال تعالى : (ويقتلون النبيين)
البقرة ٦١ - وقال : (فلم تقتلون أنبياء الله) وهذا من قتل
النبي في غير قتال فحمل ذلك على هذا المعنى أنه قتل في غير
قتال وسياق الكلام في قوله تعالى : (فما وهنوا لما أصابهم في
سبيل الله ، وفي قوله : (وثبت اقدامنا) يدل على أن القتال
والقتل كان في الحرب في سبيل الله ، والأولى الجمع بين ما ظاهره
التعارض من النظم الكريم بأن قتل النبي كان في غير قتال الا اذا رأينا
نصا قاطعا يبين لنا أن ذلك حصل في القتال ما دام يحتمل اسناد
القتل الى الريانيين دون النبي من هذه القراءة .

والوجه الثاني : أن قتل وما بعده صفة أيضا للنبي والفعل
سند الى ريانيين فريانيون على هذا الوجه مرفوع بقتل على أنه
نائب فاعل قتل وعلى الوجه الأول فريانيون مرفوع على أنه مبتدأ مؤخر
ومعه الخبر المقدم والجملة في الوجهين صفة لنبي وهذا الوجه

يقويه قول الحسن المذكور منه (١) .

وحيث فلا محل للمعارضة لهذه القراءة المتواترة بأنها غير صواب ، والأجبرى هي الصواب لأن كلا من القراءتين متواترة والقاعدة أن القراءة إذا ثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي حاسق وصواب ويحرم الطعن فيها بأنها غير صواب ، وأي إنسان أشار الشبهة في ذلك فشبّهته مردودة عليه ، وذلك أنه لو ساغ لأحد أن يصوب القراءة دون القراء أو يخطأ ذلك لسليخ للرسول صلى الله عليه وسلم لأن القرآن نزل عليه من عند الله ، وصاحب البيت أدرى بما فيه ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عندما رفع المختلفون في ذلك قضاياهم صوب الجميع ولم يخطأ أحدا منهم فقال لكل منهم أصبت وتارة قال أحسنت وتارة قال : هكذا أنزلت ، فعلم من ذلك أن جميع القراءات التي حصل فيها اختلاف القراء العشرة على درجة واحدة ومنزلة واحدة كلها حق وصواب فلا تكون قراءة أفضل من قراءة ، ومن ذهب إلى تفضيل احدهما على الأخرى فقد أخطأ الصواب لأنها سنة متبعة يأخذها الآخرون الأول منذ أن تلقى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل النبي أن وصلت إلينا بطريق التواتر الذي لا شك فيه .

(١) أنظر اتحاف فضلاء للبشر في القراءات الأربع عشر ص ١٨٠

والكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ١٥٩ - ١٦١ .

وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هذه القراءات
ولم يذكر أسماءهم الصريحة الا ما ذكرهم بنسبهم الى البلدان - واليك
بيان ما أبهمه من ذلك :

فالذين يقرأون بضم القاف بخير ألف بين القاف والتاء
من العشرة هم نافع وابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصرى ، ويعقوب
الحضرمي .

والذين يقرأون بفتح القاف وفتح التاء وألف بينهما فهم :
ابن عامر الشامي ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر
وأبو جعفر المدني ، والله أعلم . (١)

(١) البدور الزاهرة للشيخ / عبدالفتاح القاضي ص ٦٩ .
والنشر في القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٣٩) قال تعالى : (ثم أنزل عليكم من بعد الخمه أمه نعاسا
ينغشي طائفة منكم وطائفة قد أهتمهم أنفسهم يظنون بالله
غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل
ان الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون
لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله
ما في صدوركم ولليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمراق
(قل ان الأمر كله) بنصب الكل في قراءة من قرأه بالنصب
على وجه النعت للأمر والصفة له . (٢)

وقرأه بعض قراء أهل البصرة (قل ان الأمر كله لله) برفع
الكل على توجيه الكل الى أنه اسم (٣) ، وقوله (لله) خبره كقول القائل :
ان الأمر بعضه لعبد الله - ثم قال وقد يجوز أن يكون الكل في قراءة

(١) سورة آل عمران آية (١٥٤)

(٢) لعله مبتدأ - أي أنه أن يقول مبتدأ فسبق قلمه الى ذلك .

(٣) لعل الصواب على وجه التوكيد لأن كل من أفاض التوكيد اللهم

الا اذا أراد أنه تابع من التوابع فحكم عليه بالنعمة
من هذه الناحية .

من قرأه بالنصب منصوباً على البدل ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :
والقراءة التي هي القراءة عندنا بالنصب في الكل لاجتماع أكثر
القراء عليه من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ في معنى أو عربية
ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراء لكانت سواء عندي
القراءة بأى ذلك قرى لاتفق معانى ذلك بأى وجه قرى . أم

وقد بدا لي في توجيه الشيخ هاتين القراءتين في هذا اللفظ
الكريم في هذه الآية الكريمة أنه أشكلت عليه القراءة المستفيضة وغيرها
حيث حكم على القراءة برفع الكل أنها غير مستفيضة عنده مع أنه ذهب
إلى أنها لم تكن خطأ في معنى أو عربية وظن أن القراءة إذا انفرد
بها قارى من القراء العشرة لم تكن مستفيضة عنده في القراء الآخرين
حيث قال : لاجتماع أكثر القراء على قراءة نصب الكل ، ومن هذا
الاشكال وقع فيما وقع فيه من انكار بعض القراءة المتواترة وتفضيل بعضها
على الأخرى ، كما أنه يتجذب مع توجيه المعاني أحيانا ، ومع
العربية حيناً آخر .

ومذهب الحق خلاف ذلك ، وذلك أن القراءة إذا جاءت من
أحد القراء العشرة فهي مستفيضة ومتواترة حتى الرواية والوجه
فضلاً عن القراءة مثال القراءة التي انفرد بها أحد القراء العشرة
قراءة ابن كثير في قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات) بنصب
آدم ورفع الكلمات ، ومثال الرواية التي انفرد بها بعض الرواة

كرواية الدورى عن أبى عمرو فى امالة (لناس) المجرور وغير ذلك مما انفرد
به الراوى عن الآخريين .

ومثال الوجه الذى حصل فى بعض الطرق دون الأخرى كتوسط
البدل لورش لأن له ثلاثة أوجه فى ذلك المد والتوسط والقصير
مثال ذلك (آمنوا) وكل ذلك متواتر ومستفيض عند القراء العشرة
ونسبة القراءة الى القارىء أو القراء انما هي نسبة ملازمة وشهرة بهتها
وكثرة الاقراء بها لا أنه يجهل قراءة أخرى والدليل على ذلك أن أكثر
السلف قد أجمعوا القراءات العشر كلها ولكن عندما يتصدى للاقراء
يدعو تلاميذه الى أن يفردوا كل قراءة فى ختمة ، أو يعين قراءة واحدة
ويختارها فيقرئهم بها فاذا لازم الاقراء بها واشتهرت به من هـذ
الناحية نسبت اليه ، وليس معنى ذلك أنه لا علم له بالقراءات الأخرى
فتبين من ذلك أن ما ذهب اليه الشيخ انما هو شبهة أشكلت عليه فيجب
أن لا تعلق بأذهان القارئىن بهذا السجل الكبير الذى خلده الشيخ
للمسلمين رحمه الله تعالى ، وهذه القراءة التى ذهب اليها الشيخ
أنها غير مستفيضة فى القراء هي قراءة أبى عمرو البصرى ويعقب
الحضرمي وقراءة النصب فى الكل قراءة الباقيين من العشرة ، وقد
عرفت أسماءهم فيما سبق ، والقراءتان متواترتان مستفيضتان مشهورتان
فلا شك فى ذلك ولا تامل عن سبل الحق . . والله أعلم . (١)

(١) انظر جامع البيان للطبرى ج ٣ + ٤ ص ٩٤ .

(٤٠) قال تعالى : (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت

بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء الحجاز

والعراق (وما كان لنبي أن يغل) بمعنى أن يخونه أصحابه

فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم واحتج بعض قارى هذه

القراءة أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطيفة

فقدت من مغانم لقوم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبي صلى الله

عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها .

وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضم الغين انما

نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم

في وجعته ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل

الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمه فيها أن

فعله الذي فعله خطأ وأن الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع مثل

ما قسم لغيرها ، ويعرفه الواجب عليه في الحكم فيما أفاء الله عليه من

الغنائم وأنه ليس له أن يخص بشيء منها أحداً من شهد الواقعة

أو من كان رداً لهم في غزوهم دون أحد ثم ساق السند في ذلك

(١) سورة آل عمران آية ١٦١ .

فقال : حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي
قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله : (ما كان لنبي أن يفل
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يقول : ما كان للنبي أن يقسم
لطايفة من المسلمين ويترك طايفة ويجور في القسم ، ولكن يقسم بالعدل
ويأخذ فيها أمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول : ما كان ليجمع
نبيا يغل من أصحابه فإذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
استنوا به . (١)

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح (اليا وضم الفين) : انما
أنزل ذلك تعريفا للناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتف من وحشي
الله شيئا .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : فتأويل قراءة من قرأ
ذلك كذلك ما ينبى لنبي أن يكون غالا - بمعنى أنه ليس من أفعال
الانبياء خيانة أمهم .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وقرأ ذلك آخرون :

(٢) قال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى : هذا اسناد
داعرفى التفسير وارتضاه وذلك بعد أن بين أن الاسناد
السابق فيه كلام يمنع الاحتجاج به وذلك أن فيه خصيفا وقد
تكلم فيه بأنه ضعيف الحديث ، قال أحمد ضعيف الحديث
وأيسضا فى حديث القطيفة وفرعة بنى سويد بن حجير الباهلى
قال أحمد : مضطرب الحديث وهو شبه المتروك . أهـ
من هامش النسخة المحققة لابن شاكر .

(وما كان لنبي أن يغل) بضم اليا وفتح الغين وهي قراءة معظم قراء أهل المدينة والكوفة .

واختلف قارئوا ذلك كذلك في تأويله :

فقال بعضهم : معناه : ما كان لنبي أن يغله أصحابه
ثم أسقط الأصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله : وما كان
أن يخان .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندى قراءة من قرأ :

(وما كان لنبي أن يغل) بمعنى : ما الغلول من صفات الأنبياء
ولا يكون نبيا من غل . . ثم قال : وإنما اخترنا ذلك لأن الله
عز وجل أوعد عقيب قوله (وما كان لنبي أن يغل) أهل الغلول
فقال : (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) الآية والتي بعدها
فكان في وعيد عقيب ذلك أهل الغلول الدليل الواضح على أنه إنما نهى
بذلك عن الغلول ، وأخبر عبادة أن الغلول ليس من صفات أنبياءه
بقوله : (وما كان لنبي أن يغل) لأنه لو كان إنما نهى بذلك
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول
الله صلى الله عليه وسلم لا بالوعيد على الغلول وفي تعقيبه ذلك بالوعيد
على الغلول بيان بين أنه إنما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول

منتف من صفة الأنبياء وأخلاقهم ، لأن ذلك جرم عظيم والأنبياء
لا تأتي مثله - قال أبو جعفر : فان قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك
فأولى (١) منه : (وما كان لنبي أن يخونه أصحابه ان كان ذلك كما
ذكرت) ولم يعقب الله قوله (وما كان أن يفيل) الا بالوعيد على
الغلول ، ولكنه انما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ (يفيل) بضم
الياء وفتح الخين ، لأن المعنى : وما كان للنبي أن يفيله أصحابه
فيخونه في الفنائم .

قيل له : أفكأن لهم أن يفيلوا غير النبي صلى الله
عليه وسلم فيخونوه حتى خصوا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم
فان قالوا نعم خرجوا من قول أهل الاسلام ، لأن الله لم يبيح خيانة
أحد في قول أحد من أهل الاسلام قط .

وان قال قائل : لم يكن ذلك في نبي ولا غيره :

قيل : فما وجه خصوصهم اذا بالنهي عن خيانة النبي
صلى الله عليه وسلم وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة فيما حرم الله على
الغال من أموالهم وما يلزم المؤمن من أداء الأمانة اليهما .

واذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا
من أن الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات

(١) قوله : (فأولى منه) أى فأولى من المذهب الذى ذهبت
اليه فى قراءة الآية وتفسيرها بقوله هذا القائل ردا على
أبى جعفر .

أنبيائه ، ناهيا بذلك عباده عن الغلول وآمرا لهم بالاستئنان بمنهاج
نبيهم . أهـ كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

أقول وبالله التوفيق :-

ان هذا الكلام الذ^٣ ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في
تفضيل قراءة فتح اليا^٤ وضم الغين من قوله تعالى (وما كان لنبي أن يغل)
على قراءة ضم اليا^٤ وفتح الفين غير صواب مع أنها قراءة ثابتة
عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر ، وإذا كانت القراءة
بهذه المثابة فجمهور العلماء يمنعون انكارها والطعن فيها ومن
خالف ذلك فقد ارتكب جريمة يحرم ارتكابها ، وذلك أن هذا الأسلوب
الذي كرره الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه من انكار القراءات المتواترة
تارة وترجيح القراءة على القراءة تارة أخرى يثير الشبهة حول القراءات
المتواترة بأنها ليست على رجة واحدة بل منها ما هو راجح ومنها ما هو
مرجوح ومنها ما هو صواب وما هو غير صواب فقد علمت بطلان ذلك
كما سبق من كلام السلف ، وقد نهج منهجه في ذلك هنا حيث قال :
وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ
(وما كان لنبي أن يغل) بمعنى ما الغلول من صفات الأنبياء ولا يكون
نبيا من غل ، ثم ذكر العلة التي جعلته يرجح القراءة على الأخرى
فقال : وإنما اختبارنا ذلك لأن الله عز وجل أوعد عقيب قوله

(وما كان لنبي أن يفغل) أهل الغلول فقال : (ومن يفغل يأت بما غل يوم القيامة) الآية والتي بعدها فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول الدليل الواضح على أنه انما نهى بذلك عن الغلول وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله (وما كان لنبي أن يفغل) لأنه لو كان انما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالوعيد على الغلول ، وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين أنه انما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفات الأنبياء وأخلاقهم لأن ذلك جرم عظيم والأنبياء لا تأتي مثله .

وقد علمت هذه العلة التي اعتل بها الشيخ في ذلك ولكنى أقول أنها بعيدة عما ذهب اليه الشيخ رحمه الله تعالى من أن المراد النهي بقوله (وما كان لنبي أن يفغل) الآية عن الغلول وتعريف الناس أن ذلك منتف من صفة الأنبياء وأخلاقهم وليس التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ذكر أربع روايات في سبيل نزول هذه الآية الكريمة :

الأولى : أنها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر عن الفئام .
والثانية : أنها نزلت في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه في وجهه ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمه فيها أن فعله الذي فعله خطأ . . الخ .

والثالثة : أنها نزلت تعريفًا للناس أن النبي صلى الله

عليه وسلم لا يكتم من وحي الله شيئًا وهذه الروايات الثلاث كلها
على قراءة فتح الياء وضم الغين في قوله تعالى : (وما كان لنبي
أن يففل) كما بين ذلك المؤلف .

والرابعة : أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يسوم

بدر وقد غل طوائف من أصحابه وهذه الرواية الأخيرة على قـرأة
ضم الياء وفتح الغين ثم أجرى المقارنة بين هذه الروايات الأربع
للترجيح فرجح الثانية والثالثة ، وجعل الأولى مرجوحة وسكت عن
الأخيرة ولكنه أشبه عليه الأمر فرجع إلى إجراء المقارنة بين القراءتين
مع أن هذا يتنافى مع السياق ، ومن المعلوم أن القراءة باقية على
ثبوتها بطريق التواتر مهما حشد الشيخ هذه الحجج وغيرها في مرجوحيتها .

ومن هنا يتبين أن القراءتين متوترتان لا تفضل لإحداهما على

الأخرى ما دام الأمر كذلك ويحرم اعتقاد ذلك ولكن الشخص له أن يختار
قراءة إمام من أئمة القراء السبعة أو العشرة أو رواية من رواة هؤلاء
فيلزم ذلك قراءة واقراء أو يجمع بين ذلك يعنى تارة يختم لهذا
القارىء من البداية إلى النهاية ، أو يختم لراو ، وهذه الأمور كلها
لتالكتاب الله أو المقرئ .

وأما تفضيل القراءة على الأخرى واعتقاد ذلك فحرام ، وقد

خالف مذهبه هذا حيث رجح قراءة كان القارئون بها قليلين وهي

قراءة فتح الياض وضم الضمين في (يغل) من جهة العدد وجعل
القراءة التي يقرأ بها عدد كبير من القراء مرجوحة وهي قراءة ضم
الياض وفتح الضمين في (يغل) ، وقد سبق منه أن القراءة اذا كان
القراء بها عددا قليلا غير مجمع عليها ويعددها من الشواذ ، واذا
كان القراء عددا كبيرا يعتبرها مجمعا عليها ، وهنا هذه القراءة التي
رجحها علي الأخرى (١) يقرأ بها ابن كثير المكي وأبو عمر البصري
وماض الكوفي ، وهؤلاء ثلاثة مقابل سبعة من القراء العشرة ، هذا
يدل دلالة واضحة على أنه لم يجعل الأمور في نصابها في تعرضه توجيه
هذه القراءات في هذا السجل النافع ، والقراءة الثانية التي ذهب
الشيخ الي مرجوحيتها يقرأ بها من العشرة : نافع ، وابن عامر ،
وحمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر المدني ، ويعقوب الحضرمي ،
وغلف العاشر . (٢)

توجيه القراءتين :

(١) ووجه قراءة فتح الياض وضم الضمين أنه نفى الغلول عن النبي
صلى الله عليه وسلم وأضاف الفعل اليه ونفاه عنه أن يفعلنه

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٤٣ ،
والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ /
عبد الفتاح القاضي ص ٧٠ .

(٢) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٤٣ ،
والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ /
القاضي ص ٧٠ .

وقد ثبت أن الغلول وقع من غيره فلا يحسن أن ينفي الغلول
عن غيره وهي الخيانة في المضمم وغيره كما سبق في سبب
النزول .

(٢) ووجه من ضم الياء وفتح الفين أنه حملة على النفي عن أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم أن يخانوه وفيه معنى النهي عن
فعل ذلك فدل على هذا المعنى قوله تعالى : (ومن يغفل
يأت بما غل يوم القيامة) فدل على أنه كان في القوم غلول
تنزيها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما له أن يكون أحد من
أهله نسب إليه الغلول بل هم المخاطبون والمذنبون فالمعنى
ما كان لنبي أن يخان في الغنائم .

قال جابر بن عبد الله : أنزلت يوم بدر هذه الآية - قال :

وكان ناس غلوا فأنزلت فيهم فلم يخونوا بعد .

وقيل إن أصله (يغفل) أي يخان أي ما كان لنبي أن يخونه
أصحابه لكن حذف إحدى اللامات استخفافا ، فالفعل على هذا
منفي عن النبي صلى الله عليه وسلم كالقراءة بفتح الياء ، ويجوز أن يكون
المعنى في هذه القراءة ما كان لنبي أن ينسب إلى الغلول أي لا يقال
له أغللت كقوله : أكفرت الرجل ، أي نسبته إلى الكفر فيكون النفي
أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا عن أصحابه ويجوز أن يكسبون

المعنى : ما كان لنبي أن يوجد غالا ، كقولك : أحمدت الرجل

أى وحدته محمودا فيكون النفي أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والغل بضم الفين قبض اليد الى العنق وهى فى الأصل

الحديدة التى تجمع يد الأسير الى عنقه ، والغل بفتح الفين المصدر

ويكسر الفين الحقد والفلل الماء فى أصول الشجر ، والغليل حرارة

العطش . (١)

وقد عرفت أصحاب هاتين القراءتين فلا حاجة الى اعادتهم

والله أعلم .

(١) انظر الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ج ١ ص ١١٦

والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب القيس

ج ١ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٤١) قال تعالى : (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله

لا يضيع أجر المؤمنين) (١)

(٢)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى : (وأن الله لا يضيع

أجر المؤمنين) :

فقرأ ذلك بعضهم بفتح الألف (الهمزة) من (أن) بمعنى

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وبكسر

الألف (الهمزة) على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك كذلك بأنها في

قراءة عبد الله وفضل ، (والله لا يضيع أجر المؤمنين) قالوا فذلك

دليل على أن قوله (وأن الله) مستأنف غير متصل بالأول ثم قال الشيخ

رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك (وأن الله) بفتح

الألف لاجتماع الحجة من القراء على ذلك . أم

أقول وبالله التوفيق :-

ان ادعاءه اجماع الحجة . من القراء على قراءة فتح الهمزة

من قوله تعالى (وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) محتجا بهذا

على أن قراءة كسر الهمزة من ذلك لا أولوية لها بالصواب ، لا يجعل

(١) آل عمران آية ١٧١ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ج ٣ + ٤ ص ١١٦ .

قراءة كسر الهمزة أقل درجة من قراءة الفتح بل كلتا القراءتين صواب ومتواترة لما علمت من أن كثرة عدد القراء في قراءة لا يؤثر في القسراءة الأخرى التي كان عدد القارئين بها قليلا ولو جاءت من قارئ واحد بل ولو كانت رواية لأن العمدة تواترها ولو كانت من وجه من أوجه القراءات ، وقد كرر الشيخ هذا الأسلوب في توجيه بعض القراءات التي وجهها في كتابه هذا مقارنا بين قراءة وأخرى ولكنه لم يوفق الصواب في ذلك حيث فضل قراءة على أخرى أحيانا ، وأحيانا أنكروا قراءة وذهب إلى أن أختها صوب دونها ، وهكذا وعلم من ذلك أن هذا الأسلوب غير صواب لما علمت من كلام السلف . . والله أعلم .

وأما ما قاله من أن أصحاب قراءة كسر الهمزة من ذلك استدلوا على صحة قراءتهم بقراءة عبد الله حيث يقرأ (وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين) قالوا فذلك دليل على أن قوله تعالى (وان الله) مستأنف غير متصل بالأول = فغير صحيح على هذا الاطلاق الا إذا قيدوا بقراءة عبد الله التي في العرصة الأخيرة أو المتواترة في ضمن القراءات العشر وذلك أن قراءة عبد الله منها ^{ما هو} في العرصة ومنها ما هو منسوخ ومنها ما هو بدل وغير في العرصة الأخيرة .

وخلاصة القول أن أصحاب هذه القراءة يعني قراءة كسر الهمزة من (وان الله) يعتمدون على ما تواتر من القراءة ولا يعتمدون على القراءة الشاذة وما ذهب إليه الشيخ من أنهم اعتمدوا في ذلك على

على قراءة عبد الله لا عبرة له لما علمت .

وقد أبهم الشيخ أصحاب هاتين القراءتين كماداته في التوجيه

واليك بيان أسمائهم :

فالذين يقرأون بفتح الهمزة من قوله تعالى (وأن الله لا يضيع

أجر المؤمنين) نافع بن نعيم المدني ، وابن كثير المكي ، وأبو عمرو

البصرى ، وابن عامر الشامي ، وعاصم وحمزة ، وأبو جعفر ، ويعقوب

الحضرمي ، وخلف العاشر .

والذي يقرأ بكسر الهمزة من قوله تعالى : (وان الله) الآية

الكسائي - كما قال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى (وان أكسر

وارفقا) الراء في رفقاً رمز للكسائي (١) كما هو معلوم .: القراء السبعة

الذين ثبتوا بطريق الشاطبية .

توجيه القراءتين :

وجه قراءة فتح الهمزة من (وان الله) أنه معطوف على بنعمته

أى يستبشرون بالنعمة والفضل وبأن الله لا يضيع الأجر .

فوجه كسر الهمزة من قوله (وان الله) حمله على الابتداء والاستئنا

وهو مع ذلك متعلق بالأول لأنه اذا لم يضعه فهو واصل أحره اليهم

والله أعلم . (٢)

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٤٤

والبدور الزاهرة ص ٧١ .

(٢) انظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ١١٦ .

(٤٢) قال تعالى : (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم
خيراً لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب
مهين) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلف القراء في قراءة قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين

كفروا انما نملى لهم خيراً لأنفسهم) :

فقرأ ذلك جماعة منهم (ولا يحسبن بالياء ويفتح الألف

من قوله (انما نملى) على المعنى الذى وصفت من تأويله .

وقرأه آخرون (ولا تحسبن) بالتاء وأيضاً بفتح الألف ممن

(انما) بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا انما نملى لهم خيراً

لأنفسهم فان قال قائل : فما الذى من أجله فتحت الألف من وقوله :

(انما) فى قراءة من قرأ بالتاء وقد علمت أن ذلك اذا قرئ بالتاء

فقد أعملت (تحسبن) فى الذين كفروا ، واذا أعملتها فى ذلك

لم يجز لها أن تقع على (انما) لأن انما يحمل فيها عامل يعمل فى

شيئين نصياً .

قيل : أما الصواب فى العربية ووجه الكلام المعروف ممن

كلام العرب تكسر ان اذا قرئت (تحسبن) بالتاء لأن تحسبن

(١) سورة آل عمران آية ١٧٦ .

إذا قرئت بالتاء فانها قد نصبت الذين كفروا فلا يجوز أن تعمل
- وقد نصبت اسما - فى أن ، ولكني أظن أن من قرأ ذلك بالتاء
فى (تحسبن) وفتح الألف فى (أنما) انما أراد تكرير تحسبن
على انما كأنه قصد الى أن معنى الكلام (ولا تحسبن يا محمد أنت
الذين كفروا لا تحسبن انما نملى لهم خيرا لأنفسهم كما قال جليل
شأنه (فهل ينظرون الا الساعة أن يأتيهم بغته يتأويل عمل
ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغته) وذلك وان كان
وجها جائز فى العربية فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل ثم قال الشيخ
رحمه الله تعالى :

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ
(ولا يحسبن الذين كفروا) بالياء من (يحسبن) وفتح الألف من
(أنما) على معنى الحساب للذين كفروا دون غيرهم ، ثم يعمد
فى (أنما) نصبا لأن يحسبن حينئذ لم يشغل بشىء عمل فيه وهمي
تطلب منصوبين ، وانما اخترنا ذلك لاجتماع القراءة على فتح الألف
من (أنما) الأولى فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة فى يحسبن
بالياء لما وصفنا . أهـ (١)

(١) أنظر جامع البيان تفسير الطبرى ج ٣ + ٤

أقول وبالله التوفيق :-

ان قضاء الشيخ رحمه الله تعالى على قراءة الخطاب فسى

قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم)

بعدم كونها صوابا حيث قالى :

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ (ولا يحسبن)

بالياء من (يحسبن) ويفتح الألف من (أنما) الخ - غير صحيح

وذلك أن هذه القراءة يعنى قراءة الخطاب وقراءة الغيب كليهما

متواترة ، والقراءة المتواترة لا يحكم عليها بالخطأ لأن كلامه صريح

فى كون القراءة بالياء صوابا ، ويعلم من ذلك أن ضد الصواب خطأ

والشئ إنما يعرف بضده ، وقد احتج على ما ذهب اليه من أن قراءة

الغيب صواب وقراءة الخطاب غير صواب بقوله : وقد علمت أن ذلك

إذا قرئ بالتاء فقد أعملت (تحسبن) فى (الذين كفروا) وإذا أعملتهما

فذلك لم يجز لها أن تقع على (أنما) لأن أنما إنما يعمل فيها عامل

يعمل فى شيئين نصبا ثم قال قيل أما الصواب فى العربية ووجه الكلام

المعروف من كلام العرب كسران إذا قرئت (تحسبن) بالتاء لأن

(تحسبن) إذا قرئت بالتاء فإنها قد نصبت الذين كفروا فلا يجوز

أن تعمل - وقد نصبت اسما - فى أن وهذه هى الحجة التى تمسك

بها فيما ادعاه وقد ظهر لك بطلانها من عده وجبه .

(١) الوجه الأول : -

أن القراءة أهما تواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد لها
أى شىء من القياسات والعلل ويحرم الحكم عليها بالخطأ .

(٢) الوجه الثاني : -

قوله الصواب كسر ان اذا قرئت تحسبن بالتاء على وجه الخطاب
وعلى ذلك بقوله : لأن (تحسبن) اذا قرئت بالتاء فانها قد
نصبت (الذين كفروا) فلا يجوز أن تعمل فى أنما ، وهذا الكلام
ركيك جدا وذلك أنه اذا كسرت ان على هذه القراءة لا وجه لها
توجه اليه البتة .

والصواب خلاف ما قال وذلك أن الذين كفروا يعرف على كونه
مفعولا أول لتحسبن ، ولا يلزم منه أن تكون عملت فى ثلاثة اذ لمبدل
منه فى نية الطرح وما موصولة أو مصدرية أى : (لا تحسبن أن الذى
نمليه للكفار أو املأنا لهم خيرا لهم) (١) .

(٣) الوجه الثالث : -

ظنه أن الذى يقرأ بالتاء فى (تحسبن) أراد تكرير (تحسبن)
على (أنما) ولذلك قال كأنه قصد الى أن معنى الكلام (ولا تحسبن
يا محمد أنت الذين كفروا لا تحسبن أنما نملى لهم خيرا لأنفسهم)
كما قال جل ثناؤه (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة بتأويل

(١) أنظر اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للشيخ / أحمد
بن محمد الدمياطي المتوفى سنة ١١١٧ ص ١٨٢ .

هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغته ، ثم قال
وان كان وجهها جائزا في العربية فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل ،
وهذا الكلام كله لا وجه له لأن الظن لا يفغنى من الحق
شيئا وظنه هذا لم يخرج عن التوجيه الذى وجهه العلماء من أن الذين
كفروا مفعول أول (لتحسين) وإنما يدل عنه على هذه القراءة
وإذا سلطت (تحسين) على أنما طرحت المبدل منه الذى هو
(الذين كفروا) والقاعدة عند النحاة أن المبدل منه فى نية الطرح
أو مسكوت عنه ، وعلم من ذلك أن ا دعاء تكرر تحسين على أنما لا معنى
له البتة لما علمت من أن المبدل منه فى نية الطرح .

(٤) والوجه الرابع :-

قوله فى دعوى التكرير : وان كان وجهها جائزا فى العربية
فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل ، وهذا كلام ينقض بعضه بعضا
لأن قوله : (وان كان وجهها جائزا فى العربية) يقتضى عدم جوازه
من ناحية غير العربية من عدم موافقة الرسم أو عدم التواتر فى هذه
القراءة ولكنه قال بعدما قال هذا : فوجه كلام العرب ما وصفنا
وان عنى بقوله فوجه كلام العرب الوجه الصحيح لأن أوجه الاعراب
فقد عرفت ما فيه لأن الذى وصفه قبل كسران من أنما الأولى حيث
قال : أما الصواب فى العربية ووجه الكلام المعروف من كلام العرب
كسران اذا قرئت (تحسين) بالتاء ، وهذا الوجه الذى ذهب

اليه في كونه صوابا ليس كما ظنه وذلك أن همزة ان تفتح اذا وقعت في محل المفعول ، وكسر ان ليس وجها صحيحا في العربية ، وليس فيها وجه من أوجه الاعراب المعروفة كما ذكرنا سابقا ، وذلك أن أنما تعرب على هذه القراءة على كونها بدلا من الذين كفروا والبدال منه في نية الطرح ، وحينئذ فهي في محل المصدر ، كما قال ابن مالك في خلاصته ^{ووجب فتحها} ، وهمزة ان افتح لسد مصدر سدها ، وفي سوى ذلك اكسر .

وأن بذلك وجها من أوجه الاعراب فهذا تناقض ظاهر لا ينبغي أن يكون في هذا الكتاب العظيم الذي فتح الأبواب التفسيرية للناس في الدنيا .

(ه) والوجه الخامس : -

قوله وانما اخترنا لك لاجماع القراء على فتح الألف من انما الأولى فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة في (يحسن) بالياء وهذا القول منه صريح في أن قراءة التاء على وجه الخطاب غير صحيحة وهذا قول باطل لما علمت من أن القراءتين متواترتان وحينئذ لا عبرة للكلام هذا .

وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هاتين القراءتين ولم يبين أسماءهم حيث قال : (فقرأ ذلك جماعة ولا يحسن بالياء . . الخ) ثم قال : وقرأه آخرون (ولا تحسن) بالتاء وأنما

وأما أيضا بفتح الألف - واليك بيان ما أبهمه :

فالذين يقرأون بالياء : نافع وابن كثير ، وأتبعهم
البصرى ، وابن عامر الشامي ، وعاصم ، والكسائي ، وأبو جعفر
المدني ، ويعقوب الحضرمي ، وخلف العاشر .

والذي يقرأ بالتاء على وجه الخطاب : حمزة بن حبيب

الزيات (١) كما قال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى في حـرزه
(الشاطبية) ، وخاطب حرفا يحسب حذف الفاء رمز لحمزة
وقد قرأ في هذه الآية وفي قوله (ولا يحسبن الذين يبخلون) بناء
الخطاب - والله أعلم .

ومما لا شك فيه أنه من أئمة السبعة الذين تلتق الأمية
قراءتهم بالقبول وأجمعوا على تواترها بل تواتر العشرة باضافة أبي
جعفر ويعقوب وخلف العاشر .

(١) أنظر البدور الزاهرة للشيخ عبدالفتاح القاضي ص ٧١

والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٤٣) قال الله تعالى : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون بما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : (٢)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ،

فقرأه جماعة من أهل العراق والحجاز (ولا يحسبن الذين

يبخلون) بالياء من يحسبن .

وقرأته جماعة أخرى (ولا تحسبن) بالتاء .

ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك : فقال بعض نحوي

الكوفة :

معنى ذلك (لا يحسبن الباخلون البخل هو هيرا لهم فاكتفى

بذ كر يبخلون من البخل كما تقول " قدم فلان " فسررت به " وأنست

تريد فسررت بتدومه وهو عماد) .

وقال بعض نحوي أهل البصرة :

انما أراد بقوله (ولا تحسبن) الذين يبخلون بما آتاهم

الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم (لا تحسبن البخل هو خير

(١) آل عمران رقم الآية ١٨٠ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٣ + ٤ ص ١٢٥-١٢٦

لهم فألقى الاسم الذي ½ أوقع عليه الحسبان وهو البخل لأنه قد ذكر الحسبان وذكر ما آتاهم الله من فضله فأضمره إذ ذكره قال : وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا ^{كما} قال (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) ولم يقل : ومن أنفق من بعد الفتح لأنه لما قال : (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد) كان فيه دليل على أنه قد عناهم .

وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة ان (من) في قوله (يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) في معنى (جمع) ، ومعنى الكلام لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم فكيف من أنفق من بعد الفتح فالأول مكف ، وقال في قوله : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم) محذوف غير أنه لم يحذف الا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف لأن هو عائد البخل وخيرا لهم عائد الاسماء فقد دل هذان العائدان على أن قبلهما اسمين ، واكتفى بقوله (يبخلون) من البخل وقال وهذا إذا قرئ بالتاء فالبخل قيل الذين وإذا قرئ بالياء فالبخل بعد الذين ، وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل - كما قال الشاعر :
إذا نهى السفه جرى اليه . . . وخالفوا السفه الى خلاف
كأنه قال جرى الى السفه ، فاكتفى عن السفه بالسفيه ، كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى : قراءة من قرأ
(ولا تحسبن الذين يبخلون) بالتاء بتأويل ولا تحسبن أنت يا محمد
بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم .
ثم ترك ذكر البخل اذ كان فى قوله (هو خير لهم) دلالة
على أنه مراد فى الكلام اذ كان قد تقدمه قوله (الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله) ، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وإنما
قلنا : قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء لأن المحسبة
من شأنها طلب اسم وخبر فاذا قرئ قوله (ولا تحسبن الذين
يبخلون) بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله (هو خير لهم) خبرا
عنه واذا قرئ بالتاء كان قوله : (والذين يبخلون) اسما له قد أدى
عن معنى البخل الذى هو اسم المحسبة المتروك ، وكان قوله :
(هو خيرا لهم) خبرا لها فكان جاريا مجرى المصروف من كلام
العرب الفصيح فلذلك اخترنا القراءة بالتاء فى ذلك على ما بيناه وان
كانت القراءة بالياء غير خطأ ولكنه ليس بالأفصح ولا الأشهر من كلام
العرب . أه كلامه

أقول وبالله التوفيق :-

ان هذا الأسلوب الذى سلكه فى توجيه هاتين القراءتين
يقتضى أن القراءات لها مرتبتان : الفصحى ، وغير الفصحى ،
وهذا خطأ كبير وذلك أن القراءة اذا ثبتت بطريق التواتر لا مزية

لاحداهما على الأخرى ، وقد سبق لك ما يؤكد ذلك مرارا فارجعه
ان شئت ، والذي يدل على أنه أزداد ذلك قوله (وان كانت
القراءة بالياء غير خطأ ولكنه ليس بالأفصح ولا الأشهر من كلام العرب) .
والذى حمله على ذلك تأثره بالفلل النحوية وذلك
حيث قال : (وانما قلنا : قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من
قراءته بالياء لأن المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر فاذا قرئ
(ولا تحسبن) بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله : هو خيرا
لهم خبر عنه واذا قرئ ذلك بالتاء .. ألخ)

ومراده بهذا الكلام أن حسب تدخل على المبتدأ والخبر
اذا قرئ بالياء لا يوجد مبتدأ يدخل عليه حسب ، واذا قرئ بالتاء
يوجد مبتدأ وخبر لذلك فضل قراءة التاء على قراءة الياء ، وهذا
الكلام لا يجعل هذه القراءة المتواترة أقل ذرجة من أخصها حتى من
ناحية اللغة العربية ، وذلك أن ضمير (هو) راجع على البخسل
المفهوم من (يبخلون) وهذا أسلوب كثر استعماله في كلام الله مثل
(اعدلوا هو أقرب للتقوى) وهذا كاف في بيان المراد مع أن ضمير
الفصل له ثلاثة أوجه من ناحية الاعراب : مبتدأ ثان ، وبدل ،
وتوكيد ، ومع ذلك فان القراءات لا تخضع لشيء من هذه العلل
الاعرابية طالما ثبت تواترها ، وقوله : (ولكنه ليس بالأفصح ولا
الأشهر من كلام العرب) يؤدي أيضا الى أن للانسان أن يتصرف

فى القراءات من عند نفسه فيحكم على بعضها بالأفصحى ، وعلى بعضها بالفصاحة وغير ذلك ، وهذا تصرف يتنافى مع قداسة كلام الله لأن القراءات كلها بمنزلة واحدة لم يكن لاحدى القراءات أفضلية على الأخرى وقد تقدم بيان ذلك من كلام السلف غير مرة .

ومقارنة الشيخ بين هاتين القراءتين : . . . لم تكن عميقة وذلك أن قوله : اذا قرئ (يحسن) بالتاء يكون له مبتدأ وخبر يدخل عليهما حسب يدل على أن (الذين) مبتدأ وخبر خبره وهو ضمير الفصل وأنت ترى ما فى هذا الأعراب من ضعف لأنه لا يخبر عن الذات بالمعنى الا بتأويل وذلك بتقدير المضاف قبل الذين وهو البخل والتقدير (ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) ولا بد من هذا التأويل ليصح المعنى وكما يحتاج الكلام هنا الى التقدير على قراءة الخطاب كذلك يحتاج الى التقدير على القراءة الثانية ، ويقدر بخل بعد الذين كما بين الشيخ أولا والتقدير (ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله بخلهم هو خيرا لهم) وقد كان المبتدأ والخبر اللذين دخل عليهما حسب كذلك على هذه القراءة ، وعلى ذلك فلا عبرة للعلل التى أتى بها الشيخ لتفضيل قراءة الخطاب على قراءة الغيب لما علمت ، ولكن الشيخ نقض ما أحكمناه ، حيث وجه أولا هاتين القراءتين بتوجيه

دقيق سليم ، ثم أتى بهذه الحجج الواهية التي لا صبرة لها لتفضيل
احدى القراءتين على الأخرى .

وخلاصة الكلام أن هاتين القراءتين متواترتان لا مزيه لاحداهما
على الأخرى ويجب الايمان بذلك .

وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هاتين القراءتين
ولم يبين أسماءهم وترك ذكر أهل الشام أيضا - واليك بيان ذلك :
فالذين يقرأون بالياء في (ولا يحسبن) من عدا حمزة
من العشرة .

والذى يقرأ بالخطاب : حمزة بن حبيب الزيات (والشامي
يدخل في قراءة الفيب) .. والله أعلم .

..

..

..

(٤٤) قال تعالى : (لقد سمع الله قول الذين قالوا

ان الله فقير ونحن أغنياً سنكتب ما قالوا وقتلهم

الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

واختلفت القراءة في قراءة قوله (سنكتب ما قالوا وقتلهم

الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) فقرأ ذلك قراء الحجاز

وعامة قراء العراق (سنكتب ما قالوا) بالنون ، (وقتلهم الأنبياء

بغير حق) بنصب القتل ، وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (سيكتب

ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق) بالياء من (سيكتب) وبضمها

ورفع القتل على مذهب ما لم يسم فاعله اعتباراً بقراءة يذكر أنها من

قراءة عبد الله في قوله : (ونقول ذوقوا) يذكر أنها في قراءة عبد الله

(ويقال) فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد اليه من تأويل

القراءة التي تنسب إلى عبد الله وخالف الحجة من قراء الاسلام وذلك

أن الذي ينبغى لمن قرأ (سيكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء) على وجه

ما لم يسم فاعله أن يقرأ (ويقال) لأن قوله (ونقول) عطف على

قوله (سنكتب) فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بأن

يقرأ جميعاً على مذهب ما لم يسم فاعله أو على مذهب ما يسم فاعله

فأما أ يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله ، والآخـر

(١) سورة آل عمران الآية ١٨١ .

على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى الجأه على ذلك فاختيسار
خارج عن النصيح من كلام العرب ، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :
والصواب من القراءة فى ذلك عندنا (سنكتب) بالنون
(وقتلهم) بالنصب لقوله (ونقول) ولو كانت القراءة فى (سيكتب)
بالياء وضمها لقليل (ويقال) على ما قد بينا . أهـ (١)

أقول وبالله التوفيق : -

ان ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى من أن قراءة القارىء
(سيكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء) بالياء من (سيكتب) وضمها
ورفع القتل على مذهب ما لم يسم فاعله قياس على قراءة عبد الله حيث
قال : اعتبارا بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله (ويقال) بعيد
عن الصواب وذلك أن القراءة لا تخضع لقياس حتى يجوز للانسان
أن يقيسها على قراءة أخرى سواء كانت شاذة أم لا لما علمت أن
قراءة عبد الله تنقسم الى قسمين ما كان قبل الصرضة الأخيرة وما كان
بعدها وذكرها على الاطلاق لا يخلو من المقال مع أن هذه
القراءة شاذة بغير شك ، وذلك أنها لم تكن من القراءات العشر
الصواترة التي أجمعت الأمة على تواترها .

(١) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن ج ٣ × ٤

وأعجب من هذا كله قوله : فاغفل قارىء ذلك وجه الصواب فيما
قصد اليه من تأويل القراءة التي تنسب الى عبدالله ، وخالف الحجة
من قراء الاسلام ، حيث يعتبر هذا القول رميا بقارىء هذه القراءة
بما هو برىء منه ، وذلك أنه لم يعتمد فيما قرأه (سيكتب ما قالوا
وقتلهم الأنبياء بغير حق ويقول ذوقوا عذاب الحريق) على قراءة
عبدالله المذكورة ولم يقصد ذلك ، بل قرأ قراءة متواترة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن القراء لا يعتمدون على قراءة شاذة
وقد علمت شذوذ هذه القراءة (ويقال) وقوله : وذلك أن الذى
ينبغى لمن قرأ (سيكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء) الى قوله من
غير معنى الجأه على ذلك فاختيار خارج عن الفصح من كلام العرب
فيه تصور وذلك أنه فاته أن ينبه على أن قارىء هذه القراءة (سيكتب)
الآية يقرأ (ويقول) بالياء ولكنه قال : لأن قوله :- (ونقول) عطاف
على قوله (سنكتب) فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما فى المعنى
بأن يقرأ جميعا على مذهب ما لم يسم فاعله أو على مذهب ما يسمى فاعله
هذا وإذا قرئ (ويقول) بالياء على وجه الغيب يكون محذوفا على
(سيكتب) لأن التقدير يصير : لو كان غير القرآن (سيكتب الله
ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ويقول ذوقوا عذاب الحريق) وحينئذ
فقوله : فاختيار خارج عن الفصح من كلام العرب لا معنى له لأن عطاف
الفعل على الفعل فصيح من كلام العرب ولو اختلفا فى الصيغة - كما

قال ابن مالك فى ألفيته :

وحذف متبوع بلا هنا استبح وعطفك الفعل على الفعل يصح
وقد ذكرنا ذلك من أن عطف الفعل على الفعل فصيح من كلام العرب
لأنه أنكرك ذلك إلا اذا اتفقا فى المعنى ، مع أن القراءة اذا ثبتت
بطريق التواتر لا يدفعها أى شىء من العلل النحوية ولا الصرفية
ولا أى قياس .

وقوله : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا (سنكتب)

بالنون (وقتلهم) بالنصب لقوله (ونقول) صريح فى انكار القراءة
بالياء من (سيكتب) وقتلهم برفع اللام عطفاً على الموصول قبله
الذى هو نائب فاعل (سيكتب) مع أنها قراءة متواترة وقد بذلك
أنه جزم أن قارئ هذه القراءة بالغيب (سيكتب) يقرأ (ونقول)
بالنون وهذا خطأ فاحش حيث أنه يقرأ بالياء فى (ويقول) وهذا

الخطأ هو الذى حملة على انكار قراءة متواترة علمت من الدين بالضرورة .

وقوله : ولو كانت القراءة فى (سيكتب) بالياء وضمها - ل قيل :

(ويقال على ما قد بينا : يدل على أن القراءات اذا خالفت

القياس من كلام الناس تكون غير صواب ، ويدل أيضا على أن علماء

القراءات يتصرفون فيها كيف شاءوا بدون مراعاة تواترها وهذا خلاف

ما كانوا عليه من أنهم اذا أيقنوا تواترها لا ينظرون الى غير ذلك حتى

يحكموا على القراءة بعدم صوابها .

تنبيهه : قال الأشموني (١) رحمه الله تعالى فى شرحه على الألفية
عند شرح عجز هذا البيت (وعطفك الفعل على الفعل . يصح)
شروط اتحاد زمنيها سواء اتحد نوعهما نحو (لنحيي به بلـسـدة
ميتا ونسقيه . . الآية) أو اختلفا نحو قوله تعالى (يقدم قومه يوم
القيامة فأورهم النار وبئس الورد المورود) وعلم من هنا اذا حصل
اذا حصل الاختلاف فى الصيغة .

أقول :

الظاهر هنا فى هذه الآية الكريمة أن عطف (ويقول) على
(سيكتب ، وسنكتب) على هذه القراءة يعنى قراءة الغيب بالياء
وقراءة التكرم - فيه عدم اتحاد الزمن حيث ان الكتابة فى الدنيا ،
وقوله (ذوقوا عذاب الحريق) فى الآخرة ويجاب عن هذا بأن المعنى
(سيكتب) أى يأمر الله الكتبة بكتابة ما قالوا وما فعلوا من قتل الأنبياء
ويجازيهم على ذلك يوم القيامة ، ويقول عند ذلك (ذوقوا عذاب
الحريق) وهذا الايراد أيضا يجرى فى قراءة التكرم (سنكتب
ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق)
ويجاب عنه بهذا الجواب ،

ومع ذلك فملما القراءات وأهل العلم قاطبة اذا تواترت
القراءة لا يرون شيئا يعارضها لأن القرآن الكريم فى أعلى الفصاحة

(١) أنظر حاشية الصبان وشرح الأشموني ١١٩/٣ .

من كلام العرب هو الذي يرجع اليه لا الرجوع به الى اللفظة .
وخلاصة القول أن قراءة الفيب بالياء (سيكتب) بالبناء
للمجهول ورفع قتلهم عطفا على الموصول الذي هو نائب فاعل :
(سيكتب) و (يقول) بالياء فيه قراءة متواترة يقرأ بها من السبعة
حمزة بن حبيب الزيات .
والقراءة التي ذهب الشيخ الى كونها صوابا دون الأخرى
هي قراءة الباقيين من العشرة ، وبهذا يزول الاشكال الذي كتبتـه
هنا .

.. ..

(٤٥) قال تعالى : (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل

عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجسروا

وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأقربن

عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار

ثواباً . الله والله عند حسن الثواب) (١)

قال محمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى :

واختلف القراء فى قراءة قوله (وقاتلوا وقتلوا) فقرأ بعضهم

(وقتلوا وقتلوا) بالتخفيف بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين .

وقرأ ذلك آخرون (وقاتلوا وقتلوا) بتشديد (قتلوا) بمعنى

أنهم قاتلوا المشركين قتلهم المشركون بعضا بعد بعض وقتلوا بعض

قتل .

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين (وقاتلوا وقتلوا)

بالتخفيف بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (وقتلوا) بالتخفيف (وقاتلوا)

بمعنى أن بعضهم قتل وقاتل من بقى منهم ثم قال الشيخ رحمه الله

تعالى :

والقراءة التى لا أستجيز أن أعودها احدى هاتين

القراءتين وهى (وقاتلوا وقتلوا) بالتخفيف أو (وقتلوا) بالتخفيف

(وقاتلوا) لأنها القراءة المنقولة نقل وراثه وما عداهما فشاذ ، وبأى هاتين القراءتين التي ذكرت أنى لا أستجيز أن أعدوهما قرأ قارىء فمصيب فى ذلك الصواب من القراءة لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى قراءه الاسلام مع اتفاق معنيهما . أم كلامه (١)

أول وبالله التوفيق :-

ان حاصل ما ذكره الشيخ فى توجيه هذه القراءات فى هذه الآيه الكريمة أربع قراءات وذهب الى أن القراءة المستفيضة التي لا يجوز غيرها قراءتان وهما (وقاتلوا وقتلوا) ، وقتلوا) و (قاتلوا) بالتقديم والتأخير فى كلامه هذا تصور ، وذلك أنه خلط القراءات المتواترة بالشاذة حيث حكم على القراءتين اللتين عداهما بالشذوذ وهما قراءة (وقتلوا وقتلوا) وهذه شاذة كما ذكرها ، والثانية (وقاتلوا وقتلوا) بتشديد (قتلوا) ، وهذه قراءة متواترة يقرأ بها عدد كبير من القراء العشرة فتبين من ذلك أن القراءات المتواترة فى هذه الآيه ثلاث وهن : (وقاتلوا وقتلوا) بالتخفيف ، (وقاتلوا وقتلوا) بالتشديد ، (وقتلوا وقتلوا) بالتخفيف والتقديم والتأخير كما قال الامام الشاطبى رحمه الله تعالى : هنا قاتلوا آخر شفا - والقراءة الشاذة واحدة وهي (وقتلوا ، وقتلوا) .

(١) أنظر جاما البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ج٣ + ٤

وحيثذ فذاهب الشيخ الى أن القراءتين الأوليين من هذه
القراءات الأربع شاذتان يعتبر خروجاً عن المشهور عند علماء القراءات
وذلك أن الذين يقرأون بقراءة (وقاتلوا وقتلوا) بالتشديد : ابن كثير
المكي ، وعبدالله ابن عامر الشامي وهما من القراء السبعة الذين
أطبقت الأمة علي تواتر قراءاتهم .

والذين يقرأون بقراءة (وقاتلوا وقتلوا) : نافع بن نعيم ،
وأبو عمر البصري ، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ويعقوب الحضرمي ،
وعاصم بن أبي النجود الكوفي .

والذين يقرأون بالتقديم والتأخير (وقاتلوا وقتلوا) : حمزة ،
والكسائي ، وخلف العاشر وقد بدا لك أن هذه القراءات الثلاث
المذكورة آنفا متواترة لا شك في ذلك كما علمت .

والقراءة الرابعة التي هي الأولى فشاذة كما علمت (١) ، وقد
راجعت الكتب التي تذكر أصحاب الشواذ فلم أشر على القارئين بها
والله أعلم بالصواب .

وقد أبهم الشيخ بعض أصحاب هذه القراءات وترك ذكر بعضهم
حتى في نسبتهم الى البلدان ، ومربان ذلك فانظر السطور القريبة
من هذا القول .

(١) انظر اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص ١٨٤ .
والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٤٦ ،
والبدور الزاهرة للشيخ القاضي ص ٧٣ .

القراءات

التي في سورة النساء

((سورة النساء))

~~~~~

(٤٦) قال تعالى : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تسألون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا ) (١)  
قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

بعد أن ذكر التأويل فى الأرحام ، وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله ( والأرحام ) بالخفض تخطفا بالأرحام على الهاء التى فى قوله ( ٤٦ ) كأنه أراد ( واتقوا الله الذى تسألون به وبالأرحام ) فعطف بظاهر على مكنى مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لأنها لا تنسق بظاهر على مكنى فى الخفض الا فى ضرورة شعر وذلك لضيق الشعر وأما الكلام فلا شئ يضطر المتكلم الى اختيار المكروه من المنطق والردى فى الاعراب منه وما جاء فى الشعر من رد ظاهر على مكنى فى حال الخفض قول الشاعر (٢) :

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا . . . وابنيها والكعب غوط ثفانف  
فعطف الكعب وهو ظاهر على الهاء والألف فى قوله ( بنيها ) وهى

---

(١) سورة النساء آية (١)

(٢) اسم الشاعر مسكين الدارمي .

السوارى جمع سارية وهى الأستوانة ، والغوط جمع غائط وهو المطئن من الأرض ( والثفانف ) جمع ثفنن وهو الهواء بين شيتين وكل شئ بينه وبين الأرض فهو بعيد فهو ثفنن - أنظر هامش تفسير الطبرى لتحقيق ابن شاکر ٥٢٠/٧ .

مكنية ، ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى بعد أن ذكر التأويل على  
قراءة النصب في ( الأرحام ) :

وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصبا بمعنى ( واتقوا الله  
الذي تساءلون به واتقوا الأرحام أن تقطعوها ) عطفاً بالأرحام في  
اعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره ثم قال :

والقراءة التي لا نسنجير القارىء أن يقرأ غيرها في ذلك النصب  
( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ) بمعنى ( واتقوا الأرحام أن  
تقطعوها ) لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على  
مكنى في حال الخفض الا في ضرورة شعر على ما قد وصفت قبل . أهـ  
كلامه رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

أقول وبالله التوفيق :-

ان كلامه حول قراءة خفض الأرحام عطفاً على الضمير في  
( به ) صريح في انكارها حيث قال ( وذلك غير فصيح من الكلام  
عند العرب لأنها لا تعطف الظاهر على المضمرة المخفوض الا في ضرورة  
الشعر . )

واعتبر هذه القراءة مكروهة في المنطق ورديقة في الاعراب  
حيث قال : ( وأما الكلام فلا شيء يضطر المتكلم الى اختصار  
المكروه من المنطق والردى في الاعراب منه ) .

ولا شك أنه قلد البصريين في ذلك حيث أنهم ذهبوا الى  
عدم جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض الا باعادة حروف



الجرفى غير ضرورة الشعر .

وخالفهم الكوفيون وأجازوا ذلك نثرا ونظما .

وقد نقل صاحب ( كتاب الدفاع عن القرآن ) الدكتور/ أحمد مكى

الأنصارى خلاصة ما ذكره أبو حيان فى البحر المحيط حيث قال :

( العطف على المضمرة المجرور فيه مذاهب :

( ١ ) أحدها أنه لا يجوز إلا بإعادة الجار إلا فى الضرورة وعليه

جمهور البصريين .

( ٢ ) والثانى أنه يجوز فى الكلام النثرى وبه قال الكوفيون ويونس ( ٥٢ )

ابن حبيب وأبو الحسن الأفش والاسنان أبو على الشلوبنى .

( ٣ ) والثالث أنه يجوز فى النثر ان أكد الضمير نحو مررت بك نفسك

وزيد والا لم يجوز فى الكلام وهذا مذهب الجرهمى والمختار

جوزه لكثرة سماعا ، ومنه ما روى من قول العرب ( ما فيها

غيره وفرسه أى وغير فرسه ) ، وقراه حمزة فى السبع : " تساءلون

به والأرجام " أى وبالأرجام .

وتأويلها على غيره بعيد يخرج الكلام عن الفصاحة فلا يلتفت

الى التأويل ومن ادعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب ( ١ )

ثم قال الدكتور : ومن هنا يتبين لكل باحث منصف صدق

ما قلت وأقول من أن البصريين هم الذين يحملون راية المعارضنة

---

( ١ ) أنظر الدفاع عن القرآن للدكتور/ أحمد مكى الأنصارى ص ٤ .

( ٢ ) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى ولد سنة ٥٩٤ هـ وتوفى سنة ٥١٨٢ هـ كان امام نحاة البصرة فى عصره أخذ عنه سيوية والكسائى والسفراة وغيرهم من الأئمة من كتبه معانى القرآن كبير وصغير - أنظر الاعلام ٣٤٤/٩ .

للقرء والشعراء وأن الكوفيين بوجه عام أسلس قيادا من البصريين  
اذ أنهم يحترمون الوارد من الشواهد ولو كان شاهدا واحدا من  
أعرابية رعناء كما يقول المبرد فما بالك بالقراءات القرآنية .

وأول من فتح باب الطعن على هذه القراءة هو الامام سيبويه  
رحمه الله تعالى - يقول ابن عطية : ( وهذه القراءة عند رؤساء  
نحوى البصرة لا تجوز ، وأما سيبويه فهي عنده قبيحة )

هذا وقد هاجم جمهور البصريين هذه القراءة المتواترة حتى  
صرح بعضهم بخطأ هذه القراءة وتأثر سيبويه فوصفها بالقبح اتباعا  
لاجماع النحاة فيما يزعم فقال : ( القراءة الجيدة نصب الأرحام فأما  
الخفض فى العربية فان اجماع النحويين أنه يقبح أن يعطف اسم ظاهر  
على اسم مضمّر فى حال الخفض الا باظهار الخافض ) .

هذا ما كان من الزجاج جريا وراء سيبويه وليته وقف عند هذا  
الحد من وصفها بالخطأ فى العربية ، بل أراد أن يأتي بجديد  
فوصفها بالخطأ فى الدين أيضا ، استمع اليه يقول : ( وخطأ  
أيضا فى أمر الدين عظيم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
" لا تخلفوا بأبائكم " فكيف يكون تساهلون به وبالرحم على هذا ) .

ثم قال الدكتور / أحمد مكي الأنصارى : وقد أغنانا عن الرد  
العلامة الرازى حين فند الاستدلال بالحديث فقال : ( هذه حكاية  
عن فعل كانوا يفعلونه فى الجاهلية لأنهم كانوا يقولون : أسألك بالله

والرحم ، وحكاية هذا الفعل عنهم في الماضي لأننا في ورود النهي عنه في المستقبل ( ثم قال : وأيضا فالحديث نهى عن الحلف بالآباء فقط . وهنا ليس كذلك بل هو حلف بالله أولا ثم يقرب به بعده ذكر الرحم ، فهذا لا يقال في مدلول هذا الحديث ) .

ورد القشيري أيضا هذا القول على الزجاج حين قال :

(ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات التي

قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترا يعرفه أهل الصنعة ، وإذا ثبت شيء عن النبي <sup>فهذه</sup> رد ذلك فقد رد على النبي صلى الله عليه وسلم واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محذور ، لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو ) .

وقد صرح أبو جعفر هنا أنه لا يجيز أحدا أن يقرأ بقراءة

الخفض في الأرحام حيث قال : ( والقراءة التي لا نستجيز القاري

أن يقرأ غيرها في ذلك النصب " واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام "

بمعنى ( واتقوا الأرحام أن تقطعوها ) لما قد بينا أن العرب لا تعطف

بظاهر من الأسماء على مكنى في حال الخفض الا في ضرورة سفر )

هذا وما ذهب إليه من أنه لا يبيح لأحد أن يقرأ غير

قراءة النصب في الأرحام يعتبر حكما بالخطأ على قراءة الخفض فيه

ويؤدي الى أن القراءات في طوع الانسان يحتملها على ما يشاء ممن

التصويب والتخطي . ومذهبه هذا شبيه بما كان من بعض البصريين

وهو المبرد حيث تجاوز كل الحدود فقال : ( لا تحل القراءة بها )  
كما قال في موطن آخر : ( لو أني صليت خلف امام يقرأها لقطعنت  
صلاتي ) يعني قراءة حمزة هذه .

وقد علمت مذهب الشيخ في ذلك حيث تلد البصريين في عدم  
جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض الا باعادة الخافض في  
غير ضرورة الشعر وعلمت مذهب الكوفيين في جواز ذلك نثرا ونظما . (١)  
ورب قائل يقول قد رأينا شواهد ذلك من الشعر فهل هناك  
شواهد من النثر - أقول : هناك أكثر من شاهد فقد قالت العرب  
( ما فيها غيره وفرسه ) بجر كلمة فرس عطفًا على الضمير المجرور في  
( غيره ) دون اعادة الخافض .

وقال الزمخشري في كتاب " الأحاجي " في قولهم :

( لا أباك ) اللام مقدرة منوية وان حذفت من اللفظ .

والذي شجعهم على حذفها شهرة مكانها وأنه صار معلوما  
لاستفاضة استعمالها فيه وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق  
من لسان المقال فحمل قراءة حمزة ( تساءلون به والأرحام ) عليه  
سديد . (٢)

---

(١) أنظر الدفاع عن القرآن للدكتور/ أحمد مكي الأنصاري ص ٨٠ .

(٢) أنظر المرجع السابق ص ١٦ .

قال ابن خالويه : ( ان العجاج (١) كان اذا قيل له :

( كيف تجدك يقول خير عافاك الله ) يريد ( بخير ) ، فحذف الجار  
مألوف عند العرب في النثر كما هو مألوف في الشعر ، وكان حق البصريين  
أن يجوز وقراءة حمزة ويخرجوها على هذا الباب من حذف الجار أو على  
غيره من الأبواب .

ومن السماع الذي يؤيد مذهب الكوفيين في جواز العطف على  
المضمر المخفوض دون إعادة الخافض - ما جاء في القرآن الكريم من  
الآيات العديدة التي يمكن تخريجها على هذه القاعدة مثل قوله تعالى :  
( وجعلناكم فيها معاش ومن لستم له برازقين ) حيث عطف من  
الموصولة على المضير في ( لكم ) دون إعادة الخافض والتقدير  
( وجعلناكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين ) وغيرها كثير .  
وقد ذهب ابن مالك في ألفيته إلى جواز ذلك نظماً ونشراً  
حيث قال :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفيض لا زما قد جمع  
وليس عندى لا زما إذ قد أتى في النظم والنثر لصح مشبها  
أبصد هذه الحجج التي أقيمت حول جواز هذا العطف  
حجة في انكار ذلك مع أن القراءة إذا ثبتت بطريق التواتر لا يوجد

---

(١) اسمه عبدالله بن ربيعة أحد بنى سعد بن مالك بن سعد  
ابن زيد مناة بن تميم .

شيء يعارضها فضلا عن الحكم عليها بالخطأ ، ولكن الخوض في مثل هذا الموضوع الذي لا يقبل الشك بدعوى تحكيم اللفظة فيه يعتبر خروجاً عن طريق السلف وطعننا في هذه القراءة المتواترة - وعفا اللعنا وحسنه والانسان معرض للزلّة .

وخلاصة القول أن هاتين القراءتين متواترتان من عند الله لا فضل لاحدهما على الأخرى وكلتاهما سواء في ذلك كما هو مذهب السلف .

ولم يذكر الشيخ أصحاب هاتين القراءتين - واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون بالنصب من عدا حمزة من القراء العشرة .  
والذي يقرأ بالخفض : حمزة بن حبيب الزيات .

والله أعلم .

(٤٧) قال تعالى : ( ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً

انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ) (١)

قال الشيخ رحمه الله تعالى :

واختلفت القراء في قراءة ذلك :

فقراءته عامة قراءة المدينة والعراق ( وسيصلون سعيراً ) بفتح

الياء على التاء ويل الذي قلنا .

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين ( وسيصلون سعيراً )

بضم الياء بمعنى ( يحرقون ) من قولهم شاة مصلية يعني مشوية .

قال أبو جعفر : والفتح بذلك أولى من الضم لاجتماع جميع

القراء على فتح الياء من قوله ( لا يصلاحها الا الأشقى ) ولدلالة قوله

( الا من هوصل الجحيم ) على أن الفتح بها أولى من الضم . أهـ (٢)

### أقول وبالله التوفيق :-

وقد ذهب الشيخ هنا الى تفضيل قراءة فتح الياء من قوله

تعالى ( وسيصلون ) على قراءة ضمها ، وقد عرفت ما في ذلك من عدم

الجواز اذا كانتا لقراءتان متواترتين ، والأمر كذلك هنا ، وذلك

أن قراءة الفتح والضم ثبتتا عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر

---

(١) سورة النساء آية ١٠

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٣ + ٤ ص ١٨٤ -

وحيث فلا عبرة لما ذهب إليه الشيخ من تفضيل إحدى القراء على الأخرى لمخالفته لما كان عليه سلف الأمة .

وأما دعواه اجماع جميع القراء على فتح الياء من قوله تعالى ( لا يصلاحها الا الأشقى ) لتقوية ما ذهب إليه من أولوية قراءة فتح الياء من قراءة الضم فليس في شيء وبينهما فرق كبير من الحجة لأن تلك القراءة محل اتفاق القراء وهذا محل اختلافهم ، وأما قياس القراءة على القراءة من غير وجود النقل والتواتر فيها فهو بعيد عن الصواب لأن القراءات لا تدخل للقياس فيها ولو فتح هذا الباب وقرئت القراءات بالقياس على الأخرى بدون اعتبار التلقى والنقل عن طريق التواتر اما ما عن امام لدخل في كلام الله التحريف والتبديل ، ولم يكن ذلك ولن يكون لأن الله تعالى تكفل بحفظ كتابه من أن تناله أيدي العابثين ووعد ذلك ولن يخلف الله وعده فقال ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) .

قوله :

ويقال في الرد على قوله ( ولدلالة ) ( الا من هو صال

الجحيم ) على أن الفتح بها أولى من الضم قيل هنا . والله أعلم .

وخلاصة الموضوع أن هاتين القراءتين متواترتان على درجة

واحدة لا فضل لاحداهما على الأخرى بخلاف مذهب الشيخ رحمه الله

تعالى حيث كرر هذا الأسلوب في هذا الكتاب العظيم وأجرى المقارنة

بين القراءات أحيانا يوقف بينها وأحيانا يرجع إحدى القراءة على غيرها



وهذا ظاهر البطلان لما علمت .

وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هاتين القراءتين ولم يذكر صريح أسماؤهم مع أن المقام يتطلب ذلك أضف الى ذلك أنه نسب احدى القراءتين الى غير ذويها فقال : وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين ( وسيصلون سعيرا ) بضم اليا ، وهذا يعتبر خطأ لأن أهل مكة لا يقرأون بالضم وهم : ابن كثير ومن قرأ قراءته يقرأون بالفتح .

والذين يقرأون بضم اليا من ( وسيصلون ) عبد الله بن عامر الشامي ، وقد ترك ذكره ، وشعبة من أهل الكوفة .

والذين يقرأون بفتح اليا من ذلك من عداهما من القراء العشرة .  
توجيه القراءتين :

فوجه قراءة ضم اليا أن الفعل مبنى للمجهول والمعنى يأمر الله من يصلحهم سعيرا فلم يضاف الفعل اليهم في الحقيقة انما أُقيموا مقام من له الفعل في الحقيقة .

ووجه قراءة الفتح أضيف الفعل اليهم في الحقيقة ، كما قال

( اصلوها ) فأضاف الفعل اليهم . والله أعلم . (١)

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع للمكي ج ١ ص ٣٧٨ + .

(٤٨) قال تعالى : ( ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر

عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى (٢) :

وأما قوله ( وندخلكم مدخلا كريما ) فان القراءة اختلفت

في قراءته :

فقراءته عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ( وندخلكم

مدخلا كريما ) بفتح الميم ، وكذلك في الحج ( وندخلكم مدخلا

يرضونه ) سورة الحج آية ٥٩ ، فمعنى ( وندخلكم مدخلا ) فيدخلون

دخولا كريما ، وقد يحتمل على مذهب من قرأ هذه القراءة أن يكون

المعنى في ( المدخل ) المكان والموضع لأن العرب ربما فتحت

( الميم ) من ذلك بهذا المعنى .

قال أبو جعفر : وقد أنشدني بعضهم (٣) سمعا من

العرب :

الحمد لله مسانا ومصبحنا . . . بالخير صبحنا ربي ومسانا

لأنه من أصبح وأمسى ، وكذلك تفعل العرب فيما كان من الفعل

بناؤه على أربعة تضم ميمه في مثل هذا فتقول : ( دحرجته أدرجه

مدحرجا فهو مدحرج ) .

---

(١) سورة النساء آية ٣١ .

(٢) انظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٥ + ٦ ص ٣٠ .

(٣) هو أمية بن أبي الصلت . انظر ديوانه ٦٢ = معاني القرآن

للقرآن ٢٦٤

ثم تحمل ما جاء على ( أفعل يفعل ) على ذلك لأن ( يفعل )  
من ( يدخل ) وان كان على أربعة فان أصله أن يكون على ( يؤفعل )  
( يؤدخل ، ويؤخرج ) فهو نظير ( يدحرج ) .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين : ( مدخلا ) بضم

الميم ، يعني وندخلكم بادخالا كريما .

قال أبو جعفر :

وأولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأ ذلك : ( وندخلكم  
مدخلا كريما ) بضم الميم لما وصفنا ، من أن ما كان من الفعل بنتائمه  
على أربعة في فعل فالمصدر منه ( مفعل ) وأن ( أدخل ودحرج )  
( فعل ) منه على أربعة ، و ( المدخل ) مصدره أولى من ( مفعل )  
مع أن ذلك أفصح في كلام العرب في مصادر ما جاء على ( أفعل )  
كما يقال ( أقام بمكان قطاب له المقام إذ أريد به الإقامة ) ، وقام  
في موضعه فهو مقام واسع - كما قال جل ثناؤه ( ان المتقين في مقام  
أمين ) كما قرئ ( وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج  
صدق ) سورة الاسراء (١) بمعنى ( الادخال والاخراج ) ولم يبلغنا  
عن أحد أنه قرأ ( مدخل صدق ) ولا ( مخرج صدق ) بفتح الميم  
أه المراد من كلامه .

### أقول وبالله التوفيق :-

ان توجيه الشيخ رحمه الله تعالى هاتين القراءتين يتضمن  
تفضيل قراءة ضم الميم من قوله ( مدخلا ) على قراءة فتح الميم منه  
كما سبق منه مثل ذلك مرارا ، وقد عرفت ما فى ذلك من المنع .  
وأما الحجة التى احتج بها فيما ذهب اليه من أن العرب  
تضم الميم فى مثل هذا فنقول : ( دحرجته أدرجه مدحرجا فهو  
مدحرج ) ثم تحمل ما جاء على ( أفعل يفعل ) على ذلك لأن  
يفعل من ( يدخل ) وان كان على أربعة فان أصله أن يكون على  
( يؤفعل ) ( يؤدخل ) و ( يؤخرج ) فهو نظير ( يدحرج ) .  
وهذه الحجة الصرفية التى تعلق بها فلا ساق لها ولا أساس  
لها أمام هذه القراءة المتواترة الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم  
والقراءة اذا تواترت لا تخضع لقياس صرفي ولا نحوي ولا غيره .  
وأينما فانه قاس هذه القراءة على قوله ( وقل رب أدخلنى مدخل  
صدق وأخرجنى مخرج صدق ) الآية فقال ولم ييلفنا عن أحد أنه  
قرأ ( مدخل صدق ) ولا ( مخرج صدق ) بفتح الميم .  
ونقول فى الرد على ذلك : ان القراءة بضم الميم فى سورة  
الاسراء محل اتفاق الجميع وفى سورة النساء هنا وفى سورة الحج  
اختلف القراء فى قراءة الحرفين بالفتح والضم ولو كانت القراءة بالقياس

لذهبنا الي ما ذهب اليه ، ولكن القراءة ما جاء بطريق التواتر  
والتلقى والأخذ ، ولا يوجد شيء من القراءات قرئ بالقياس البتة .

كما قال الشاطبي رحمه الله تعالى :

والقياس في القراءة مدخل . . . فدونك ما فيه الرضا متكفلا  
والصواب حينئذ أن قراءة فتح الميم من قوله تعالى ( مدخلا ) وقراءة  
ضم الميم منه قراءتان متواترتان سواء بسواء لا فضل لاحدهما على  
الأخرى خلاف ما قاله ، وهذه القراءة التي جعلها الشيخ مرجوحة  
هي قراءة المدنيين : نافع ، وأبي جعفر .

والقراءة التي جعلها راجحة هي قراءة من عداهما من

العشرة .

وقد أخطأ الشيخ رحمه الله تعالى حيث نسب قراءة الفتح

الي بعض الكوفيين مع المدنيين ، والصواب أنها قراءة المدنيين فقط

والله أعلم ، ولا يخفى عليك اجماله كما دته أصحاب هاتين القراءتين

الا ما ذكرهم بالبلدان وقد بينا ذلك فراجعه .

(٤٩) قال تعالى : ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله والتي يخافون نشوزهن فمحظوظوهن وأهجرهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا ) (١)

قال محمد (٢) بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله : ( بما حفظ الله ) فان القراءة اختلفت في قراءته :  
فقراءته عامة القراءة في جميع أمصار الاسلام ( بما حفظ الله )  
يرفع اسم الله ( على معنى بحفظ الله اياهن اذ ضميرهن كذلك .  
ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القساق المدني ( بما حفظ الله )  
يعنى بحفظهن الله في طاعته وأداء حقه بما أمرهن من حفظ غيب  
أزواجهن كقول الرجل للرجل ( ما حفظت الله في كذا وكذا ) بمعنى  
( ما راقبته ولا خفته ) .

قال أبو جعفر :

والصواب من القراءات في ذلك ما جاءت به قراء المسلمين من  
القراءة مجيئا يقطع عذر من بلغه ويثبت عليه حجته دون ما انفرد به

---

(١) سورة النساء آية ٣٤ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ج ٥ + ٦ ص ٣٩  
ت م ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

أبو جعفر فشذ عنهم ، وتلك القراءة برفع اسم ( الله ) تبارك  
وتعالى ( بما حفظ الله ) مع صحة ذلك في العربية وكلام العرب  
وتبجح نصبه في العربية لخروجه عن المعروف من منطلق العرب .  
وذلك أن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر من أجل  
أن الفاعل اذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب معروف . أم المراد  
من كلامه .

### أقول وبالله التوفيق : -

ان في هذا الكلام الذي قرره الشيخ تصريحاً بخطأ قراءة  
نصب لفظ الجلالة من قوله ( بما حفظ الله ) حيث قال :  
( والصواب من القراءة في ذلك ما جاءت به قراءة المسلمين  
من القراءة مجيئاً يقطع عذر من بلفه ويثبت عليه حجته دون ما انفرد به  
أبو جعفر فشذ عنهم ، وتلك القراءة برفع اسم الله تبارك وتعالى  
( بما حفظ الله ) مع صحة ذلك في العربية ، وكلام العرب وتبجح  
نصبه في العربية لخروجه عن المعروف من منطلق العرب - ثم علل  
ذلك بقوله : وذلك أن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر من  
أجل أن الفاعل اذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب معروف ) .  
وأما قوله : دون ما انفرد به أبو جعفر فشذ عنهم فلا  
معنى له لأن موقف العلماء من القراءات الثلاث المتممة للعشر موقوف  
مشهور من أنها متواترة كالسبع بلا شك .

فحينئذ فإذا انفرد أحد الثلاثة بقراءة فلا يجعل ذلك هذه القراءة شاذ لأنها من القراءات المتواترة وتسمى قراءة عشرية عند القراء حيث لم تقرأ في السبع ، وقوله : ( وقبح نصبه في العربية لخروجه عن المعروف من منطلق العرب وذلك أن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر من أجل أن الفاعل إذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب معروف ) غير مسلم به لأن الفاعل لم يحذف على هذه القراءة - يعنى قراءة نصب الجلالة من قوله ( بما حفظ الله ) بل هو ضمير مسند فى ( حفظ ) وكلام الشيخ فى واد وتوجيه هذه القراءة فى واحد آخر .

وذلك أن علماء التوجيه ذكروا أوجها صحيحة فى توجيهها واليك ما كتبه أبو حيان<sup>(١)</sup> فى توجيه قراءة نصب الجلالة - وهذا نصه :

( وقرأ أبو جعفر بن القعقاع بنصب الجلالة فالظاهر أن ما بمعنى الذى وفى ( حفظ ) ضمير يعود على ما مرفوع أى بالطاعة والبر الذى حفظ الله فى امتثال أمره ، وتبيل التقدير بالأمر الذى حفظه حق الله وأما نته وهو التعضف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم ) ، وقدره ابن جنى بما حفظ دين الله أو أمر الله وحذف المضاف متعين تقديره لأن الذات المقدسة لا ينسب اليها

---

(١) أنظر تفسيره ج ٣ ص ٢٤٠ .

ترجمة أبى حيان هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان الغرناطى ولد بغرناطة سنة ٦٥٤ - وتوفى بمصر أوائل سنة ٧٤٥ هـ وكان قد خرج من الأندلس أوائل سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجه . أه من مقدمة تفسيره .



أنها يحفظها أحد ، وقيل ما مصدرية وفي ( حفظ ) ضمير مرفوع  
تقديره حفظن الله وهو عائد على الصالحات ، وقيل حذف ذلك  
الضمير وفي حذفه قبح لا يجوز الا في الشعر كما قال : فان  
الحوادث أودى بها ، يريد أودى بها ، والمعنى يحفظن  
الله في أمره حين امتثلته .

ثم قال أبو حيان معارضا هذا الوجه الأخير ، والأحسن  
في هذا أن لا يقال انه حذف الضمير ، بل يقال : انهاد الضمير  
عليهن مفردا كأنه لوحظ الجنس وكأن الصالحات في معنى من صلح  
ثم قال أبو حيان رحمه الله تعالى : وهذا كله توجيه شاذ شذوذ  
أدى اليه قول من اقال في هذه القراءة ان ما مصدرية ولا حاجة الي  
هذا القول بل ينزه القرآن عنه . أهـ ( أبو حيان (١)

ولى نظرة في قوله : ( وقبح نصبه في العربية لخروجه عن  
المعروف من منطلق العرب وذلك أن العرب لا تحذف الفاعل مع  
المصادر من أجل أن الفاعل اذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب  
معروف ) ، وذلك أنه لا حذف للفاعل هنا لأن الفاعل ضمير مستتر  
في ( حفظ ) يعود على ( ما ) على أنها موصولة ، وهذا هو  
الراجح .

---

(١) أنظر البحر المحيط لأبي حيان ٣ / ٢٤٠ .

كما ذكر أبو حيان أو على الصالحات لأنه بمعنى من صلح  
على أنها مصدرية وأيت المصدر الذي حذف الفاعل معه ، ولو قلنا  
ان ( ما ) مصدرية فلا بد من تحمل الفعل فاعله ، وقد عرفت  
مرجع هذا الفاعل مما سبق فتبين من ذلك أن هذا الكلام لا تصيب  
له من الصواب هنا ، وذلك أن الفعل لا بد له من الفاعل ظاهرا  
أو مستترا كما قال ابن مالك رحمه الله تعالى في خلاصته :

وبعد فعل فاعل فان ظهر . . . فهو والا فضمير استتر  
وقد ذكر النحاة (١) المواضع (٢) التي يحذف منها الفاعل  
وليس منها هذه وذكر النحاة أيضا الأفعال التي لا فاعل لها وليس  
( حفظ ) من ذلك ، وهذه الأفعال التي لا تحتاج الى الفاعل  
تقريبا في ثلاثة مواضع :

الأول : الفعل المؤكد في نحو قول الشاعر :

أتاك أتاك اللاحقون أحبس أحبس .

والثاني : كان الزائدة في نحو قول الشاعر :

لله در أنوشروان من رجل . . ما كان أعرفه بالدون والسفل  
بناء على القول الراجح عند المحققين من أن كان الزائدة لا فاعل لها .

الثالث : الفعل المكشوف بما نحو قلما وطالما وكثرا ما بناء على ما

---

(١) أنظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محسى  
الدين عبدالحميد ج ١ ص ٤٦٢ باب الفاعل .

ذهب إليه سببوية ، ولكن من العلماء من يزعم أن ( ما ) في نحو  
( طالما ) نهيتهك مصدرية سابقة لما بعدها بمصدر هو فاعل طـال  
والتقدير طال نهي اياك . (١)

وهنا فعل ( حفظ ) مع الفاعل سواء كانت ما موصولة أو  
مصدرية ولا يوجد مصدر حذف معه الفاعل هنا فاتضح من ذلك  
أن ما ادعاه غير صحيح ، ومع هذا فإن القراءة اذا تواترت لا تخضع  
لمثل هذه العطل النحوية التي لا أساس لها فعلم من ذلك أن قراءة  
انصب الجلالة قراءة متواترة يقرأ بها أبو جعفر يزيد بن القعقاع  
المدني شيخ قراء المدينة الذي يحب كثير من السلف أن يقرأ بقراءته  
ضمهم الامام أحمد وغيره ولا يطعن في القراءة المتواترة الا جاهل  
أو ملحد ، والشيخ برى عن هذين الوصفين ولكنها زلة تقدم  
= عفا الله عنا وعنه = وقعت منه كسائر البشر .

والقراءة الثانية التي ذهب الشيخ رحمه الله تعالى الي صوابها  
دون قراءة النصب هي قراءة باقى القراء من العشرة ، والقراءتان  
متواترتان ثابتتان عن النبي صلى الله عليه وسلم لا فرق بينهما ولا مزية  
لا حداهما على الأخرى ، وقد علمت أصحاب هاتين القراءتين مما ذكرنا  
ولا حاجة الى اعادة ذلك وان أجملهم الشيخ لأنهم معلومون مما  
ذكرت . . والله أعلم بالصواب .

---

( ١ ) انظر النشر في القراءات المشر لا بن الجزرى ٢ / ٢٤٩ والهدور الزاهية

( ٥٠ ) قال تعالى : ( ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيست

طائفة منهم غيرا لذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض

عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا ) ( ١ )

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأما قوله : ( بيت طائفة ) فان التاء من ( بيت )

تحركها بالفتح عامة قراء المدينة والصراف وسائر القراء لأنها لام

( فعل ) .

وكان بعض قراء الصراف يسكنها ثم يدغمها في ( الطاء )

لمقاربتها في المخرج .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : والصواب من القراء

في ذلك ترك الادغام ، لأنها - أعنى التاء والطاء - من حرفين

مختلفين واذا كان كذلك كان ترك الادغام أفصح اللغتين عند

(٢) العرب واللغة الأخرى جائزة - أعنى الادغام في ذلك - محكيه . أهـ

وقوله : والصواب من القراءة في ذلك ترك الادغام لأنها

أعنى التاء والطاء - من حرفين مختلفين واذا كان كذلك كان ترك

الادغام أفصح اللغتين عند العرب - يدل دلالة واضحة على أن

---

(١) سورة النساء آية ٨١ .

(٢) أنظار جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ج ٥ + ٥٦

ص ١١٣ ت م ج ٨ ص ٥٦٥ - ٥٦٦ .

قراء ادغام التاء في الطاء خطأ لأنها لم تكن أفصح اللغتين عند العرب في رأيه .

وهذا قول غير صحيح لأن القراءة اذا عرف تواترها وجب كونها صوابا ولا يقدر فيها قياس بذكره بعض من لا علم له بحقيقتها لدعم التأويلات والحجج التي يعارض بها القراءات ولا يلتفت الى ذلك طالما ثبتت القراءة بطريق التواتر لأن القراءات اذا كان الأمر كذلك - أمر توفيقى لا يقبل الجدل قطعاً وهذا هو مذهب السلف قاطبة ولهم قدوة في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صوب القراءات المختلفة كما سبق ذلك في هذه الرسالة وحينئذ يحرم القول بخطأ القراءة المتواترة الثابتة كما يفهم ذلك من كلامه .

وأما قوله =: <sup>تلك</sup> واذا كان كذلك كان ترك الادغام أفصح اللغتين عند العرب ، واللغة الأخرى جائزة - أعنى الادغام في ذلك - محكيه - يؤدي الى جعل القراءات أقساماً ( الفصحى والفصيحة وغير الفصيحة ) وهذا قول باطل لأن كلام الله ( القرآن ) كله في منزلة واحدة في غاية الفصاحة والبلاغة ولا يكون بعضه أفصح من بعضى لأن هذا القول يوهم تفضيل أسلوب نظم القرآن بعضه على بعض ولم يقل به أحد من العلماء والدليل <sup>على</sup> ما ذكرناه قول النبي صلى الله عليه وسلم ( هكذا أنزلت ) وهذا النص من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

يدل على أن القراءات كلها <sup>على</sup> درجة واحدة في غاية الفصحاحة والبلاغة  
والروعة ولا يفضل شيء منها على آخر .

وقد علل الشيخ رحمه الله تعالى ما ذكر من كون قراءة ترك  
الادغام صوابا دون الأخرى باختلاف الحرفين ( التاء ) و ( الطاء ) في  
المخرج بمد اعترافه تقارب مخرجيهما ، وهذا تناقض ظاهر لأن علماء  
القراءات اذا تقارب الحرفان في المخرج أدغموا حرفا في الأخر  
نقلا متواترا لكن ذلك في مواضع محدودة وهذه المواضع منها كما قال  
الشاطبي رحمه الله تعالى في حزره :

في باب ادغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين :

وان كلمة حرفان فيها تقاربا . . فادغامه للقف في الكاف مجتسلا  
الى أن قال :

وفي عشرها والطاء تدغم تاؤها . . وفي أحرف وجهان عنه تهلا  
وقد ظهر ما ذكرنا أن الحجج التي احتج بها الشيخ في ذلك لا تنهض  
في معارضة قراءة متواترة عند القراء المشهورين .

وخلاصة القول في ذلك أن القراءتين متواترتان لا فرق بينهما

في ذلك ولا عبرة لما ذكره هنا لما علمت .

وقد أجمل الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هاتين القراءتين

كما دته سابقا ولم يذكر أسماهم صراحة واليك بيان ذلك :

فالذين يقولون بادغام التاء في الطاء من (١) (بيت طائفة)  
أبو عمرو البصرى ، وحمزة بن حبيب الزيات .  
والذين يقرأون بترك الادغام من ذلك : من عداهما من  
القراء العشرة . . والله أعلم بالصواب .

---

(١) أنظر البدور الزاهرة في القراءة العشر المتواترة للشيخ  
عبد الفتاح القاضى ص ٨١ .  
وأنظر أيضا النشر في القراءات العشر لابن الجزرى  
ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٥١) قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل

الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا

تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك

كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون

خبيرا (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( ولا تقولوا لمن ألقى اليكم

السلام ) فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين والكوفيين ( السلام )

بغير ألف بمعنى الاسلام .

وقرأ بعض الكوفيين والبصريين : ( السلام ) بألف بمعنى

التحية .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ( لمن ألقى اليكم السلام )

بمعنى : من استسلم لكم مدعنا لله بالتوحيد مقرا لكم بملئكم .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وانما اخترنا ذلك لاختلاف الرواية في ذلك :

---

(١) سورة النساء آية ٩٤ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٥ + ٦ ص ١٤٣

ن ت م ج ٩ ص ٨٢ .



لفعلت الأيدي العابثة ما فعلت .

وقوله : والصواب من القراءة في ذلك عندنا ( لمن ألقى

اليكم السلم ) بمعنى : من استسلم لكم . الخ ، يشعر أن قراءة

اثبات الألف من ( السلام ) ليست صوابا وهذا القول باطل لأن

هذه القراءة أعنى قراءة اثبات الألف بين اللام والميم صواب كأختها

وقد عرفت مذهب السلف في هذا الباب فاقتد بهم ولا تحد عن

سنتهم .

وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى السبب الذي دعاها الى جعل

قراءة ( السلم ) بدون ألف صوابا وجعل قراءة اثبات الألف غير

صواب مؤكدا لرأيه هذا فقال : وانما اخترنا ذلك لاختلاف الرواية

في ذلك ،

فمن راو أنه استسلم بأن شهد شهادة الحق وقال ( انسى

سلم ) .

ومن راو روى أنه قال : ( السلام عليكم ) فحياهم تحية

الاسلام .

ومن راو روى أنه كان مسلما باسلام قد تقدم من قبل قتلهم

اياهم .

ثم قال الشيخ :

فمن راو روى أنه استسلم بأن شهد شهادة الحق وقال  
انى مسلم .

ومن راو روى أنه قال : ( السلام عليكم ) فحياتهم تحية  
الاسلام .

ومن راو روى أنه كان مسلماً باسلام قد تقدم منه قبل قتلهم  
اياهم .

وكل هذه المعاني يجمعها ( السلم ) لأن المسلم يستسلم  
والحى بتحية الاسلام يستسلم ، والمشهد شهادة الحق يستسلم  
لأهل الاسلام فمعنى ( السلم ) جامع لجميع المعاني التي رويت فى  
امرالمقتول الذى نزلت فى شأنه هذه الآية ، وليس ذلك فى السلام  
لأن السلام لا وجه له فى هذا الموضوع الا التحية فلذلك وصفنا ( السلم )  
بالصواب . أه .

أقول وبالله التوفيق :-

انه لا يخفى على ذى بصيرة ما تضمنه كلام الشيخ رحمه الله  
تعالى من انكار قراءة اثبات الألف من قوله تعالى ( لمن ألقى عليكم  
السلام ) وايهام كونها غيرالصواب مع أنها قراءة متواترة وهذا غير  
جائز البتة لأنه يؤدي الى الطعن فى كلام الله ( الذى لا يأتيه  
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) ويفتح الباب  
للطاغين والملحدين على مصرعيه لولا وعد الله المنجز لحفظ كتابه

وكل هذه المعاني يجمعها ( السلم ) لأن المسلم مستسلم  
والمحيى بتحية الاسلام مستسلم ، والمتشهد شهادة الحق مستسلم  
لأهل الاسلام ، فمعنى ( السلم ) جامع لجميع المعاني التي رويت  
في أمر المقتول الذي نزلت في شأنه هذه الآية وليس ذلك في ( الاسلام )  
لأن السلام لا وجه له في هذا الموضوع الا التحية فلذلك وصفنا  
( السلم ) بالصواب .

أقول : ان هذه الحجة التي احتج بها الشيخ رحمه  
الله تعالى لا تؤيد رأيه من كون القراءة بغير الألف صوابا وقراءة الألف  
غير صواب ، وحجة الشيخ <sup>هي</sup> أن ( السلم ) يجمع جميع المعاني التي  
تضمنتها الروايات التي رويت في أمر المقتول الذي نزلت فيه هذه الآية  
حيث قال : لأن المسلم مستسلم والمحيى بتحية الاسلام مستسلم ،  
والمتشهد شهادة الحق مستسلم ، ثم قال : وليس ذلك في السلام  
لأن السلام لا وجه له في هذا الموضوع الا التحية فلذلك وصفنا ( السلم )  
بالصواب .

ومعنى كلامه هذا أن ( السلم ) معناه الاستسلام ( والمسلم  
يعتبر مستسلما بإسلامه ، والمحيى بتحية الاسلام يعتبر مستسلما  
والذي أسلم قبل هذه الحادثة يعتبر مستسلما فلذلك جمع هذه  
المعاني كلها لفظ ( السلم ) ولا يجمعها لفظ السلام ، وهذا القول  
مخالف لما عليه جل العلماء من أن السلام باثبات الألف يأتي لمعنى

الاستسلام والانقياد كما ينأتى بمعنى التحية ، ويأتى أيضا بمعنى  
الاسلام لأن الاسلام هو السلام .

والشاهد على ما ذكرنا ما كتبه سليمان بن عمر المجيلي الشافعي  
الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ فى حاشيته ( الفتوحات الالهية  
بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ) بعد ما ذكر القراءتين  
وهذا نصه :

( فأما السلام فالظاهر أنه التحية ، وقيل الاستسلام والانقياد  
(١)

والسلم بفتحها الانقياد فقط ) والشاهد على ذلك أيضا ما ذكره مكى بن  
أبى طالب القيس فى كتابه ( الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها )  
(٢) بعد ذكر توجيه القراءتين وهذا نص ما ذكره :

( وقد روى ما قال لهم الرجل الذى قتلوه ونزلت هذه الآية  
بسببه ، أنه قال لهم : انى مسلم - وروى أنه شهد أن لا اله  
الا الله فلم يصدقوه ، وقتلوه وروى أنه قال لهم : السلام عليكم فاتهموا  
وقتلوه ، وهذا كله يدل على السلام ) (٣) أد

أقول : ومن هذه الأقوال التى ذكرها العلماء فى معنى

( السلام ) نحرف أن معنى السلام لا يختص بالتحية فقط وأنه لا عبرة

لما ذهب اليه من أن ( السلم ) يجمع هذه المعانى ( التحية

---

(١) أنظر حاشية الجمل على شرح الجلالين ج ١ ص ٤١٤ .

(٢) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكى بن أبى طالب

القيسى ج ١ ص ٣٩٦ .

والاستلام والاسلام ) دون السلام أنه لفظ السلام لا يأتي  
الا لمعنى التحية وغاية الأمر أن القراءتين تؤيد احدهما الأخرى  
ومدلولهما واحد وتمتبران توفيقا وجمعا للروايات التي رويت في  
سبب نزول الآية الكريمة ، وذهب الشيخ الى أن الصواب قراءة  
القصر بدون الألف محتجا لما ذكر في ذلك بعيد عن الصواب ، وذلك  
أن القراءة اذا علم تواترها يحرم الحكم عليها بالخطأ والفاعل لذلك  
آثم وهذه القراءة التي اعتبر الشيخ منهم كونها صوابا هي قراءة أكثر  
القراء العشرة وهم : ابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصرى ، وطاسم  
والكسائي ، ويعقوب الحضرمي .

والذين يقرأون بدون الألف من عد المذكورين من العشرة .  
وخلاصة القول في ذلك أن كلتا القراءتين متواترة كلها صواب وحق  
نزلتا من عند الله لا فضل لاحدهما على الأخرى وهذا هو المذهب  
الذي تؤمن به وندين الله به والله أعلم .

... ..

(٥٢) قال تعالى : ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً ) (١) .

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : (٢)

اختلفت القراءة في قراءة قوله : ( غير أولى الضرر ) :

فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ومكة والشام ( غير أولى

الضرر ) نصبا بمعنى الا أولى الضرر .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة والبصرة ( غير أولى الضرر )

برفع ( غير ) على مذهب النعت ( للقاعدین ) .

قال أبو جعفر :

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ( غير أولى الضرر )

بنصب ( غير ) لأن الأخبار متظاهرة بأن قوله تعالى ( غير أولى الضرر )

نزل بعد قوله ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل

الله بأموالهم ) استثناء من قوله ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين

والمجاهدون ) أم .

---

(١) سورة النساء آية ٩٥ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٦+٥ ص ١٤٤ ج ٩

ن ت م ص ٨٦ .

## أصول وبالله التوفيق والسداد :

ان الشيخ رحمه الله تعالى صح في توجيهه هاتين القراءتين بأن القراءة التي توافق الصواب من بينهما قراءة نصب ( غير ) من ( غير ألى الضرر ) وهذا يشعر بأن قراءة الرفع في ( غير ) من قوله تعالى ( غير أولى الضرر ) غير صواب بل هي خطأ وباطل ، وهذا هو المعنى الذى يفهم من تصريحه يكون قراءة النصب صوابا .

ومما لا شك فيه أن هذا المذهب قرره المصنف بعيد عن الحسوق وذلك أن القراءة اذا ثبتت بطريق التواتر تقرر كونها حقا وصوابا ولا يجوز الحكم بعدم كونها صوابا لأن هذا يعتبر طعنا فى القراءة المتواترة والطمع فى القراءة المتواترة يؤدي الى أمر لا تحمد عقباه وعلى المؤمن أن يؤمن ويعتقد أنها حق وصواب نزلت من عند الله وأن لا يفتر بالعلل والحجج العقلية والنحوية والصرفية وغير ذلك من الحجج الواهية التى يتعلق بها الناس معارضا بها القراءات المتواترة ، وهذه الحجج والعلل مهما كان زواجها وراجت فلسفتها فلن تستطيع الى قداسة كلام الله سبيلا ومن الدين عدم الالتفات اليها طالما تأكدنا تواتر القراءة وانطلاقا من هذا السياق فان الشيخ ذكر السبب الذى حمله على تقرير ما قرره من أن قراءة النصب من ( غير أولى الضرر ) صواب دون قراءة الرفع من ذلك فقال معلقا ذلك : ( لأن الأخبار متظاهرة بأن قوله : ( غير أولى الضرر ) نزل بعد قوله : ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين

والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم ) استثناء من قوله ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ) وهذه العلة التي اعتل بها فيها أدنى معارضة للقراءة الثانية التي هي قراءة الرفع لا من بعيد ولا من قريب لأمر :

الأمر الأول : أن القراءة اذا تقرر تواترها لا يرد لها شيء من مثل هذه العلل التي لا أساس لها .

والأمر الثاني : ما تقرر من أن القرآن تكلم الله سبحانه به على هذا الترتيب الذي هو في أيدينا اليوم لا على ترتيب النزول ، والدليل على أنه في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي في أيدينا وأنه تعالى أنزله جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم كان ينزل منه الشيء بعد الشيء على حسب الحاجة اليه - قوله تعالى : ( ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا ميانه) وهذا أدل الدليل على أن الله عز وجل تولى تنزيله وجمعه ونظمه وأنزله على المصطفى صلوات الله وسلامه على لسان جبريل عليه السلام عصمه من السهو والخطأ<sup>عليه</sup> والتحريف فيه .

ويدل على ذلك أيضا حديث روى عن أبي بكر بن عياش عن أبي اسحاق عن البراء قال : ( آخر ما نزل من القرآن يستضونك قل الله يفتيكم في الكلاله ) قال أبو بكر بن عياش وأخطأ أبو اسحاق لأن محمد بن السائب روى عن أبي صالح عن ابن عباس قال : ( آخر ما نزل من



القرآن ( واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ) الآية وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : ( يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من الهرة ) (١) .

وتدل عليه أيضا الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسميته صورة الحمد لله رب العالمين فاتحة الكتاب فلولا أنه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بأ يرتبوا هذا الترتيب عن أمر جبريل عليه السلام عن الله مزوجا لما كان تسميته هذه السورة فاتحة الكتاب معنى اذا قد ثبت بالاجماع أن هذه السورة ليست بفاتحة من صور القرآن نزولا فثبت أنها فاتحة نظاما وترتبيا وتكلمًا . أهـ (٢)

ومن هنا تصرف أن ما ذكره الشيخ ليس فيه حجة على ما ذهب اليه من أن ( غير أولى الضرر ) نزل بعد قوله تعالى : ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ) فالصواب فيه النصب لا الرفع . وهذه حجة واهية لا تعارض القراءة المتواترة لأن كلام الله وحدة واحدة ونزول ( غير ) بعد ذلك لا يوجب النصب فيه بل الرفع

---

(١) أنظر مقدمتان في علوم القرآن ( مقدمة كتاب المبانى ) ومقدمة ابن عطية نزهة من المخطوطة المحفوظة في دار الكتب ببرلين ، ودار الكتب المصرية ، ووفق على تصحيحهما وطبعهما للمرة الأولى الاستاذ المستشرق الدكتور آرثر جفرى ووقف على تصحيح الطبعة الثانية وقوم نصها والحق بها استدراقات وتصويبات للطبعة الأولى عبد الله اسماعيل الصاوي

ص ٣٩ × ٤١ .

(٢) أنظر المصدر الأول ص ٤١ - ٤٢ والحدِيث رواه النسائي ٥٤/٢

والنصب فيه سواءً نقلًا ولفظة ولا عبرة لما ذكره .

والأمر الثالث : أن المعنى الذى يؤدى به النصب هو المعنى الذى يؤدى به الرفع ( فى " غير أولى الضرر " ) من غير وجود الفارق فى ذلك وذلك أن الصفة والاستثناء من الخصصات المتصلة ومؤد هما واحد كما هو مقرر فى الأصول فعلم من ذلك كله أن ما ذهب إليه الشيخ ليس فيه حجة على ما قال كما عرفت .

ومع ذلك فإن القراءة لا يقدر فيها أى قياس وأى علة تثار حولها بل تؤدى وتقرأ كما جاءت عن الله سبحانه وبلغ الرسول إلى أصحابه وبلغ الصحابة إلى التابعين والتابعون بلفوها إلى من بعدهم و هكذا .

وخلاصة القول فى ذلك أن قراءة النصب والرفع ( فى " غير " ) متواترتان من غير أن تفضل احدهما على الأخرى ، وهذا المذهب هو المذهب الحق الذى يجب الايمان به واعتقاد صوابه .

وقد أبهم الشيخ أصحاب ماتين القراءتين كما دته فيما سبق

حيث قال :

فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ومكة والشام ( غير ) نصباً

ثم قال : وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة والبصرة ( غير أولى الضرر )

برفع ( غير ) .

واليك بيان ما أجمعه :

فالذين يقرأون بالنصب في ( غير ) : نافع بن نعيم ، وأبو

جعفر المدنيان ، وابن عامر الشامي ، والكسائي ، وخالف .

والذين يقرأون بالرفع فيه : ابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصري ،

ويعقوب الحضرمي ، وعاصم ، وحمزة . أهـ (١)

وتوجيه القراءتين قد وجهه الشيخ فلا حاجة الى أن نشرح

أكثر من ذلك - والله أعلم .

---

(١) البدور ص ٨١ ، والنشر ج ٢ ص ٢٥١ .

(٥٣) قال تعالى : ( وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا فلا جناح عليهما أن يطلعا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشيوخ وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء في قراءة قوله ( أن يصلحا بينهما صلحا )  
فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة بفتح  
الياء وتشديد الصاد بمعنى : أن يتصالحا بينهما صلحا ، ثم ادغمت  
( التاء ) في ( الصاد ) فصيرتا ( صادا ) مشددة .  
وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( أن يصلحا بينهما صلحا )  
بضم الياء وتخفيف ( الصاد ) بمعنى : أصلح الزوج والمرأة بينهما .  
ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأعجب القراءتين في ذلك إلى قراءة من قرأ ( أن يصلحا  
بينهما صلحا ) بفتح الياء وتشديد ( الصاد ) بمعنى : يتصالحا لأن  
التصالح في هذا الموضع أشهر وأوضح معنى وأصح وأكثر على ألسن  
العرب من الإصلاح ، والإصلاح في خلاف الفساد أشهر منه في معنى  
التصالح .

---

(١) سورة النساء آية ١٢٨ .

فان ظن ظان أن في قوله تعالى ( صلحا ) دلالة على  
أن قراءة من قرأ ذلك ( يصلحا ) بضم الياء أولى بالصواب ، فان  
الأمر في ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن الصلح اسم وليس بفعل  
فيستدل به على أولى القراءتين بالصواب في قوله ( يصلحا بينهما )  
صلحا (١) أ. هـ .

### أقول وبالله التوفيق :

ان تعبير الشيخ رحمه الله تعالى في توجيه هاتين القراءتين  
بقوله : وأعجب القراءتين في ذلك الى قراءة من قرأ ( أن يصلحا )  
بفتح الياء وتشديد الصاد بمعنى : يتصلحا يدل على تفضيل  
هذه القراءة المذكورة على قراءة التخفيف وضم الياء والقصر مع أنها  
متواترة كأختها وهي قراءة ( يصلحا ) وقد تكرر هذا الأسلوب منه  
في مواضع كثيرة من ( تفسيره ) وعلقنا عليه بما فيه الكفاية لأهل الحق  
وذكرنا مذهب السلف في تفضيل القراءة المتواترة على مثلها وأنه يمنع  
ذلك فراجع ان شئت .  
وقوله : لأن التصالح في هذا الموضع أشهر وأوضح معني  
وأفصح وأكثر على ألسن العرب من ( الاصلاح ، والاصلاح ) في  
خلاف الافساد أشهر منه في معني ( التصالح ) ، يؤدي الي  
أن القراءة الثانية ( يصلحا بينهما صلحا ) ليست فصحي ولا مشهورة

(١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ج ٥ - ٦ ص ١٩٩

وعلم من ذلك أنه في أعلى الفصاحة والبلاغة منها ولا يوجد فيه أسلوب هو أفضل وأعلى من الأسلوب الآخر ولو أجزنا ذلك لقال في القرآن من شاء ما شاء ، وقد حفظهم المتقول فيه بما عده حيث قال جل شأنه ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) وقوله رحمه الله تعالى : ( فان ظن ظان أن في قوله " صلحا " دلالة على أن قراءة من قرأ ذلك " يصلحا " بضم " اليا " أولى بالصواب فان الأمر في ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن الصلح اسم ولهس بفعل فيستدل به على أولى القراءتين بالصواب في قوله " يصلحا بهنهما صلحا ) - يعتبر دفاعا عن الرأي في غير محله وذلك ك أن أهل القرآن والمسلمين كلهم لا يظنون أن احدى القراءتين أولى بالصواب من الأخرى ولا يخطسر ذلك ببالهم طالما علم تواترهما عند علماء القراءات وذلك أن القراءات حق وصواب كليهما ام الأمر كذلك وهو مذهب السلف قاطبة وعلى رأسهم سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد ذلك فلا وجه لما ذهب اليه من أن قراءة " يصلحا " بفتح اليا وتشديد الصاد وألف بين الصاد واللام أعجب اليه من قراءة " يصلحا " بضم اليا واسكان الصاد بخير ألف بين الصاد واللام ) أهـ

وقد تقرر من ذلك كله أن القراءتين متواهرتان سواء بسواء لا فضل لاحدهما على الأخرى وهذا الذي ندب به ونعتقد ونؤمن به ومن خاض في هذا البحر مخالفا ذلك فقد ألقى نفسه في الحجاج وليس عنده سابع وهو غير سابع .

هذا وقد أنهم أصحاب هاتين القراءتين كعادته فيما سبق ولم يبينهم بذكر أسمائهم صراحة الا ما أسندهم الى البلدان ، وهذا لا يفتي شيان - واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون <sup>(١)</sup> ( يصلحا ) بضم اليا و اسكان الصاد وكسر

اللام من غير ألف : عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر .

والذين يقرأون ( يصلحا ) بفتح اليا وتشديد الصاد وألف

بعدها : الباقيون من القراء العشرة ، وقد ذكرت لك أسمائهم

فلا حاجة الى الاعادة . . والله أعلم .

وتوجيه القراءتين قد وجهها الشيخ بما فيه الكفاية - والله أعلم .

---

(١) أنظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة على طريق

الشاطبية والسدرة لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح القاضي

ص ٨٣ والنشر في القراءات العشر للمحقق ابن الجزري

ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٥٤) قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط  
شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن  
غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن  
تعدلوا وان تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة في قراءة قوله : ( وان تلوا ) :

فقرأ ذلك عامة قراء الأماص سوى الكوفة : ( وان تلووا )

بواوين من ( لوانى الرجل حقى ) والقوم يلوون ديني ، وذلك

إذا مطلوه ( ليا ) .

وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة : ( وان تلوا ) بواو

واحدة ، ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان :

أحدهما : أن يكون تارئها أراد همز ( الواو ) لانضمامها

ثم أسقط الهمز ، فصار اعراب الهمز في اللام إذ أسقطه وبقيت الواو

واحدة ، كأنه أراد ( تلووا ) ثم حذف الهمز وإذا عنى هذا الوجه

كان معناه معنى من قرأ ( وان تلوا ) بواوين غير أنه خالف المعروف

من كلام العرب وذلك أن ( الواو ) الثانية من قوله ( تلوا ) واو جمع

وهي علم لمعنى فلا يصح همزها ، ثم حذفها فيبطل علم المعنى

الذي له أدخلت ( الواو ) المحذوفة .



والوجه الآخر : أن يكون تاريخها كذلك أراد ( أن تلووا )  
من الولاية فيكون معناه : وان تلووا أمور الناس وتتركوا وهذا معنى =  
إذا وجه القارىء قراءته على ما وصفنا اليه خارج عن معاني أهل التأويل  
وما وجه اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون تأويسل  
الآية .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

فاذا كان فساد ذلك واضحا من كلا وجهيه ، فالصواب من  
القراءة الذى لا يصلح غيره أن يقرأ به عندنا : ( وان تلووا أو تعرضوا )  
بمعنى : ( اللي ) الذى هو مطلق . أم المراد من كلامه (١)  
أقول وبالله التوفيق :-

ان لى فى كلامه هذا مأخذ من عدة وجوه :

الوجه الأول :-  
متممممممممممممممممم

ذكره أن عامة قراء الأماص سوى الكوفة يقرأون ( وان تلووا )  
بواوين ، وهذا غير صحيح لأن ابن عامر الشامي يقرأ بخلاف هذه  
القراءة وهى القراءة الثانية التى سيأتى بيانها وليس من الكوفيين .  
وقوله سوى الكوفة يوهم أن الكوفيين جميعا يقرأون بخلاف القراءة  
والأمر بخلاف ذلك ، وذلك أن الكوفيين يقرأون بهذه القراءات ما عدا حمزة

(١) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ج ٥ + ٦ ص ٢٠٩



إذا وجه القارىء قراءته على ما وصفنا اليه خارج عن معانى أهل التأويل وما وجه اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون تأويل الآيات ، وليس الأمر كما قال الشيخ رحمه الله تعالى : من أن المعنى على هذا التوجيه خارج عن معانى أهل التأويل وعن توجيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة ، وذلك أن هذا الكلام الذى ذكره دعوى بلا حجة لأنه لم يذكر أهل التأويل الذين قالوا بخطأ هذه القراءة على هذا التوجيه ، ولم يذكر كيف وجه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القراءة إلا ذكر مجرد التوجيه مع أن علماء التوجيه الذين وجهوا هاتين القراءتين لم يتعرضوا بغض شأن أى القراءتين وذلك أن من قرأ ( تلو ) بواو وضم اللام جعل من ولى يلى وأصله ( تولوا ) ثم حذف الواو التى هي فاء الفعل على الأصول للاعتلال فى يعد ويزن .

فدليل حمطه على ( ولى ) أن بعده ( أو تعرضوا ) فهو نقيض ( تلو ) لأن ولاية الشئ الاقبال عليه ، ونقيضه الاعراض عنه فانما قيل لهم ( وان تلو الأمر فتعد لوا فيه أو تعرضوا عنه فلا تلوه ولا تعد لوا فيه ان وليتموه ) ( فان الله كان بما تعلمون خبيراً ) .

ولما كان من قرأه بسكون اللام معناه الاعراض لأن اللى فى الشئ العوج فيه والصوج فى الحق الاعراض عن اقامته ، فالقراءة بضم اللام يفيد معنيين : الولاية ونقيضها الاعراض ، والقراءة بواو ينفيد

معنى واحد\* لأن اللي هو الاعراض ، ويحتمل أن تكون القراءة بضم اللام كالقراءة باسكانها ، وذلك أن أصله ( تلوا ) فاستشغلت الضمة على الواو وبعدها واو أخرى ، وألقت الحركة على اللام وحذفت إحدى الواوين لالتقاء الساكنين فهو في المعنى . كالقراءة باسكان اللام وواوين .

وقيل : انما أبدل من الواو المضمومة همزة ثم خفضها بالقاء حركتها على اللام ، فصارت ( تلوا ) وأصلها ( تلوا ) فتتفق القراءتان على هذا التقدير في المعنى .

وحجة من قرأ باسكان اللام أنه جعله من ( لوى يلوى ) اذا أعرض وأصله ( يلويوا ) ثم ألقت حركة الياء على الواو الأولى وحذفت الياء لسكونها وسكون الواو الأخيرة بعدها .

قال مكي بن أبي طالب القيسي رحمه الله تعالى :  
وأيضاً فان قوله ( فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ) والمعدل هو أن تلى الشيء بالحق وضده الاعراض عن الحق ، فقد فهم من هذا أيضاً معنى القراءة هواً واحدة من : ( ولي ) فكلا القراءتين فيه بمعنى وقد ذكر قيل ذلك أن القراءتين بمعنى اللي أي بمعنى واحد . (١)

---

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي

وفهم من هذا كله أن الشيخ لم يوفق فيما ذهب إليه فسي  
هذا الوجه من أن المعنى على هذه القراءة خارج عن التأويل الصحيح  
وقد عرفت تحقيق المسألة .

والوجه الرابع : -  
متممممممممممممممممممم

قوله : بعد ما تعرضي التوجيه على قراءة ضم اللام وسواو  
واحدة : فاذا كان فساد ذلك وأصحها من كلا وجهيه فالصواب من  
القراءة الذي لا يصلح غيره أن يقرأ به عندنا ( وان تلوا أو تعرضوا )  
بمعنى اللي الذي هو مطلق .

وهذا صريح في أن الصواب من القراءتين قراءة ( تلوا ) بواو  
واسكان اللام وان القراءة الثانية خطأ وفاسدة حيث قال : فاذا كان  
فساد ذلك من كلا وجهيه . الخ .

والقراءتان متواترتان على حد سواء لا مزية لاحداهما على  
الأخرى ، وهذا الكلام الذي ساقه الشيخ هنا في توجيه هاتين  
القراءتين يعتبر هفوة منه عفا الله عنا وعنه لأن الحكم على القراءة  
المتواترة بالخطأ والفساد مخالف لما كان عليه السلف الصالح رضوان الله  
تعالى عليهم أجمعين .

واليك بيان أصحاب هاتين (١) القراءتين من العشرة :

---

(١) أنظر البدور الزاهرة ص ٨٤ .  
والنشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٤٤ .

فالذين يقرأون هواو واحدة ( تلوا ) ابن عامر الشامي ، وحمزة

ابن حبيب الزيات .

والذين يقرأون باسكان اللام وهواوين الأولى مضمومة : الباقون

من العشرة ، وقد عرفت أسماهم والله أعلم بالصواب .

... ..

( ٥٥ ) قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا امنوا بالله ورسوله  
والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل  
ومن يكفر بالله وملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل  
ضللا بعيدا ) (١) .

قال محمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى :

اختلف القراء في قراءة قوله ( والكتاب الذى نزل على رسوله

والكتاب الذى أنزل من قبل ) :

فقرأه بفتح ( نزل ، وأنزل ) أكثر القراء بمعنى : والكتاب

الذى نزل الله على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل .

وقرأ ذلك بعض قراء البصرة بضمه في الحرفين كليهما بمعنى :

ما لم يسم فاعله .

وهما متقاربتا المعنى ، غير أن الفتح فى ذلك أعجب الى

من الضم ، لأن ذكر الله قد جرى قبل ذلك فى قوله ( آمنوا بالله

ورسوله ) أهـ .

أقول وبالله التوفيق :-

انه تآرن بين القراءتين مقارنة طيبة ، وذكر أنه لا تبعاء

بينهما فى المعنى بل هما متقاربتان فى ذلك ، بيد أنه أبدي أن قراءة

الفتح أعجب اليه ، ثم ذكر الحجة التي لأجلها ذهب الى ذلك حيث قال : ( لأن ذكر الله قد جرى قبل ذلك في قوله " آمنوا بالله ورسوله " ) والأدب في هذا الموضوع ألا يذهب الى ما ذهب <sup>اليه</sup> بل ينظر الى القراءتين بصين فاحصة لأن هذا الأسلوب ( أعجب ) أفضل التفضيل فيفهم منه المفضل والمفضل عليه وهذا لا يكون في موضوع القراءات .

وقوله : ( وقرأ ذلك بعض قراء البصرة بضمه في الحرفين كليهما . . الخ ) فيه تصور ، وذلك أن الذين يقرأون بضم نون نزل وهمزة أنزل وكسر الزاي فيهما ليسوا البصريين فقط ، لأن هذه القراءة يقرأ بها المكيون والشاميون والبصريون ، والباقيون من العشرة يقرأون بالفتح فيهما ، وقد عرفت .

وتوجيه القراءتين كالآتي :

أنه  
ووجه من قرأ بضم أول الفعلين وكسر الزاي قال : هذا

مثل قوله تعالى ( لتبين للناس ما نزل اليهم ) (١) ، ومثل قوله :  
( أنه منزل من ربك ) (٢) .

ووجه قراءة الفتح أنه رد الى اسم الله جل ذكره الذي قبله وهو قوله : ( آمنوا بالله ورسوله ) ففي نزل وأنزل ضمير يعود على الله كما قال ( انا نحن نزلنا الذكر ) (٣) وفي الفعلين على القراءة بالضم ضمير الكتاب ، والقراءتان متداخلتان متواترتان فلا مزية لاحداهما على الأخرى والله أعلم .



( ٥٦ ) قال تعالى : ( وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حد يث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا ) (١)

قال محمد بن جرير الطبرى - رحمه الله تعالى : (٢)  
( اختلفت القراء فى قراءة قوله : ( وقد نزل عليكم فى الكتاب )  
فقراً ذللتامة القراء بضم النون وتشديد الزاى على وجه ما لم  
يسم فاعله .

وقرأ بعض الكوفيين بفتح ( النون ) وتشديد الزاى على معنى  
( وقد نزل اللعليكم ) .

وقرأ بعض المكيين : ( وقد نزل عليكم ) بفتح النون وتخفيف  
الزاى بمعنى : وقد جاءكم من الله أن اذا سمعتم .  
قال أبو جعفر :

( وليس فى هذه القراءات الثلاث وجه يبعد معناه ما يحمله  
الكلام غير أن الذى أختار القراءة به قراءة من قرأ ( وقد نزل عليكم ) بضم  
النون وتشديد الزاى على وجه ما لم يسم فاعله ، لأن معنى الكلام

---

(١) النساء . ١٤٠ .  
(٢) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ج ٥ + ٦  
ص ٢١٢ ن م ج ٤ ص ٣٢٣ .

فيه التقديم على ما وصفت قبل على معنى ( الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ) ( وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ) الى قوله ( حديث غيره ) أبيتفون عندهم العزة ، فقوله ( فان العزة لله جميعا ) يعنى التأخير فلذلك كان ضم النون من قوله ( نزل ) أصوب عنده فى هذا الموضع . أم

### أقول وبالله التوفيق :-

ان قوله : بعد توجيه هذه القراءات الثلاث ، فلذلك كان ضم ( النون ) من قوله ( نزل ) أصوب عندنا فى هذا الموضع يتضمن انكار قراءة أخرى وهي قراءة فتح النون والزاي من قوله تعالى : ( وقد نزل عليكم ) مع أنها قراءة متواترة كالتى ذهب الى كونها صوابا ويتضمن أيضا أن بعض القراءات أعلى درجة فى الأصوبية من الأخرى ، وهذا يؤدي الى تفضيل بعضها على بعض .

وقد عرفت بطلان ذلك من مذهب السلف من أن القراءات اذا ثبتت تواترها فى منزلة واحدة وليس هناك شىء أعلى من الآخر ومن ذهب خلاف مذهبهم فقد أثم واركب جريمة يحرم ارتكابها لأن هذا الأسلوب يتضمن الطعن فى كتاب الله تعالى والطعن فيه يؤدي الى الكفر والالحاد والعياذ بالله .

وقوله : بعد ذكر اختلاف القراء فى هذا اللفظ الكريم ( نزل ) : وليس فى هذه القراءات الثلاث وجه يبعد معناه مما

يحتمله الكلام يصير توجيهها عادلا طيبا وان كان فيه ما فيه  
ما سنذكره - ان شاء الله تعالى - ثم بدأ <sup>أن</sup> ينقض ما بناه قائله : غير  
أن الذى أختار القراءة به قراءة من قرأ ( وقد نزل ) بضم النون  
وتشديد الزاى على وجه ما لم يسم فاعله ، ثم علل ما ذهب اليه <sup>يقوله</sup> ، لأن  
معنى الكلام فيه التقديم على ما وصفت (١) قبل على معنى ( والذين  
يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ) ، ( وقد نزل عليكم فى  
الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ) الى قوله ( حديث غيره  
أبيتفون عندهم العزة ) فقوله ( فان العزة لله جميعا ) يعنى  
التأخير .

وهذا الذى ذكره لا يفنى من شأن القراءة الثانية يعنى قراءة  
الفتح لأن القراءتين متواترتان لا فضل لاحدهما على الأخرى ، وأما  
محاولة اخضاع القراءات لكل معنى يظهر له أثناء التوجيه فهو بصيد  
عن الصواب لأن القراءات سنة متبعة لا يصح كرامتها شىء من الملل  
والقياسات التى يقوم بها بعض الناس معارضا به القراءات المتواترة .  
وقوله رحمه الله تعالى : ( وقرأ بعض المكين ) وقد نزل  
عليكم ) بفتح النون وتخفيف الزاى بمضى وقد جاءكم من الله أن اذا  
سمعتم ) يعتبر تليقا <sup>بين</sup> القراءات المتواترة وغيرها ويعتبر أيضا اتيانا

---

(١) أنظر بداية تفسير هذه الآية الكريمة فتعرف منه معنى ما  
قاله هنا - والله أعلم ص ٣٢٠ م ط .

للقراءة الشاذة من غير بيان شذوذها ولا يخفى عليك ما يترتب على ذلك من الفساد ، حيث أن ذلك يوهم أن هذه القراءة متواترة وربما يقدم القارىء بقراءتها فى الصلاة ظنا منه أنها متواترة والاتيان بالقراءة الشاذة لا يجوز عند جمهور العلماء وهذا فى غاية الخطورة لما ذكرناه هنا .

وخلاصة القول فى هذا الموضوع أن قراءة ضم النون وكسر الزاى متواترة وكذلك القراءة بفتح النون والزاى سواء بسواء .

والقراءة الثالثة قراءة شاذة نسبتها الشيخ الى أهل مكة .

فالذين (١) يقرأون بفتح النون وفتح الزاى المشددة : عاصم

ويعقوب الحضرمي ، ولم يذكر يعقوب حتى نسبتها الى البلدان الا أنه

قال : وقرأ بعض الكوفيون وهذا لا يكفى فى بيان ذومها .

والذين يقرأون بضم النون وكسر الزاى من عدا يعقوب وعاصم .

والذين يقرأون بالقراءة الثالثة المكيون على ما ذهب اليه الشيخ .

---

(١) أنظر البدور الزاهرة ص ٨٤ .

والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٤٤ .

اليك كما أوحينا

(٥٩) قال تعالى : ( انا أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده  
وأوحينا إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط  
وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمن وآتينا داود زبوراً ) (١)  
قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :  
وأما قوله : ( وآتينا داود زبوراً ) فان القراءة اختلفت في  
قراءته :

فقرأته عامة قراء أمصار (٢) الاسلام غير نفر من قراء الكوفة :  
( وآتينا داود زبوراً ) بفتح الزاي على التوحيد بمعنى : وآتينا داود  
الكتاب المسمى ( زبوراً ) .  
وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين ( وآتينا داود زبوراً ) بضم  
الزاي جمع زبر ، كأنهم وجهوا تأويله : وآتينا داود كتاباً وصحفاً  
مزبوراً من قوله ( زبرت الكتاب أزره زبراً ) وذبرته أذبره ذبراً  
إذا كتبه .

قال أبو جعفر : رحمه الله تعالى :  
وأولى القراءتين بالصواب عندنا قراءة من قرأ ( وآتينا داود  
زبوراً ) بفتح الزاي على أنه اسم الكتاب الذي أوتيته داود كما سمي

---

(١) سورة النساء آية ١٦٣ .  
(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ج ٥ + ٦  
ص ٢٠ ن م ج ٩ ص ٤٠٢ .

الكتاب الذي أوتيه موسى ( التواترة ) والذي أوتيه عيسى ( الانجيل )

والذي أوتيه محمد\* ( الفرقان ) لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتى

داودا وتقول العرب ( زبور داود ) بذلك تعرف كتابه سائر الأمم . أهـ

**أقول وبالله التوفيق :-**

انه لا يخفى على أهل الدين أن هذا الأسلوب الذي يشروده

الشيخ رحمه الله تعالى في أثناء توجيه بعض القراءات من قوله : وأولى

القراءتين بالصواب عندنا قراءة من قرأ كذا وكذا ، ينبغي أن لا يكون

لأنه ظاهر واضح في ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى مع أنهما

متواترتان وهذا مخالف لما كان عليها لسلف الصالح في هذا الموضوع

وقد عرفت ذلك مما سبق . ( زبور )

هذا ومن المعلوم أن توجيه هاتين القراءتين كالآتي :

وجه من ضم الزاي من ( زبور ) جعله جمع زبر ( كدهرود هيرود

وزبر يراد به المزبور كقولك هو نسج اليمن أي منسوج اليمن و ( زبر )

مصدر وانما جاز جمعه لوقوعه موقع الاسم وقيل ( زبور ) بالضم جمع

زبور بالفتح على تقدير حذف الزائد وهو الواو كأنه في التقدير ( وآتيننا

داود كتابا وصحفا ) كما قاله (أصحف إبراهيم وموسى ) وكما قال :

( في صحف مكرمة ) فمعناه : كتب مزبورة .

وجه من فتح الزاي أنه ذهب إلى أن المعروف أن داود صلى

الله عليه وسلم أوتى كتابا باسمه الزبور ، كالتوراة والانجيل والقرآن

فهو كتاب واحد لكل نبي .

القرءاءات

التي في سورة المائدة

(( سورة الفائدة ))

" نسأل الله التوفيق في الحركات والسكنات "

-----

(٥٨) قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر

الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلبيذ ولا أمين

البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا

ولا يجرمكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام

أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على

الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة في قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : ( شنآن ) بتحريك ( الشين والنون )

الى الفتح بمعنى : بعض قوم توجيهها منهم ذلك الى المصدر الذي

يأتى على فعلان نظير ( الطيران ) والنسلان والعسلان والرملان

وقرأ آخرون ذلك ( شنآن قوم ) بتسكين النون ، وفتح

( الشين ) بمعنى : الاسم توجيهها منهم معناه الى لا يحملنكم

بشيء قوم (٢) ، فيخرج شنآن على تقدير ( فعلان ) ، لأن فعل

منه على ( فعل ) كما يقال ( سكران ) من ( سكر ) و ( عطشان ) من

---

(١) سورة الفائدة آية ٢ .  
(٢) قد ذكر أحمد شاكر في المطبوعة والمخطوطة ( بعض قوم ) ثم قال والصواب ما أثبتته كما يدل عليه السياق .



( عطش ) وما أشبه ذلك من الأسماء - ثم قال الشيخ رحمه الله

تعالى :

والذى هو أولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ

( شنان قوم ) بفتح النون محرّكة لشائع تأويل أهل التأويل على

أن معناه : بفتح قوم ، وتوجيههم ذلك الى معنى المصدر

دون معنى الاسم .

وإذا كان ذلك موجها الى معنى المصدر ، فالفصح

من كلام العرب فيما جاء من المصادر على ( الفعلان ) بفتح الفاء وتجريك

ثانيه دون تسكينه ، كما وصفت من قولهم ( الدرجان ) و ( الرملان )

من ( درج ) و ( رمل ) فكذلك ( الشنان ) من شنته أشنوه

شنانا . أم -

### أقول وبالله التوفيق :-

ان ذهب الشيخ رحمه الله تعالى بعد توجيهه هاتين

القراءتين الى تصويب قراءة فتح الشين والنون دون قراءة تسكين النون

من ( شنان ) يعتبر خروجا عن مذهب السلف الصالح حيث أنهم يمنعوا

ذلك ما دامت القراءتان متواترتين .

واحتج الشيخ رحمه الله تعالى فى دعم حجته التى احتج

بها فيما ذهب اليه من ذلك بأن أهل التوجيه وجهوا ذلك الى معنى

المصدر دون معنى الاسم ، ولأنه شاع من أهل التأويل أن معناه

بغض قوم .

أقول : ان هذه الحجج كلها لا تجعل قراءة متواترة أقل درجة عن مثلها لما علمت أن القراءة اذا ثبتت تواترها لا يعارضها أي شيء من المعارضات الفارغة ولا يغض شأنها أي علة يقتلون بها لأنها فوق هذه العلة كلها ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) .

وبعد ما ذكرنا فالحق الذي نؤمن به من ذلك أن القراءتين متواترتان على درجة واحدة لا مزية لاحداهما على الأخرى وقد أبهم الشيخ قراءتين القراءتين x- واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون بفتح الشين وفتح النون من (شنان) : نافع وابن كثير ، وأبو عمرو البصرى ، وحفص ، والكسائي ، وحمزة ، وخلف العاشر ، ويعقوب الحضرمي .

والذين يقرأون بفتح الشين وسكون النون : ابن عامر الشامي ، وشعبة ، وأبو جعفر المدني

... ..

( ٥٩ ) قال تعالى : ( قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله

من لعننه الله وفضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد

الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء في قراءة ذلك :

فقرأته قراء الحجاز والشام والبصرة وبعض الكوفيين ( وعبد

الطاغوت ) بمعنى : وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت

بمعنى ( عابد ) فجعل ( عبد ) فعلا ماضيا من صلة الضمر ، ونصب

الطاغوت بوقوع ( عبد ) عليه - ثم قال :

( وقرأ ذلك جماعة من الكوفيين : ( وعبد الطاغوت ) بفتح

العين من ( عبد ) وضم بائها وخفض الطاغوت بإضافة ( عبد ) إليه

وعنوا بذلك ( وخدم الطاغوت ) .

ثم قال : وقرأ ذلك آخرون : ( وعبد الطاغوت ) .

ثم قال : ذكر ذلك عن الأعمش .

وكان من قرأ ذلك كذلك أراد جمع الجمع من ( العبد ) لأنه

جمع ( العبد ) ( عبيدا ) ، ثم جمع ( العبيد ) ( عبدا ) مثل

( ثمار ) و ( ثمر ) (٢) .

---

(١) سورة المائدة آية ٦٠ .

(٢) كان الأجود أن يقول : ( لأنه جمع العبيد عبادا ثم جمع

العباد عبد مثل ثمار وثمر وهو ظاهر مقنالة الفراء في معان

القرآن ١ : ٣١٤ - أنظر التحقيق محمد أحمد شاكر .

ثم قال أيضا :

وذكر عن أبي جعفر القارىء أنه كان يقرأه ( وعبد الطاغوت )

ثم قال أبو جعفر : وهذه قراءة لا معنى لها . . الخ .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : وذكر أن بريدة الأسلمي

كان يقرأه ( وعابدا الطاغوت ) .

ثم أشار الى قراءة أخرى بقوله : ولو قرئ ذلك ( وعبد

الطاغوت ) بالكسر كان له مخرج فى العربية صحح وان لم استجز

اليوم القراءة بها اذا كانت قراءة الحجة من القراء بخلافها ،

ووجه جوازها فى العربية أن يكون مرادا بها ( وعبد الطاغوت )

ثم حذف الهاء للاضافة .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأما قراءة القراء فبأحد الوجهين اللذين بدأت بذكرهما

وهو ( عبد الطاغوت ) ينصب ( الطاغوت ) واعمال ( عبد ) فيه

وتوجيه عبد الى أنه فعل ما هو من ( العبادة ) .

والآخر : ( وعبد الطاغوت ) على مثال ( فصل ) وخفض

الطاغوت باضافة ( عبد ) اليه .

فاذا كانت قراءة القراء بأحد هذين الوجهين دون غيرهما

من الأوجه التى هي أصح مخرجا فى العربية ، فأولاهما بالصواب

من القراءة قراءة من قرأ ذلك ( وعبد الطاغوت ) بمعنى . وجعل

القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت لأنه ذكر أن ذلك في قراء أبي  
بن كعب وابن مسعود : ( وجعل منهم القردة والخنازير ) ( وعبد  
الطاغوت ) بمعنى : والذين عبدوا الطاغوت ففي ذلك دليل واضح  
على صحة المعنى الذى ذكرنا من أنه مراد به : ومن عبد الطاغوت  
وأن النصب بالطاغوت أولى ، على ما وصفت فى القراءة لاعمال ( عبد )  
فيه .

إذا كان الوجه الآخر غير مستفيض فى الصرب ولا معروف فى  
كلامها على أن أهل العربية يستنكرون اعمال شىء فى ( من ، والذى )  
المضمرين مع ( من ) و ( فى ) إذا كُتبت ( من ) أو ( فى )  
منهما ويستتبعونه حتى كان بعضهم يحيل ذلك ولا يجيزه وكان السدى  
يحيل ذلك يقرأه : ( وعبد الطاغوت ) فهو على قوله خطأ واحسن  
غير جائز . (١)

وكان آخرون منهم يستجيزونه على قبح فالواجب على قولهم  
أن تكون القراءة بذلك قبيحة وهم مع استقبحهم ذلك فى الكلام قد  
اختلفوا بها واعمال و ( جعل ) فى ( من ) وهى محذوفة مسع  
( من ) ولو كنا نستجيز مخالفة الجماعة فى شىء مما جاء به مجمعة  
عليه لا اخترنا القراءة بغيرها تين القراءتين غير أن ما جاء به المسلمون

---

(١) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ج ٥ + ٦

ص ١٩٠ - ١٩١ ج ٣ ص ١٠ ص ٤٤١ - ٤٤٣ .

مستفيضا فيهم لا يتناكرونه فلا نستجيز الخروج منه الى غيره - فلذلك  
لم نستجز القراءة بخلاف (١) احدى هاتين القراءتين اللتين ذكرنا  
أنهم لم يعد وهما .

وإذا كانت القراءة عندنا ما ذكرنا - فتأويل الآية : قل  
هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه  
وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت . أه المراد منه .

### أقول وبالله التوفيق :-

انه قرر الشيخ رحمه الله تعالى بعد أن ساق القراءات في  
هذا اللفظ الكريم ( وعبد الطاغوت ) بما فيها الشواذ والمتواترة أن  
قراءة القراء المعتبرة بأحد الوجهين اللذين بدأ بذكرهما وهي  
قراءة ( وعبد الطاغوت ) على أنه فعل ماضي من العبادة  
( والطاغوت ) مفعول به له ، والقراءة الثانية ( وعبد الطاغوت )  
على مثال فعل وخفض الطاغوت باضافة ( عبد ) اليه .

وهذا كلام وجيه في غاية الجمال والروعة لأنه يشير الى  
أن هذه القراءات الصوقة كلها لم تكن مشهورة ومتواترة عند علماء  
القراءات الا هاتين المذكورتين هنا وهذا هو القول الحق الذي  
لا شك فيه في هذا الباب الذي مبناه التوقيف .

---

(١) في المخطوطة ( لا يتناكرونه ) أه من التعاليق أحمد شاكر.

ولكنه هدم هذا البناء المحكم العقن الذي أسس قواعده حيث

قال :

فاذا كانت قراءة القراء بأحد هذين الوجهين دون غيرهما من الأوجه التي هي أصح مخرجا في العربية منهما ، فأولاهما بالصواب من القراءة قراءة من قرأ ذلك ( وعبد الطاغوت ) بمعنى : وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت لأنه ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود : ( وجعل منهم القردة والخنازير وعبدوا الطاغوت ) بمعنى : والذين عبدوا الطاغوت ، ثم قال بعد أن ذهب إلى تفضيل وتصويب قراءة ( وعبد الطاغوت ) على قراءة ( وعبد الطاغوت ) ( ففي ذلك دليل واضح على صحة المعنى الذي ذكرنا من أنه مراد به ومن عبد الطاغوت ، وأن النصب با ( الطاغوت ) أولى على ما وصفت في القراءة لأعمال ( عبد ) فيه ثم قال : إذ كان الوجه الآخر غير مستفيض في العرب ولا معروف في كلامها .

أقول : ولا يخفى عليك ما في هذا الكلام من مخالفة ما كان

عليه سلف هذه الأمة حيث صوب قراءة على أخرى مع كون القراءتين متواترتين

وهذا مذهب باطل لأنه يؤدي إلى كون القراءات المتواترة على مراتب

أصوب وصواب وغير صواب ، ومذهب السلف على منع ذلك قولاً واحداً .

وقوله : إذ كان الوجه الآخر غير مستفيض في العرب ولا معروف

في كلامها لا عبرة له لأنه يشير إلى أن القراءات تخضع للأوجه التي يذكرها

النحاة والصرفيون ولذلك احتج بذلك فيما ذهب إليه من تفضيل قراءة

على أخرى .

على أخرى وقد عرفت ما فى ذلك من المنع والحق أن القرآن الكريم هو الذى يحكم به على اللغة ولا يحكم باللغة عليه كما هو التحقيق والا حصل التلاعب بكتاب الله تعالى .

وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى أن أهل العربية يستقبحون هذه القراءة التى صوبها على الأخرى بحجة عدم جواز أعمال شئى\* فى ( من ) و ( الذى ) المضميرين مع ( من ) و ( فى ) اذا كتبت ( من ) أو ( فى ) منها حتى كان بعضهم يحيل ذلك ولا يجيزه وكان الذى يحيل ذلك يقرأه ( وعبد الطاغوت ) فهو على قوله خطأ ولحن غير جائز .

ثم قال :

وكان آخرون منهم يستجيزونه على قبح فالواجب على قولهم أن تكون القراءة بذلك تبيحة و هم مع استقباحهم ذلك فى الكلام قد اختاروا القراءة بها وأعمال ( وجمل ) فى ( من ) وهى محذوفة مع ( من ) .

أقول : وبالله التوفيق :

ان هذا الكلام الذى ذكره الشيخ هنا يعتبر دافعا عن لقراءة ( وعبد الطاغوت ) وهو كلام وجيه فى بابه حيث فند العليل التى يتعلق بها بعض من لا علم له بحقيقة فن القراءات ولكن الأولى أن لا يذكر العليل والرد عليها هنا لأنه يؤدى الى خضوع القراءات لقانون



النحو والصرف واللفظة ، ولا يمكن قراءتها الا بهذا ، وهذا باطل لأن القراءات نقلت بنظر التواتر من جهول عن رب العالمين السى أن وصلتنا بهذه الطريقة المحكمة ، وقد سبق أن ذكرنا قريبا أن الشيخ ذهب الى تفضيل قراءة ( وعبد الطاغوت ) على قراءة ( وعبد الطاغوت ) والمذهب الحق خلاف ما عليه الشيخ من أن القراءتين حق وصواب من عند الله .

وقوله : ولو كنا نستجيز مخالفة الجماعة فى شىء

مما جاءت به المسلمون مجمعة عليه لا اخترنا القراءة بغير هاتين القراءتين الخ - كلام ممتاز لأنه يدل على <sup>أن</sup> هاتين القراءتين هما القراءتان المتواترتان دون الآخري من القراءات التى أوردها الشيخ ، وهذا هو المذهب الصحيح الذى لا خلاف فيه الا أن الشيخ مع هذا التوجيه الطيب أشار الى أن احدى هاتين القراءتين أصوب من الأخرى - حيث قال : ( فاذا كانت قراءة القراء بأحد هذين الوجهين دون غيرهما من الأوجه التى هى أصح مخرجا فى العربية منهما فأولاهما بالصواب من القراءة قراءة من قرأ ذلك ( وعبد الطاغوت ) ) وقد عرفت ما فى ذلك من مخالفته الصواب فى هذا الموضوع .

وقوله : من الأوجه التى هى أصح مخرجا فى العربية

منهما يستبرساقطا لأنه يشير الى وجود أسلوب ولفظ أفصح وأصح فى العربية من ألفاظ القرآن وهذا كلام باطل كما ذكرنا لأن القرآن الكريم

في أعلى الفصاحة والبلاغة من اللغة العربية .

أقول : وقد ذكر الشيخ رحمه الله تعالى أربع قراءات

شاذة وهي : ( وعبد الطاغوت ) و ( عبد الطاغوت ) و ( عابـد

الطاغوت ) و ( عبدة الطاغوت ) محذوفة التاء ، وان بين الشيخ  
لكن

أن هذه القراءات الأربع ليست معتبرة x الأولى عدم ذكرها لأن هذا

يؤدي الى تخليط القراءة المتواترة بالشاذة ولا يفتن كثير من القارئ

للفرق بينهما هذا .

وتوجيه القرائتين :

ووجه من شم الباء من ( عبد ) وكسر التاء من الطاغوت أنه

جعل ( عبد ) اسماً ليني على ( فعل ) كعضد ، فهو بناء للمبالغة

والكثرة ك ( يقط ) و ( ندس ) وأصله الصفة ونصبه بجعل أى يجعل

منهم عبد للطاغوت وأضاف ( عبد ) الى ( الطاغوت ) فخفضه .

ووجه من فتح الباء والتاء أنه جعله فعلاً ماضياً وعطفه على

فعل ماضى ، وهو غضب ولعن وجعل ونصب الطاغوت به . (١)

وخلاصة القول في هاتين القرائتين أنه طان متواترتان

على حد سواء لا فضل لاحداهما على الأخرى .

ولم يذكر الشيخ أصحاب هاتين القرائتين بتصريح اسمائهم

واليه بيان ذلك :

فالذين يقرأون ( وعبد الطاغوت ) من عدا حمزة من القراء المحشرة

والذى يقرأ ( وعبد الطاغوت ) حمزة بن حبيب الزيات . (٢)

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات الصبع ج ١ ص ٤١٤ =  
(٢) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٢٥٥/٢



==== (٢) أنظر النشر في القراءات المشرلا بن الجزرى ج ٢

ص ٢٥٥ .

والبدور الزاهرة للشيخ / عبدالفتاح القاضى ص ٩٢ .

(٦٠) قال تعالى : ( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم  
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفلتكم طعام عشيرة  
ساكنين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير  
رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم  
إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم  
تشكرون ) (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء في قراءة ذلك :

فقرأته عامة قراء الحجاز وبعض البصريين ( ولكن يؤاخذكم بما

عقدتم الأيمان ) بتشديد القاف بمعنى : وكدم الأيمان ورد دموه .

وقرأ قراء الكوفيين : ( بما عقدتم الأيمان ) بتخفيف القاف

بمعنى : أوجبتموها على أنفسكم وعزمت عليها قلوبكم .

ثم قال : ( وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من

قرأ بتخفيف القاف ، وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل ( فعلت )

في الكلام إلا غيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة مثل قولهم : " شددت

على فلان في كذا " إذا كرر عليه الشدة مرة بعد أخرى ، فإذا

أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل " شددت عليه " بالتخفيف

---

(١) سورة المائدة آية ٨٩ .

وقد أجمع الجميع لا اختلاف بينهم : أن اليمين الذي تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث في حلف مرة واحدة وان لم يكررها الحالف مرات ، وكان معلوماً بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وان لم يكرره ولم يردده .

وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد ( القاف ) من

( عقدم ) وجه مفهوم ( أم المراد منه (١)

### أول وباللغة التوفيق :-

ان في توجيه هذه القراءات لى مأخذ :

#### المأخذ الأول :-

قوله : فقرأته قراء الحجاز وبعض البصريين وهذا القول يوهم أنه ليس هناك من يشارك هؤلاء في هذه القراءة مع أن هشاماً وهو من أهل الشام يقرأ بهذه القراءة يعني بتشديد القاف والواجب أن يذكره معهم .

#### والمأخذ الثاني :-

تركه قراءة سبعية وهي قراءة ابن ذكوان لأنه يقرأ بتخفيف القاف وادخال ألف بين العين والقاف هكذا ( عقدم ) وكان

(١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ج ٧+٨

ص ١٠ ن م ج ١٠ ص ٥٢٤ .



الجميع عندما رفع اليه الأمر المختلفون في ذلك فقال لكلام من  
المختلفين ( أصبت ، وأحسن ) ، وفي رواية : هكذا أنزلت .  
والواجب على كل مسلم أن ينهج منهج الرسول صلى الله  
عليه وسلم ولا يحيد عنه ، وسبق لك تحقيق ذلك مستوفى في عدة  
مواضع في هذه الرسالة وفي ذلك لأهل الحق .  
كفاية

المأخذ الخامس : -  
~~~~~

قوله : ان العرب لا تكاد تستعمل (فعلت) في الكلام
الا فيما يكون فيه تردد مرة بعد أخرى الى أن قال واذا كان ذلك
كذلك لم يكن لتشديد القاف من (عقدتم) وجه مفهوم هذا .

أقول وبالله التوفيق : -

ان باب فعل يأتي لمعاني كثيرة ولا ينحصر على المعنى الذي
ذكره الشيخ هنا مع أن أهل القرآن لا يخضعون للقراءات للغة بل
يخضعون للغة للقرآن فاذا تواترت القراءة عن النبي صلى الله عليه
وسلم فلا حاجة الى الاستشهاد باللفظة عليها لأنها في أعلى الفصاحة
والبلاغة من اللغة العربية ، وقد شهد لها المولى ذلك حيث قال :
(وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من
المنذرين بلسان عربي مبين) (١) .

(١) سورة الشعراء آية ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ .

فعلم من ذلك أن القرآن الكريم حجة على اللغة العربية
وليست اللغة العربية حجة على القرآن الكريم ، وهذا هو الحق الذى
لا مرية فيه .

وأما ما ادعاه من أنه أجمع الجميع لا خلاف بينهم : أن
اليمين التى تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث فى حلف مرة
واحدة وان لم يكررها الحالف مرات ، وكان معلوماً بذلك أن الله
مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وان لم يكرره ولم يردده .
فليس فيه ما يدفع هذه القراءة المذكورة يعنى قراءة تشديد
القاف من (عقدتم) حتى من ناحية اللفظ - مع أننا لا نحكم اللفظ
فى القرآن الكريم .

وقوله بعد ذلك : (واذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد
(القاف) من (عقدتم) وجه مفهوم) . . . كلام صدر من غير
تأمل وذلك أنه كلام الله وكلامه لا بد له من وجه مفهوم وان لم يظهر
لبعض عباده وأيضاً أن وجه هذه القراءة ظاهر وذلك اذا لزم
الكفارة فى اليمين الواحدة كانت فى الأيمان المكررة على شىء بعينه
ألزم وأكد .

فحينئذ لا يخفى عليك ما فى النظم الكريم من المعانى الرائعة
حيث أن قراءة التشديد أفادت معنى لم يكن فى قراءة التخفيف وهو
التوكيد وهذا من أساليب بلاغة القرآن الكريم .

وأيضاً أن الآية الكريمة تتحدث عن رفع الله المؤاخذة عن الحالف انا صدر منه اللغو اليمين وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجرى على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد ، كما ثبت فبسي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا اله الا الله)
فهذا قاله لتقوم حدیثی عهد بجاهلية ، وقد أسلموا وأسنتم تسدد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد فأمروا أن يتلفظوا بكلمة الاخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هذه بهذه ولهذا قال تعالى : (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) ثم قرر المولى أن اليمين التي فيها المؤاخذة هي التي عزم عليها بقلبه ونطقها بلسانه متعمدا ومؤكدا لها ، فلا يبعد عن ذلك أن قراءة التشديد ألصق بسياق الآية حيث أكدت المعنى وان كانت قراءة التخفيف تفيد هذا المعنى ، الا أن في قراءة التشديد مبالغة في ذلك ، وهذا من بلاغة القرآن الكريم حيث أن كل لفظ يحمل معنى ليس في غيره مع عدم الاختلاف والتعارض .
وعلى ذلك فلا عبرة لما ذهب اليه الشيخ من تفضيل قراءة على أخرى .

وخلاصة القول في هذا الموضوع :

ان القراءتين متواترتان لا فضل لاحدهما على الأخرى ، ولا يخفى عليك ابهامه للقراء كالعادة واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون بتخفيف القاف (من عقدتم) : حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وشعبة .

والذين يقرأون بتشديد القاف : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو البصرى ، وهشام بن ابن عامر الشامي ، وحفص بن عاصم ، وأبو جعفر المدني ، ويعقوب .

والذي يقرأ بالألف بين العين والقاف ابن ذكوان (١) الشامي .

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٣٥٥
والبدور الزاهرة للشيخ / عبدالفتاح القاضي ص ٩٤ .

(٦١) قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد

وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من

النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة

طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليدوق وبال أمره عفاً لله

عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك :

فقرأته عامة قراء المدينة وبعض البصريين (فجزاءٌ مثل ما قتل

من النعم) بإضافة الجزاء الى المثل وخفض المثل .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (فجزاءٌ مثل ما قتل) بتنوين

الجزاء ورفع المثل بتأويل فعلية جزاءٌ مثل ما قتل .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ (فجزاءٌ

مثل ما قتل) بتنوين الجزاء ورفع المثل لأن الجزاء هو (المثل) فلا

وجه لإضافة الشيء الى نفسه .

ثم قال :

وأحسب الذين قرأوا ذلك بإضافة رأوا أن الواجب

على قاتل الصيد أن يجزى مثله من الصيد بمثل من النعم وليس ذلك

(١) سورة المائدة آية ٩٥ .

كالذى ذهبوا اليه ، بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتول نظيره
من النعم ، واذا كان ذلك كذلك فالمثل هو الجزاء الذى أوجبه
الله تعالى ذكره على قاتل الصيد ولا يضاف الشئ الى نفسه .

ولذلك لم يقرأ ذلك قارى علمناه بالتنوين ونصب المثل ولو
كان (المثل) غير (الجزاء) لجاز فى المثل نصب اذا نون
الجزاء كما نصب اليتيم اذا كان غير (الاطعام) فى قوله :
(أو اطعام فى يوم ذى مضغبة يتيما ذا مقربة) (١) وكما نصب
(الأموات والأحياء) ونون (الكفات) فى قوله (ألم نجعل الأرض
كفانا أحياء وأمواتا) (٢) .

واذا كان (الكفات) غير الأحياء ، والأموات ، وكذلك
الجزاء لو كان غير (المثل) لا تسعت القراءة فى المثل بالنصب اذا نون
الجزاء ولكن ذلك ضاف فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ونصب المثل
اذا كان المثل هو الجزاء ، وكان معنى الكلام (ومن قتله منكم متعمدا
فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم) أم -

أقول وبالله التوفيق :-

ان الشيخ رحمه الله تعالى ذهب كعادته الى تفضيل قراءة

متواترة على قراءة متواترة مثلها حيث قال : (وأولى القراءة تيسر

(١) سورة البلد آية ١٤-١٥ .

(٢) سورة المرسلات آية ٢٥-٢٦ .

فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ (فجزاء مثل ما قتل) بتنوين الجزاء
ورفع المثل لأن الجزاء هو المثل ، ثم قال معللا ما ذهب اليه
فلا وجه لاضافة الشيء الى نفسه ، هذا وقد عرفت مما سبق أن هذا
غير جائز .

وأما ما احتج به فى تصويب قراءة التنوين دون قراءة الاضافة
مع أنهما متواترتان على حد سواء من أن الشيء لا يضاف الى نفسه لا يسلم
له على هذا الاطلاق الذى أطلقه وذلك أن المحققين من العلماء ذهبوا
الى أنه اذا ورد فى تركيب الكلام ظاهره اضافة الشيء الى نفسه من اضافة
شيء الى مرادفه أو صفته الى موصوفه أو غير ذلك لا بد من التأويل حتى
يستقيم المعنى كما قال ابن مالك فى خلاصته :

ولا يضاف اسم لما به اتحد . . معنى وأول موهما اذا ورد
لأن المضاف يتخصص أو يتعرف بالمضاف اليه فلا بد أن يكون غيره فى
المعنى فلا يقال : قمح بر ، ولا رجل فاضل - فاذا جاء من كلام
العرب ما يوهم جواز ذلك وجب تأويله ، فمما أوهم باضافة الشيء الى
مرادفه قولهم : (جاءنى سعيد كررا) وتأويله أن يراد بالمضاف المسمى
وبالمضاف اليه الاسم أى جاءنى مسمى هذا الاسم ، ومما أوهم اضافة
الموصوف الى موصوفه قولهم : حية الحمقاء وصلاة الأولي
ومسجد الجامع وتأويله أن يقدر موصوف أى حية ليقلة الحماء وصلاة

الساعة الأولى ، ومسجد المكان الجامع وكذلك هنا في النظم يصح
تقدير موصوف والتقدير (فجزء شئ * مثل ما قتل من النعم أو غرم
مثل ما قتل من النعم) تضمينا لجزء* معنى غرامة .

تنبيهه : -
مهمم

وقد أجاز الفراء إضافة الشئ* الى ما بمعناه لاختلاف
(١)
اللفظين ووافق ابن الطراوة وغيره ونقله في النهاية عن الكوفيــــــــــــن
وجعلوا من ذلك نحو (ودار الآخرة) وحق اليقين ، وحبل الوريد ،
وحب الحصيد ، وظاهر التسهيل ، وشرحه موافقته . (١)

(* م ٤٧ ع)
وانما طرقت هذا الباب من أن من العلماء من أول مثل هذا
التركيب ومنهم من أجاز له لابين أن الأمر ليس على هذا الاطلاق الذي
أطلقه ، وما ذكرت ذلك للدفاع عن هذه القراءة التي أشار الشيخ الى
أنها مرجوحة لأن القراءة اذا ثبت تواترها لا يفض شأنها شئ* من
العلل ، والقياسات اللغوية وغيرها بل كل من حاول ذلك رجع بالفشل
الذريع ، ولا شك أن هذه القراءة متواترة كأختها سواء بسواء .
وقوله : ولو كان المثل غير (الجزاء) لجاز في (المثل)
النصب اذا نون (الجزاء) كما نصب (اليتيم) اذا كان غير
الاطعام في قوله (أو اطعام في يومذي سفينة يتيما ذا مقربة)
وكما نصب الأموات والأحياء ونون (الكفات) في قوله :

(١) هو أبو الحسن سليمان بن محمد بن عبد الله السبئي المالقي ولد سنة
٤٢٨ وتوفي سنة ٥٢٨ هـ ، انظر الكتاب أبو الحسين بن الطراوة وآثره في :
النحو دراسة الدكتور محمد ابراهيم ع ١٩

(ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) اذا كان (الكفات) غير
(الأحياء ، والأموات) وكذلك (الجزاء) لو كان غير (المثل)
لا تسعت القراءة فى المثل بالنصب اذا نون الجزاء ، ولكن ذلك
صاق فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ، ونصب المثل - يدل على
أن القراءات تخضع للقياس وهذا رأى باطل أوقع كثيرا من الناس فى
طعن القراءات المتواترة وقد عرفت مما سبق أن القراءة لا دخل للقياس
فيها لأنها سنة متبعة يأخذها الآخرون عن الأول منها ما التلقى والمشافهة .
وبناء على ذلك أنه لا عبرة لما قرره من أن احدى القراءتين
أصوب من الأخرى بل كلتا القراءتين صواب من عند الله ولا يجوز تفضيل
احدهما على الأخرى .

وقد أبهم الشيخ رحمه الله تعالى أصحاب هاتين القراءتين
وترك بعضهم ولم يذكرهم حتى ينسبهم الى بلادهم - واليك بيان
ذلك :

فالذي يقرأون بتنوين (جزاء) ورفع (مثل ما) :
الكوفيون ويعقوب ، ويعقوب هذا من أهل بصرة ، وقد ترك الشيخ
ذكره فاعلم ذلك . (١)
والذين يقرأون بإضافة جزاء الى مثل الباقيون من العشرة .

(١) أنظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٥٥
والبدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ /
عبد الفتاح القاضى رحمه الله ص ٩٤ .

وذكر الشيخ رحمه الله تعالى أن الذين يقرأون هذه القراءة
المدنيون وبعض البصريين ولم يذكر معهم عبد الله بن عامر الشامي
مع أنه معهم في هذه القراءة (أي قراءة الاضافة) فكن على علم بذلك .
توجيه هاتين القراءتين كالآتي :

ووجه من نون أنه لما كان (مثل) في المعنى صفة الجزاء
ترك اضافة الموصوف الى صفته وأجراه على بابه ، فرفع (جزاء) بالابتداء
والخبر محذوف تقديره فعلية (جزاء) وجعل (مثلا) صفة
لـ (جزاء) على تقدير : فجزاء مماثل للمقتول من الصيد في القيمة
أو في الخلقة .

وحجة من أضاف أن الصرب تستعمل في ارادة الشيء مثله
يقولوه : انى أكرم مثلك أى أكرمك ، وقد قال الله تعالى :
(فان آمنوا بمثل ما آمنتم به) (١) أى بما آمنتم به لا بمثله لأنهم
إذا آمنوا بمثله لم يؤمنوا المراد المثل الشيء بعينه .

وقد قال تعالى : (كمن مثله فى الظلمات) (٢) أى يكن
هو فى الظلمات ، والمثل ، والمثل واحد ولو كان المعنى
على مثل وبابه لكان الكافر ليس فى الظلمات ، انما فى الظلمات مثله

(١) البقرة آيه ١٣٧ .

(٢) الأنعام آيه ١٢٢ .

لا هو ، فالتقدير على هذا على قراءة الاضافة : فجزاء المقتول من
الصيد يحكم به ذوا عدل فيصح معنى الاضافة . (١)

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ج ١
ص ٤١٨ .

ذهب اليه الشيخ من أن الكفارة هي الطعام فقط حتى جعل هذا
النظم الكريم من اضافة الشيء الى نفسه .

وقد أدرك حقيقة الموقف أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي
الغرناطي حيث قال هنا : قرأه الصحبان يعني نافعا ، وابن عامر
الشامي بالاضافة والاضافة تكون بأدنى ملبسه اذ الكفارة تكون
كفارة هدى وكفارة طعام وكفارة صيام ، ثم رد على أمثال الشيخ الذين
لا يرون الاضافة هنا وهو على الفارس حيث قال أبو حيان في الرد
عليه : (ولا التفات الى قول الفارس ولم يصف الكفارة الى الطعام
لأنها ليست للطعام انما هي لقتل الصيد)

ثم عارض أيضا أبو حيان رأى الزمخشري في هذه القراءة حيث
قال : (وأما ما ذهب اليه الزمخشري من زعمه أن الاضافة مبينة كأنه
قيل " أو كفارة من طعام ساكين " كقوله : خاتم فضة بمعنى : خاتم
من فضة ، فليس من هذا الباب لأن خاتم فضة من باب اضافة
للشيء الى جنسه والطعام ليس جنسا للكفارة الا بتجويز بعيد جدا) (١)

أهـ

وعلى ذلك فلا عبرة لما ذهب اليه الشيخ من انكار قراءة الاضافة دون
أختها مع أنها متواترتان على حد سواء .

(١) أنظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٤ ص ٢٠ ، ٢١ .

وقد أبهم الشيخ قراء هاتين القراءتين وترك بعضهم حسني

في النسبة الى البلدان - واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون باضافة (كفارة) الى (طعام) : أبو جعفر

ونافع المدنيان ، وابن عامر الشامي ، وقد ترك الشيخ ابن عامر ولم

يذكره معها حيث قال : (فقرأته عامة قراء أهل المدينة) أو كسار

طعام (بالاضافة .

والذين يقرأون بتنوين الكفارة ورفع الدعام الباقون من القراء

العشرة . (١)

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٥٥
والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ القاضي

(٦٢) قال تعالى : (أو كفارة طعام مسكين . . الآية) فى نفس

الرفع السابق .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك :

فتقرأه عامة قراء أهل المدينة : (أو كفارة طعام مساكين)

بالإضافة .

وأما قراء أهل العراق فان عامتهم قرأوا ذلك بتنوين الكفارة

ورفع الطعام (أو كفارة طعام مسكين) .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

(وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ

بتنوين (الكفارة) ورفع الطعام للعللة التى ذكرنا فى قوله (فجزاء

مثل ما قتل من النعم) أه المراد منه .

أقول وبالله التوفيق :-

انه يجرى هنا ما جرى فى (فجزاء مثل ما قتل من النعم)

من الرد على ذلك ، وزيادة على ذلك نقول ان الكفارة لا تختص

بالطعام وانما تشتمل غير ذلك لقوله تعالى (فكفارته اطعام عشرة

مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم

يجد فصيام ثلاثة أيام) .

وقد أطلقت الآية الكريمة الكفارة على هذه الأمور الأربعة

(الاطعام ، والكسوة ، والتحرير ، والصوم) فحينئذ لا معنى لما

(٦٣) قال تعالى : (فان عثر على أنهم استحقوا ثما فأخسران

يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان

بالله لشهدتنا أحق من شهدتهما وما اعتدينا .

انا اذا لمن الظالمين) (١)

قال أبو جعفر :

واختلفت القراءة في قراءة قوله (من الذين استحق عليهم الأوليان)

فقرأ ذلك قراء الحجاز والعراق والشام : (ومن الذين

استحق عليهم الأوليان) بضم التاء .

وروى عن علي ، وأبي بن كعب ، والحسن البصري أنهم

قرئ ذلك (من الذين استحق عليهم بفتح التاء)

واختلفت أيضا في قراءة قوله (الأوليان) :

فقرأته عامة قراء أهل المدينة والشام والبصرة (الأوليان) .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة : الأولين) ثم قال :

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك (من الذين استحق عليهم

الأولان) .

قال أبو جعفر :

وأولى القراءتين بالصواب في قوله : (من الذين استحق

عليهم) قراءة من قرأ بضم التاء لاجتماع الحجة من القراء عليه مع مشايعة

(١) سورة الطائفة آية ١٠٧ .

عامه أهل التأويل على صحة تأويله ، وذلك باجماع عامتهم على أن
تأويله :

فأخرا من أهل الميت ، الذين استحق المؤمنان على مال
الميت الاثم فيهم يقومان مقام المستحق الاثم فيهما بخيانتهم ما خانا
من مال الميت .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأحسب أن الذين قرأوا ذلك بفتح (التاء) أرادوا أن يوجهوا
تأويله الى :

(فأخرا من يقومان مقامهما) مقام المؤمنين الذين عثر على
خيانتهم في القسم (والاستحقاق به عليهما) دعواهما قبلهما :
من (الذين استحق) على المؤمنين على المال على خيانتهم القيام
مقامهما في القسم والاستحقاق ، والأوليان بالميت .

وكذلك كانت قراءة من رويت هذه القراءة عنه فقرأ ذلك (من
الذين استحق) بفتح التاء ، و (الأوليان) على معنى الأوليان
بالميت وماله .

وذلك مذهب صحيح ، وقراءة غير مدفوعة صحتها غير أننا
نختار الأخرى لاجتماع الحجة من القراءة عليها مع موافقتها للتأويل
الذي ذكرنا عن الصحابة والتابعية .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

قال أبو جعفر : وأما أولى القراءات بالصواب في قوله :

(الأوليان) عندى فقرة من قرأ (الأوليان) لصحة معناها وذلك

لأن معنى (فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان)

فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الاثم) ثم حذف الاثم

وأقيم مقامه (الأوليان) لأنهما هما اللذان ظلمتا وأيما فيهما بما كان

من خيانة اللذان استحقا الاثم وعثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان

اقضيهما عليه الميت .

وأما الذين قرأوا ذلك (الأولين) فانهم قصدوا في معناه

الى الترجمة به عن (الذين) فأخرجوا ذلك على وجه الجمع اذ كان

الذين جماعا ، والخفض اذا كان (الذين) مخفوضا) وذلك وجه

من التأويل غير أنه انما يقال للشيء (أول) اذا كان له آخر هو

له أول ، ويسمى للذين استحق عليهم الاثم آخرهم له أول ، بل

كانت أيمان الذين عثر على أنهما استحقا اثما قيل أيمانهم فهم الى أن

يكونوا آخرين من أن يكونوا (أولين) وأيمانهم آخرة لأولى قبلها .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأما القراءة التي حكيت عن الحسن فقرة عن قراءة الحجة

من القراء شاذة ولكن بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها مسبب

الصواب أم المراد منه (١)

(١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٧ + ٨ ص ٧٧ - ٧٨

مطبوعة ن خ ج ١١ ص ١٩٤ - ١٩٨ .

أقول وبالله التوفيق :-

ان الشيخ رحمه الله تعالى : ذهب مذهب الذي بنى عليه توجيه القراءات غالباً من انكار بعض القراءات وتفضيل بعضها على بعضها مع أن هذا المذهب يخالف ما كان عليه السلف الصالح - حيث قال هنا بعد عرض القراءات في هذا اللفظ الكريم (من الذين استحق عليهم الأوليان) ، (وأولى القراءتين بالصواب في قوله " من الذين استحق عليهم " قراءة من قرأ بضم " التاء " لاجتماع الحجة من القراء عليه مع مشايعة عامة أهل التأويل على صحة تأويله .)

وقد خالف الشيخ كما قلت مذهب السلف حيث صوب قراءة ضم " التاء " من قوله (استحق) على قراءة فتح (التاء) مع كون القراءتين متواترتين وهذا بعيد عن الصواب فضلاً عن كونه صواباً لأن ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تصويب القراءتين أو القراءات وعدم ترجيح احدهما على الأخرى .

وأما الذهاب الى خلاف ذلك فيعتبر طعننا في القراءات .

وأما قوله : (لاجتماع الحجة من القراء مع مشايعة عامة أهل التأويل الخ) على صحة تأويله فلا يدفع قراءة الفتح من قوله (استحق) لأن صاحب هذه القراءة من الحجة المجمع على تواتر قراءاتهم وليس الأمر

(١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن ج ٧ + ٨ ص ٢٧-٢٨

مطبوعة ن خ ج ١١ ص ١٩٤ - ١٩٨ .

كما قال الشيخ انه خارج عن اجماع الحجة من القراء ، وقد ذكرت
غير مرة في هذه الرسالة أن القراءة اذا تواترت ولو جاءت من قارىء
واحد أو راو واحد وكانت وجها من وجوه القراءات فهي حق وصواب
من عند الله ولا تعتبر خارجة عن اجماع القراء ، ومن العجب وجود
الاجماع وتند بقى منهم بعض القراء خارجا عنهم هذا .

وتوله أيضا : بعد ذكر توجيه قراءة الفتح : (وذلك

مذهب صحيح ، وقراءة غير مدفوعة صحتها غير أنا نختار الأخرى لاجماع

الحجة من القراء عليهما مع فقهاء التأويل .. الخ) .

يجرى فيه من الرد ما جرى في الكلام الأول -

وقوله : (وأما أولى القراءتين بالصواب في قوله (الأوليان)

عندى فقراءة من قرأ (الأوليان) لصحة معناها .. الخ) .

ففيه تصريح بعدم صحة المعنى في هذا اللفظ الا على

هذه القراءة وهذا خلاف ما عليه علماء التوجيه والقراءات جميعا حيث

لم يذكر واحد منهم ما ذكره الشيخ هنا وقد وجه كل منهم الأوليان الى

أنه بدل من الضمير في (يقومان) أو من (آخران) ومنهم من أعربه

على أنه فاعل استحق على قراءة فتح التاء ونائب فاعل على قراءة

ضم التاء ولمعنى على الضم : (من الذين استحق عليهم اسم الأولين)^(١)

(١) أنظر البحر المحيط ج ٤ ص ٤٥ والكشف عن وجوه

القراءات ج ص ٤٢٠ .

وقوله : (وأما الفذيين قرأوا ذلك " الأولين " فانهم
قصدوا في معناه الى الترجمة عن " الذين " الى أن قال : وذلك وجه
من التأويل ، غير أنه إنما يقال للشيء " أول " إذا كان له آخر
هو له أول ، وليس للذين استحق عليهم الاثم آخرهم له أول بل
كانت أيمانهم للذين عشر على أنهما استحقا اثما قبل ايمانهم ، فهم الى
أن يكونوا آخرين إذا كانت أيمانهم آخرا ، أولى أن يكونوا ممن أن
يكونوا أولين . . الخ

فهذا وإن كان له وجهة نظر من ناحية التأويل فلا عبرة له
هنا آخرين وأولين ، لأن العمدة في ذلك ثبوتها بطريق
التواتر وقد حصل ذلك وحينئذ فلا عبرة للعلل والقياسات التي تثار
حول ذلك بعد ذلك .

وأيا ذكر صاحب البحر ما يزيل هذا الاشكال الذي طرحه
الشيخ هنا حيث قال : (ومعنى الأولية التقدم على الاجانب في
الشهادة لكونهم أحق بها ، وأعرب هذا اللفظ الكريم على أنه حقه
للذين أو بدل من الضمير المجرور بعلى) (١)

وكذلك صاحب الكشف حيث قال : (وإنما قيل لهم أولين
لتقدم ذكرهم في أول القصة وهو قوله " يا أيها الذين آمنوا شهادة
بينكم ") (٢)

(١) أنظر البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦ .

(٢) أنظر الكشف ج ١ ص ١٠٧ .

وبناء على ذلك فان ما ذهب اليه الشيخ من أن قراءة
ضم التاء من (استحق) أصوب من قراءة فتح التاء ، وان قراءة
(الأوليان) أصوب من قراءة الأولين خارج عن المذهب الحق في
هذا الموضوع والصحيح الذي في هذا أن هذه القراءات كلها
حق وصواب لا مزية لاحداهما على الأخرى - فمن قال هذا المذهب
وأراد تصويب قراءة على أخرى فقد ضل الطريق فعليه أن يتوب الى
الله لأنه لا ارتكب ما لا يجوز ارتكابه وهذه القراءات كلها متواترة الا
القراءة التي رويت عن الحسن البصرى حيث أنه كان يقرأ على ما قال
الشيخ (ومن الذين استحق عليهم الأولان) فانها شاذة والأولى
عدم ذكرها مع القراءات المتواترة لأنها توهم الذين لا رسوخ لهم في
فن القراءات أنها متواترة .

وقد ذكر الشيخ أخيراً أنها قراءة شاذة حيث قال : (وأما
القراءة التي حكيت عن الحسن فقراءة عن قراءة الحجة من القراء شاذة
وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلاً على بعدها من الصواب ومع هذا
لا يزال هذا الوهم قائماً عند غير الراسخين ولذلك كان الوجب
تركها من الذكر .

وقد أبهم الشيخ هنا قراء هذه القراءات ولم يبين بذكر
اسمائهم - واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون بضم التاء وكسر الحاء من (استحق) : من

عدا حفصا من العشرة .

والذى يقرأ بفتح التاء والحاء من (استحق) : حفص الكوفى .

والذين يقرأون (الأولين) : حمزة ، وخلف العاشر ،

ويعقوب الحضرمي ، وشعبة عن عاصم .

والباقون من العشرة يقرأون (الأوليان) باسكان الواو وفتح

اللام وكسر النون على التثنية . (١)

(١) أنظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٥٦

والبدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ /

عبدالفتاح القاضى ص ٩٥ - ٩٦ .

(٦٤) قال تعالى : (اذ قال الحواريون يلعيسى ابن مريم

هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا

الله ان كنتم مؤمنين) (١)

قال محمد بن جرير الطبري :

اختلفت القراء في قراءة قوله (يستطيع ربك) :

فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين : (هل تستطيع)

بالتاء (ربك) بالنصب ، بمعنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ؟

أو : هل تستطيع أن تدعو ربك ؟

الحواريون شاكين أن الله تعالى جل ذكره قادر أن ينزل

عليهم ذلك ، وانما قالوا لعيسى : هل تستطيع أنت ذلك .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق : (هل يستطيع)

بالياء (ربك) بمعنى : أنى ينزل علينا ربك كما يقول الرجل

لصاحبه : أستطيع أن تنهض معنا في كذا ؟ وهو يعلم أنه

يستطيع ولكنه انما يريد أن تنهض معنا فيه .

وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك : هل يستجيب لك

ربك ويعطيك أن ينزل علينا ؟

قال أبو جعفر :

(١) سورة آل عمران آية ١١٢ .

وأولى القراءتين عندى بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك :

(هل يستطيع) بالياء (ريك) برفع (الرب) بمعنى : هل

يستجيب لك ان سألته ذلك ويعطيك فيه ؟

وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل من أن

قوله (اذ قال الحواريون) من صلة (اذا أوحيت) وأن معنى

الكلام : واذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا به وبرسولي ، واذا

قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ريك ؟

فبيين اذا كان ذلك كذلك أن الله تعالى ذكره قد كره

منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه وأمرهم بالتوبة ومراجعة الايمان من

قليلهم ذلك ، والاقرار لله بالقدرة على كل شيء وتصديق رسوله فيما

أخبرهم عن ربهم من الأخبار .

وقد قال عيسى لهم عند قليلهم ذلك له استعظاما منه لما

قالوا : (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) .

ففى استتابة الله اياهم ودعائه لهم الى الايمان به وبرسوله

صلى الله عليه وسلم عند قليلهم ما قالوا من ذلك واستعظام نبي الله

صلى الله عليه وسلم كلمتهم الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة

فى ذلك بالياء ورفع (الرب) اذ كان لا معنى فى قولهم لعيسى

لو قالوا له : (هل تستطيع أن تسأل ريك أن ينزل علينا مائدة من

السماء) ؟ أن يستكبر هذا الاستكبار . أه المراد منه .

أقول وبالله التوفيق :-

انه صرح فى توجيه هذا اللفظ الكريم (هل يستطيع ربك)
أن القراءة بتاء الخطاب فى (يستطيع) وبنصب لفظ (الرب) غير
صحيح وغير صواب حيث قال : (الدلالة الكافية من غيرها على صحة
القراءة فى ذلك بالياء ورفع (الرب) ثم قرر أنه لا معنى لهذه القراءة
التي قرئت بالتاء فى (يستطيع) .

وهذا الكلام فى غاية الخطورة لأنه يعتبر انكارا لقراءة متواترة
يحرم انكارها ويكفر من ينكرها تعمدا عند جمهور العلماء .

وقد ذكر مؤكدا هذا المذهب الذى ذهب اليه علا وحججا
يحتج بها من لا يعرف حسيقة القراءة ، ومن المعلوم أن هذه الحجج
لا يلتفت اليها لأن هذه القراءة التى ذهب الى عدم صحتها قراءة متواترة
كأختها ومذهب السلف عدم الخوض فى ذلك والنظر الى القراءتين بعين
واحدة ولو لم يظهر لانسان وجهها .

ومع أن العلماء وجهوا هذه القراءة بتوجيها يناسبها ولم يتعرضوا
بالطعن فيها هذا واليك توجيههم فى ذلك :

قال مكي بن أبى طالب القيسى رحمه الله تعالى :

(وحجة من قرأ بالتاء أنه أجراه على مخاطبة الحوليين لعيسى
وفيه معنى التعظيم للرب جل ذكره ، على أن يستفهم عيسى عن
استطاعته اذ هو تعالى مستطيع لذلك فانما معناه : هل تفعل

ذلك على معنى افعل ذلك هل تستطيع سواء في انزال
مائدة علينا ، والمعنى : هل تفعل لنا ذلك وقد علموا أن عيسى
يستطيع السؤال ، ولا بد من اضرار السؤال اذ لا يجوز أن يقال :
هل تستطيع أن يفعل غيرك كذا ؟ فان مفعول بالمصدر المحذوف
وهو السؤال وهذا كما تقول للرجل : هل تستطيع أن تكلمنى ؟
وقد علمت أنه يستطيع لذلك ، فانما معناه : هل تفعل ذلك على
معنى أفعل ذلك .

وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان القوم
أعلم بالله عز وجل من أن يقولوا : هل يستطيع ربك ؟ .
وعن معاذ بن جبل أنه قال : أقرأنا النبي صلى الله عليه وسلم
هل يستطيع ربك ؟ قال معاذ : وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم
مرارا يقرأ بالتاء فى (يستطيع) .

وما دام الأمر كذلك فان انكار احدى القراءتين المتواترتين
يعتبر خروجاً عن طريق السلف الذى مهده النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال للذين اختلفوا فى القراءات : هكذا أنزلت ، وقال للجميع :
أصبت ، لأن هذا أمر توقيفى لا مجال للرأى فيه ، وانما مداره
التلقى والأخذ اماماً عن امام .

وانما حمل الشيخ رحمه الله تعالى على انكار هذه القراءه أعنى

مع أن التّراوتين موادّهما واحد من حيث المعنى اعتقاده
قراءة الخطاب ، أن الحواريين طلبوا ما طلبوا من عيسى شكاً منهم
في ذلك حيث قال : (فان ظن طان أن قولهم ذلك له انما هو
استعظام منهم لأن ذلك منهم كان مسألة آية فان الآية انما يسألها
الأنبياء من كان بها مكذبا ليقرر عنده حقيقة ثبوتها وصحة أمرها كما كانت
مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهباً
ويفجر فجاج مكة أنهاراً من سأله من مشركي قومه ، وكما كانت مسألة
صالح الناقة من مكذبي قومه ، ومسألة شعيب أن يسقط كفا من السماء
من كفار من أرسل اليه .

فان كان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة
من السماء على هذا الوجه كانت مسألتهم فقد أحلهم الذين قرأوا ذلك
بالتاء ونصب الرب محلاً أعظم من المحل الذي ظنوا أنهم يحييّدون
بهم عنه . (١)

أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه لله نبي مبسووث
ورسول مرسل وأن الله تعالى ذكره على ما سألوا من ذلك قادر .

فان كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وانما كانت مسألتهم اياه
ذلك على نحو ما يسأل احدهم نبيه اذا كان فقيراً أن يسأل ربه أن يغنيه
وان عرضت له حاجة أن يسأل ربه أن يقضيها فليس ذلك من مسألة الآيسة

(١) في المطبوعة من المحل الذي ظنوا أنهم نزهوا ربه عنده .

فى شىء . (١)

بل ذلك سؤال ذى حاجة عرضت له الى ربه فسأل نبيه مسألة
ربه أن يقضيها له .

وشبر الله تعالى ذكره عن القوم ينسب بخلاف ذلك ، وذلك
أنهم قالوا لعيسى اذ قيل لهم (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) : نريد
أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ، فقد أنبأ هذا
من قبلهم أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ولا اطمأنت قلوبهم
الى حقيقة نبوته فلا بيان أبين من هذا الكلام فى أن القوم كانوا قد
خالط قلوبهم مرض وشك فى دينهم وتصديق رسولهم وأنهم سألوا ما
سألوا من ذلك اختبارا .

ثم احتج لما ذهب اليه بأثر عن ابن عباس أنه كان يحدث
عن عيسى صلى الله عليه وسلم أنه قال بنى اسرائيل : هل لكم أن
تصوموا لله ثلاثين يوما ، ثم تسألوه فيعطىكم ما سألتهم فان أجر العامل
على من عمل له ، ففعلوا ثم قالوا : يا معلم الخير قلت لنا
أن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا
ولم تكن نعمل لأحد ثلاثين يوما الا أطمعنا حين نفرغ طعاما فهل

(١) فى المطبوعة: فأنى ذلك من مسألة الآية ، وفى المخطوطة
(فان ذلك) وقال الشيخ أحمد شاکر والصواب ما أثبتت أد .

يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى : (اتقنوا
الله ان كنتم مؤمنين) ، قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا
ونعلم أن صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين) .

أقول وبالله التوفيق :

انه يظهر من مضمون كلامه عفا الله عنه وعنا على توجيه هذه
القراءة التي أنكرها مع أن القراءتين مفادهما واحد ، أنه قرر ما قرره
الزمخشري من أن الحواريين شاكون في قدرة الله ، وقد ذكر ما قاله
الزمخشري أبو حيان (١) حيث قال (وقرأ الجمهور) هل يستطيع
ربك (بالياء وضم الباء وهذا اللفظ يقتضى ظاهره الشك في قدرة الله
تعالى على أن ينزل مائدة من السماء وذلك هو الذى حمل الزمخشري على
أن الحواريين لم يكونوا مؤمنين قال (فان قلت) كيف قالوا هل يستطيع
ربك ؟ بعد ايمانهم واخلاصهم (قلت) ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص
وانما حكى ادعاهم لهم لهما ثم أتبعه قوله (اذ قالوا فآذن أن دعواهم
كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين) وقوله (هل يستطيع ربك) كسلام
لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم - ولذلك قول عيسى لهم معناه
(اتقوا الله ولا تشكوا فى اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تحكموا
ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعد ما ان كنتم مؤمنين

(١) أنظر كتابه البحر المحيط ص ٥٣ ج ٤

ان كانت دعواكم للايمان صحيحة ، انتهى كلام الزمخشري .
وهذا اعتقاد باطل لأنه يؤدي الى مخالفة كتاب الله الذى
قرر أن الحواريين هم أنصار الله وأنصار نبيه عيسى عليه وعلى نبينا
أفضل الصلاة وأتم السلام حيث قال الله تعالى : (يا أيها الذين
آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى
الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل
وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) (١)
فدلت هذه الآية الكريمة على أن الذين قالوا : نحن أنصار الله هم
طائفة آمنت من بنى اسرائيل فأيدهم الله بالنصر على عدوهم وعدو
الله الكفار فكيف يكون هؤلاء المؤمنون كفارا ؟
وأما غير الزمخشري من أهل التفسير فأطبقوا على أن
الحواريين كانوا مؤمنين حتى قال ابن عطية لا خلاف أحفظه فى
أن الحواريين كانوا مؤمنين ، قال المفسرون : والحواريون هم
خواص عيسى وكانوا مؤمنين ولم يشكوا فى قدرة الله تعالى على ذلك .
قال ابن الأنبارى : لا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين
شكوا فى قدرة الله تعالى وإنما هذا كما يقول الانسان لصاحبه هل

(١) سورة الصف آية ١٤ .

تستطيع أن تقوم معي وهو يعلم أنه مستطيع له ولكنه يريد هل
يسهل عليك . . أه (١) .

واليك ما كتبه سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير
بالجمل المتوفى سنة ١١٠٤ في تفسير هذه الآية الكريمة إذ قال :
الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ريك أي يفعل ريك أي
فالسؤال إنما هو عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عن بلازمه
وذلك لأنهم كانوا مؤمنين موقنين بقدرة اللعلى هذا الفعل قال لهم
عيسى (اتقوا الله في سؤال الآيات التي لم يسبق لها مثال ان كنتم
مؤمنين بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتى فان ذلك مما يوجب التقوى
والاجتناب عن أمثال هذه الاقتراحات وقيل أمرهم بالتقوى ليصير ذلك
ذريعة لحصول السؤال كقوله تعالى " ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب ") قالوا نريد سؤالها من أجل أن نأكل
منها هذا بيان لسبب الحامل لهم على السؤال أى ليس سببه
ازالة شبهة فى قدرته على تنزيلها بل سبب سؤالنا انا نريد الآية
وليس غرضا بالسؤال اقتراح الآيات ولالتفت فى سؤالها لانا جازمون
وموقنون بقدرة الله عليها وبرسالتك وفى أبى السعود قالوا نريد
أن نأمل منها . . الآية تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال

(١) انظر البحر المحيط ج ٤ ص ٥٣ .

أى لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا فى قدرته تعالى على تنزيلها
أو فى صحة نبوتك حتى يقدر ذلك فى الايمان والتقوى - بل نريد
أن نأكل منها أكل بركة أو أكل حاجة . أم .

وهذا المذهب الذى قرره جمهور المفسرين فى معنى هذه
الآية عن توجيه القراءتين هو الحق الذى لا محيد عنه وأما
تقولات الزمخشري ومن نحا نحوه لا يلتفت اليها . والله أعلم .

وخلاصة القول فى هاتين القراءتين أنهما قراءات متواترتان عن النبي (ص)
لا يجوز لأحد الطعن فى احدهما .

الذى يقرأ بباء الخطاب فى (يستطيع) ونصب الباء فى
(بريك) الكسائى والباقون من العشرة يقرأون بباء الضيف (يستطيع)
ورفع الباء فى (ريك) . (٧)

(١) أنظر البدور الزاهرة للشيخ / عبدالفتاح القاضى ص ٩٧
والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٦٥) قال الله تعالى : (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين)

صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدون فيها

أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة في قراءة قوله (هذا يوم ينفع الصادقين) :

فقرأ بعض أهل الحجاز والمدينة هذا يوم ينفع الصادقين

ينصب يوم .

وقرأ بعض أهل الحجاز وبعض أهل المدينة وعامة قراء أهل

الصراق هذا يوم ينفع الصادقين برفع يوم ، فمن رفعه بهذا وجعل

يوم اسما وان كانت اضافته غير محضة لأنه صار كالمنعوت وكان بعض أهل

العربية يزعم أن العرب يعملون في اعراب الأوقات مثل اليوم واللييلة

عملهم فيما بعدها ان كان ما بعدها رفعا رفعوها . كقولهم هذا يوم

يركب الأمير وليلة يصدر الحجاج ويوم أخوك زيد منطلق وان كان ما

بعدها نصبا نصبوها وذلك كقولهم هذا يوم خرج الجيش وسار الناس

وليلة قتل زيد ونحو ذلك وان كان معناها في الحالين اذا واذا .

وكأن من قرأ هذا هكذا رفعا وجه الكلام الى أنه من قيل الله

يوم القيامة .

(١) سورة المائدة آية ١١٩ .

وأما النصب في ذلك فإنه يتوجه من وجهين أحدهما أن الإضافة يوم ما لم تكن إلى اسم تجعله نصبا لأن الإضافة غير محضة وانصبا تكون الإضافة محضة إذا أضيف إلى اسم صحيح ، ونظير اليوم في ذلك الحين والزمان .

والوجه الآخر : أن يكون مراداد بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن يوم ينفع الصادقين فيكون اليوم حينئذ منصوبا على الوقت والصفة بمعنى هذا الأمر في يوم ينفع الصادقين صدقهم .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : هذا يوم ينفع الصادقين بنصب اليوم على لأنه منصوب على الوقت والصفة لأن معنى الكلام أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحث ان كنت قلته فقد علمته الى قوله (فانك أنت العزيز الحكيم) فقال له عز وجل هذا القول النافع أو هذا الصدق النافع يوم ينفع الصادقين صدقهم فالיום وقت القول والصدق النافع فان قال قائل فما موضع هذا قيل رفع فان قال : فأين رافعه قيل مضممر وكأنه قال : قال الله عز وجل هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم كما قال الشاعر (1) :

أما ترى السحاب كيف يجرى ؟ هذا ولا خيلك يا ابن بشر

(1) قال محمود محمد شاكر : لم أعرف هذا الراجز وبحيث أنصبا كذلك ولم أطلع على اسمه .

قال أبو جعفر :

فتأويل الكلام اذا كان الأمر على ما وصفنا لما بيننا :

قال الله لعيسى : هذا القول النافع في يوم ينفع الصادقين في الدنيا
صدقهم ذلك في الآخرة عند الله ، (١)

أقول وبالله التوفيق :-

ان الشيخ رحمه الله تعالى ذهب الى تفضيل قراءة نصب يوم
على قراءة رفعه مع أن القراءتين متواترتان ثابتتان عن الرسول صلى الله
عليه وسلم وقد عرفت أن مذهب السلف بخلاف ما ذهب اليه لأنهم يمنعون
تفضيل قراءة على أخرى ما دام عرف تواترهما وعرفنا من هذا أن ما تكرر
من الشيخ من الآراء التي تخالف ما عليها السلف غير سديد لأنه يؤدي
الى الطعن في القراءة المفضولة مع كونها متواترة ولذلك أثم السلف من
نهج هذا النهج .

وما احتج به من العلل النحوية والقياسات العقلية فلا يلتفت
اليها لأن القراءات اذا ثبتت بطريق التواتر لا يرد لها أي قياس ولا أي
علة لأنها سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، كما قال الامام الشاطبي
في حزره وما لقياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا وقد

(١) أنظر جامع البيان للطبري ج ٧ + ٨ ص ٩٠ - ٩١

ن خ ج ١١ ص ٢٤١ - ٢٤٤ .

أطبق القراء وأهل العلم قاطبة على أن القراءة إذا تواترت لا يعارضها
أى شىء من ارتقياسات النحوية والصرفية واللفوية وكل من حاول عكس
ذلك فقد رجع بالفشل الذريع وحاول ما لا طاقة له اليه ، وهذا
القراءة التى ذهب الشيخ الى أرجحيتها قرأ بها قارى واحد من العشرة
وهو نافع بن نعيم المدنى ، وقراءة الرفع التى ذهب الى مرجوحيتها هى
الجمهور يعنى يقرأ بها من العشرة من عدا نافعا وهم ابن كثير
المكى ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر الشامي ، وعاصم بن أبي
النجد ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر الكوفيون ،
ويعقوب الحضرمي .

ومن أعجب العجائب أن الشيخ كثيرا ما يقول ان القراءة اذا
جاءت من قارى واحد تعتبر شاذة مع أن القراءة سواء كانت من قارى
أو من القراء اذا تواترت كلها صحيحة وهنا خالف مذهبه فرجع
القراءة التى فيها قارى واحد على قراءة الجمهور هذا
ومن المعلوم أن كلتا القراءتين على درجة واحدة لا فضل
لا حداهما على الأخرى .

مذهب العلماء فى توجيه هاتين القراءتين كالآتى :
فحجة من نصب أنه جعل الإشارة ب (هذا) الى غير
اليوم مما تقدم ذكره من الخبر والقصص فى قوله (واذا قال الله يا عيسى)
وليس ما بعد القول حكاية فان جعلته حكاية أضمرت ما يعمل فى

(يوم) والتقدير : قال الله هذا الذى اقتضى عليكم يحدث أو يقع فى يوم ينفع ، وان لم نجعله حكاية حكاية فأعمل القول فى اليوم على أنه ظرف للقول ، والمعنى : قال الله هذا القصص الذى قسى عليكم أو هذا الخبر الذى أخبرتم به فى يوم ينفع الصادقين صدقهم أى سيقوله فى ذلك اليوم وأفعال الله جل ذكره التى يخبر أنها ستكون بمنزلة الكائنة الواقعة لصحة وقوعها على ما أخبر به عنها فلذلك يخبر عما يستقبل من أفعاله بلفظ الماضى وهو كثير فى القرآن مثل قوله (أتى أمر الله) .

وحجة من رفع أنه جعل (يوم ينفع) خبر لـ (هذا)

والجملة فى موضع نصب بالقول وهو ما حكى لا يعمل فى لفظ القول

وهذا إشارة الى يوم القيامة ، وهو اليوم الذى ينفع الصادقين صدقهم. (١)

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبى محمد مكي بن

أبى طالب القيسى ج ١ ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٤٧

والبدور الزاهرة ص ٩٧ .

القراءات

التي في سورة الأنعام

(٦٦) قال تعالى : (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين) (١) .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء في قراءة ذلك :

فقرأتها عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة (من يصرف عنه

يومئذ) بضم الياء وفتح الراء بمعنى من يصرف عنه العذاب يومئذ .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (من يصرف عنه) بفتح الياء وكسر

الراء لدلالة قوله (فقد رحمه) على صحة ذلك .

وأن القراءة فيه بتسمية فاعله ولو كانت القراءة في قوله :

(من يصرف) على وجه ما لم يسم فاعله كان الوجه في قوله (فقد رحمه)

أن يقال : فقد رحم غير مسمى فاعله ، وفي تسمية الفاعل في قوله :

(فقد رحمه) دليل بين على أن ذلك كذلك في قوله (من يصرف عنه)

وإذا كان هو الوجه الأولى بالقراءة فتأويل الكلام (من يصرف عنه ممن

خلقه يومئذ عذابه فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين) ويعنى بقوله :

وذلك وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة ورحمة اياه الفوز أى النجاة

من الهلكة والظذر بالطلبية المبين يعنى الذى بين لمن رآه أنه

الظفر بالحاجة وادراك الطلبة . أم المراد منه . (٢)

(١) سورة الانعام آيه ١٦ .

(٢) أنظر جامع البيان للطبرى ج ٧ + ٨ ص ١٠٢

ن خ ج ١١ ص ٢٨٦ .

أصول وبالله التوفيق :-

انه لا يخفى على ذى بصيرة ما ذهب اليه الشيخ رحمه الله تعالى من تصويب قراءة فتح اليا وكسر الراء من قوله تعالى (من يصرف عنه يومئذ) على قراءة ضم اليا وفتح الراء مع أن القراءتين متواترتين من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، والقراءات اذا اتواترت لا يحل أحد تصويب قراءة على أخرى ومن فضل قراءة متواترة على أختها فقد أثم هذا هو مذهب السلف قاطبة ولهم أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه صوب القراءات التي اختلف فيها بعض الصحابة عند ما توافوا اليه في ذلك بقوله هكذا أنزلت ويقولوه : أصبت للجميع .

ولا بيان أبين من هذا في منع سلوك مثل هذا المسلك ولا شك أن هذا العمل الذي قام به الشيخ يخالف هذا المبدأ السلفي والكمال لله عفا الله عنه وعنه بجوده وكرمه .

وأما ما احتج به في تدعيم مذهبه من قوله لدلالة قوله (فقد رحمه) على صحة ذلك ، وأن القراءة فيه بتسمية فاعله ولو كانت القراءة في قوله (من يصرف) على وجه ما لم يسم فاعله كان الوجه في قوله (فقد رحمه) أن يقال (فقد رحم) غير صغى فاعله ، وفي تسمية الفاعل في قوله (فقد رحمه) دليل بين على أن ذلك كذلك في قوله (من يصرف عنه) فقياس صرف ولا دخل للقياس في القراءة كما سبق غير مرة بل هي سنة متبعة يأخذها الآخرون الأول مدارها الأخذ والتلقى اما ما عن امام

منذ نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلق عن جبريل الى يومنا هذا ، وقد أجمعت الأمة على ذلك ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين .

هذا وقد أبهم الشيخ أصحاب هاتين القراءتين ولم يبينهم بذكر أسمائهم الا ما ذكرهم بالبلدان - واليك بيان ذلك :

فالذين يقرأون بفتح الياء وكسر الراء من (يصرف) : شعبة وحمزة ، والكسائي ، وخالف العاشر ، ويعقوب الحضرمي .

والذين يقرأون بضم الياء وفتح الراء : نافع وأبو جعفر المدنيان ، وابن كثير المكي ، وأبو عمرو والبصرى ، وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي .

توجيه هاتين القراءتين :

فحجة من قرأ بفتح الياء أنه أخبر بالفعل عن الفاعل المتقدم الذكر وضميره مستتر في (يصرف) والمعنى : من يصرف الرب عنه يومئذ العذاب فقد رحمه فالمفعول محذوف ، وهو العذاب لدلالة الكلام عليه .

وحجة من ضم الياء أنه بنى الفعل لما يسم فاعله فأضمر فيه ذكر العذاب لتقدم ذكره وأقامه مقام الفاعل فلا حذف في الكلام ويقوى ذلك قوله (ليس مصروفاً عنهم) هود - يعنى العذاب بمنها لم يسم فاعله وأضمر فيه العذاب وأقامه مقام الفاعل أيضا .

(٦٧) قال تعالى : (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا

ما كنا مشركين) (١)

قال محمد بن جرير الطبرى - رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء فى قراءة ذلك :

فقرأته جماعة من قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (ثم

لم تكن فتنتهم) بالنصب بمعنى لم يكن اختبارنا لهم

الا قيلهم والله ربنا ما كنا مشركين غير أنهم يقرأون (تكين)

بالتاء على التأنيث وان كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهى

خبر وذلك عند أهل العربية شاذ غير فصيح فى الكلام .

وقد روى بيت للبيد بنحو ذلك وهو قوله :

فمضى (٢) وقد مها وكانت عادة . . منه اذا هي عردت اقدامها

فقال : (وكانت) بتأنيث (الاقدام) لمجاورته قوله (عادة)

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين (ثم لم يكن بالياء) فتنتهم) بالنصب

(الا أن قالوا بنحو المعنى الذى قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم

غير أنهم ذكروا " يكن " لتذكير " أن ") .

(١) سورة الأنعام آية ٢٣ .

(٢) من معلقته الباهرة وأنظر ما قاله ابن الشجرى فى الآية والبيت فى أماليه ١ : ١٣٠ ، والمضمير فى قوله (فمضى) الى حمار الوحش ، وفى قوله (وقد مها) الى أتنه التى يسوقها الماء (وعردت) فرت وعدلت عن الطريق التى وجهها اليها ، وشعر لبيد لا يفضل بعضها عن بعض فى هذه القصيدة فلذلك لم أذكر ما قبله وما بعده فراجع معلقته . التحقيق هامش تفسير الطبرى .

قال أبو جعفر :

وهذه القراءة يعنى قراءة النصب عندنا أولى القراءتين بالصواب لأن " أن " أثبتت فى المعرفة من الفتنة . أم المراد من كلامه .

أول وبالله التوفيق :-

قد أغفل الشيخ احدى القراءتين اللتين أجرى المقارنة بينهما على مذهبه الذى اعتاده فى توجيه القراءات فى هذا التفسير وهو قراءة الرفع التى أراد تفضيل قراءة النصب عليها فى (فتنتهم) وقد عرفت أن تفضيل القراءة على الأخرى مع تواترها مخالف للحق والصواب ^{أن} ارتكب ذلك خرج عن مذهب السلف الذى يجب على الأمة التمسك به والثبات عليه والذى عبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (لعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالتواجد) الحديث ومن هنا نعرف أن كلتا القراءتين حق وصواب لا مزية لاحد هما على الأخرى .

وأما اتهام الشيخ أن قراءة (تكن) بالتاء على التأنيث من قوله تعالى : (ثم لم تكن فتنتهم) تعتبر عند أهل العربية شاذة غير فصيح فى الكلام حيث قال : وذلك عند أهل العربية غير فصيح فى الكلام فيعتبر خروجاً عن دائرة الأدب مع كتاب الله (١) وتام الحديث : وإياك ومحدثات الأمور . . . فلو كان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار (٢) رآه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

وقد أجمعت الأمة أن النظم الكريم فى غاية الفصاحة والبلاغة ولا يوجد فيه شىء غير فصيح ولا بليغ ، ومن اعتقد غير ذلك فقد ارتكب جريمة يحرم ارتكابها ، لأن هذا يؤدى الى تشكيك الناس فى كتاب الله الذى تكفل الله بحفظه حيث قال جلت قدرته (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وما زال الشيخ يجمع القراء الا ما نسبهم الى البلدان - واليك بيان ذلك -

فالذين يقرأون بتأنيث (يكن) ونصب (فتنتم) : نافع وأبو جعفر المدنيان ، وأبو عمرو وشعبة ، وخلف العاشر .
والذين يقرأون بالتأنيث والرفع : ابن كثير المكي ، وابن عامر الشامي ، وحفص الكوفى .

والذين يقرأون بتذكير (يكن) ونصب (فتنتم) : حمزة والكسائى ، ويعقوب الحضرمي . (١)

توجيه هاتين القراءتين عند علماء التوجيه كالاتى :

(١) أنظر البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ / عبد الفتاح القاضى رحمه الله تعالى ص ٩٩ ، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٥٧ .

فوجه من قرأ بالياء في (يكن) أنه أتى بلفظ التذكير لتذكير
 (أن) وما بعدها في قوله (الا أن) اذا نصب (ففتنهم) فان
 رفعها ذكر ، لأن الفتنة المعذرة والمعذرة والعذر واحد ، فذكر
 التذكير العذرو يجوز أن يجوز ذكر لأن الفتنة (القول) في المعنى
 فذكر لتذكير القول اذا القول هو الفتنة .

ووجه من رفع الفتنة أنها لما كانت معرفة وتقدمه (القول) جعلها
 اسم كان و (أن قالوا) الخبر فأتى بالكلام في الاعراب على رتبة من
 غير تقديم ولا تأخير ، لا سيما اذا قرئء بالتاء ، فهو أقوى لرفع الفتنة
 لأن التأنيث في الفعل يدل على اضافة الفعل الى (الفتنة) فقوى
 الرفع في (الفتنة) لتأنيث الفعل ، ولتقدم الفتنة في اللفظ ، ولأنها
 معرفة فأما اذا قرئء (تكن) بالتاء فالرفع يقوى لتقدم الفتنة في
 اللفظ ولأنها معرفة ولأنها هي القول الذي حمل التذكير عليه .

ووجه من نصب (الفتنة) أنه لما وقع بعد (كان) معرفتان
 وكان أحدهما أعرف جعله اسم كان وهو (أن) وما بعدها ، وانما
 كانت أعرف لأنها لا توصف كما لا يوصف المضمرة ، فجعلتا سم كان كما
 يجعل المضمرة اذا وقع بعد كان اسمها والظاهر خبرها ولأنها
 لا تنكر أبدا كما تنكر الفتنة وتنفصل عما أضيفت اليه . أم (١)

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لأبي محمد مكي ابن
 أبي طالب القيسي ج ١ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٦٨) قال تعالى : (والله ربنا ما كنا مشركين) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

واختلفت القراء أيضا في قراءة قوله (والله ربنا ما كنا مشركين)

فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين (ولله ربنا)

خفضا على أن الرب نعت لله .

وقرأ ذلك جماعة من التابعين (والله ربنا) بالنصب بمعنى :

والله يا ربنا وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (والله

ربنا) بنصب الرب بمعنى : يا ربنا وذلك أن هذا جواب من

المتولين المقول لهم (أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون) وكان من

جواب القوم لربهم (والله يا ربنا ما كنا مشركين) فنفوا أن يكونوا

قالوا ذلك في الدنيا . أم المراد منه .

أقول وبالله التوفيق :-

ان هاتين القراءتين يعني قراءة الخفض والنصب في (ربنا)

متواترتان بمنزلة واحدة لا فضل لاحدهما على الأخرى .

(١) سورة الأنعام آية رقم ٢٣ .

وأما من اعتقد أن إحدى القراءات أولى بالصواب من أختها فقد طعن في تلك القراءة التي اعتقدها أنها مفضولة ، وهذا يعتبر هدماً للأسس والقواعد التي بنى عليها الشرع الحكيم وذلك أن النظم الكريم في أعلى البلاغة والفصاحة على درجة واحدة الفاظه ومعانيه وتشريعاته كلها حكيمة بدیعة لا تفاوت بينها .

وأما العلل التي أتى بها الشيخ في تقوية مذهبه الذي ذهب اليه في ذلك فلا عبرة لها لأنها لا تغض شأن القراءة المتواترة ولا يلتفت اليها البتة لأن القراءة مبناها التوفيق على ^{طريق} التلقى والأخذ من أهلها منذ نزوله الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبناء على ذلك فكل شبهة تثار حول القراءات القرآنية لا قيمة لها

ومن ذلك هذا الكلام الذي ذهب اليه الشيخ حيث قال : وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ والله ربنا بنصب (الرب) بمعنى : يا ربنا ثم علل ذلك بقوله : وذلك أن هذا جواب من المسئولين المقول لهم (أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون) وكان من جواب القوم لربهم والله يا ربنا ما كنا مشركين ، فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا وقد عرفت ما في ذلك كله .

بيان القراء الذين أبهمهم الشيخ رحمه الله تعالى كالآتي :

فالذين يقرأون بخفض (ربنا) : نافع ، وأبو جعفر المدنيان

وابن كثير ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر ، وعاصم ويعقوب

الحضرمي . (١)

والذين يقرأون بنصب (ربنا) : حمزة ، والكسائي ،

وخلف العاشر .

توجيه هاتين القراءتين :

فوجه من نصب (ربنا) أنه نصبه على أنه منادى مضاف منصوب

وفصل به بين القسم وجوابه وذلك حسن لأن فيه معنى الخضوع والتضرع

حين لا ينفع ذلك .

ووجه من خفض (ربنا) أنه أعربه على أنه نعت لله أو على

البدل . أهـ (٢)

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ٢٧٥ .

والبدور الزاهرة للشيخ / عبدالفتاح القاضي ص ٩٩ .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي محمد بن أبي طالب

القيسي ج ١ ص ٤٢٧ .

(٦٩) قال تعالى : (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا

يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) (١)

قال محمد بن جرير الطبري - رحمه الله تعالى :

واختلفت القراء في قراءة ذلك :

فقراءته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراقيين (يا ليتنا نرد

ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) بمعنى : يا ليتنا نرد

وأن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين .

وذكر عن بعض قراء أهل الشام أنه قرأ ذلك : (يا ليتنا نرد

ولا نكذب) بالرفع (ونكون) بالنصب كأنه وجه تأويله الى أنهم

يتمنوا الرد ، وأن يكونوا من المؤمنين ، وأخبروا أنهم لا يكذبون

بآيات ربهم ان ردوا الى الدنيا .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

واختلف أهل العربية في معنى ذلك منصوبا ومرفوعا

فقال بعض نحوي البصرة : (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من

المؤمنين) نصب ، لأنه جواب للتمني وما بعد (الواو) كما بعد

الفاء - قال : وان شئت رفعت وجعلته على غير التمني ، كأنهم

قالوا : ولا نكذب والله بآيات ربنا ونكون والله من المؤمنين ، هذا

(١) س - سورة الأنعام آية رقم ٢٧ .

إذا كان على ذا الوجه ، كان منقطعا من الأول .

قال والرفع وجه الكلام ، لأنه إذا نصب جعلها (واو) عطف
فاذا جعلها (واو) عطف فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذبوا وأن يكونوا
من المؤمنين .

قال : وهذا والله أعلم لا يكون لأفهم لم يتمنوا هذا إنما
تمنوا الرد وأخبروا أنهم لا يكذبون ويكونون من المؤمنين .

وكان بعض نحوي الكوفة يقول : لو نصب (نكذب) وتكون
على الجواب بالواو لكان صوابا ، قال : والعرب تجيب بالواو
وتم كما تجيب بالفاء يقولون (ليت لي مالا فأعطيك) ، (وليت لي
مالا وأعطيك) ، (وشم أعطيك) ، قال : وقد تكون نصبا على
الصرف (١) : كقولك : (لا يسعني شيء ويحجز عنك) .

وقال آخر منهم : لا أحب النصب في هذا لأنه ليس يتمنى
منهم إنما هو خبر ، أخبروا به عن أنفسهم ألا ترى أن الله تعالى
ذكره قد كذبهم فقال : (ولوردوا العادوا لما نهوا عنه ؟) وإنما
يكون التكذيب للخبر لا للتمنى .

(١) ذكر الفرا في كتابه معاني القرآن ١ : ٣٣ - ٣٤ ثم
قال (فان قلت : وما الصرف ؟ قلت : أن تأتي بالواو
معطوفا على كلام في أوله حادثة لا تستقيم اعادتها على ما عطف
عليها فان كان كذلك فهو الصرف كقول الشاعر :
لا تنه على خلق وتأتي مثله . عار عليك إذا فعلت عظيم
وقال : (ألا ترى أنه لا يجوز إعادة " لا " في " تأتي مثله ")
فلذلك صرفا إذا كان معطوفا ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث
الذي قبله (أهـ) .

وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب (بالواو) وبحرف غير الفاء وكان يقول : انما (الواو) ^{في} موضع الحال ، لا يسعى شيء ويضيق عنك (أى وهو يضيق عنك) قال : وكذلك الصرف في جميع العربية قال : وأما الفاء فجواب جزاء (وما قمت فمأنتيك) أى : لو قمت لأنتيك ، قال : فهكذا حكم الصرف (والفاء) قال : وأما قوله : (ولا نكذب) ونكون فانما جازلأنهم قالوا (يا ليتنا نرد في غير الحال التي وقفنا فيها على النار) فكان وقفهم في تلك فتعنوا أن لا يكونوا وقفوا في تلك الحال .

قال أبو جعفر :

وكان معنى صاحب هذه المقالة في قوله هذا : ولو ترى إذا وقفوا على النار ، فقالوا : قد وقفنا عليها مكذبين بآيات ربنا كفارا فإليتنا نرد اليها فنوقف عليها غير مكذبين بآيات ربنا ولا كفارا . ثم قال : وهذا تأويل يدفعه ظاهر القرآن وذلك قول الله تعالى ذكره : (ولورثوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فأخبر الله تعالى أنهم في قيلهم ذلك كذبة والتكذيب لا يقع في التمنى ولكن طاحب هذه المقالة أظن به أنه لم يتدبر التأويل ولزم سنن العربية .

قال أبو جعفر :

والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك : (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) بالرفع في كليهما بمعنى : يا ليتنا نرد

ولسنا نكذب بآيات ربنا ان رددنا ، ولكننا نكون من المؤمنين ،
على وجه الخبر منهم عما يفعلون ان هم ردوا الى الدنيا لا على
التمني منهم أن لا يكذبون بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين ، لأن
الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وأنهم كذبة غي قيلهم ذلك ، ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمني
لاستحال تكذيبهم فيه ، لأن التمني لا يكذب ، وانما يكون
التصديق والتكذيب في الأخبار .

وأما النصب في ذلك ، فاني أظن بقارئه أنه توخى
تأويل قراءة عبدالله التي ذكرناها عنه (١) وذلك قراءة ذلك :
(يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) على وجه
جواب التمني بالفاء ، وهو اذا قرئ بالفاء كذلك لا شك في صحة
اعرابه .

ومعناه في ذلك : أن تأويله اذا قرئ كذلك : لو أننا
رددنا الى الدنيا ما كذبنا بآيات ربنا ولكننا من المؤمنين .

(١) في المطبوعة : (فاني أظن بقارئه أنه برجاه تأويل
قراءة عبدالله) وقال محمود محمد شاكر : وهو كلام
غث ، وفي المخطوطة : أنه برجاه تأويل قراءة
عبدالله غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

فان يكن الذي حكى من حكى عن العرب من السماع الجواب بالواو ، و
(ثم) كهيئة الجواب بالفاء صحيحا ، فلا شك في صحة قراءة من
قرأ ذلك (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون) نصبا على
جواب التمني بالواو ، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء ، والا
فان القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ، ولست أعلم سماع
ذلك من العرب صحيحا ، بل المعروف من كلامها : الجواب بالفاء
والصرف بالواو . أهـ

أقول وباللهم التوفيق :-

ان المؤلف صرح بأن قراءة النصب في (ولا نكذب) و
(ونكون) من قوله تعالى (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين) ليست قراءة مرضية عنده مع أنها قراءة متواترة قرأ بها عدد
من القراء العشرة المشهورين في الأمصار حيث قال : والقراءة التي
لا أختار غيرها في ذلك (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من
المؤمنين) بالرفع في كليهما بمعنى : يا ليتنا نرد ولسنا نكذب
بآيات ربنا ولكننا نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون
ان هم ردوا الى الدنيا لا على التمني منهم أن لا يكذبوا بآيات ربهم
ويكونوا من المؤمنين) ثم علل رأيه بقوله : (لأن الله تعالى ذكره
قد أخبر عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم كذبه في قلوبهم
ذلك ولو كان قلوبهم على وجه التمني لاستحال تكذيبهم فيه لأن التمني

لا يكذب ، وإنما يكون التصديق والتكذيب في الأخبار .
هذا ومن المعلوم أن القراءة إذا ثبتت بطريق التواتر
لا يعارضها شيء من القياسات العقلية وقد عرفت هنا تواتر قراءة النصب
قراءة الرفع في هذين اللفظين الكريمين (ولا تكذب) ، (ونكون)
ومع ذلك فإنه قد أزال هذه الشبهة التي علق بقلب الشيخ حتى بدت على
قلبه أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) (١) حيث قال :

(فإن قلت : التمنى انشاءً والانشاء لا يدخله الصدق
والكذب فكيف جاء قوله تعالى " وأنهم لكاذبون " وظاهره أن الله
أكذبهم في تمنيهم قلت : فالجواب من وجهين :
أحدهما : أن يكون قوله : (وأنهم لكاذبون) اخباراً من الله أن
سجية هؤلاء الكفار هي الكذب فيكون ذلك حكايةً واخباراً عن حالهم في
الدنيا لا تعلق له بمتعلق القضي .

والوجه الثاني : أن هذا التمنى قد تضمن معنى الخبر
والحدة فإذا كانت سجية الانسان شيئاً ثم تمنى ما يخالف السجية وما
هو بعيد أن يقع منها صح أن يكذب على تجوز نحو ليت الله يرزقني مالا
فأحسن اليك وأكافئك على صنيعك ، فهذا متضمن في معنى الواعد
والمخبر فإذا رزقه الله مالا ولم يحسن الي صاحبه ولم يكافئه كذب وكان

(١) انظر البحر المحيط ج ٤ ص ١٠٢ .

تمنيه فى حكم من قال : ان رزقنى الله مالا كافأتك على احسانك
ونحو قول رجل شرير بعيد من أفعال الطاعات : ليتنى أحج وأجاهد
وأقوم الليل ، فيجوز أن يقال لهذا على تجوز كذبت أى أنت
لا تصلح لفعل الخير ولا يصلح لك .)

وأما قوله : (وأما النصب فى ذلك فانى أظن بقارئه أنه
توخى تأويل قراءة عبد الله لتي ذكرناها عنه وذلك قراءته ذلك :
(يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) على وجه
جواب التمنى بالفاء ، وهو اذا قرئ بالفاء كذلك لا شك فى صحة
اعرابه) .

فهذا ظن منه وما ينفع الظن مع اليقين لأن قراءة النصب
مع الواو يقين ، وتأويل قراءة عبد الله مع الفاء ظن مع ما عرفت من
قراءات عبد الله ، وحينئذ لا عبرة الى هذا الكلام لأنه يؤدى الى
أن القراءة يتوقف قبولها على قراءة عبد الله وغيره من الصحابة مع
أن أكثر قراءاتهم نسخت فى العرصة الأخيرة وبدلت وقد بينا ذلك
فى هذه الرسالة غير مرة .

وأما قوله رحمه الله تعالى : فان يكن الذى حكى من
حكى عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو ، وثم كهيئة الجواب
بالفاء صحيحا فلا شك فى صحة قراءة من قرأ ذلك (يا ليتنا
نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) نصبا على جواب

التمنى بالواو على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء ، والا فان القراءة
بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ، ثم قال : ولست أعلم سماع
ذلك من العرب صحيحا ، بل المعروف من كلامها : الجواب بالفاء
والصرف بالواو .

= فاعتبر هذا لما قرره سابقا لأنه قد فصل في ذلك آراء النحاة
حيث قال : واختلف أهل العربية في معنى ذلك منصوبا ومرفوعا :
فقال :

أن بعض البصريين ذهبوا الى أنه ينصب ما بعد الواو جوابا
للتمنى كما بعد الفاء .

وبعضهم خير بين أن يرفع ما بعد الواو ويجعل هعلى غير التمنى .
وقال الشيخ أيضا :

ان بعض نحوى الكوفة ذهبوا الى أن الصرب تجيب بالواو
وتم كما تجيب بالفاء يقولون (ليت لى مالا فأعطيك) (وليت لى مالا
وأعطيك) (وثم أعطيك) ولذلك قررت هذه الطائفة أنه لو نصب
(نكذب) و (نكون) على الجواب بالواو لكان صوابا .

وقال الشيخ :

ان بعض الكوفيين كان ينكر الجواب بالواو ويحرف غير الفاء
وبعد هذا التفصيل الذى قام به من الآراء كيف يدعى عدم السماع بقوله

(ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحا بل المعروف من كلامها
الجواب بالفاء والصرف) . . ومع أن جمهور النحاة اتفقوا على أن الجواب
بالواو كالجواب بالفاء إلا طائفة من الكوفيين ولذلك قال ابن مالك في
ألفيته : (١)

والواو كالفا ان تفد مفهوم مع . . كلا تكن جلدا وتظهر الجوز
ثم قال نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني الشافعي
عند شرح هذا البيت :

وقد سمع النصب مع الواو في خصمة مما سمع مع الفاء :

الأول : النفي نحو قوله تعالى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين) .

الثاني : الأمر نحو قوله (٢) : والقائل دثار بن شيان النمري أحد بني النصر
بن قاسط :-
فقلت ادعى وادعو ان أندى . . الصوت أن ينادى داعيان
والثالث : النهي نحو قوله : (٣) والقائل أبو الأسود الدؤلي .

لا تنه عن خلق وتأتى مثله . . عار عليك اذا فعلت عظيم
والرابع الاستفهام نحو قوله : (٤)

أتبت ريان الجفون من الكرى . . وأبيت منك بلية المسلسوع

(١) أنظر حاشية الصبان ج ٣ ص ٣٠٦ .

(٢) من كلمة عدة أبياتها ثلاثة عشر بيتا - وأماله أبو السعادات بن الشجري -
انظر منحة الجليل ٥٥٣/٢

(٣) ونسبه ياقوت (معجم البلدان ٣٨٤/٧) وأبو الفرج (الأغانى ٢٣٩/١١)

(٤) للمتوكل الكنانى .

والخاص : التمنى نحو قوله تعالى : (يا ليتنا نرد ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) فى قراءة حمزة ، وحفص ، وابن عامر .
ثم قال الأشمونى وقسى والباقى : وهو الدعاء والجرى والتحضيض
والترجى :

وأما قوله : بل المعروف من كلامها الجواب بالفاء والصرف فليس
الصحيح على هذا الاطلاق ، بل الكوفيون هم الذين يسمون هذا الواو
واو الصرف وهذا اصطلاح أهل الكوفة مع اعتراف أكثرهم الجواب بها .
وقوله : (فان يكن الذى حكى من حكى عن العرب من السماع
منهم الجواب بالواو و (ثم) كهيئة الجواب بالفاء صحيحا فلا شك
فى صحة قراءة من قرأ ذلك بالنصب الى قوله : والا فان القراءة بذلك
بعيدة المعنى) .

== يدل على أن القراءة ليس مدارها التوقيف بل تخضع لقانون النحاة
فما وافقه منها قيل وما لم يوافق رد ، وهذا يعتبر طعنا فى كلام
الله الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد) .

أقول وبالله التوفيق :-

ان الحق أن هاتين القراءتين يعنى قراءة النصب والرفع فى
(ولا نكذب) و (ونكون) قراءتان متواترتان ثابتتان عن النبى
صلى الله عليه وسلم لا مزية لاحداهما على الأخرى ويجب على كل مسلم

اعتقاد ذلك .

بيان أصحاب هاتين القراءتين :

فالذين يقرأون بنصب (ولا نكذب) و (ونكون) :

حمزة ، ويعتوب ، وحفص ، ووافقهم ابن عامر في (ويكون) .

وقرأ باقي العشرة برفعهما . (١)

توجيه هاتين القراءتين :

فوجه من نصب أنه جعل الفعلين جواباً للتمنى لأنه غير

واجب ليكونا داخلين في التمنى على معنى أنهم تمنوا الرد ، وترك

التكذيب والكون من المؤمنين والنصب باضمار (ان) كما تنصب في

جواب الاستفهام والأمر والنهي والعرض لأن جميعه غير واجب .

فينصب الجواب مع الواو كأنه عطف على مصدر الأول ، كأنهم

قالوا : يا ليتنا يكون لنا رد اختقاه من التكذيب وكون من المؤمنين .

ووجه من رفعهما أنه عطفهما على نرد فيكون قوله (ولا نكذب)

و (ونكون) داخلين في التمنى تمنوا ثلاثة أشياء على ما ذكر

(١) أنظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٥٧ .

والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ /

عبد الفتاح القاضي ص ٩٩ .

ويجوز أن يرفع على أن يقطع من الأول على تقدير: يا ليتنا نرد ونحن
لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . (١)

ووجه من رفع (نكذب) ونصب (ونكون) أنه رفع الأول على
أحد الوجهين المذكورين المتقدمين على أن يكون داخلًا في التمني
فيكون الرفع كالنصب ، ونصب (ونكون) على جواب التمني . أهـ

... ..

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٧٠) قال تعالى (اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهله ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

(واختلفت القراء في قراءة ذلك :

فقرأته عامة قراء المدنيين (أنه من عمل منكم سوءا) فيجعلون

أن منصوبة على الترجمة بها عن الرحمن ، ثم تاب من بعده وأصلح

فانه غفور رحيم ، على اثناف انه بعد الفاء فيكسرونها ويجعلونها

أداة لا موضع لها بمعنى فهو له غفور رحيم أو فله المغفرة والرحمة .

وقرأها بعض الكوفيين بفتح الألف منهما جميعا بمعنى - :

كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم ترجم بقوله : أنه من عمل منكم سوءا بجهالة

عن الرحمة فانه غفور رحيم ، فيعطف فانه الثانية على أنه الأولى ويجعلها

اسمين منصوبين على ما بينت .

وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء أهل العراق من الكوفة

والبصرة بكسر الألف من (انه وفأنه) على الابتداء وعلى أنهما

أداتان لا موضع لهما .

(١) سورة الأنعام آية رقم ٥٤ .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى رحمة واسعة :

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأها بالكسر
(كتب ربكم على نفسه الرحمة) ثم استؤنف الخبير عما هو فاعل تعالى
ذكرة بمن عمل سواها بجاهلة ثم تاب وأصلح منه . أم (١) المراد من
كلام الشيخ .

القول وباللسه التوفيق :-

انه ليس هناك قراءة أصوب من الأخرى طالما علم تواتر الجميع
عند علماء هذا الشأن المتخصصين بها ، بل كلها صواب من غير
تفاوت بينهما في ذلك ، ولكن الشيخ ذهب الى تصويب احسدى
القراءات على غيرها هنا ولذلك قرر أن قراءة كسر الهمزة من الحرفيين
أصوب من قراءة فتح الهمزة ومن فتح الأولي وكسر الثانية حيث قال :
(وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأها بالكسر
" كتب ربكم على نفسه الرحمة انه " على ابتداء الكلام وأن الخبر
قد انتهى عند قوله " كتب ربكم على نفسه الرحمة ") الخ .

ولا شك أن هذا الصنيع يعتبر مخالفة لما كان عليه السلف الصالح
حيث ان مذاهبهم عدم تفضيل قراءة على أخرى اذا ثبت تواتر الجميع
كما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا بيان ذلك غير

(١) أنظر جامع البيان للطبري ج ٧ - ٨ ص ١٣٣ م خ ج ١١
ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

مرة فلاحاجة الى الاعادة هنا .

أصحاب هذه القراءات التي وجهها الشيخ ههنا كالاتى :

فالذين يقرأون بفتح همزة انه الأولى وكسر الثافية من قوله تعالى

(واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه

الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه

غفور رحيم) . : نافع بن نعيم ، وأبو جعفر المدنيان .

والذين يقرأون بفتح الهمزة منهما جميعاً : ابن عامر الشامي ،

ويعقوب ، وعاصم الكوفى .

وفى توجيه القراءة هنا قصور من الشيخ حيث قال : وقراءهما

بعض الكوفيين . . ألخ ، مع أن الذين يقرأون هذه القراءة ليس بعض

الكوفيين فقط بل مع عاصم الكوفى الذى عناه بالبعض ابن عامر الشامي ،

ويعقوب البصرى الحضرمي . . فليظن ذلك .

والذين يقرأون بسكر الهمزة فيهما : ابن كثير المكي ، وأبو عمرو

البصرى ، وحمزة ، والكسائى ، وخلف العاشر . (١)

توجيه هذه القراءات :

(١) أنظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٥٨ ،

والبدور الزاهرة للشيخ / عبدالفتاح القاضى ص ١٠١ .

وقد وجه الشيخ نفسه رحمه الله تعالى هذه القراءات توجيهها

بلائم معانيها وكذلك وجه بعض العلماء توجيهها طيبا :

فوجه من كسرهما أنه جعل أن الأولى تفسيرا للرحمة فسرهما

بالجملة التي بعدها ، والثانية خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير فسى

قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) ثم ابتداء بقوله : انه وعطف الثانية

عليها .

ووجه من فتح الأولى وكسر الثانية أنه جعل أن الأولى بدلا

عن الرحمة على بدل الشيء من الشيء ، والثانية كسرت على الابتداء

لأن ما بعد الفاء مستأنف .

ووجه من فتحها أنه جعل الأولى بدلا من الرحمة ، والثانية

خبر مبتدأ محذوف تقديره فأمره غفرن الله . (١) .

(١) أنظر الحجة في القراءات السبع لابن خالوية ص ١٣٩-١٣١ والكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي ج ١ ص ٤٣٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان ج ٤ ص ١٤٠-١٤١ .

(٧١) قال تعالى : (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل

المجرمين) (١) .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

واختلفت القراءة في قراءة قوله (ولتستبين سبيل المجرمين) :

فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (ولتستبين سبيل المجرمين)

بنصب السبيل على أن (تستبين) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

كأن معناه مفئدهم : ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين .

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين (ولتستبين) بالتاء

(سبيل المجرمين) برفع السبيل على أن القصد للسبيل ولكنه يؤنثها

وأن معنى الكلام عندهم : وكذلك نفصل الآيات وللتضح لك وللمؤمنين

طريق المجرمين .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة : (وليستبين) بالياء

(سبيل المجرمين) برفع السبيل على أن يفعل للسبيل ولكنهم يذكرونه

ومعنى قراءة هؤلاء في هذا الكلام ومعنى من قرأ ذلك بالتاء فبى

(لتستبين) ورفع السبيل واحد ، وإنما الاختلاف بينهم في تذكير

السبيل وتأنيثها .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

(١) سورة الأنعام آية ٥٥ .

وأولى القراءتين بالصواب عندى فى (السبيل) الرفع لأن الله تعالى ذكره فصل آياته فى كتابه وتنزيله ليبين الحق بها من الباطل جميع من خوطب بها لا بعض دون بعض .

ومن قرأ (السبيل) بالنصب فانما جعل تبين ذلك محصورا على النبى صلى الله عليه وسلم . أهـ المراد من كلام الشيخ رحمه الله (١)

أقول وبالله التوفيق :-

انه قد بدا لك حكم تصويب القراءة على أخرى مع كونهما متواترتين من أن مذهب السلف على المنع من ذلك مما سبق أن بيناه .

وأضافة الى ذلك قد ذهب الشيخ الى ما هو أعجب مما سبق

حيث سوى بين النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من أمته فى تبين الحق الذى يفهم من تفصيل الآيات التى أنزل المولى على نبيه صلى الله عليه وسلم حتى جعل هذا العجب دريعة لانكار قراءة متواترة حيث قال :

(وأولى القراءتين بالصواب عندى فى " السبيل " الرفع) ثم

ذكر سبب ذلك فقال : (لأن الله تعالى ذكره فصل آياته فى كتابه

وتنزيله ليبين الحق بها من الباطل جميع من خوطب بها لا بعض

دون بعض ، ومن قرأ " السبيل " بالنصب فانما جعل تبين ذلك محصورا على النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) أنظر جامع البيان للطبرى ج ٧-٨ م ط ص ١٣٤ ج ١١ م خ
ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

ولا شك أن هذا الكلام الذى ذكره الشيخ هنا ليكون له حجة
لما ذهب اليه من انكار قراءة نصب " السبيل " مصادم لما فى كتاب
الله الذى قرر أن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم تبين ما أنزل
الله اليه من آيات كتابه للخلق ، حيث قال الله تعالى : (وأنزلنا
اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (١)
وأما تسوية الناس به فى ذلك مخالف لما فى هذا النص الكريم
فمن فهم الحق من كتاب الله فانما هو من طريق البيان الذى قام به
النبي صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة بعده وهكذا لأن السنة
شارحة لما أجمل فى كتاب الله فكيف تعرف عدد ركعات الصلوات
المكتوبة لو لم يتول شرح ذلك عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقد ذهب العلماء الى أن القراءة بمنزلة الآية فحينئذ هذه
القراءة التى ذهب الشيخ الى مرجوحيتها أفادت ما ليس فى القراءة
الأخرى وذلك أن الأمة تبين لهم طريق الحق من طريق المجرمين
بعد ما بينه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .
وهذا التوفيق الذى وفقنا به بين القراءتين هو الحق الذى
لا محيد عنه والا تترتب على ذلك حصول المساواة بين سيد

(١) سورة النحل آية ٤٤ .

الخلق وغيره من أفراد الأمة في معرفة الحق وفهم أسرار كتاب الله
وقد علم مما ذكرنا أن هاتين القراءتين كليهما صواب لا تكون احداهما
أصوب من الأخرى لأنهما قراءتان متواترتان من عند الله .

بيان أصحاب هاتين القراءتين من القراء العشرة :

فالذين يقرأون بتاء الخطاب ونصب لام سبيل من قوله

تعالى " ولتستبين سبيل المجرمين) نافع وأبو جعفر المدنيان كما

سبق .

والذين يقرأون بالياء ورفع لام (سبيل) : شعبة ،

وحمزة ، والكسائي ، وخلف العاشر .

والذين يقرأون بالتاء والرفع : الباقيون من العشرة .

والتوجيه قد وجه الشيخ بما فيه الكفاية لولا تعرضه لتفضيل

احدى القراء على أخرى - والله أعلم . (١)

(١) أنظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ١٠١

والنشر في القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٧٣) قال تعالى : (قل انى على بينة من ربي وكذبتم بشه
ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقضى الحق
وهو خير الفاصلين) (١)

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى :

واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى : (يقضى بالحق)
فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء أهل الكوفة والبصرة :
(ان الحكم الا لله يقضى الحق) بالصاد بمعنى القصص وتأولوا في
ذلك قول الله تعالى ذكره : (نحن نقص عليك أحسن القصص) سورة
يوسف رقم الآية ٣

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة والبصرة : (ان الحكم الا لله
يقضى الحق) بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(واعتبر واضحة ذلك بقوله (هو خير الفاصلين) وأن

الفصل بين المختلفين انما يكون بالقضاء لا بالقصص) .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا

لأهلها من العلة ، فمعنى الكلام : اذا ما الحكم فيما تستعجلون

(١) سورة الأنعام آية ٥٧ .

به أيها المشركيون من عذاب الله ، وفيما بينى وبينكم الا الله الذى لا يجوز فى حكمه وبيده الخلق والأمر يقضى الحق بينى وبينكم وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه) أهـ المراد من كلام الشيخ فى توجيهه هاتين القراءتين . (١)

أول وبالله التوفيق :-

وقد ذكر الشيخ هنا فى توجيه هاتين القراءتين أن القراءة بسكون القاف وكسر الضاد المعجمة فى هذا اللفظ الكريم أصوب من القراءة بضم القاف وضم الصاد المهملة مشددة مع كون القراءتين متواترتين مشهورتين عند علماء هذا الشأن .

ولا شك أن هذا المذهب الذى تبناه الشيخ وكرره فى مواضع كثيرة من هذا التفسير عند تعرضه لتوجيه القراءات خلاف مذهب السلف ولذلك لا عبرة له مهبط حشد الحجج لتأييده لأن القراءات مدارها التوقيف والتواتر والتلقى من أفواه أهلها منذ نزول القرآن الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فلا تخضع لشيء من هذه العلل كما ذكرنا غير مرة .

فاذا ثبت تواترها فلا يجوز لأحد أن يتعرضها بالطعن فيها

(١) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ج ٧ - ٨ ص ١٣٥ -

١٣٦ م ط م خ ج ١١ ص ٣٩٩ .

باجراء المقارنة بين القراءتين أو لقراءات حتى يترتب على ذلك تفضيل
قراءة على أخرى .

ومع ذلك فقد ذهب الشيخ الى تصويب احدى القراءتين دون
أختها وتفضيل احدهما على الأخرى حيث قال بعد ذكر القراءتين
مصوبا ومفضلا قراء (يقض) بسكون القاف وكسر الصاد المعجمة المخفضة
على قراءة (يقس) بضم القاف وضم الصاد المهملة المشددة ، (وهذه
القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لأهلها من العلة) .

وهذه العلة التي ذكرها لأهل هذه القراءة هي قوله :
(واعتبروا صحة ذلك بقوله " وهو خير الفاصلين " وأن الفصل بين
المختلفين انما يكون بالقضاء لا بالقصص ، وهذا رأى وجيه لو كانت
القراءات من المسائل التي تخضع للقياس والرأى والاجتهاد ، وهيئات
ذلك لأن القراءات مبناها التلقى والمشافهة .

وحينئذ فهذه العلة التي علل بها لآية لا تكون حجة لما ذهب
اليه لأن القراءة أيضا بمنزلة الآية ولا تعارض بين آيات الله قطعا ،
ولذلك قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافنا
كثيرا) ولا يوجد في كلام الله اختلاف ولا تعارض ولا تضاد بل يؤيد
بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا .

وعلى ذلك فالقصص مأخوذ من التبع فمن تتبع الشئ وتصوره
وصل الى حقيقته وواقع أمره ، ولذا قال الأصوليون : الحكم على الشئ
فرع عن تصوره .

فمن هنا نعرف أن هاتين القراءتين تفسر بعضهما بعضاً
وتؤكد والمعنى على ذلك : فالله سبحانه وتعالى ^{حليم} لا يعجل يتتبع الحق
ويخبره ويبيئه لمباده ويحكم بينهم ويفصل بين الحق والباطل بحكمه
فالقراءتان اذا لا تفاوت ولا تعارض بينهما بل بينهما ارتباط وثيق ،
ولكن حصل ذلك من الشيخ خطأ عفا الله عنا وعنهما بفضله وكرمه .

وأما قوله : (واعتبروا صحة ذلك بقوله " وهو خير الفاصلين ")
فضلا أن يكون له حجة في معارضة هذه القراءة المتواترة فإنه يتضمن أن
القراءة الثانية غير صحيحة ، وهذا خلاف الحق لأل القراءة اذا علم
تواترها لا يشك في صحتها أبداً .

ومن المعلوم أن هذا الرأي الذي يردده في هذا التفسير
العظيم عند توجيه القراءات رأى انفراد به ولم يوجد من العلماء الموجهين
من ذهب الى أن احدى القراءات المتواترة أصوب وأفضل من الأخرى
اللهم الا أن بعض المفسرين وبعض النحاة الذين لا يعرفوا حقيقة القراءات
عارضوا ببعض القراءات وادعوا أنها لا توافق اللغة الفصحى لجهلهم
الواقع في هذا الموضوع الذي لا دخل للاجتهد فيه .

وأما الوقوف عند كل قراءة وباجراء المقارنة بين القراءتين والأخرى
أن أحدهما أصوب أو الاقرار أن أحدهما أصوب والأخرى خطأ فهذا
مما انفرد به فيما علمت عفا الله عنا وعنهما .

وغاية ما في الأمر أنه وجد من بعض أصحاب كتب التوجيه من
يقول : ان هذه القراءة اختيار فلان فاذا كان قوله هذا مراداً به

اختيار ملازمة وشهرة واقراء فليس فيه شيء ~~من~~ شأن القراءة المقابلة
بها .

وأما اذا كان قصد القائلين بهذا أن هذه القراءة مختارة
من بين القراءات الأخرى فقد أخطأوا الصواب لأن الصواب في ذلك
تصويب جمهور القراءات على حد سواء كما ثبت ذلك عن سيد الخلق
محمد صلى الله عليه وسلم ولنا أسوة به في جميع ما نفعله ونتركه
امثالاً لقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (١)

بيان أصحاب هاتين القراءتين من القراء العشرة :

فالذين يقرأون بالصاد المهمة المشددة من القصص هم ج :

أبو جعفر ، ونافع المدنيان ، وابن كثير ، وعاصم (يقص) .

والذين يقرأون باسكان القاف وكسر الضاد المعجمة من القضاء

الباقون من العشرة ، وقد عرفتهم سابقاً ، ويقف هؤلاء بحذف الياء

باجراء للوقف مجرى الوصل واكتفاء بالكسرة عند الياء الا يعقوب فيقف

بأشبات الياء على أصله .

(١) سورة الاحزاب آية ٢١ .

(٧٤) قال تعالى : (واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على

العالمين) (١).

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

واختلفت القراء في قراءة اسمه :

فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (واليسع) بلام واحدة مخففة .

وقد زعم قوم أنه (يفعل) من قول القائل (وسع يسع) ولا تكاد

العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة - أعنى على

ويفعل - لا يقولون : (رأيت اليزيد) ولا أتانى اليحیی

ولا مررت باليشكر ، الا في ضرورة شعر وذلك أيضا اذا تجرى به المدح

كما قال بعضهم : (٢)

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا . . شديدا باحنا الخلافة كاهله

فأدخل في (اليزيد) الألف واللام وذلك لادخاله اياهما في الوليد

فأتبعه (اليزيد) بمثل لفظه .

(١) سورة الأنعام آية ٨٦ .

(٢) هو بن ميادة من شعر مدح فيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وقبل البيت - هممت بقول صاق أن أتوله وانسى على رغم العدو لقائله ، وبعده : أضاء سراج الملك فوق جبينه غدات تناجى بالنجاح قوايله .

وفي احدى الرواية (بأعباء الخلافة) أه من تعليق بن شاکر.

وقرأ ذلك جماعة من الكوفيين : (وللسع) بلامين وبالتشديد

وقالوا : اذا قرئ كذلك كان أشبه بأسماء المعجم وأنكروا التخفيف

وقالوا لا نعترف فى كلام العرب اسما على (يفعل) فيه ألف ولام .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (والصواب من القراءة

فى ذلك عندى قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة لا جماع أهل الأخبار

على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد مع أنه اسم أعجمى

فينطق به على ما هو به وانما يعلم دخول الألف واللام فيط جاء من

أسماء العرب على (يفعل) ، وأما الاسم الذى يكون أعجميا فانما

ينطق به على ما سماوا به فان غير منه شئ اذا تكلمت العرب به فانما

يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان .

و (اللسع) اذا شدد لحقنه زيادة لم تكن فيه قبيل

التشديد وأخرى ، أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه

قال : اسمه (ليسع) فيكون مشدادا عند دخول الألف واللام

اللتين تدخلان للتعريف . (أه المراد من كلام الشيخ (١) .

أقول وبالله التوفيق :-

وقد ذهب الشيخ الى أن لقراءة (واليسع) بيا واحدة

(١) أنظر جامع البيان للطبرى ج ٧ - ٨ ص ١٧٣ م ط ج ١١

مخفضة صواب دون قراءة (والليسع) بلامين وبالثشد يد ثم علل رأيه من اسمه دون التشديد مع أنه اسم أعجمي فينطق به على ما هو به مع كون القراءتين متواترتين .

والواجب اذا كان الأمر كذلك عدم الذهاب الى مثل ما ذهب اليه من أن احدى القراءتين صواب دون الأخرى ، وهذا يـدل دلالة واضحة على أن القراءة الثانية غير صواب - يعنى قراءة التشديد وبلامين - حيث قال : والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه بلام واحدة مخفضة) .

ولا شك أن هذا انكار صريح لقراءة اللامين والتشديد فى (والليسع) وقد عرفت أن انكار القراءة المتواترة من المكفرات التى تكسر القائل اذا تعمد ذلك وهيهات أن يتعمد الشيخ ذلك ، وفلكنه وقع ذلك نسيانا وظنا منه أن الملل التى تثار حول ذلك تبيح للانسان التصويب - عفا الله عنا وعنه .

وأما دعواه أن أهل الأخبار أجمعوا على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد مع أنه اسم أعجمي فينطق به على ما هو به فلا وجه له لأن الاجماع لا يعارض القرآن الكريم ، وأين الاجماع الذى يدفع القرآن حتى يسقط كلام الله به ؟

وقوله : مع أنه اسم أعجمي فينطق به على ما هو به فلا يسلم

له على هذا الاطلاق لأنه اختلف فيه هل هو عربى أو أعجمي .

كما ذكر أبو حيان في كتابه (البحر المحيط) ج ٤ ص ١٧٤
حيث قال : (واختلف فيه أهو عربي أم عجمي ز فأما على قراءة
الجمهور وقول من قال انه عربي فهو مضارع سمي به ولا ضمير فيه
فأعرب ثم نكر وعرف بأل وقيل سمي بالفعل كيزيد ثم أدخلت فيه
أل زائدة شذوذا كاليزيد ولزمت كما لزمت في الآن ، ومن قال
انه أعجمي فقال زيدت فيه أل ولزمت شذوذا ، ومن نص على زيادة
أل في (اليسع) أبو على الفارسي .

وأما على قراءة الأخوين فزعم أبو على أن أل فيه ^{كهي} في الحرث
والعباس لأنهما من أبنية الصفات لكن دخول آل فيه شذوذ عـ
ما عليه الأسماء الأعجمية إذ لم يحيى فيها شيء على هذا الوزن كما
لم يحيى فياش فيه أل للتعريف . أهـ

وحيث فلا عبرة للملل التي جعلها الشيخ حجة في معارضة
هذه القراءة المتواترة لما ذكرنا آنفا .

وأما قوله رحمه الله تعالى : (وانما يعلم دخول " الألف
واللام " فيما جاء من أسماء العرب على " يفعل " ، وأما الاسم الذي
يكون أعجميا فانما ينطق به على ما سموا به ، فان غير منه شيء إذا
تكلت العرب به فانما يفسر بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيسه
ولا نقصان و (اليسع) إذا شدد لحقته زيادة لم تكن فيه قبـ
التشديد وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال
اسمه (اليسع) فيكون مشددا عند دخول الألف واللام اللتين تدخلان

للتصريف) . فلا يلتفت اليه لأمر :

الأمر الأول : -
~~~~~

أن هذا اللفظ الكريم ثبت بطريق التواتر الذي لا شك فيه  
وإذا ثبتت القراءة بطريق التواتر فلا يعارضها شيء البتة ، وعلم من  
ذلك أن النطق به على هذا اللفظ صواب كالقراءة الثانية أختها .

والأمر الثاني : -  
~~~~~

أن هذا اللفظ الكريم (والليسع) لم يقطع بأنه أعجمي بـل
اختلف فيه كما سبق وان كان الأمر كذلك فقطع الشيخ بأن هذا الاسم
أعجمي حيث قال : (وأما الاسم الذي يكون أعجميا فانما ينطق
به على ما سموا به . . ألخ) فلا وجه له لما ذكرنا .

وقوله : (وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا
أنه قال : اسمه (ليسع) فيكون شديدا عند دخول الألف والسلام
. . ألخ) معارض لما قرره قبل حيث قال (والليسع) اذا شدد
لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد ، مع وجود أهل العلم الذين
نفى الشيخ نطقهم هذا للفظ قبل التشديد مثل مكى بن أبى طالب
وابن خالوية وأبى حيان .

أضف الى ذلك كله أن مذهب السلف اذا تواترت القراءة يحرم
القول بعدم صوابها فليفتن ذلك تماما .

ومغلاصة القول في هاتين القراءتين أنهما قراءتان متواترتان
كلمتها حق وصواب بدون تفضيل احداهما على الأخرى ، وجميع الشبه
التي تثار حول هذه القراءات هما منشورا ، وغبار ورماد هبت بسببه
الرياح .

أصحاب هاتين القراءتين من العشرة :

فالذين يقرأون (واليسع) حمزة ، والكسائي ، وخلف
العاشر بلام مشددة مفتوحة وبعدها يا ساكنة .
والذين يقرأون بلام واحدة خفيفة ساكنة وبعدها يا مفتوحة
الباقون من العشرة . (١)

توجيه هاتين القراءتين بالاجاز :-

~~~~~

فوجه من قرأ باسكان اللام وفتح الياء ( واليسع ) أن الاسم  
كان قبل دخول اللام عليه ( يسع ) ثم دخلت عليه الألف واللام فشاكل  
من الأسماء قول العرب ( اليحمد ) اسم قبيلة ، فدخولها على ذلك  
عند الكوفيين للمدح والتعظيم .

ودخولها عند البصريين على ما كان في الأصل صفة ثم نقل  
الى التسمية كتولهم الحارث ، والعباس ، فعلى هذا ان كان  
( يسع ) عربيا فأصله ( يوسع ) سقطت منه الواو لوقوعها بين ياء

---

(١) البدور الزاهرة ٨ ص ١٠٤ .

وكسرة ثم دخلت عليه الألف واللام وان كان اعجميا لا يعرف اشتقاقه

فوزنه ( فعل ) الياء فيه أصل دخلت عليه الألف واللام .

ووجه من قرأ باللامين والتشديد أن وزنه عنده فيعمل مثل

( صيرف ) وأصله ليسع فاللام فيه أصل والياء زائدة فاذا دخل

لام التعريف وهي ساكنة ادغمت في المتحركة فصارتا لا ما مشددة .

... ..

(٧٥) قال تعالى : ( وما قدر والله حق دزة اذ قالوا ما أنزل

اللهملى بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به

موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون

كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم

فى خوضهم يلعبون ) (١)

قال محمد بن جرير الطبرى - رحمه الله تعالى :

بعد أن وجيه هذه الحروف جعلونه ، يبدونها ويخفون :

والأصوب من القراءة فى قوله : ( يجعلونه قراطيس يبدونها

ويخفون كثيرا ) أن يكون بالياء لا بالتاء على معنى أن اليهود يجعلونه

قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ، ويكون الخطاب بقوله : ( قل من

أنزل الكتاب ) لمشركى قريش ، وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد

ان شاء الله فى تأويل ذلك ، وكذلك يقرأ . . الخ .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

فمن قرأ ذلك ( تجعلونه ) جعله خطابا لليهود على ما

بينت من تأويل من تأول ذلك كذلك .

ومن قرأه بالياء ( يجعلونه ) فتأويله فى قرأته : يجعله

أهله قراطيس وجرى الكلام فى يبدونها بذكر القراطيس والمراد منه

---

(١) سورة الأنعام آية ٩١ .

المكتوب في القراطيس يزداد : يبدون كثيرا مما يكتبون في القراطيس فيظهرونه للناس ويخفون كثيرا مما يثبتونه في القراطيس فيسرونه ويكتمونهم الناس . أم المراد من كلاب أبي جعفر . (١)

### أصول وبالله التوفيق :-

قد استخدم الشيخ رحمه الله تعالى صيغة أفعل التفضيل عند توجيه هذه المقارنات في المقارنة بينها حيث قال : ( والأصوب من القراءة هي قوله " يجعلونه قراطيس بيدونها ويخفون كثيرا " أن يكون بالياء لا بالتاء . )

ومن المعلوم أن المعنى الذي وضعت له هذه الصيغة المقارنة بين شيئين اشتركا في الأمر وزاد أحدهما على الآخر في الرسم مثال ذلك : زيد أعلم من بكر ، ومضمون هذا التركيب أنهما اشتركا في العلم وزاد زيد على بكر فيه لأن زيد هو المفضل وبكر مفضل عليه واستعمال هذا الأسلوب في المقارنة بين المقارنات المتواترة يعتبر خروجاً عن الصواب ويعتبر أيضاً إثارة الشبهة حول كتاب الله الذي ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) .

وجميع الحجج التي يحتج بها كل من سلك هذا السبيل لا عبرة لها لأن المقارنات أمر توقيفي لا سبيل للرأي والاجتهاد فيه ، ولذلك

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ج ٧ - ٨ ص ١٧٨ م ط ج ١١



فلا يلتفت الى هذه الحجج مهما قوى جانبها .  
ومن هنا نعرف أن القراءة بالتاء والياء في هذه الألفاظ الثلاثة  
( يجعلونه ، يبديونها ، وتخفون كثيرا ) كلها متواترة سواء لا فضل  
لاحدهما على الأخرى ، ومن اعتقد غير ذلك فقد مال عن طريق الحق  
فعليه أن يتوب الى الله توبة نصوحا .

ولم يسلك هذا الصلك الذى سلكه الشيخ العلماء الموجهون  
الذين وجهوا القراءات ولكن نظروا الى هاتين القراءتين بمين واحدة  
وهذا هو الحق الذى لاحق غيره هنا .

واليك ما كتبه ابن خالويه فى كتابه (١) ( الحجة ) حيث قال :  
( فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده الى قوله " للناس يجعلونه . . ألخ " )  
والحجة لمن قرأه بالتاء أنه جعل الخطاب للحاضرين ،  
ودليل قوله ( علمتم ) ولم يقل وعلموا وهذا توجيه سليم  
يوجه كل قراءة الى المعنى الذى يناسبها .

بيان أسماء القراء العشرة فى هاتين القراءتين : (٢)  
فالذين يقرأون بالياء فى هذه الألفاظ الثلاثة : عبد الله بن كثير  
المكي ، وأبو عمرو البصرى .

والذين يقرأون بالخطاب فى الثلاثة الباقون من القراء العشرة .

---

(١) أنظر الحجة لابن خالويه ص ١٤٥ .

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٥١

والبدور الزاهرة ص ١٠٤ .

(٧٦) قال تعالى : ( انظروا الى ثمره اذا أثمر

ان فى ذلك لكم لآيات لقوم يؤمنون ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء فى قراءة ذلك :

فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة : ( انظروا

الى ثمره ) بفتح التاء والميم .

وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قراء الكوفيين : ( الى ثمره )

بضم التاء والميم .

فكان من فتح التاء والميم من ذلك وجه معنى الكلام : انظروا الى

ثمر هذه الأشجار التى سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان

اذا أثمر ، وأن الثمر جمع ثمرة ، كما لقصب جمع قصبة ، والخشب جمع

خشبة .

وكان من ضم التاء والميم وجه ذلك الى أن<sup>جمع</sup> ثمار ، كما أن

الحمر جمع حمار ، والجرب جمع جراب .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ :

( انظروا الى ثمره ) بضم التاء والميم لأن الله جل ثناؤه وصف أصنافا من

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٩ .

المال كما قال يحيى بن وثاب وكذلك حب الزرع المتراكب وقنوان النخل  
الدانية والجنات من الأعناب والزيتون والرمان فكان ذلك أنواعا من  
التمر فجمعت الثمرة ثمرا ثم جمع الثمر ثمرا ثم جمع ذلك ففيل :  
( انظروا الى ثمره ) فكان ذلك جمع الثمار ، والثمار جمع الثمر  
أه المراد من كلام الشيخ رحمه الله تعالى . (١)

### أقول وبالله التوفيق : -

انه قد بدا لك مما سبق من الردود التي تناولناها أن تفضيل  
القراءة على أختها الا يجوز البته طالما ثبت تواترها .  
وأنا تذكرنا أن العامل الذي دفع الشيخ على ذلك محاولة  
المقارنة بين القراءتين أو القراءات من حيث تحليلها وتوجيهها الى  
المعاني التي تتناسب مع السياق .  
وعرفت أن ذلك لا يكون مهرا له لفض شأن القراءة التي فضل  
أختها عليها وذلك أن القراءتين بمنزلة واحدة لا مزية لاحدهما على  
الأخرى كما هو مذهب السلف .  
وأما ما ذكره الشيخ في تأييد ما ذهب اليه من العلل بقوله :  
( لأن الله جل ثناؤه وصف أصنافا من المال كما قال يحيى بن وثاب :  
وكذلك حب الزرع المتراكب وقنوان . . الخ )

---

(١) أنظر جامع البيان للطبري ج ٧ - ٨ م ط ص ١٩٦ ج ١١

لا وجه له في ذلك لأن أقوال العلماء في ذلك متضاربة - فمنهم

من ذهب إلى أن الثمرة تجمع على ثمر وعلى ثمر وهو سليمان بن عمير

العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (١) .

ومنهم من ذهب إلى أن الثمر يضم الثاء والميم جمع ثمرة

وبفتحها اسم جنس جمعى وهو صاحب البحر المحيط . (٢)

ومنهم من تردد فذهب تارة إلى أن الثمر يضم الثاء والميم

جمع الجمع ، وتارة جمع ثمرة وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) (٣)

ان الثمر بفتح الثاء والميم يصلح جمعا لثمرة

كما أن الثمر بضمها يصلح جمعا لها أو أن الثمر بفتحها اسم جنس

فليس هناك تارق في مدلولهما حتى تفضل قراءة على أخرى بسبب ذلك .

والحق الذي لا محيد عنه أن القراءتين متواترتان لا فضل

لا حداهما على الأخرى .

وأيا ذهب من العلماء الموجهين مكي بن أبي طالب القيسي

إلى أن ثمرا جمع ثمرة ، أو جمع الجمع وإلى أن ثمرا جمع ثمرة حيث

قال : في توجيه هاتين القراءتين :

---

(١) أنظر الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) أنظر تفسير البحر المحيط ج ٤ ص ١٩١ .

(٣) أنظر الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٤٩ - ٥٠ .

قوله ( الى ثمره ) قرأ حمزة والكسائي بضم التاء والميم فى موضعين ها هنا ، وفى موضع فى نيس جعلاه جمع ثمرة كخشبة  
وخشب ويجوز أن يكون جمع ثمار كحماز وحمز وثمار جمع ثمرة كأكسبة  
واكمام فهو جمع جمع الجمع على هذا .

وقرأ الباقون بفتح التاء والميم جعلوه جمع ثمرة كبقرة وبقر ، ما بين  
واحد وجمعها الها . (١)

والقراءتان حسنتان . أهـ

وهنا أشار صاحب الكشف الى أن معنى جمع ثمرة أن الثمر بفتح  
التاء والميم اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالتاء .  
فائدة :-

اسم الجنس على نوعين :

أحدهما : يقال له اسم جنس جمعى .

والثاني : يقال له اسم جنس افرادى .

فأما اسم الجنس الجمعى فهو ما يدل على أكثر من اثنين ويفرق

بينه وبين واحده بالتاء ، والتاء غالباً تكون فى المفرد كبقرة وبقر وشجرة

وشجر ، ومنه كلم وكلمه وربما كانت التاء فى الدال على الجمع مثل

كماً للواحد وكماًة للكثير وهو نادر .

---

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٤٤٣ .

وقد يكون لفرق بين الواحد والكثير بالياء كروم ورمى ، فأما اسم الجنس الافرادى فهو ما يصدق على الكثير والقليل ، واللفظ واحد كما وتراب وخل وزيت .

فان قلت فانى أجد كثيرا من جموع التكسير يفرق بينها وبين مفردها بالتاء كما يفرق بين اسم الجنس الجمعي وواحدته بالتاء نحو قرى وواحدة قرية ومدى وواحدته مديّة ، فبماذا أفرق بين اسم الجنس الجمعي وما كان على هذا الوجه من المجموع .

فالجواب على ذلك أن تعلم أن الفرق بين النوعين من وجهين :

الوجه الأول :

أن الجمع لا بد أن يكون على زنة معينة من زئات الجموع المحفوظة المعروفة .

فأما اسم الجنس الجمعي فلا يلزم فيه ذلك أفلا ترى أن بقرا وشجرا وثمر لا يوافق زنة من زئات الجمع .

والوجه الثاني :

أن الاستعمال العربى جرى على أن الضمير وما أشبهه يرجع الى اسم الجنس الجمعي مذكرا كقول الله تعالى : ( ان البقر تشابه علينا ) وقوله تعالى ( اليه يصعد الكم الطيب ) .

فأما الجموع فان الاستعمال العربى جرى على أن يعود الضمير اليه مؤنثا كما تجد فى قوله تعالى ( لهم غرف من فوقها غرف منيته )

وقوله سبحانه وتعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم

من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار ) - وكقول الشاعر :

في غرف الجنة العليا التي وجبت . . لهم هناك بسعى كان مشكورا (١)

بيان أصحاب هاتين القراءتين من القراء العشرة :

فالذين يقرأون بضم الثاء والميم : حمزة والكسائي ، وخلف

العاشر .

والباقون من العشرة يقرأون بفتحهما . (٢)

وأما ما ذكره الشيخ من أن بعض المكيين يقرأ بضمها فلا يوجد

في القراءات العشر بهذه الطرق .

---

(١) أنظر تمليق ضحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٥١-١٦

(٢) أنظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٦٠ ، والبسور

الزاهرة ج ١ ص ١٠٦ .

(٧٧) قال تعالى : ( وكذ لك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه

لقوم يعلمون ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

واختلفت القراءة في قراءة ذلك :

فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة ( وليقولوا درست ) بمعنى :

قرأت أنت يا محمد بخير ألف .

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين ، منهم ابن عباس على اختلاف

عنه فيه وغيره وجماعة من التابعين وهو قراءة بعض قراء أهل البصرة :

( وليقولوا درست ) بألف بمعنى : قارأت وتعلمت من أهل الكتاب .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وروى عن قتادة أنه كان يقرأه ( درست ) بمعنى : قرئت

وتليت .

ثم قال أيضا مشيرا الى قراءة رابعة :

ومن الحسن أنه كان يقرؤه ( درست ) بمعنى : انمحت . (٢)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٥ .

(٢) انظر تعليقه : انظر معاني القرآن للفر ١ : ٣٤٩

وفسره بقوله : تقادمت أي هذا الذي تتلوه علينا شي قد

تطاول ومر بنا .



وأولى القراءات في ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه :

( وليقولو درست ) بتأويل قرأت وتعلمت ، لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قتلهم ذلك بقوله ( ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ) (١)

فهذا خبر من الله ينبي عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره فإذا كان ذلك كذلك فقراءة ( وليقولوا درست ) يا محمد بمعنى : تعلمت من أهل الكتاب أشبه بالحق وأولى بالصواب من قراءة من قرأه ( درست ) بمعنى : قارأتهم وخاصمتهم وغير ذلك من القراءات . أهـ (٢) المراد (٣)

### أول وبالله التوفيق :-

انه صرح أن القراءتين ( دارست ) بألف ( ودرست ) بسكون التاء غير صواب وغير حق مع كونهما متواترتين عند جمهور القراء العشرة وهذا يدل على عدم تعمق الشيخ في البحث عن القراءات المتواترة والدليل على ذلك تلفيقه بين القراءة المتواترة والشاذة هنا حيث قال :

- 
- (١) سورة النحل آية ١٠٣ .
  - (٢) دارست عن مجاهد : قرأت على يهود وقرأوا عليك .
  - (٣) انظر جامع البيان للطبري ج ٧ - ٨ ص ٢٠٤ مطبو ج ١٢ م خ ص ٢٦ .

( وروى عن قتادة : أنه كان يقرؤه ( درست ) بضم الـدال

وكسر الراء وفتح السين وسكون التاء ) دون أن يبين شذوذها .

ومن المعلوم أن هذه القراءة لم تأتفى العشر المتواترة ولا شك

أن هذا يوقع القارئ الذى لم يكن عارفا بالقراءات فى حيرة من أمره لأنه

يصعب عليه التمييز بين المتواترة والشاذة ويترتب على ذلك وقوع القراءة

الشاذة فى الصلاة ظنا من الناظر أنها قراءة متواترة وهذا فساد كبير

لأنه لا يجوز عند جمهور العلماء الاتيان بالقراءة الشاذة فى الصلاة

والعمدة فى باب القراءات ثبوتها بطريق التواتر فاذا ثبت تواترها فلا

كلام فيها ومن لم يتضح له معناه فليكل العلم الى الله ، وأما تصويب

قراءة دون الأخرى مع تواتر الجميع فيعتبر خروجها عن دائرة الأدب الذى

يليق بجناب كلام الله تعالى .

وأما ما احتج به الشيخ فى تقرير ما ذهب اليه من كون قراءة

( درست ) بفتح الدال والراء وسكون السين وفتح التاء حقا وصوابا

دون غيرها من القراءات فلا وجه له ، لأن القراءات الثلاث المتواترة

التي جاءت فى هذا اللفظ الكريم لها معان توجه اليها دون ركاة .

وقوله فى ذلك لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله

عليه وسلم وقد أخبر الله عن قبيهم ذلك بقوله ( ولقد نعلم أنهم

يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان

عربى صبين ) فهذا خبر من الله ينبيه عنهم أنهم كانوا يقولون انما

يتعلم محمد ما يأتىكم به من غيره ، فاذا كان ذلك كذلك فقراءة

( وليقولوا درست ) يا محمد بمعنى : ثعلمت من أهل الكتاب أشبه  
بالحق وأولى بالصواب من قراء<sup>ه</sup> من قرأ ( دارست ) بمعنى : قارأتهم  
وخاصمتهم وغير ذلك من القراءات يدل على أن القراءتين الأخيرتين  
المتواترتين لا دلالة لهما على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له  
دراسة على زعمهم مع اليهود وغيرهم .

والصحيح الذي عليه توجيه الصلحاء خلاف ما قرره ذلك أن أهل  
التوجيه وجهوا كل قراءة الى المعنى الذي يليق بها - واليك ما كتبوه  
فى ذلك :

قال مكي ابن أبى طالب القيسى :

وحجة من قرأ بألف أنه حمله على معنى ( يقولون دارست أهل  
الكتاب ودارسوك ) أى : ذاكرتهم وذاكروك ، ودل على هذا  
المعنى قوله عنهم ( وأعانته عليه قوم آخرون ) الفرقان ٤ أى : يقولون  
أعان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وذاكروه .

وهذا كله قول المشركين فى النبي صلى الله عليه وسلم وفسنى

القرآن ، ومثله قوله ( واذا قيل ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ) (١) .

وحجة من قرأ باسكان التاء أنه أسند الفعل الى الآهسات

فأخبر عنهم أنهم يقولون : عفت وامحت وتقادت ، ودل على ذلك

---

(١) النحل آية ٢٤ .

قوله : ( أساطير الأولين ) أي هوشى\* قديم قد عفا وامحى  
رسمه لقد .

وحجة من فتح التاء من غير ألف : أنه أضاف الفصل الى  
النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر عنهم أنهم يقولون : درس محمد  
الكتب ، كتب الأولين فاني بهذا القرآن منها . (١)  
وقال سليمان بن عمر : فأما قراءة ابن عامر فمعنى بليت  
وقدمت وتكررت على الاسماع يشيرون الى أنها من أحاديث الأولين  
كما قالوا أساطير الأولين .

وأما قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ( دارست ) فمعناها  
دارست يا محمد من أهل الأخبار الماضية والقرون الخالية حتى  
حفظتها من نقلها ، كما حكى عنهم فقالوا انما يعلمه بشر لسان  
الذى يلحدون اليه أعجمى ، وفي التفسير أنهم يقولون هو يدارس  
سلمان . سلمان .

وأما قراءة الباقيين فمعناها حفظت وأتقنت بالدرس أخبار  
الأولين كما حكى عنهم ( فقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي تعمل عليه  
بكرة . وأصيلا . أهـ (٢)

---

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات ج ١ ص ٤٤٤ .

(٢) انظر الفتوحات الالهية ج ٢ ص ٧٤ .

وحيث فلا يلتفت الى ما قرره الشيخ من تفضيل قراءة علي  
أخرى لأن هذا خلاف الصواب الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله  
عليهم أجمعين

بيان أصحاب هذه القراءات من القراء العشرة المشهورين فسي  
الأصار :

قالذين يقرأون بألف بعد الدال واسكان السين وفتح التاء :  
ابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصرى .

والذين يقرأون بغير ألف وفتح السين واسكان التاء : ابن عامر  
الشامي ، ويعقوب الحضرمي .

والباقون يقرأون بغير ألف واسكان السين وفتح التاء . (١)

---

(١) النشر ج ٢ ص ٢٦١ ، والبدور الزاهرة ج ١ ص ١٠٦ .

(٧٨) قال تعالى : ( ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله

فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم

ألى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأجمعت الحجة من قراءة الأضار على قراءة ذلك وأجمعت

الأمة من قراءة الأضار على قراءة ذلك ( فيسبوا الله عدوا بغير علم )

بفتح العين وتسكين الدال وتخفيف الواو من قوله ( عدوا ) على

أنه مصدر من قول القائل : ( عدا فلان على فلان ) إذا ظلمه

واعتدى عليه يعدو عدو وعدو وعدوانا ، والاعتداء إنما هو

افتعال من ذلك - ثم قال : روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ

ذلك ( عدوا ) مشددة الواو .

ثم قال أيضا رحمه الله تعالى :

وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك ( فيسبوا الله عدوا )

يوجه تأويله إلى أنه جماعة كما قال جل ثناؤه ( فانهم عدوا لى الا رب

العالمين ) (٢) وكما قال ( لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ) (٣)

ويجعل نصب العدو ، وحينئذ على الحال من ذكر المشركين فى

قوله ( فيسبوا ) فيكون تأويل الكلام ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين

(١) سورة الأنعام آية ١٠٨ .

(٢) سورة الشعراء آية ٧٧ .

(٣) سورة الممتحنة آية ١ .

يدعو المشركون من دون الله فيسب المشركون الله أعداء الله بغير علم  
وإذا كان التأويل هكذا كان العدو من صلة المشركين ونعتهم كأنه  
قيل : فيسب المشركون أعداء الله بغير علم ولكن العدو لما خرج مخرج  
النكرة وهو نعت للمعرفة نصب على الحال .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

والصواب من القراءة عندي في ذلك قراءة من قرأ بفتح العين  
وتخفيف الواو لا جماع الحجة من القراءة على قراءة ذلك كذلك وغير جائز  
خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه . أم (١)

أقول وبالله التوفيق : -

ان نفى كلام الشيخ رحمه الله تعالى انكارا واضحا لقراءة متواترة  
عشرية أجمعتا لقراء على تواترها وهي قراءة ( عدوا ) حيث قال :  
بصد عرض القراءات وتوجيهها : ( والصواب من ا لقراءة عندي  
في ذلك قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو . . ثم ادعى اجماع  
الحجة من القراءة على ذلك وقطع بعدم جواز غير هذه القراءة لما ذكر من  
هذه العلل التي كتبها هنا ) .

ومما لا شك فيه أن هذا الكلام يعتبر رجما بالغيب لأنه يدل  
دلالة واضحة<sup>علي</sup> أن غير هذه القراءة لا يقرأ بها وهذا خلاف الصواب وكيف

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ج ٧ - ٨ م ط ص ٢٠٨ م خ ج ١٢

يصح لأحد ادعاء الاجماع من القراء على قراءة مصينة ، وقد بقي منهم  
أحد يقرأ بغير هذه القراءة متواترة ، وإذا أراد باجماع الحجة أن  
أكثر جمهور القراء يقرأ بها فلا بأس ولكن مراده خلاف ذلك لأنه  
جعل ذلك سببا لانكار قراءة متواترة ، وهذه قرينة مانعة من ارادة ما  
ذكرنا وأيضاً في عرضه لهذه القراءات تلفيق بين القراءات المتواترة  
والشاذة حيث ذكر ثلاث قراءات قراءتين متواترتين ، وأخرى شاذة  
فالقراءتان المتواترتان هما ( عدوا وعدو ) والشاذة ( عدو ) من غير  
أن يبين درجة احدى القراءات التي عرضها في هذا الموضوع .

ولا شك أن هذا التصرف يشكك القارىء بكتاب الله تعالى أضف  
الى ذلك أنه قطع بصواب قراءة واحدة من بين القراءات الثلاث التي  
ذكرها وأنكر كون الباقيتين صوابا ، مع أن احدى القراءتين الباقيتين  
متواترة . . . وهى قراءة ( عدوا ) التي يقرأ بها يحقوب الحضرمي  
وانكار القراءة المتواترة خلاف الحق والفاعل لذلك آثم عند اهل العلم  
قاطبة .

وهذه الأساليب التي استعملها الشيخ في عرض القراءات وتوجيهها  
فيما أنكر أو أشار الى ذلك لا شك أنها تعتبر طعنا في القراءات ، ولا شك  
أن هذا آثم كبير عفا الله عنا وعنه .

وفى توجيهه لهذه القراءات كفاية من أن نذكر كلام العلماء فى

ذلك .



بيان أصحاب هذه القراءات من القراء العشرة المشهورين في

الأصار :

فالذين يقرأون ( عدوا ) : نافع وابن كثير ، وأبو عمرو

البصرى ، وابن عامر الشامي ، وعاصم الكوفي ، وحمزة ، والكسائي ،

وأبو جعفر ، وخلف العاشر .

والذي يقرأ ( عدو ) : يعقوب الحضرمي .

والقراءة الثالثة قراءة شاذة يقرأ بها بعض أصحاب الشواذ . (١)

---

(١) أنظر الدور الزاهرة ج ص ١٠٦ .  
والنشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٥١ .

(٧٩) قال تعالى : ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم

آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم

أنها إذا جاءت لا يؤمنون ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : بعد ذكر الخلاف فسي

المخاطبين بقوله :

( وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون هل هم

المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن ) وانتهى الخبر

عند قوله : ( وما يشعركم ) ثم استأنف الحكم بأنهم لا يؤمنون

عند مجيئها .

أو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - وبعد أن ذكر

الراجح من الأقوال المعروضة وعلته رجحانه بقوله ( وإنما كان أولى

تأويلاته بالصواب لاستفاضة القراءة في قراءة الأماصار بالياء من قول

( لا يؤمنون ) .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

ولو كان قوله ( وما يشعركم ) خطاباً للمشركين لكانت

القراءة في قوله ( لا يؤمنون ) بالتاء وذلك ، وإن كان قد

قرأه بعض قراء المكيين كذلك فقراءة خارجة عما عليه قراء الأماصار

وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على ذنبها وشذوذها . أم

المراد منه . (٢)

(١) سورة الأنعام آية ١٠٩

(٢) انظر جامع البيان للطبري ج ٧-٨ م ط ص ٢١٢ م خ ج ١٢ ص ٤٣

## أصول وبالله التوليد :-

انه جعل سبب ترجيح أحد الأقوال في التأويل المقارنة بين القراءات والقياس بينها حيث قال : ( وانما كان ذلك أولى تأويلاته لاستفاضة القراءة في قراءة الأضمار بالياء من قوله ( لا يؤمنون ) ونفى عدم وجود قراءة ثانية أخرى بالخطاب في ( لا يؤمنون ) حيث قال : ولو كان قوله ( وما يشعركم ) خطاباً للمشركين لكانت القراءة في قوله ( لا يؤمنون ) بالتاء ، ثم ذكر أن قراءة الخطاب في ( لا يؤمنون ) على سبيل فرض ثبوتها من بعض قراء المكين فهي خارجة عما عليه قراءة الأضمار ثم جزم بشذوذها حيث وقعت مخالفة لما عليه قراءة الأضمار على زعمه ) .

ومما لا شك فيه أن هذا الكلام كله يعيد من الصواب كل البعد ، وذلك أن هذه القراءة التي أنكروا ورماها بالشذوذ وبخروجها عن قراءة قراءة الأضمار ، وهي القراءة بالتاء في ( يؤمنون ) على وجه الخطاب ، قراءة متواترة ثابتة من بعض القراء العشرة وهما ابن عامر الشامي وحمزة فكيف يمكن أن تكون هذه القراءة التي بهذه المثابة من التواتر خارجة عن قراءة قراءة الأضمار وشاذة اللهم ان هذا خطأ كبير فتهين من ذلك أن الترجيح الذي ذهب اليه الشيخ لا يلتفت اليه لأنه جعل أساس ذلك انكار قراءة متواترة علم ثبوتها من القراء العشرة المشهورين في الأضمار .

وقد وجه الشيخ رحمه الله تعالى هذه القراءات الى المعانى  
التي تليق بالكل فقال : على كون الخطاب فى قوله تعالى لى  
( وما يشعركم ) للمشركين وما يشعركم أى وما يدريكم أيها  
المشركون أنكم لا تؤمنون اذا جاءكم الآية بانها اذا جاءت لا  
تؤمنون على كسرهمز ان من ( انها ) على الاستئناف وعلى  
خطاب ( لا تؤمنون ) أو على الشيب على الخير عن المولى  
والتقدير أنها اذا جاءت لا يؤمنون .

وعلى كون الخطاب للمؤمنين وما يشعركم أيها المؤمنون  
أن الآيات اذا جاءت الكفار يؤمنون انها اذا جاءت لا يؤمنون .  
وبعد ما أتقن هذه التوجيهات رجع الى هدم ما أتقن بناءه  
حيث أنكروا قراءة متواترة بعد السلف الصالح انكارها انما كبيرا  
ومما لا خفاء عليه أن القراءة اذا ثبت تواترها عند القراء المخصصين  
لا يمكن معارضتها لأنها حق من عند الله والحق لا يعارض بل  
يتبع بدون مجادلة ولا عناد ، لأن الله تعالى مدح الذين  
يتبعون الحق ووعدهم بتكفير السيئات واصلاح أمورهم حيث  
قال تعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على  
محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ) .  
وانكار الحق ضلال مبين وقبوله فضيلة واتباعه طاعة لله  
ورسوله ولذلك كان من دعاء السلف الصالح ( اللهم أرنا الحق  
حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ) اللهم آمين .

وأقول انما حصل من الشيخ سبق قلم عفا الله عنا وعنه  
وانفرد بهذا التصرف في نظري شيخنا الكريم لأنه لم يوجد من  
أنكر القراءات المتواترة وتكرر ذلك منه في معظم توجيه القراءات مثله  
كما سبق الاشارة الى ذلك .

وعلى سبيل المثال في هذا الموضوع وجه كل من مكّي  
ابن (١) أبي طالب القيسي وابن خالويه هذه القراءات ولم  
يتجه أحدهم الى غض شأن احدى القراءات ولم يتعرض لانكارها .  
واليك ما كتبه مكّي هنا في هذا الموضوع :

( وجبة من فتح الهمزة أنه جعل ( أن ) بمنزلة لعل لغة فيها  
على قول الخليل حكى عن العرب : ائت السوق أنك تشتري  
لنا شيئاً أى لعلك ، ويجوز أن يعمل فيها ( يشعركم ) فيفتح  
على المفعول به ، ( لأن ) معشى شعرت به دريت ، فهو فى  
اليقين كعملت وتكون ( لا ) فى قوله ( لا يؤمنون ) زائـدة  
والتقدير وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية اذا جاءت يؤمنون  
أى أنهم لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية التى اقترحوها بها وهذا  
المعنى انما يصح على قراءة من قرأ ( يؤمنون ) بالياء ، ويكون  
( ويشعركم ) خطاباً للمؤمنين والضمير فى ( يؤمنون ) للكفار  
فى القراءة بالياء ، ومن قرأ ( يؤمنون ) بالتاء فالخطاب فى

---

(١) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ١ ص ٤٤٤ - ٤٤٥  
والحجة لابن خالويه ص ١٤٧ .

( يشعركم ) للكفار ويقوى هذا المعنى قوله بعد ذلك ( ما كانوا  
ليؤمنوا الا أن يشاء الله ) (١) وما فى الآية استفهام وفى  
( يشعركم ) ضمير ما والمعنى : وأى شىء يدرىكم أيها المؤمنون  
إيمانهم اذا جاءتهم الآية - أى لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية -  
ولا يحسن أن تكون ( ما ) نافية ، لأنه يصير التقدير : وليس  
يدرىكم الله أنهم لا يؤمنون ، وهذا متناقض ، لأنه تعالى قد  
أدانا أنهم لا يؤمنون بقوله ( ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة )  
الى قوله ( يسجهلون ) .

وحجة من كسر ( أن ) أنه استأنف بها الكلام بعد  
( يشعركم ) والتقدير : ( وما يشعركم بإيمانهم فالمفعول  
محذوف ، ثم استأنف مخبرا عنهم بما علم فيهم فقال ( انها اذا  
جاءت لا يؤمنون ) ولا يحسن فتح ( ان ) على اعمال ( يشعركم )  
فيها ولا ( غير زائدة لأن ذلك يكون عذرا لهم ، ويصير المعنى :  
وما يدرىكم أيها المؤمنون أن الآية ( اذا جاءت لا يؤمنون ) أى :  
لعلهم يؤمنون اذا جاءتهم فيكون تأخير الآية عنهم عذرا لهم  
فى ترك الايمان ، وهذا لا يجوز لأن الله قد أعلمنا أنهم  
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية وأن ذلك بمشيئة الله واراדתه  
فان جعلت ( لا ) زائدة حسن عمل ( يشعركم ) فى ( أن )

لأن التقدير : وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون - أي :

لا يؤمنون اذا جاءتهم الآيات التي اقترحوا بها وهذا كله انما  
يصح على قراءة من قرأ ( يؤمنون ) بالياء فأما من قرأ ( تؤمنون )  
بالتاء فالخطاب في ( يشعركم ) للكفار المقترحين الآيات .

وخلاصة القول في ذلك أن هذه القراءة التي قطع الشيخ  
بشذوذها وخروجها عن القراءة المتواترة المشهورة قراءة متواترة  
مشهورة عند القراء المشهورين في الأمصار وأن في هذه الآيات  
الكريمة ثلاث قراءات متواترة فدونها على الترتيب :

الأولى : كسرهمة ان في ( انها ) وبياء الغيب في ( يؤمنون )  
وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه ، وهذه  
قراءة واضحة أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون البتة على تقدير مجيء  
الآيات وتم الكلام عند قوله ( وما يشعركم ) ومتعلق ( يشعركم )  
محذوف أي وما يشعركم ما يكون ، فان كان الخطاب للكفار كان  
التقدير وما يشعركم ما يكون منكم ثم أخبر على جهة الالتفات بما  
علمه من حالهم لو جاءتهم الآيات ، وان كان الخطاب للمؤمنين  
كان التقدير وما يشعركم أيها المؤمنون ما يكون منهم ثم أخبر  
المؤمنين بعلمه فيهم .

والقراءة الثانية : فتح الهمزة من ( انها ) وبياء الغيب فسي  
( يؤمنون ) وهي قراءة : نافع وأبي جعفر المدنيين ، والكسائي  
وحفص ، فالظاهر أن الخطاب للمؤمنين على هذه القراءة ،

والمعنى : وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية التي تقترحونها  
إذا جاءت لا يؤمنون بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون  
وأنتم لا تدرين بذلك .

والقراءة الثالثة : فتح همزة ان من انها وبتاء الخطاب فى  
( يؤمنون ) وهى قراءة ابن عامر الشامي وهمزة بن حبيب  
الزيات ، والظاهر أن الخطاب على هذه القراءة للكفار .  
والله سبحانه . (١)

---

(١) أنظر البحر المحيط ج ٤ ص



( ٨٠ ) قال تعالى : ( ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم

الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن

يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ) (١) .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء في قراءة قوله : ( وحشرنا عليهم كل شيء

قبلاً ) :

فقرأته قراء أهل المدينة ( قبلاً ) بكسر القاف وفتح الباء

بمعنى : معاينة ، من قول القائل ( لقيته قبلاً ) أى : معاينة

ومجاهرة .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين : ( وحشرنا عليهم

كل شيء قبلاً ) بضم القاف والمبا .

وإذا قرئ كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه :

أحدها : -  
مممممم

أن يكون (القبل ) جمع قبيل كالرئف التي هي جمع

( رغيف ) والقضب ) التي هي جمع ( قضيب ) ويكون القبل

الضمنا والكفلاء ، وإذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام :

وحشرنا عليهم كل شيء كفلاء يكفلون لهم بأن الذى نعدهم على

إيمانهم بالله ان آمنوا أو نعدهم على كفرهم بالله ان هلكوا على

كفرهم ما آمنوا إلا أن يشاء الله .

والوجه الآخر : -  
مكتمم

أن يكون ( القبل ) بمعنى المقابلة والمواجهة من قول

القاتل : ( أتيتك قبلا لا دبرا ) إذا أتاه من قبل وجهه .

والوجه الثالث : -  
مكتمم

أن يكون معناه : وحشرنا عليهم كل شيء قبيلة ، صنفا

صنفا وجماعة جماعة ، فيكون ( القبل ) حينئذ جمع قبيل الذى

هو جمع ( قبيلة ) فيكون ( القبل ) جمع لجمع .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ :

( وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ) بضم القاف والباء لما ذكرنا من

احتمال ذلك الأوجه التى رهونا من المعانى وأن معنى ( القبل )

داخل فيه (١) وغير داخل فى ( القبل ) معانى ( القبل ) أه .

المراد من توجيهات الشيخ رحمه الله تعالى . (٢)

أقول وبالله التوفيق :

ان ما ذهب اليه من تفضيل قراءة ( قبلا ) بضم لقفاف

---

(١) لعل الصواب فى نظرى ( فيها ) بتقدير عود الضمير الى

المعنى والا فالمرجع غير واضح . أه المراد منه .

(٢) أنظر جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ج ٧ - ٨ م ط

والباء وادعاء كون هذه القراءة أقرب الى الصواب من قراءة ( قبلا )  
بكسر القاف وفتح الباء خلاف الصواب الذى عليه سلف هذه الأمة  
( لأنهم يحذرون الناس عن ذلك ) ويعتقدون أن القراءات كلها  
إذا ثبتت تواترها بمنزلة واحدة دون تفاضل .

وقد احتج الشيخ رحمه الله تعالى لصحة ما ذهب اليه  
بأن ( قبلا ) بضم القاف والباء يحتمل الأوجه الثلاثة التى ذكرت  
فى معانيه ، وأن معنى ( القبل ) داخل فى ذلك وغير داخل  
فى ( القبل ) معانى القبل .

ومما لا شك فيه أن هذا الكلام لا يكون له حجة قطعا

لأمر :

الأمر الأول : -  
~~~~~

أن موضوع القراءات لا يدخل فيه التفاضل لأن القراءة
بمنزلة الآية ، ولم يقل أحد من أهل العلم أن آية قرآنية أفضل
من آية أخرى ومن فعل ذلك فقد أصر ، بالقرآن شيئا وحششا
كلام الله من ذلك ولو جاز لأحد أن يفضل قراءة على أخرى لجاز
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما اختلف أصحابه فى
القراءات وترافعوا اليه بسبب ذلك ، ولكنه لم يعمل ذلك بل
صوب جميع القراءات التى اختلف فى نطقها وهذا من أدل الدليل
على أن القراءات كلها حق وصواب من عند الله تعالى .

الأمر الثاني : -
متممممممممم

أن اللفظ العربي الذي يشتمل على معان كثيرة إذا جاء بعده أو قبله لفظ يشمل على معنى واحد من تلك المعانى لا يكون ذلك الا لنكت ولطائف وأسرار بلاغية وحكم بديعة فضلا من أن يكون فيه ما يدل على تفضيل أحدهما على الأخرى ، وأمثلة ذلك كثيرة فى كلام العرب ومنه قوله تعالى من ذكر الخاص بعد العام (تنزل الملائكة والروح) على تفسير الروح بجبريل ، ومن ذكر العام بعد الخاص قوله (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) .

الأمر الثالث : -
متممممممممم

أن القراءة اذا تواترت لا يرد لها أى شىء من العلل النحوية والصرفية واللغوية ولا ينبغى لأحد أن يحاول معارضة القراءة المتواترة اعتمادا على هذه العلل ، ولو لم يظهر له وجه القبراءة ومن خالف ذلك فقد ارتكب اثما عظيما ، ولكن صاحبنا وقع منه هذا التصرف من غير تعمد عفا الله عنا وعنه .

ومن المعلوم أن هذه القراءة التى ذهب الشيخ الى مرجوحيتها قراءة متواترة لأختها التى هي راجحة فى نظره وسبحان الله كيف تفضل قراءة متواترة على قراءة متواترة مثلها؟ ، أو كيف تكون القراءة المتواترة أصوب من قراءة متواترة مثلها انما هذا زلة قدم عفا الله عنا وعنه .

وفى عرض الشيخ لأصحاب هاتين القراءتين تصور وتساهل
حيث قال : فى ذكر أصحاب قراءة كسر القاف وفتح الباء فى
(قبلا) فقرأته قراء أهل المدينة واقتصر على ذكر قراء أهل
المدينة مع أن هذه القراءة قراءة أهل الشام أيضا ، وقد ترك
ذكرهم ، ويوهم ذلك أن أحدا لم يقرأ بها الا أهل المدينة
وهذا تصور .

وقال أيضا فى ذكر أصحاب قراءة ضم القاف والباء فى (قبلا)
وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين ، واقتصر على ذكر هؤلاء
ولم يذكر معهم غيرهم من أصحاب هذه القراءة مع أن هذه القراءة
قراءة أهل مكة أيضا وهذا يوهم أن أحدا من القراء لم يكن يصح
المذكورين للشيخ رحمه الله تعالى ، ولكن الكمال لله سبحانه وتعالى .
واليك بيان أسماء اصحاب هاتين القراءتين من القراء
العشرة :

فالذين يقرأون بكسر القاف وفتح الباء فى (قبلا) نافع
ابن نعيم وأبو جعفر المدنيان ، وعبد الله بن عامر الشامي .
والذين يقرأون بضم القاف والباء فى ذلك : باقى القراء
وقد ذكرت لك مرارا أسماءهم .

وفى توجيه الشيخ لهذه القراءات كفاية وغنى لأنه ذكر

المراد هنا . والله أعلم . (١)

(٨١) قال تعالى : (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه

وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون

بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين) (١)

قال الشيخ محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

في توجيه هذه القراءات اختلف القراء في قراءة قوله

(ليضلون) :

فقرآته عامة أهل الكوفة (ليضلون) بمعنى : أنهم

يضلون غيرهم .

وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين (ليضلون) بمعنى :

أنهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه .

قال أبو جعفر :

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (وان كثيرا

ليضلون بأهوائهم) بمعنى : أنهم يضلون غيرهم ، وذلك أن الله

جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن اخلائهم من تبعهم

ونهاه عن طاعتهم واتباعهم الى ما يدعون اليه ، فقال : (وان تطلع

أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) ثم أخبر أصحابه عنهم

بمثل الذي أخبره عنهم ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنه

فقال لهم : ان كثيرا منهم ليضلونكم بأهوائهم بغير علم - نظير

الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وان تطلع أكثر من فى الأرض
يضلوك عن سبيل الله) أه المراد من كلامه . (١)

أقول وبالله التوفيق :-

ان ما ذكره الشيخ من أولوية قراءة ضم الياء فى (ليضلون
بأهوائهم) بالصواب من قراءة فتح الياء فى ذلك غير صحيح
لما علمت من أن القراءات اذا علم تواترها لا تفاضل بينها بسبل
كلها حقيق وصواب كما هو مذهب السلف وهاتان القراءتان المذكورتان
للشيخ هنا ككتاهما متواترة بلا شك فكيف يمكن أولوية احدهما
بالصواب على الأخرى ؟

فتبين من ذلك أن ما ذهب اليه فى معزل عن الصحة فضلا
عن أن يكون له وجهة نظر .

وأما ما احتج به لدعم رأيه هذا - حيث قال : (وذلك
أن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن اضلالهم ممن
تبصم ونهاه عن طاعتهم الى ما يدعونه اليه ، فقال : (وان تطلع
أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) ألخ فليس فيه شىء مما
يدفع هذه القراءة التى ذهب الى أنها مرجوحة وغير صواب وذلك
أنه جرت سنة الله فى خلقه بأن الأشقياء الذين سبق فى علم الله
بأنهم يكفرون يموتون على الكفر أو غيرهم ممن انحرف عن الحق

(١) أنظر تفسير ابن جرير الطبرى جامع البيان ج ٧ - ٨ م ط

ثم تاب الله ^{عليهم} منهم من ضل عن طريق الحق بدون تسبب من الفيسر في ذلك ، ومنهم من حاد عن طريق الحق بمد أن تبين له الحق بتسبب المجرمين في اضلالهم ، وقد جاءت آيات كثيرة توضيح ذلك ، ودليل الأول قوله تعالى : (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (١) .

وقوله تعالى : ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن

ضل فقل انما أنا من المذرين) (٢) .

وقوله تعالى (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) ، وقوله

(قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين) .

وهذه الآيات كلها تدل دلالة واضحة على أنهم ضلوا

بأنفسهم .

ودليل الثاني: قوله تعالى : (وما أضلنا الا المجرمون) (٣)

هنا

وغيره من الآيات التي تدل على المعنى .

وقد علم من ذلك أن العلل التي ذكرها الشيخ رحمه الله

تعالى لا تكون حجة له في غرض شأن قراءة فتح الياه في (ليضلون)

-
- (١) سورة الاسراء آيه ١٥ .
 - (٢) سورة النمل آيه ٩٢ .
 - (٣) سورة الشعراء آيه ٩٩ .

وجعل رفع شأن القراءة الثانية ، ولكن القراءتين جاءتا لبيان
هذه السنة الالهية التي جرت في خلقه على الوجه الذي بيناه .
وقد ذكرت هذا التعليق على هذه الحجج التي ذكرها
لتأييد مذهبه لأزيل هذه الشبهة التي وقعت من الشيخ لا لأبين
أن القراءة المتواترة تعارض بالملل والأراء المخترعة حتى يدافع
عنها لأن القراءة اذا تواترت لا يعارضها شيء من هذه الأمور .
بيان أصحاب هاتين القراءتين من القراء العشرة :
فالذين يقرأون بضم اليا في (ليضلون) الكوفيون (١) .
والذين يقرأون بفتح اليا منهم : الباقون من العشرة .
وقد وجه الشيخ هاتين القراءتين الى المعاني التي تناسب
اللفظين الكريمين ولا حاجة الى ذكر توجيه غيره من العلماء لأنه أحسن
في المعنى لولا تعرضه لانكار القراءة الواحدة من القراءتين . والله أعلم

(١) انظر النشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٦٢ ، والبدور الزاهرة

(٨٢) قال تعالى : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دِينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة في قراءة ذلك :

فقرأته قراءة الحجاز والعراق (وكذلك زين لكثير من المشركين)

بفتح الزاي من (زين) لكثير من المشركين قتل أولادهم) بنصب القتل ، شركائهم بالرفع ، بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم ، فيرفعون (الشركاء) بفعلهم وينصبون القتل لأنه مفعول به .

وقرأ ذلك بعض قراءة أهل الشام (وكذلك زين) بضم الزاي

(لكثير من المشركين قتل) بالرفع (أولادهم) بالنصب (شركائهم) بالخفض ، بمعنى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض ، بما عمل فيه من الاسم وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح ، وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بها ذكرت من قراءة أهل الشام ، رأيت رواية الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه وذلك قول قائلهم :

فزوجته متمكنا زج القلوص أبي مزادة

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

والقراءة التي لا أستجيز غيرها : (وكذلك زين لكثير
من المشركين قتل أولادهم شركائهم) بفتح الزاي من زين
ونصب القتل بقوتوع (زين) عليه وخفض (أولادهم) باضافة
القتل اليهم ورفع الشركاء بفعلهم لأنهم هم الذين زبنوا للمشركين
قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل وانما قلت لا أستجيز
القراءة بغيرها لاجتماع الحجة من القراءة عليه ، وأن تأويل أهل
التأويل بذلك ورد نفي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها
من القراءة .

ثم قال :

ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ، ثم
قرأ قارىء (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم
شركائهم) بضم الزاي من (زين) ورفع (القتل) وخفض
الأولاد و (الشركاء) على أن الشركاء مخفوضون - يبنى على
البدل - بالرد على الأولاد بأن الأولاد شركاء آبائهم فسى
النسب والميراث ، كان جائزا . أه المراد منه .

أقول وبالله التوفيق : -

ان ما ذهب اليه الشيخ رحمه الله تعالى في توجيهه
القراءة الثانية التي هي قراءة أهل الشام بعيد عن الصواب وذلك
أنه طعن في القراءة المتواترة عند القراء

ورماها بالقبح وعدم فصاحتها مع أن الدين والأدب والصواب إذا
ثبتت القراءة بطريق التواتر عد ما لحوض فيها إلا بالترحيب والقبول
وأىضا أن الحق جعل كلام العرب تابعا للقراءات لا جعل القراءات
تابعة لكلام العرب لأن القراءات كلام الله الذى لا يضل ولا ينسى
ولا يجوز فيه الخطأ بخلاف كلام الناس ، وقد سبق لك أن كلام
الله كله فصح على نمط واحد لا تفاضل فى ذلك ، ومن اعتقد
خلاف ذلك فقد حاد عن الجادة هذا .

وقد جعل الشيخ رحمه الله تعالى كلام العرب أصلا
للقراءات وجعلها فرعا له حيث عكس عليها بالقبح وعدم الفصاحة
حيث أنها جاءت على زعمه مخالفة لما تعده بعضهم وقد عرفت
بطلان ذلك مقابل القراءات المتواترة .

وقد شدد فى انكار هذه القراءة المتواترة حتى بلغ
من شدة الانكار الى درجة رفض كلام العرب الذى يدل على فصاحة
هذه القراءة من ناحية اللفظ الا ما كان من ناحية بلده وهذا تعسف
مفقوت - حيث قال : (وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من
الشعر يؤيد من قرأ بما ذكرت من قراء أهل الشام رأيت رواة الشعر
وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه وذلك قول قائلهم :
فرججته متمكنا . . . زج القلوصى أبى مـزادة
وكيف يجعل أهل العراق كلهم ينكرون معنى هذا البيت ، وتبعها

لذلك يفكرون هذه القراءة ، جزاقا

ولا شك أن هذا يعتمر لأن أهل العراق يقسم فسى

هذا الموضوع الى قسمين : قسم أجاز الفصل بين المضاف

والمضاف اليه في ثلاث مسائل باختيار وهم الكوفيون ، وقسم

خصصوا ذلك بالشعر وهم البصريون .

والرأى المختار (١) الراجح في هذه المسألة مذهب الكوفيين

ووقفهم ابن مالك في الخلاصة والكافية حيث قال في الخلاصة :

فصل مضاف شبه فعل ما نصب . . مفعولا أو ظرفا أجزولم يعب

فصل يعين واضطربوا وجسدا . . بأجنبي أو بنعت أو ندا

اعراب البيت :

فصل مفعول بأجز مقدم وهو مصدر مضاف الى مفعوله وشبهه

فعل نعت لمضاف ، وما نصب موصول وصلته في موضع رفع بالفاعلية

وعائد الموصول محذوف أى : نصبه ومفعولا أو ظرفا حالان ممن

ما أو من الضمير المحذوف ، وتقدير البيت : أجزأن يفصل

المضاف عن المضاف اليه منصوبة حال كونه مفعولا أو ظرفا

والاشارة بذلك الى أن من الفصل بين التضافين ما هو جائز فسى

السعة خلافا للبصريين في تخصيصهم ذلك بالشعر مطلقا (سواء

(١) أنظر حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ج ٢ ص ١٩ .

كان ذلك من الأمور الثلاثة أو بغيرها) قال محمد بن علي الصبان :

(ولما تبع الزمخشري مذاهبهم رد قراءة ابن عامر ولا عبرة برده مع

شبهتها بالتواتر) ، ثم قال الأشموني :

فالجائز في السعة ثلاث مسائل :

الأولى :

مهممممم

أن يكون المضاف مصدرا ، والمضاف اليه فاعله

والفاصل اما مفعوله كقراءة ابن عامر (وكذلك زين لكثير من المشركين

قتل أولادهم شركائهم) وقول الشاعر :

فرججتها بمزوجة . . زج القلوصى أبي — زاده (١)

وسأل ما فصل بين المضاف والمضاف اليه بظرف نصبه

المضاف الذي هو مصدر ما حكى ^{عن} بعض من يوثق بهربيته (ترك

يوما نفسك في هواها سمى لها في رداها .

الثانية :

مهمممم

أن يكون المضاف وصفا والمضاف اليه اما مفعوله الأول

والفاصل مفعوله الثاني كقول الشاعر :

ما زال يوقن من يؤمن بالفنى وسواك مانع فضله المحتاج

أو ظرفه كقوله عليه الصلاة والسلام (هل أنتم تاركو لي صاحبي)

الثالثة :

مهمممم

أن يكون الفاصل القسم وقد أشار الى ذلك ابن مالك

(١) رججتها أي : طعننها ، والموجة رمح قصير - والقلوصى

الناقة الشابة وأبو مزادة كنية رجل . أم .

بقوله : ولم يصب فصل معين نحو هذا غلام والله زيـــــد

زاد فنى الكافية الفصل بما كقوله :

هما خطتا اما اسار ومنـــــة واما دم والقتل بالحر أجـــــدر

وما سوى ذلك فصختن بالشعر

وقد أشار ابن مالك الى ثلاث مسائل من ذلك بقوله :

واضطارا وجد .. بأجنبي أو بنعت أو نـــــدا

الأولى من هذه الثلاث الفصل بأجنبي والمراد به معمول غير

المضاف فاعلا كان كقوله :

أنجب أيام والداه بـــــه اذ نجلاه فنعم ما نجـــــلا

أو ظرفا كقوله :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو يزيـــــل

الثانية الفصل بنعت كقوله :

نجوت وقد بل المرادى سيفه من ابن أبى شيخ الابطاح طالب (١)

(١) وقائل هذا البيت معاوية بن أبى سفيان لما اتفق ثلاثة ممن الخوارج أن يقتل كل منهم كل واحد من على بن أبى طالب وعمرو بن العاص ومعاوية فسلم الاثنان وقتل على رضى الله عنه ولواوقى قد للحال والمرادى عبدالرحمن بن عمرو المعروف بابن طجم لعنه الله .

والشاهد فى من ابن أبى شيخ الابطاح طالب اذا التقدير من ابن أبى طالب شيخ الابطاح فوصف قبل ذكر المضاف اليه وأراد به شيخ مكة شرفها الله تعالى فان أبا طالب كان من أعيان أهل مكة وأشرفها . أه حاشية الصبان ج ٢

الثالثة : الغمل بالندا كقوله :

وفاق كذب يجير منقذك من . . . تعجيل تهلكة والخلد في سقـر (١)
وبعد ما عرفت فلا يقبل منه ادعاء علماء المرق البيت الذي يستشهد
به على كون هذه القراءة فصيحة في لغة العرب على اطلاق ما ذكره
ولا عبرة لذلك لأن هذا رجم بالخيب بلا شك وقد جـزم
الشيخ رحمه الله تعالى بفساد هذه القراءة وعدم جواز قراءتها مدعيها
اجماع الحجة من القراء على قراءة أخرى دون هذه القراءة حيث قال :
والقراءة التي لا أستجيز غيرها (وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل أولادهم شركاؤهم بفتح الزاي من زين ونسب القتل بوقوع (زين)
عليه وخفف أولادهم باضافة القتل اليهم .

ورفع الشركاء بفعلهم لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل
أولادهم على ما ذكرت من التأويل الى قوله (ففى ذلك أوضح البيان
على فساد ما خالفها من القراءة .

ومن المعلوم أن جواز القراءة وعدمها لا يتوقف على رأى الناس
بل المراد تواترها عند القراء المشهورين فان ثبت ذلك فلا عبرة لقول
أحد ممن يعارض القراءة بل هي شبهة يجب ازلتها .

(١) قاله بجبر بن زهير بن أبى سلى أخوكذب بما حجب .
بانت سعاد ^{هما} أخوان صحابيان من قصيدة من البسيط
يحرص بها أخاه كعبا على الاسلام . أهد المصدر الأول .

وهى زلته عالم راندا ول العالم لم يجز اتباعه ورد قوله الى الاجماع
وانما اجازوا في الضرورة للشاعر ان يفرق بين المضاف والمضاف اليه بالظرف
كقول الشاعر :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو يزيل وقول الآخر :

لله در اليوم من لامها .

وقال قوم ممن انتصر لهذه القراءة : انها اذا ثبتت بالتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي فصيحة لا قبيحة قالوا .

وقد ورد ذلك في كلام العرب وفي مصحف عثمان رضى الله عنه
وشركائهم ، بالياء .

ثم قال الشوكاني : بعد أن نقل عن هؤلاء المذكورين هذه الآراء

البيعية

عن الصواب عند النحاة . وأقول : دعوى التواتر باطلنة
باجماع القراء المعتمدين كما بينا ذلك في رسالة مستقلة فمن قرأ بما يخالف
الوجه النحوي فقراءته رد عليه . ولا يصح الاستدلال لصحة هذه القراءة
بما ورد من الفصل في النظم كما قدمنا .

وكقول الشاعر :

فزججها بمرجه
زجج القلوص أبى فراده

فان ضرورة الشعر لا يقام عليها (١)

أقول وبالله التوفيق : انما ذكره الشوكاني هنا من أن دعوى
التواتر باطله باجماع القراء المعتمدين لا يلتفت اليه لأنه ابن عامر
الشامي من القراء المعتمدين فكيف يعمد الاجماع بدونه وهو صاحبها .

وهذا الرأي بمعزل عن الصواب لما عرفت .

وقوله أيضا : " فمن قرأ بما يخالف الوجه النحوي فقراءته رد عليه
لا عبرة له لأنه كم من قراءة عشيت بطريق التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهي مخالفة الوجه المشهور عند النحاة ومن ذلك قراءة أبى عمرو البصرى

(١) أنظر فتح القدير شوكانى ج٢ ص ١٦٥-٥٦٦

اذل

" وما يشعركم أنها اجازت لا " يوه منون " باسكان الراء من
؟ يشعركم " من غير أن يدخل عليه عامل جزم وعرفنا من ذلك أن الحمدة
في باب القراءات ثبوتها بطريق التواتر وهذه القراءة كذلك ثابتة بطريق التواتر
وقوائمه : ولا يصح الاستدلال لصحة هذه القراءة بما ورد من الفصل في النظم
الى قوله : فانه ضرورة الشعلا لا يقام عليها يدل دلاله واضحة على أنه يوه يد
رأى البصريين الذين ينكرون هذه القراءة المتواترة وقد رد عليهم الدكتور أحمد مكي
الأصاري في كتابه (الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين) حيث
قال :

(ناقلا عن صاحب تحاف تعقيبا على المنكرين " وأما من رغم أنه لم يقع
في الكلام المنشور مثله فلا يحول عليه لأنه ناف ومن أسند هذه القراءة مثبت وهو
مقدم على التافى اتفاقا - ولو نقل الى هذا الزاعم عن بعض العرب - ولو أمة
أورانيا - أنه استعمله في النثر لرجع اليه ، فكيف وقيمته أتتته تابعي
عن الصحابة عن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ، فقد بطل قولهم
وثبت قراءته من المعارضة ولله الحمد ، ثم قال الدكتور الأصاري :
(ولو كان الشاهد وحيدا فريدا لجاز لنا السكوت اولا غضا على مضمض ولكن
الشواهد كثيرة غامرة من الشعر والنثر الصحيح فلا يجوز للباحث
المنصرف أن يهدر كل الوارد من الشواهد لمجراتها خالفت شيئا من القواعد .
ثم ذكر الأصاري تعصب ابن الأثير في كتابه المسمى (بالانصاف)
للبصريين ضد الكوفيين وأنه ادعى اجماع الكوفيين والبصريين على أنه لم يجس
عن العرب الفصل المضاف والمضاف اليه بغير اليمين في اختيار الكلام .

ثم قال الأصاري منكرا هذا الادعاء : (فأى اجماع هذا الذي يتحدث
عنه ؟ وهل يقوم اجماع ضد النص القرآني . لا ريب أن اجماع لا وزن له اذا
ما تعارض مع النص الصحيح كما هو معلوم لدى العلماء في جميع الميادين الاسلامية .
ثم من قال : ان الكوفيين اجمعا مع البصريين تلك دعوى تحتاج الى دليل
اديبهم على اجماع وأية ذلك أن كثيرا من حذاف النجاة الكوفيين يقولون بالجواز

وإذا سلمنا جدلاً بأنهم أجمعوا فعلاً مع البصريين بأدى الرأي ثم تبين لهم فيما بعد فساد هذا الإجماع فعدلوا عنه وعدلوا القاعدة النحوية على أساس الوارد من الشواهد فإن هذا الموقف يسجل لهم في سجل المجد والفخار ، لأنه هو الموقف المنهجي السليم الذي يتفق مع المناهج اللغوية الحديثة وكنا نتمنى أن يحذو البصريون حذو الكوفيين في هذا المسلك القويم وقد يماثلوا : (الرجوع إلى الحق فضيله) ولكن البصريين لا يلتزمون بهذه الفضيلة ولا يتركون غيرهم يلزم بها أو يقرب منها فالقاعدة عندهم مقدسة في أعلى مراتب التقديس لا يجوز تعديلها ولا المسامحة بها وكل ما يخالفها ينبغي أن يعدل أو يرفض أو يقذف بأبشع الصفات ، حتى لو كان قراءه سبعية محكمة قراءه ابن عامر تلك التي وصفوها بالضعف والقيح والشذوذ إلى آخر ما رأينا من الصفات النابية التي لا تليق بالكلام العادي فضلاً عن القرآن الكريم - (١)

ولقد صدق الدكتور الأنصاري وفقهه الله تعالى لما يجبه ويرضاه حيث قال في كتابه المذكور آنفاً (وانصافاً للحق والحقيقة أقول : بأن بعض النحاة وكثيراً من المفسرين وقفوا إلى جانب القراءات وعدلوا من القواعد النحوية التي تصطدم بالقراءات منهم الامام ابن مالك وقد أيد ذلك من ناحيتين ناحيه المعنى وناحية السماع - هـ (٢)

ولذلك قال ابن الجزري (٣) رحمه الله تعالى رد على الزمخشري في طعنه لهذه القراءه ومحتجاً بكلام العرب نثراً ونظماً ويقول ابن مالك رحمه الله تعالى (قلت) والحق في غير ما قاله الزمخشري ونعوذ بالله من قراءه القرآن بالرأى والتشبه وهل يحل لمسلم القراءه بما يجيد في الكتابة من غير نقل ، بل الصواب جواز هذا الفصل وهو الفصل بين المصدر وقاعده المضاف اليه بالفعل في الفصح الشائع الذائع اخباراً ولا يختص ذلك

(١) أنظر الدفاع عن القرآن لأحمد المكي الأنصاري ص ١٨٢ - ١٨٦

(٢) أنظر الدفاع عن القرآن للأنصاري ص ١٢٩

(٣) النظر النشرفي للقراءات العشر لابن جزري ج ٢ ص ١٤٢ - ٢٤٥

بضروره الشعر ويكفي في ذلك دليلا هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر كيف وقارثها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رضي الله عنهما وهو مع ذلك عرس صريح من صميم العرب فكلامه حجة وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وروى وسمع ورأى إذ كانت كذلك في المصحف العثماني المجمع على اتباعه وأنا رأيتها فيه كذلك مع قارثها لم يكن خاملا ولا غير متبحر ولا في طرف من الأطراف ليمر عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب فقد كان في مثل دمشق التي هي إذ ذاك دار الخلافة وفيه الملك والمأتى اليها من أقطار أرض في زمن خليفه هو أعدل الخلفاء بعد الصحابة الامام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أحد المجتهدين المتبعين المقتدى بهم من الخلفاء الراشدين وهذا الامام القاري أعنى ابن عامر مقلد في هذا الزمن الصالح قضاء دمشق وشيختها وابعاده جامعها الأعظم الجامع الأموي أحد عجائب الدنيا والوفود به من أقطار الأرض لمحل الخلافه ودار الاماره هذا . ودار الخلافه في الحقيقة حينئذ بعض هذا الجامع ليس بينهما سوى باب يخرج منه الخليفه = ولقد بلغنا عن هذا الامام أنه كان في حلفته أرحمائه عريف يقومون بالقراءة ولم يبلغنا عن أحد من السلف رضي الله عنهم على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشده ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئا من قراءته ولا طفس فيها ولا أشار بضعف ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية وأعمالها لا يأخذون الا بقراءة ابن عامر ولا زال الأمر كذلك الى حدود الخمسمائة وأول من تعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءات الصحيحة وركب هذا المحذور ابن جرير الطبري بعد الثمالي وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير حتى قال السخاوي : قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي "اياك وطعن بن جرير على ابن عامر ، ولله در امام الدجاء أبي عبد الله بن مالك رحمه الله تعالى حيث قال في كافيته :

وحجتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر وهذا الفضل الذي ورد

(١) هو الامام العلامة علم الدين أبو الحسن السخاوي عن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب المقرئ المفسر النحوي اللغوي الشافعي شيخ مشايخ الامراء بد مؤول سنة ٥٥٩ وتوفي سنة ٦٤٣ هـ غايه النهايه ١ / ٥٦١ - ٥٧١

في هذه القراءة فهو منقول من كلام العرب من فصيح كلامهم حميد من جهة المعنى أيضا . أما وروده في كلام العرب فقد ورد في أشعارهم كثيرا أنشد من ذلك سيوبه والأخفش وأبو عبيد وثعلب وغيرهم ما لا ينكر . مما يخرج به كتابنا عن القصد وقد صح من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهل أنتم تاركوا لي صاحبي فصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله مع ما فيه من الضمير المنوي فصل المصدر يخيلوله من الضمير .) أولى : (وأما قوته من جهة المعنى فقد ذكر ابن مالك ذلك من ثلاثه أوجه

أحدهما كون الفاصل فضله فانه لذلك صالح لعدم الاعتداد به الثاني : أنه غير اجنبي معني لانه معمول للمضاف هو والمصدر . الثالث : أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف اليه مقدر التقديم لانه فاعل في المعنى حتى أن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل لاقتضى القيام استعماله لأنهم قد فصلوا في الشعر بالاجنبي كثيرا فاستحق الفصل بخير الاجنبي أن يكون له فيحكم بجوازه مطلقا واذ كان قد فصلوا بين المتضامين بالجملة في قول بعض العرب : هو غلام ان شاء الله - أخيك فالفصل بالمفرد أسهل (هـ) و خلاصة القول أن كل معارضة تأتي حول القراءة المتوترة لا يلتف اليها ولا يوضع لها وزن فبناء على ذلك أن هذه القراءة التي طعن فيها الشيخ - رحمه الله تعالى قراءة متواترة مشهورة ولا قيمة للكلامه وغيره ممن حالوا معارضة هذه القراءة . وهذه القراءة يقرأ بها ابن عامر الشامي والقراءة الثانية قراءة الباقيين (١)

وكلتا القراءة تين متواترتان منقولتان بطريق التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعتبر الطعن في احدهما اثما كبيرا غفر الله لنا ولجميع الأئمة الذين صوتت منهم هذه الفهوات . وتوجيه هاتين القراءتين معروف والله أعلم .

٨٢ - قال تعالى " قل لا أحد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فظنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فاه ن ربك غفور رحيم " (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (اختلف القراء في قراءه قوله :
(الا أن يكون ميتة)
فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة والبصرة : (الا أن يكون) بالياء (ميتة) مخففة الياء منصوبه على أن في (يكون) مجهولا والميتة فعل له (٢) فنصبت على أنها فعل (يكون) وذكر وا (يكون) لتذكير المضمرة في (يكون) .
وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والكوفة : (الا أن تكون) بالتاء (ميتة) بتخفيف الياء ونصبها وكان معنى نصبتهم (الميتة) معنى الأولين وأنتسوا (تكون) لتأنيث (الميتة) كما يقال : (بانها قائمة حاربتيك) و " انه قائم حاربتيك) فيذكر المجهول مرة ويؤنث أخرى لتأنيث الاسم الذي بعده .
وقرأ ذلك بعض المدنيين : (الا أن تكون ميتة) بالتاء في (تكون) وتشديد الياء من (ميتة) ورفعها فحمل (الميتة) اسم (تكون) وأنتسوا تكون لتأنيث (الميتة) وجعل (تكون) مكثفة بالاسم دون الفعل لأن قوله (الا ان تكون ميتة) استثناء والعرب تكتفي في الاستثناء بالأسماء عن الأفعال فيقولون : (قام الناس الا أن يكون أخاك) و (الا أن يكون أخوك) فلا تأتي (يكون) بفعل وتجعلها مستخفية بالاسم كما يقال : (قام القوم الا أخاك)

(١) سورة الأنعام آية - ١٤٥ -

(٢) الفعل هنا خبر المبتدأ وهو اصطلاح قديم كما ترى وتفسيره أن خبر المبتدأ كأنه فعل له . تقول (محمدا قائم تفسيره : أن محمدا فعل القيام وهو اصطلاح كوفي ، - ١ هـ من تعليق الشيخ رحمه .

والا أخوك) فلا ينتقر الاسم الذى بعد حرف الاستثنا فعلا ثم قال

أبو جعفر رحمه الله تعالى !

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : (الا أن يكون بالياء (ميتة)

بتخفيف الياء ونصب (الميتة) لأن الذى فى يكون من الممكن من ذكر المذكور =

وانما هو : قل لا أحد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتته

أو ما مسفوحا . ثم قال الشيخ !

فأما قراءة (ميتة) بالرفع فإنه وان كان فى العربيه غير خطأ فإنه فى

القراءة فى هذا الموضع غير صواب . لأن الله يقول

: (أأورد ما مسفوحا فلا خلاف بين الحميح فى قراءة (الدم) بالنصب وكذلك

هو فى ، مصاحف المسلمين وهو عطف على (الميتة) فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم

أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله : (أوفسقا) مرفوعين ولكنها

منسوبة فيحطف بهما عليها بالنصب اهـ كلام الشيخ فى توجيه هذه القراءات (١)

أقول وبالله التوفيق ان الشيخ قد صرح بأن الصواب من القراءة فى هذا اللفظ

الكريم (الا أن يكون ميتة بالياء فى (يكون) وبتخفيف الياء ونصب الميتة

فى (ميتة) وهذا يقتضى أن القراءة الثانية غير صواب وأن ضد الصواب

هو الخطأ مع أنها قراءة متواترة كما التى صوبها ولا شك أن ما ذهب اليه خلاف

الحق ويعتبر طعنا فى القراءة الثانية التى هى بالتاء شديد الميتة .

وعلى ما ذهب اليه بقوله : (لأن الذى فى (يكون) من الكنى من

ذكر المذكور وانما هو : قل لا أحد فيما أوحى الى . الخ وأقول : ان هذه العله

التي أحتج بها لا تدفع القراءة المتواترة ولا تقلل شأنها وتبين من ذلك أنه

أنظر تفسير ابن حريز الطبرى ج ٧ - ٨ ص ٥٣ ج ٥ ص ١٩٥ - ١٩٦

غاب عنه وجه هذه القراءة والقراءات واذلك أنك قراءة التذكير والنصب وذلك أن
اسم يكون المستمر يعود على المحرم المذكور أو عن المأكول وإنما أنت الفعل على قراءة
التاء في تكون لتأنيث الخبر أو اسم تكون مضمرة عائداً على عوئث أي : إلا أن تكون
المأكولة ميتة أهـ الفتوحات الآتية (١) .

وقوله : (فأما قراءة (الميتة) بالرفع فانه وإن كان في العربية غير
خطأ فانه في هذا الموضع غير صواب = فإنكار محض لقراءة متواترة وأبها عدد من
 كبار القراء المشهورين كابن عامر وأبي جعفر شيخ نافع حيث حزم بعدم صوابها
ولاشك أن هذا طعن في القراءة المتواترة والطعن في القراءة التي بهذه المثابة
أثم كبير إذ اعتقد صاحبه كقرب ذلك ولكن الشيخ وقع منه ذلك خطأ ثم قال ليبر
مذهبه هذا (لأن الله يقول : - (أود ما سفوحا) فلا خلاف بين الجميع
في قراءة (الدم) بالنصب وكذلك هو في مصاحف المسلمين وهو عطف على (الميتة)
فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله : (أوفسقا)
مرفوعين ولكنها منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب) .

أقول : وهذه الكلمات ذكرها هنا ^{التي}يوء كد رأيه ومذهبه محض قياس
ولا قياس في القراءات البتة لأن الحمد فيها النقل الصحيح وتواترها فإذا كانت
كذلك فكل علل وشبهه تشارحولها فلا عبرة لها وكل معارضة تنقل ضدها فهي
رماد أشتدت به الريح ومع ذلك فإن قراءة رفع الميتة لها وجه صحيح في العربية
والنقل أما النقل فقد عرفت أنها قراءة متواترة متفق على تواترها ويكفيك هذا .
وأما صحتها في العربية فإن يكون تأنيث تكفي برفوعها والميتة فاعل الفعل
وعلى ذلك فيكون الدم وما بعده معطوفاً على محل أن تكون الواقعة مستثناة تقديره
إلا أن تكون ميتة والادماء سفوحا وإلا لحم خنزير (١) .
ولذلك قال سليمان بن عمر العنيل الشافعي صاحب الفتوحات الآتية

(١) أنظر الجمل (الفتوحات الآتية ج ٢ ص ١٠٢)

منكرا على كل ذي شبهة : وقال أبو البقا : (ويقرأ برفع ميتة على أن تكون
تامة وهو ضعيف لأن المعطوف منصوب قلت كيف يضعف قراءة متواترة فقال
(أما قوله : لأن المعطوف منصوب فذلك غير لازم لأن النصب على قراءة من
رفع (ميتة) يكون نسقا على محصل أن تكون الواقعة مستثناة تقديره : إلا
أن تكون ميتة والادما والاحم خزير • وقد كلفني صاحب الفتوحات بهذا السرد
على أبي البقاء مني / ^{رد} على الشيخ • والله أعلم ...
بيان أصحاب هذه القراءات :

فالذين يقرؤون بالياء في (أن يكون) على وجه التذكير والنصب في (ميتة)
نافع وأبو عمرو ويعقوب البصريان وعاصم والكسائي وخلف في اختياره •
والذين يقرؤون بالياء على وجه التأنيث في (أن تكون) ونصب الميتة ابن كثير
المكي وحمزه •

والذين يقرؤون بالتأنيث في (أن تكون) ورفع (الميتة) ابن عامر وأبو جعفر إلا أن
أبا جعفر يشدد الميتة ، وهذه القراءات كلها صواب متواترة ليس الأمر كما قال
الشيخ رحمه الله تعالى (١) •

٨٤ - قال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (٢) •
قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : بعد أن ذكر أصحاب قراءة فتح الهمزة وكسرها
من قوله تعالى : (و أن هذا) وبين أن القراءتين صواب : ذكر بعد ذلك كراهة
أنه قرأ ذلك عبد الله بن اسحاق البصري : (وأن) بفتح الهمزة من (أن)
وتخفيف النون منها •

(١) أنظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢١٦ - والبدور الزاهد ص ١١٠

(٢) أنظر سورة الأنعام آية = ١٥٢ =

بمعنى : " قل تعالوا أتدل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا "

" وأن هذا صراطى " فخففا إذ كانت " أن "

فى قوله : " أن لا تشركوا به شيئا " مخففة وكانت " أن " من

قسوله : " وأن هذا صراطى " معطوفة عليها فجعلها نظير مسط

عطفت عليه ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى رحمة واسعة :

" وذلك وان كان مذهبها فلا أحب القراءة به لشذوذها عن قراءة قراء

الأصهار وخلاف ما هم عليه فى أمصارهم أه المراد من توجيه الشيخ فى هذا -

اللفظ الكريم . (١)

أقول وبالله التوفيق :

أن فى توجيهه الأخير مأخذ عندى : -

المأخذ الأول : أنه نسب القراءة الى غير ذويها حيث أن الذين يقرؤن بهذه

القراءة المعروفين بها عند القراء ابن عامر الشامي ويعقوب الحضرمي ، ولم
تلك القراءة

يذكر الشيخ هذين الامامين الذين عرفت عنهما وذكر غيرهما ولا شك أن

هذا التصرف يؤدى الى اللبس حيث ان عبد الله ابن اسحاق البصرى

هذا لم يكن من المشرة الذيت تواترت قراءاتهم .

والمأخذ الثانى : أنه روى هذه القراءة بالشذوذ مع كونها متواترة كما علمت .

والمأخذ الثالث : أنه أعطى لنفسه حرية التصرف فى القراءات وجعلها خاضعة

لهواه وميله حيث قال : " وذلك وان كان مذهبها فلا أحب القراءة به

ومن المعلوم أن القراءة اذا تواترت لا تخضع لأى غرض من الأغراض ولأى ميل

(١) انظر جامع البيان للطبرى : ج ٧ ، ٨ / ص ٦٦ ، ج ١٢ / ص ٢٣٢ .

من الميول ، ورأى من الآراء ، بل تعتمد على النقل المتواترة كما هو معروف من الدين بالضرورة .

والمأخذ الرابع : أنه جزم بشذونها عن قراءة قرأ الأعمار وخلاف ما هم عليه في أمصارهم ، ولا شك أن هذا خلاف الواقع حيث أن الشاميين وبعض البصريين يقرؤون بها ولا يختلف في ذلك اثنان من أهل الشأن والعجب كل العجب ذهبه الى شذونها وعدم شهرتها عند قرأ الأعمار ، وقد عرفت بطلان هذه الشبهة التي تأثر بها الشيخ رحمه الله تعالى فسي هذا الموضوع وغيره من المواضع التي تعرض فيها لانكار القراءات المتواترة .
أصحاب هذه القراءة من المشرة ابن عامر الشامي ويعقوب

الحضرمي . (١)

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ج ٢ / ص ٢١٦ ،

والبذور الزاهرة : ص ١١١ .

٨٥ - قال تعالى : " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء

بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون " . (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " وقد ذكر عن الحسن البصرى

أنه كان يقرأ ذلك : " فله عشرو " بالتنوين " أمثالها " بالرفع وذلك وجه صحيح فى العربية غير أن القراء فى الأصار على خلافهما على خلافها ، فلا نستجيز خلافها فيما هى عليه مجتمعة " . (٢)

أقول وبالله التوفيق :

ان توجيه الشيخ لهذه القراءة فيه مجازفة لعدة أمور : -

الأمر الأول :

أنه أسند القراءة الى غير صاحبها حيث قال : " وقد ذكر عن الحسن

البصرى أنه كان يقرأ ذلك : " فله عشر " بالتنوين ، " أمثالها " بالرفع

ولاشك أن هذا تساهل لأن الذى يقرأ بهذه القراءة من العشرة يعقوب

الحضرمى وليس القارىء بها الحسن البصرى الذى أضافها اليه على صيغة

التريض .

والأمر الثانى :

أنه صحح هذه القراءة من جهة العربية وأنكرها من ناحية النقل مع ما عرف

منه سابقا من تأييد القراءة التى أيدتها قواعد النحو ولو كانت متواترة من جهة

النقل حيث قال : " وذلك وجهه صحيح فى العربية ، غير أن القراء فى

(١) سورة الأنعام : آية / ١٤٠ .

(٢) انظر تفسير الطبرى : ج ٧ ، ٨ / ص ٨٢ - وج ١٢ / ص ٢٨١ بالتنوين .

الأصارعلى خلافها .. الخ " وهذا أمر عجيب .

أقول : وقد خيل اليه أن القراءة إذا جاءت من قارىء واحد تكون على خلاف جمهور القراء فتكون شاذة بسبب ذلك ولاشك أن هذا خيال لاحقيقة لأن القراءة إذا ثبتت من أحد العشرة المشهورين حتى من روايتهم علم - تواترها ، وقد ذكرت . . . غير مرة ما يزيل هذه الشبهة التي صدرت منه ومن أمثاله فى هذه الرسالة ، وزيادة على ما ذكرت من البيان اسمع ما قرره محقق هذا الفن محمد بن الجزرى موضعا هذه الحقيقة الهامة :

" فقرأة أحدهم كقراءة الباقيين فى كونها مقطوعا بها " (١)

والأمر الثالث :

تجروءه على باجازه القراءة وعدم اجازتها ، الأمر الذى ليس فى مقدور البشر حيث قال : " فلا نستجيز خلافها فيما هى عليه مجتمعة " وقد عرفت أنها سنة متبعة بأخذ الآخر عن الأول ولا دخل لآراء الناس وقياساتهم فيها ، ومن حاول اخضاعها للآراء المعينة فقد خانه التوفيق

فتبين من ذلك أن هذه القراءة التى جزم بأنها مخالفة للقراءات التى

كان عليها قراء الأصارع وأنها غير جائزة القراءة بها قراءة متواترة ، وحينئذ

فلا عبرة لما قرره الشيخ لأنه خلاف الحق ، والله أعلم بها

" توجيه هذه القراءة من ناحية الاعراب "

(فله) الجار والمجرور خبر مقدم ، عشر مبتدأ مؤخر ، وأمثالها صفة

لعشر . والله أعلم . (٢)

(١) انظر مناهل المرفان للزرقانى : ج ١ / ص ٤٦٧ .

(٢) انظر البحر المحيط : ج ٤ / ص ٢٦١ .

القرارات

التي في سورة الأعراف

٨٦ - قال تعالى : " يعني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم

وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لهمم يذكرون " (١)

قال محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : -

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرآته عامة قراء الكوفيين والكوفيين

والبصريين : " ولباس التقوى ذلك خير " برفع " ولباس " .

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة : " ولباس التقوى " بنصب " اللباس "

وهي قراءة بعض الكوفيين .

فمن نصب " ولباس " فانه نصبه عطفًا على " الريش " .

بمعنى : قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ، وأنزلنا لباس التقوى

ثم قال الشيخ : وأما الرفع ، فان أهل العربية مختلفون في المعنى

الذي ارتفع به " اللباس " فكان بعض نحوى البصرة يقول : " هو مرفوع

على الابتداء وخبره في قوله " ذلك خير " وقد استخطأه بعض أهل العربية

في ذلك وقال : هذا غلط لأنه لم يعد على " اللباس " في الجملة عائدا

فيكون " اللباس " اذا رفع على الابتداء ، وجعل " ذلك خير " خيرا .

وقال بعض نحوى الكوفة : " ولباس " يرفع بقوله " ولباس التقوى خير "

ويجعل ذلك من نعمته . (٢)

قال أبو جعفر : وهذا القول عندى أولى بالصواب في رافع " اللباس "

لأنه لا وجه للرفع الا أن يكون مرفوعا بخير ، واذا رفع و " بخير " لم يكن وجه

(١) سورة الأعراف : آية / ٢٦ .

(٢) هذا قول القراء : ج ١ / ص ٣٧٥ .

الا أن يجعل " اللباس " نمطا ، لا أنه عائد على اللباس من ذكره في ذلك
في قوله : " ذلك خير " فيكون " خير ، مرفوعا بـ " ذلك " وذلك به
فاذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام = اذا رفع ولباس التقوى = ولباس
التقوى ذلك الذي قد علمتموه خير لكم يا بني آدم من لباس الثياب التي توارى
سوءتكم ، ومن الريا عن التي أنزلناها اليكم هكذا فالبسوه .

وأما تأويل من قرأه نصبا فانه : " يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا
يواري سوءتكم وريشا ولباس التقوى " هذا الذي أنزلنا عليكم من اللباس الذي
يواري سوءتكم والريش ، ولباس التقوى خير لكم من التمري والتجرد من الثياب
في طوافكم بالبيت فاتقوا الله والبسوا ما يبرزكم الله من الرياش ، ولا تطيموا
الشیطان بالتجرد والتمري من الثياب ، فان ذلك سخرية منه بكم وخدعة
كما فعل بأبويكم آدم وحواء ، فخدعهما حتى جردهما من لباس الله الذي كان
ألبسهما بطاعتها له في أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التي
عصاه بأكلها .

قال أبو جعفر : " وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب
أعنى نصب قوله : " ولباس التقوى " لصحة معناه في التأويل على ما بينت
وأن الله انما ابتدا الخبر عنه بانزاله اللباس الذي يوارى سوءتنا والرياش توصيفا
للمشركين الذين كانوا يتجردون في حال طوافهم بالبيت ، ويأمرهم بأخذ ثيابهم
والاستتار بها في كل حال ، مع الايمان به واتباع طاعته = ويعلمهم أن كل ذلك
خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتمريهم لا أنه أعلمهم أن بعض
ما أنزل اليهم خير من بعض .

وما يدل على صحة ما قلنا في ذلك الآيات التي بعد هذه الآية وذلك قوله : " يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما " ، وما بعد ذلك من الآيات الى قوله : " وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " ، فانه جل ثناؤه يأمر في كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرد والتعري ، وبالايمان به واتباع أمره والعمل بطاعته وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان مؤكدا في كل ذلك ما قد أجمله في قوله " يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير " . أهـ توجيهه (١) .

أقول وبالله التوفيق :

ان قوله : " وأما الرفع فان أهل العربية مختلفون في المعنى الذى ارتفع به " لباس " فكان بعض نحوى البصرة يقول : هو مرفوع على الابتداء وخبره في قوله " ذلك خير " وقد استهبطه بعض العربية في ذلك وقال هذا غلط لانه لم يمد على " اللباس " فى الجملة عائد . . الخ .

= بعيد عن الصواب وذلك لانه لم يوجد من النجاة فيما أعلم من خطأ أن تكون الجملة خيرا عن المبتدأ اذا اشتطت على رابط يربط الخبر بالمبتدأ ولكن الشيخ قال هنا : " بأن بعض أهل العربية اعتبر أن تكون جملة " ذلك خير " خيرا عن " ولباس التقوى " خطأ وغلطا ثم عدل ذلك بقوله : " لأنه لم يمد على اللباس " فى الجملة عائدا اذا جعل ولباس التقوى مبتدأ وذلك خير خيرا له ، ولا شك أن دعوى عدم وجود عائد فى الجملة يعمود على

" اللباس " باطلمة لأن اسم الإشارة فى الجملة يميز له الضمير والمشار اليه بمنزلة " المرجع " ولذلك عد اسم الإشارة عند النحاة من الروابط الأربعة التى تربط الجملة بالبتدأ ، وقد أشار ابن مالك رحمه الله تعالى الى تلك الروابط بقوله : حاوية معنى الذى سيقت له من البيت ، ومفردا يأتى ويأتى جملة حاوية معنى الذى سيقت له ، والروابط التى تربط الجملة الواقعة خيرا بالبتدأ أربعة :

الأول : الضمير الذى يرجع الى البتدأ نحو زيد قام أبوه .

والثانى : اسم الإشارة كقوله تعالى : " ولباس التقوى ذلك خير " فى قراءة من رفع " لباس " .

والثالث : تكرار البتدأ بلفظه نحو " الحاقة ما الحاقة " .

والرابع : المصوم الذى يدخل تحته البتدأ : نحو زيد نعم الرجل .

ولا شك أن هذا الوجه من الاعراب هو الراجح من بين الأعراب الستى ذكرت عن قراءة الرفع فضلا عن أن يكون خطأ ، وقد ذهب أبو حيان الأندلسى الى كون هذا الوجه راجحا من بين الأعراب أيضا التى أتى بها على قراءة الرفع وهذا نصه :

" وقرأ باقى السبعة بالرفع ففضل : هو على باخمار مبتدأ محذوف أى

وهو لباس التقوى قاله الزجاج " وذلك خير " على هذا مبتدأ وخبر وأجساز

أبو البقاء (١) أن يكون " ولباس " مبتدأ وخبره محذوف : تقديره : ولباس التقوى

(١) هو على بن عثمان بن محمد بن أحمد من أهل بغداد وله كتب منها :

سراج القارىء ، توفى سنة ثمانمائة هـ ، ٥٥٥/١ ، الاعلام : ١٥٢/١ .

ساتر عوراتكم وهذا ليس بشئ^١ والظاهر أنه مبتدأ ثان وخير خبره والجملة خبر عن ولباس التقوى والرباط اسم الإشارة وهو أحد الروابط الأربعة المتفق عليها في ربط الجملة الواقعة خبر للمبتدأ باز لم يكن آياه (١).

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى : " أن بعض نحوى الكوفة ذهب الى أن "لباس" مبتدأ وخير خبره وذلك نعمت للباس ثم رجح الشيخ هذا الوجه من الاعراب حيثما قال : " وهذا القول عندي أولى بالصواب في رافع " اللباس " لأنه لا وجه للرفع الا أن يكون مرفوعا به " خير " وانما رافع به " خير " لم يكن في " ذلك " وجه الا أن يجعل نعمتا للباس لا أنه عائد على اللباس من ذكره في قوله " ذلك خير " فيكون " خير " مرفوعا به " ذلك " و - " ذلك له " .

أقول وبالله التوفيق :

بأنه رجح الوجه المرجوح على الوجه الراجح عند جمهور النجاة لأن - الأسماء للمبهمة أعرف ما فيه الألف واللام وما أضيف الى الألف واللام وسبيل النعت أن يكون مساويا للمنصوت أو أقل منه تعريفا فان كان قد تقدم قول أحد به فهو سهو (٢) .

وقال أبو حيان : وأما قوله " فان كان قد تقدم قول أحد به فهو سهو " فقد ذكره ابن عطية وقال : هو أنبل الأقوال ذكره أبو علي في الحجة وأجازه

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان : ج ٤ / ص ٢٨٣ .

(٢) هذا قول الحوفي .

أبو البقاء ثم قال أبو حيان : وما ذكره الحوفي هو الصواب على أشهر الأقوال
في ترتيب المعارف . أهـ (١)

وخلاصة القول في ذلك أنه لم يجوز أن يكون النعت أعرف من المنصوت
بالاعدد قليل من النحاه وهم : أبو علي الفارسي ، وأبو اليقات ، وابن
عطيه ومن المعلوم أن جمهور النحاه بخلافهم والصواب :
ما كان عليه الجمهور كما قرره أبو حيان ، هذا وقد ذكر معنى الآية
بناءً على هذا الوجه المرجوح ليكون ذلك وسيلة له الى رجحان ما ذهب اليه ،
وهيئات ذلك .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : " وأما تأويل من قرأه نصباً السخ
ثم قال بعد أن ذكر التأويل على قراءة النصب :
وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ، أعني نصب قوله
" ولباس التقوى " لصحة معناه في التأويل على ما بينت ، وأن الله انما ابتدأ
الخبر عن انزاله اللباس الذي يوارى سوءاتنا والرياش توبيخاً للمشركين الذين
كانوا يتجردون في حال طوافهم بالبيت وبأمرهم بأخذ ثيابهم الى قوله :
" لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل اليهم خير من بعضه " .

أقول وبالله التوفيق :

انه صوب قراءة النصب دون قراءة الرفع مع أن القراءتين متواترتان ، وتصويب
القراءتين دون الآخرة مع توارهما خلاف الصواب ، وقد علمت مما سبق أن قررناه

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان : ج ٤ / ص ٢٨٣ .

أن القراءة اذا علم تواترها لا يمارضها أى شىء من المعارضات .
وقد جعل الشيخ رحمه الله تعالى تفضيل وتصويب قراءة النصب فى
" ولباس التقوى " على قراءة الرفع فى هذا اللفظ الكريم تابعا للتأويل الذى ،
ذكره للقراءتين حيث قال : على تأويل الرفع بنا على القول المرجوح الذى
تمرضه : " فاذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام = ان رفع " ولباس
التقوى " = ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه ، خير لكم يا بنى آدم من
لباس الشباب التى توارى سوءاتكم ومن الرياش التى أنزلناها اليكم هكذا فالبسوه .
" وقال على تأويل قراءة النصب : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا
يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى) هذا الذى أنزلنا عليكم من اللباس الذى
يوارى سوءاتكم والريش ولباس التقوى خير لكم من التعرى والتجرد من الشباب
فى طوافكم بالبيت وتبين من ذلك أنه جعل المفضل عليه على قراءة الرفع الشباب
التي توارى سوءات بنى آدم وشباب الزينة التي هى الريش ، وعلى هذا المفضل
هو لباس التقوى الذى هو الايمان والعمل الصالح والسمت الحسن . (١)

وجعل المفضل عليه على قراءة النصب التعرى والتجرد من الشباب فى
طوافهم بالبيت ، والمفضل على هذا كما زعم اللباس الذى يوارى السوءة
والريش ولباس التقوى ، وجعل اسم الاشارة " ذلك " راجعا الى الثلاثة -

(١) والمعنى : ذلك أى الايمان بالله والعمل الصالح الذى يقرب الانسان

الى خالقه خير من اللباسين الضرورى والزينة .

وهذا التأويل الأخير وبأن كان محتملا إلا أن سياق الكلام يأباه وذلك أن الله أخير قبل هذه الآية عن سلب الشيطان عن آدم وحواء اللباس الذي أعطهما الله بسبب العصيان الذي صدر عنهما ومخالفة أمر الله وطاعة الشيطان ثم أعلم أبناءهما أنه لم يتركهما على حالة العرى بل خلق لهما ولأبنائهما ثوب الضرورة الذي يستر عورتهم ، وثوب الزينة الذي يتزينون به وأعظمهم الايمان والعمل الصالح الذين هما لباس التقوى وأشعرهم أن نعمة الباطن أولى من نعمة الظاهر لأن الاضافة بيانية والمعنى ولباس هو التقوى ذلك خير من اللباسين المذكورين .

وقد ذهب الى المعنى الذي ذهبت اليه صاحب الفتوحات الالهية حيث قال : " الاشارة للباس الثالث على كل من القراءتين أى خير من اللباسين الاولين ، ثم قال : وقوله " ذلك من آيات الله " اشارة الى انزال اللباس بأقسامه وانما كان لباس التقوى خيرا لانه يستر من فضائح الآخرة أهـ (١)

وقد عرفت أنه بنى أساس هذا المذهب الذي ذهب اليه على هذا التأويل حيث قال : " لصحة معناه على ما بينت وأن الله ابتدأ خيره عن انزاله اللباس الذى يوارى سوءاتنا والرياش انما توبيخا للمشركين الذين كانوا يتجسرون فى حال طوافهم بالبيت الى قوله : " ويملمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتمريهم لا انه أعطهم أن بعض ما أنزل اليهم خير من بعض .

(١) انظر الفتوحات الالهية : ج ٢ / ص ١٣٢ .

ثم ذكر أن الآيات بعد هذه الآية تدل على صحة ما ذهب إليه هذا ولا شك ضعف هذا المذهب عندى لأن الآية التي نزلت في بيان ما وقع فيه المشركون من التعمرى عن الشباب وقت الطواف هي قوله تعالى : " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد (الآية) مع قوله " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية " .

وعلى فرض كون هذه الآية نازلة في تجرهم عن الشباب عند طوافهم بالبئيت فان ذلك لا يفض شأن قراءة الرفع لأنها كما علمت متواترة كأختها وانذا - كانت القراءة موصوفة بهذه الصفة التي تقطع ثبوتها لا سبيل الى تفضيل قراءة أخرى عليها أو الطعن فيها ومن حاول ذلك فقد باء باثم كبير وعليه أن يتوب الى الله توبة نصوحا .

ومما لا شك فيه أن القراءتين " قراءة الرفع والنصب " كلتاها بمنزلة واحدة يحرم تفضيل احدهما على الأخرى .

بيان أصحاب القراءتين من القراء المشرة

فالذين يقروءن برفع : " ولباس التقوى " ابن كثير المكي وأبو عمر والبصرى وعاصم وهزلة ويعقوب الحضرمى وخلف العاشر باختياره .
والذين يقروءن بنصب اللفظ الكريم المذكور الباقون من (١) القراء المشرة وقد عرفت أسماءهم ولا حاجة الى ذكرها . أه

(١) انظر النشر في القراءات المشرلا بن الجزرى : ج ٢ / ص ٢٦٨ ، والبدور

٨٧ - قال تعالى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات

من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة

كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون " . (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " اختلفت القراء في قراءة قوله :

" خالصة " فقرأ ذلك بعض قراء المدينة : " خالصة " برفعها بمعنى :

قل هي خالصة للذين آمنوا .

وقرأه سائر قراء الأمصار : " خالصة " بنصبها على الحال من انهم

وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاءً منها بدلالة الظاهر عليها ، على ما وصفت

في تأويل الكلام أن معنى الكلام : قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا

مشتركة وهي لهم في الآخرة خالصة .

ومن قال ذلك بالنصب جعل خبر " هي " في قوله " للذين آمنوا " .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " وأولى القراءتين عندي بالصحة

قراءة من قرأ نصاً لا يثار العرب النصب في الفعل (٢) اذا تأخر بعد الاسم

والصفة وان كان الرفع جائزاً غير أن ذلك أكثر في كلامهم . أه المراد منه (٣)

(١) سورة الأعراف : آية / ٣٢ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري : ج ٧ - ٨ / ص ١١٢ - ١١٣ ، ج ١٢ / ص ٤٠١

(٣) والفعل يعنى المصدر ، والاسم هو المشتق و " الصفة حرف الجر والظرف "

انظر : فهارس المصطلحات ، وقد أسلف أبو جعفر : ج ٢ / ص ٣٦٥ ،

أن خالصة مصدر مثل العافية اه من التعليق للشيخ عند تفسير هذه الآية .

أقول وبالله التوفيق :

انه يرى أن قراءة رفع لفظ " خالصة " ليست صحيحة وأن قراءة النصب فى هذا اللفظ الكريم " خالصة " هى الصحيحة ولا شك أن ^{هذا}الرأى يطمئن فى القراءة التى يراها أنها غير صحيحة مع ثبوتها بطريق التواتر الذى لا يمكن الشك فيه وجود السقط فيه كأختها التى رأى صحتها ، وقد تبين لك ماقررنا سابقا أن مثل هذا الأسلوب الذى يتضمن تصحيح قراءة دون الأخرى مع ثبوتها بطريق القطع لا يجوز استعماله فى موضوع القراءات الذى مناه التوقيف لا الرأى والاجتهاد ومن خاض فيه بالرأى فقد أخطأ الصواب هذا . .

وقد احتج الشيخ رحمه الله تعالى لتأييد هذا الرأى الذى تبناه بقوله

" لا يثار العرب النصب . . الخ "

أقول : انه لا شك أن القياس اللغوية والمثلل النحوية والصرفية

لا تقوى على معارضة قراءة هى بهذه المنزلة ولا عبرة لذكرها هنا من الشيخ لأن الرأى فى مقابل النص مرفوض لا يلتفت اليه .

وحينئذ علم بالقراءاتان التى صححتان متواترتان فهورتان ليس هنا

ما يمس صحة باحداهما دون الثانية وأما وقع منه فى عدم صحة قراءة الرفسع

دون قراءة النصب . فانه بعيد عن الصواب هنا ، والصواب ما علمته آنفا فى

هذا الرد الذى تناولناه . والله أعلم .

توجيه القراءتين واضح من كلامه لا خفاً فيه ، وهذا يعتمر من المحاسن

الكثيرة التي هي ظاهرة في ثنايا هذا السجل العظيم .

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذى يقرأ برفع " خالصة " نافع بن نعيم المدني (١) ، والذين

يقرونها ينصبها المياقون من القراء المشرفة .

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى : ج ٢ / ص ٢٦٩ ،

والبدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضى : ص / ١١٤ .

٨٨ - قال تعالى : " ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين " (١) .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : " اختلفت القراء في قراءة قوله :
" قالوا نعم " .

فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة : " قالوا نعم " بفتح
المين من ز نعم " .

وروى عن بعض الكوفيين أنه قرأ : " قالوا نعم " بكسر العين ، وقد
أنشد بيتا لبني كلب :

نعم اذا قالها منه محققة ولا تحتيب عيسى منه ولا قسمت

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عننا نعم بفتح المين لأنها

القراءة المستفيضة في قراء الأمصار واللغة المشهورة في العرب . أه .

أقول وبالله التوفيق :

ان ابن جرير صرح بأن الصواب من القراءة هنا فتح المين من " نعم "

ثم عطل ذلك باستفذتها عند قراء الأمصار ويكونها اللفة المشهورة عند

العرب ولا شك أن هذا التعبير يقتضى أن قراءة كسر المين غير صواب لأنها

(١) سورة الأعراف : آية / ٤٤ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري : ج ٧ - ٨ ص ، ج ١٢ / ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) قال المحقق : لم أجد البيت ولم أعرف قائله " فمن " جدير يقول : لو قال

لك : " عسى أن يكون ما تسأل " أو " أنت فمن أن تنال ما تطلب " فذلك منه

بانفاد لما تسأل وتحقيق لما تطلب ، وكان في المطبوعة ولا تجر " عسى " غير ما

في المخطوطة وهو الصواب لانه قال ان العدة بنعم محققة وبما هو أقل منا

فقدت ما توفر مع القراءة الثانية التي هي فتح العين من اللفظ الكريم عسى
زعمه ومن المعلوم بالضرورة أن القراءة اذا ثبتت من أحد القراء المشرة فانه
يجزم بتواترها فاذا علم تواترها علم شهرتها واستفاضتها عند القراء المحققين
فاذا ظهرت في هذه المنزلة المروقة يحرم الطعن فيها وانكارها مطلقا .

ومما لا ريب فيه أن هذه القراءة بمعنى قراءة كسر العين من "نعم"
قراءة متواترة مشهورة ومستفيضة عند أئمة القراء يقرأ بها امام منهم وهم
الكسائي وهي قراءة سبعية متفق على تواترها عند جمهور العلماء قاطبة .

وهذا المنهج الذي نهجه في توجيه بعض القراءات من تفضيل بمضها
على بعض تارة وانكار قراءة متواترة تارة أخرى غير مرضى لانه يؤدى الى الطعن
في القراءات والطعن فيها ذنب كبير ، غفر الله لنا وله .

وأما ما ذكره الشيخ = من أن قراءة فتح العين من هذا اللفظ الكريم
ستفيضة عند قراء الامصار مقطوع بكونها صوابا دون قراءة كسر العين من
ذلك = يقتضى أن القراءة ان جاءت بطريق قارى واحد من بين القراء
المشرة تصحح غير ستفيضة وغير صواب ولا شك أن هذا خلاف الحق الذى عليه
السلف .

والمحققون من العلماء ، وذلك أن القراءة اذا ثبتت عند أحد المشرة
ولو وجها من الوجوه فانه مقطوع باستفاضتها وتواترها ولا ريب في ذلك البتة
وقد أزال هذا الشبهة التي تعتر في طريق الحق ^{صاحب} عند بعض الناس لطائف
الإشارة لفنون القراءات * الامام شهاب الدين القسطلاني حيث قال :

" ومن له اطلاع على هذا الشأن يعرف أن الذين قروا هذه القراءات العشر وأخذوها عن الأمم المتقدمين كانوا إما لا تحصى وطائف لا تستقصى والذين أخذوا عنهم أيضا أكثر وهم إلى زماننا هذا فقد علم ما ذكر أن السبع متواترة اتفاقا وكذا الثلاثة :

(أبو جعفر ويعقوب وخلف بعد الخلف) " والصحيح اتفاقا أيضا " ،
وأن الأربعة بعدها شاذة اتفاقا . اهـ (١)

فان قلت : الاسانيد إلى الائمة السبعة وأسانيدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم على ما في الكتب القراءات آحاد لا تبلغ عدد التواتر فمن أين جاء التواتر ؟

أجيب بأن انحصار الأسانيد المذكورة في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم وإنما نسبت القراءات إلى الأئمة ومن ذكر في أسانيدهم والأسانيد اليهم لتصديقهم لضبط الحروف وحفظ شيوخه فيها ، ومع كل منهم طبقة ما يبلغها عدد التواتر لان القرآن قد تلقاه من أهل كل بلد بقراءة امامهم الجم الغفير عن مثلهم وكذلك دائما مع تلقى الأمة لقراءة كل منهم بالقبول . اهـ (٢)

فان نازع في تواتر القراءات العشر أحد قلنا له : ما نقول : في قراءة

ابن كثير مثلا في سورة التوبة : " تجرى من تحتها الأنهار " آية / ١٠٠ .
بزيادة من ، وقراءة غيره من العشرة باشقاطها فان قال : متواترة فهو الغرض وان منع تواتر ذلك فقد حرق الاجماع المضعفد على ثبوتها أو باهت فيما هو معلوم

(١) انظر لطائفا لاشارات لفنون القراءات للشيخ : ج ١ / ص ٧٧ .
(٢) انظر لطائفا لاشارات لفنون القراءات للشيخ : ج ١ / ص ٧٧ - ٧٨ .

منهما وان قال بتواتر بعض دون بعض تحكم فيما ليس له لأن ثبوتهما في الرتبة سواء فلزم التواتر في الجميع (١) .

أقول : وما يدل على أن القراءة اذا جاءت عن قارىء واحد لا يوضع ذلك تواترها الواقع الذى نشاهده ونعيشه فى حياتنا .

والمثال على ذلك = وقديما قالوا وبالمثال يتضح المقال = أن عددا كبيرا من الطلاب يتلقون القراءة عن شيخهم ، وكل هؤلاء الطلبة يتقنون ما تلقوه حسب الاتقان ، ولكنه من بين هذا العدد الهائل يتصدى للاقراء واحد أو اثنان وهكذا وهل يسوغ لنا فى تلك الحال أن ننفي التواتر فى هذه الطبقة والجواب : لا ،

وأما ما ذكره من أن القراءة التى هى مشهورة فى لغة العرب هى فتح العين دون كسرها فلا يقبل منه وذلك أن كسر العين من لغات العرب ولذلك ثبتت فى أشعارهم ولغة قد استشهد الشيخ نفسه بذلك والبيت ليس ببعيد عنك ، ويكف هذا شاهد الثبوتها عند العرب .

ومع ذلك كله فان القراءة اذا تواترت = وقد علمت تواترها - فوق هذه - الشبهات التى يقوم بها من لا علم له بحقيقة القراءات ولا أعنى بذلك هذا الامام الكبير الذى خلد لنا هذا التراث الخالى ، وأما هو فالذى لا شك فيه اننا نطلب له العذر مما وجدنا الى ذلك سبيلا أو سكننا بعد بيان الحق فى المسألة . وقد تحقق مما ذكرنا أن القراءتين متواترتان لا شك فى ذلك .

بيان أصحاب هاتين القراءتين :

فالذى يقرأ بكسر العين الكسائى رحمه الله تعالى والذين يقرؤون بفتحها فى هذا اللفظ الكريم الباقيون من القراء العشرة . (٢)

٨٩ - قال تعالى : " والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث

لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون " . (١)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : " اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعض أهل المدينة : " الا نكدا " بفتح الكاف ، وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف " نكدا " ، وخالفهما بعد سائر القراء في الأضار ، فقرأه " الا نكدا " بكسر الكاف .

كأن من قرأه " نكدا " بنصب الكاف أراد المصدر ، وكأن من قرأ بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال : " هذه فخذ وكبد " وكان السدى يجب عليه اذا اراد ذلك أن يكسر " النون " من " نكد " حتى يكون قد أصاب - القياس .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه : " نكدا " فتح النون وكسر الكاف لا جماع الحجة من قرأه الأضار عليه اهـ . المراد منه . (٢)

أقول وبالله التوفيق :

بان الشيخ قطع بأن القراءة التي هي الصواب من بين القراءات التي أوردتها في هذا اللفظ الكريم هي قراءة من قرأه : " نكدا " بفتح النون وكسر الكاف ثم ذكر الحجة التي جعلته يذهب الى المذهب الخطير بقوله : " الاجماع الحجة من قرأه الأضار عليه " .

(١) سورة الأعراف : آية / ٥٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري : ج ١٢ / ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

ولا ريب أن هذا الأسلوب يدل على أن ما عدا هذه القراءة التي ذكر أنها هي القراءة المقرّوة على وجه الصواب = خطأ وغلط والعجب أن القراءتين - الأخرتين باحداهما متواترة عشرية والمشهور عند المحققين من العلماء أن - القراءات العشر كلها متواترة وحق وصواب بلاشك ويكيف يدعى أن الصواب من - القراءتين المتواترتين احداهما حيث قال : " والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه " نكدا " بفتح النون وكسر الكاف .

ومما يدل على أن الشيخ رحمه الله تعالى خاض في هذا التصويب بدون - تأمل أنه خلط بين القراءات المتواترة والشواذ من أن يبين درجة القراءة حيث أنكر قراءة متواترة لانه قطع بكون اختها صوابا مع تواترها على حد سواء والذ هاب الى هذا التصويب بانكار لأختها بلا ريب .

وأیضا ذكر قراءة شاذة ولم يبين شدوذها وتركها مبهمه ولاشك أن هذا يوقع القارئ في لبس وذلك حيث اقال : " وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف : نكدا " ولاشك أن هذا التصرف من الصنف مما يؤخذ عليه ، ويعد من سقطاته عفا الله عنا وعنه .

والقراءة المتواترة التي اعتبرها غير صواب هي قراءة فتح الكاف من " نكدا " يقرأ بها أبو جعفر يزيد بن القعقاع شيخ نافع المدني من القراء العشرة الذين أطلعناك على أسمائهم .

والقراءة الثانية التي ذهب الشيخ رحمه الله تعالى الى أنها هي الصواب فقط هي قراءة باقي القراء عدا أبا جعفر المدني .

وهناك قراءة عشرية في الآية الكريمة ترك المصنف ذكرها وهي في هذا اللفظ
الكريم " لا يخرج " حيث يقرأ ابن وردان بخلف عنه بضم الياء وكسر الراء والباقيون
بفتح الياء وضم الراء وهو الوجه الثاني لابن وردان ، ولكن الشيخ لم يتعرض لها
مع أنه دائماً يوجه القراءات غالباً والكمال سبحانه وتعالى .

" وقد صرفت من هذه الردود أن ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من قطعة
أن القراءة التي يقرأ على وجه الصواب هي قراءة فتح النون وكسر الكاف دون غير
بعيد عن الصواب لأنه يدل على أن ما عدا هذه القراءة قطع بكونها صواباً خطأ
هذا والحق الذي لا ريب فيه أن القراءتين يعني قراءة أبي جعفر وقراءة الباقيين
صواب على حد سواء .

والقراءة الثالثة " بسكون الكاف " من " تكدا " التي أشار إلى
أنها قراءة الكوفيين شاذة .

والله أعلم {

٩٠ - قال تعالى : " قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حشرين " (١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

" اختلفت القراء في قراءة ذلك فقراءته عامة سرا المدينة وبعض المراقبيين

" أرجه " بغير الهمز ، ويجر الهاء .

وقرأ بعض القراء الكوفيين : " أرجه " بترك الهزمة وتسكين الهاء على

لغة من يقف على الهاء في الكنى في الوصل اذا تحرك ما قبلها .

وقراءة بعض البصريين : " أرجئه " بالهمز وضم الهاء على لغة من

ذكرت من قيس .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وأولى القراءات في ذلك بالصواب :

أشهرها وأفصحها في كلام العرب وذلك ترك الهمز وجر " الهاء " وان كانت

الأخرى جائزة غير أن الذي اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء

العرب . اهـ المراد منه .

أقول وبالله التوفيق :

ان الشيخ رحمه الله تعالى كعادته في توجيه بعض القراءات أراد أن -

يخضع القراءات لكلام العرب ويصوب قراءة على قراءة ويرجح بعضها على بعض .

مع أن هذه القراءات التي أجرى فيها المقارنه متواترة حيث قال - :

" وأولى القراءات في ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها في كلام العرب . . الخ "

وقد علمت من الردود السابقة أن هذا الرأي مرفوض غير مقبول ولو ساغ لأحد أن يتجه الى هذا الرأي لساغ ذلك لسيد الخلق ولكنه لم يفضل قراءة على أخرى بل صوب لجميع وعلمنا من ذلك أن هذا وقوع فيما لا يجوز الوقوع فيه .

ومما لا شك فيه أن هذه القراءات كلها حق وصواب من عند الله على درجة واحدة لا تفضل احداها على الأخرى جاءت على أوضح لغات العرب وأشهرها كما قال الله منزلها " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لئدن حكيم خبير " ، وبعد ذلك يجب على القارىء الا يعتبر بهذه التوجيهات التى تناولها الشيخ لتصويب القراءة على غيرها مع تواتر الكل هذا . . .

ثم ان الشيخ رحمه الله تعالى لم يبين القراءات فى هذا اللفظ الكريم على الوجه الأكمل الذى قام به أئمة القراء كما أنه لم يبين أصحاب هذه القراءات بل - أسندها الى بعضهم دون البعض حيث قال فى نسبة القراءة الى ذويها :
وقراءة بعض البصريين : " أرجئه " بالهمز وضم الهاء وذلك أن أصحاب هذه -
القراءة لم يكن البصريين فقط بل يقربها المكيون والشاميون .

وبعد ذلك فبيان القراءات فى هذا اللفظ الكريم كالآتى : -

- ١ - فالذين يقرأون بترك الهمز ويكسر الهاء من غير صلة قالون وابن وردان .
- ٢ - والذين يقرأون بترك الهمز ويكسر الهمز مع صلتها ورشد الكسائى وابن جمار وخلف فى اختياره .
- ٣ - والذين يقرأون بهمزة ساكنة بعد الجيم وضم الهاء مع الصلة ابن كثير وهشام
- ٤ - والذى يقرأ بهمزة ساكنة بعد الجيم وضم الهاء من صلتها ^{الهاء} _{ففى} للهاء أبو عمر والبصرى .
- ٥ - والذى يقرأ بهمزة ساكنة بعد الجيم ويكسر الهاء - من غير صلة ابن ذكوان .

٦ - والذين يقرون بترك الهززة وبأن سكان الهاء عاصم وهمزة .

وقد عرفت ما ذكرنا أنه لم يبق بهذا البيان مع أن المقام يحتاج الى ذلك

هذا . . .

وأما ما ذكره اليه الشيخ من أن الذي دعاه الى تصويب القراءة التي صوبها

أورجحها كونها أشهر وأفصح في كلام العرب وكونها أكثر دوارنا على ألسن

فصحاء العرب فمردود عليه وذلك لان فصاحة القرآن فوق جميع الفصاحات لأن

القرآن كله في أعلى الفصاحة والبلاغة بلا تفاوت في ذلك .

وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من المفكرين السابقين فكشفوا عنها .

وقرروا ما يزيل مثل هذه الشبهة التي وقع فيها الشيخ رحمه الله تعالى

حيث جعل ألفاظ القرآن على مراتب منها ما هو أفصح ومنها ما هو فصيح ومنها

ما هو دون ذلك قرر هو " لا " المفكرون الأمجاد هذه الحقيقة واليك بيان ذلك :

قال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي : " فالذي يشتمل عليه نظم

القرآن المتضمن للاعجاز وجوه :

منها ما يرجع الى الجملة وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتبيان -

مذاهبه - خارج عن المصنوع من نظام جميع كلامهم ، وسأين للمألوف من ترتيب

خطابهم وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد وذلك

أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم الى أعريض الشعر على

اختلاف أنواعه ثم الى أنواع الكلام الموزون غير العقي ، ثم الى أحناف الكلام

المعدل السجع ، ثم الى معدل موزون غير مسجع ثم الى ما يوسل بارسالا فتطلب

فيه الاصابة والافادة وبافهام المعاني المعترضة على وجه بديع ترتيب لطيف ، وان

لم يكن معتدلا في وزنه ، وذلك شبهه بحملة الكلام الذي لا يتمم في فيه ولا يتصع له ، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع ولا فيه شيء منه وكذلك ليس من قبيل الشعر لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع ومنهم من يدعى فيه شعرا كثيرا ، والكلام عليهم بذكر بعد هذا الموضع ، فهذا اذا تأمله التأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع الى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه .

ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والفرابة والتصريف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الفزيرة والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة عن هذا الطول ، وعلى هذا القدر وانما تنسب الى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة ، والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال ويمترضها ما نكشفه من الاختلاف ويشطها ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف .

وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قائل : " الله نزل أحسن الأحاديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله " ، وقال : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " فأخبر سبحانه وتعالى أن كلام الآدمي ان امتد وقع فيه التفاوت ببار عليه الاختلال . .

وفي ذلك معنى ثالث : وهو أن من عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ، - ولا يتباين على ما يتصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواغظ

واحتجاج ، وحكم وأحكام ، واعذار وانذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف
وأوصاف وتعليق أخلاق كريمة ، وشيم رفيحة ، وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه
التي يشتمل عليها .

ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، يختلف
على حسب اختلاف هذه الأمور .

فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في
الهجو دون المدح .

ومنهم من يسبق في التقريظ دون التأيين ، ومنهم من يجود في التأيين
دون التقريظ ، ومنهم من يفرغ في وصف الأبل أو الخيل أو سير الليل
أو وصف الحرب ، أو وصف الروض ، أو وصف الخمر أو الفزل أو غير ذلك
ما يشتمل عليه الشعر ويتناولة الكلام ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس

إذا ركب والنايفة إذا رهب ويزهير إذا رعب والأعشى إذا طرب .

ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام .

ومثلي تأملت شعر الشاعر البليغ ، رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال
التي تصرف فيها فيأتي بالغاية في البراعة في معنى فإذا جاء إلى غيره قصر عنه
ووقف دونه ، وبإذن الاختلال على شعره ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم لأنه
لا خلاف في تقدمهم في صفة الشعر ولا شك في تبرزهم في مذهب النظم
فإذا كان الاختلال يتأتى في شعرهم لا اختلاف ما يتصرفون فيه ستفنينا عن ذكر
من هو دونهم وكذلك يستفنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل
ونحوها " ونحوها " ثم نجد من الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم

القصد أصلا ، ومنهم من ينظم القصيد ولكن يقصر تقصيرا هجيبا ويقع ذلك من رجزه موقعا بعيدا ومنهم من يبيخ في القصيدة الرتبة العالية ، ولا ينظم الرجز أو يقصر فيه مهما تكلفه أو تعلمه .

ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فاذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا بينا ومنهم من يوجد بصد ذلك .

وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط من المنزلة العليا ولا اسفاف فيه الى التربة الدنيا ، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف اليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيدة قرأنا الاعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف ، وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتا بينا ويختلف اختلافا كبيرا .

ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة فملنا بذلك أنه ما لا يقدر عليه البشر لأن الذي يقدرون عليه قد بيننا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تناين الوجوه والاختلاف الأسباب التي يتضمن . اهـ (١)

ومع ما فتحت عينك على هذه الحقيقة فمليك أن تنظر فيها بعين الاعتبار حتى لا تقع فيما وقع فيه كثير من الناس من الطمن في القراءة اذا لم توافق هواء من اخضاع القراءة التي هي كلام الله الذي أحاط بكل شيء علما لكلام الناس الذين

(١) انظر اعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني : ص / ٣٥ - ٣٨ .

الذين هم في عرضة الجهل والنسيان ولو سلمنا هذا الرأي جد لا فمن الذين
يحبط بجميع اللغة العربية لأنها أوسع للغات ولا حاجة الى ذلك لأنك قد
عرفت حقيقة الأمر في الموضوع .

وحيث أن جميع القراءات التي أوردها الشيخ في هذا اللفظ الكريم صواب
بلا ريب على حد سواء ولا عبرة لما ذهب اليه من تفضيل قراءة على غيرها كما علمت
والله أعلم .

٩١ - قال تعالى : " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا

فلما أفاق قال سبحنك تبت اليك وأنا أول المؤمنين " (١)

قال الشيخ رحمه الله تعالى :

" واختلفت القراء في قراءة قوله : " دكا " .

فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة : " دكا " مقصورا بالتنوين

بمعنى : " دك الله الجبل دكا " أي : فتنه ، واعتبارا بقول الله :

" كلا اذا دكت الأرض دكا دكا " (٢) ، وقوله : " وحطنته الأرض والجبال

فدكنا دكة واحدة " . (٣)

وقرأته عامة قراء الكوفيين : " جعله دكا " بالمد وترك الجر والتنوين

مثل " حمرا ، سودا " وكان من يقرأه كذلك عكرا ويقول فيه ما حدثني

به أحمد بن يوسف قال : حدثنا القاسم بن سلام قال حدثنا عباد بن عباد

عن يزيد بن حازم عن عكرمة قال : " دكا " من الدكاوات " وقال : لما

نظر الله تبارك وتعالى الى الجبل صار صحرا ترايبا .

فقال بعض نحوي البصرة تقول : " ناقة دكا " ليس لها سنام

وقال : الجبل مذكر فلا يشبه أن يكون منه الا أن يكون جعله : " مثل دكا "

حذف مثل : وأجراه مجرى : (واسأل القرية) سورة يوسف : ٨٢ .

(١) سورة الأعراف : آية / ١٤٣ .

(٢) سورة الفجر : آية / ٢١ .

(٣) سورة الحاقة : آية / ١٤ .

وكان بعض نحوى الكوفة يقول : معنى ذلك : جعل الجبل أرضا
دكا ثم حذفت الأرض وأقيمت الدكا^١ مقامها ، إذ أدت عنها .
قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب
عندى قراءة من قرأ " جعله دكا " بالمد وترك الجر لدلالة الخبر الذى روينا^٢
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملى صحته وذلك أنه روى عنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال : " فساخ الجبل ، ولم يقل : " فتفتت " ولا " تحول ترابها
ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض ، فصار بمنزلة الناقة التى ذهب
سناسها وصارت دكا بلا سنام .

وأما إذا دك بعضه فأنما يكسر بعضه بعضا ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكا^٣
فإنها خلف من الأرض فلذلك أنثت على ما قد بينت . اه المراد .

أقول وبالله التوفيق :

ان أبا جعفر الطبرى رحمه الله حاول هنا أيضا أن يصوب قراءة الهمز
فى قوله " دكا " دون القراءة الثانية التى بدون الهمز وقد علمت أن هذا
لا يجوز لأن كلتا القراءتين متواترة على حد سواء ، ورفع شأن القراءة فيها
عن شأن القراءة الساوية لها فى ثبوتها بطريق التواتر طعن فيها
لأن الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم لم يعرف عنه^٤ هذا التفضيل والترجيح
بل الذى عرف عكس ذلك كما علمت سابقا ، وقد ذكر الشيخ السبب الذى دعاه الى
هذا التصويب .

حيث قال : " وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأ " دكا "
بالمد وترك الجر لدلالة الخبر الذى روينا^٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولاشك أن الخمر لا يدفع قراءة متواترة وذلك أن هذه القراءة التي هي
مرجوحه ^{عنده} على فرض صحته في نظر الشيخ رحمه الله تعالى عجائب عن الرسول
صلى الله عليه وسلم كما جاءت أختها عنه ومذهب الحق = اذا كانت القراءتان
كذلك = تصويبهما على السواء لأنهما من عند الله الذي لا يضل ولا ينسى .

وأما ما ذكره من أن الرسول فسر هذا اللفظ الكريم (دكا) بقوله :

" فساخ الجبل " فسلا يوتر في منع القراءة التي قرئت بغير هذا الوجه مع
تواترها وغاية ^{ما} الأمر على رأيه أن معنى دكا على قراءة الهمز أن الجبل في ^{الأرض} ساخ
ولم يفتت ، ومعنى هذا اللفظ الكريم على قراءة غير الهمز أن الجبل فتت —

وانقشق بعضه عن بعض وكسر حتى فتت وصار أرضا مستوية مع الأرض التي هو
عليها والدليل على ذلك قوله تعالى " ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي
نسفا فيذرها قاعا صاففا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا " سورة طه / ١٠٧ .

وقوله تعالى : " وست الجبال بسا فكانت هباء منبثا " سورة الواقعة / ٥

وقوله : " وتكون الجبال كالصهون المنفوش " سورة القارة / ٥ .

وقوله : " ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا " .

سورة الكهف : آية / ٤٧ .

وهذه الحكاية وان كانت بيانا لما يقع للجبال من شدة أهوال القيامة الا أنها

تدل على أن معنى الدك والدكاء واحد لا يختلف لأنه انفتت والمنسف وليس

معنى الرسوخ في الأرض .

والى هذا المعنى الذى ذكرته ذهب كثير من المفسرين ، ولذلك قال :
أبو حيان : " ترتب على التجلى أمران ، أحدهما تفتت الجبل وتفرق أجزائه
والثانى خروار موسى مفضيا عليه .

قاله ابن زيد وجماعة المفسرين .

وقال السدى : ميتا وببمده لفظة أفاق ، وذكر أبو حيان أن الأقوال
كثيرة فى نسبة التجلى اليه والظاهر نسبة التجلى اليه تعالى على ما يليق به
من غير انتقال ولا وصف يدل على الجسمية .

ثم أورد أبو حيان أقوال المفسرين فى معنى كون الجبل " دكا " " وكاء ")
قال : قال ابن عباس : صارت رابا ، وقال مقاتل : قطعاً متفرقة ، وقيل
صار ستة أجبل ثلاثة بالمدينة : أهدو قرقاتان وورضوى ، وثلاثة بمكة : ثور
وشبير ، وحرأء " . رواه أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذهب
أعلاه وبقي أسفله ، وقيل صار غباوا (١) تذرره الرياح ، وقال سفيان روى أنه
انسياخ فى الأرض وأفضى الى البحر الذى تحت الارضين قال ابن الكلبى :
فهو يهوى فيه الى يوم القيامة ثم قال أبو حيان رحمه الله تعالى بعد أن ذكر
هذه الأقوال فى معنى الدكك والدكاء .

وقال الجمهور دكا أى مدكوكا أو ذارك .

وقرأ حمزة والكسائى : " دكاء " على وزن حرأء ، والدكاء الناقطة التى

لا سنام لها والمعنى جعله أرضاً دكاً تشبيهاً بالناقطة الدكاء .

وقال الربيع بن خثيم : أبسط يدك دكاً مدها مستوية .

وقال الزمخشري : والدكاء اسم للرابية الناشرة من الأرض كالدكة وهذا

يناسب قول من قال انه لم يذهب بجملته وانما ذهب أعلاه وبقي اكثره . (١)

وفصل القضاء في هذا الموضوع أن معنى القراءتين واحد وهو أن الجبل

تناثر من تجلى الله سبحانه وتعالى حتى صار أرضا مستوية ، وأن القراءتين

متواترتان على حد سواء لا فضل لاحدهما على الأخرى في ذلك .

وتصويب الشيخ لقراءة الهمزة في هذا اللفظ الكريم دون الثانية لوجه

له قطعا حتى ولو ذهبنا الى ثبوت معنى الذي قرره اللفظ " دكاء " لأن القراءة

بمنزلة الآية ولا تعارض بين آي القرآن الكريم ولم يقل به أحد من أهل العلم

وتبين من ذلك أن ما ذهب اليه غير صواب لانه يؤدى الى غض شأن القسراءة

الثانية التى هى بغير الهمز وهذا يعترض خروجا عن طريق السلف الذين

ينظرون الى القراءات العشر من زاوية واحدة . هذا . . .

وأصحاب هاتين القراءتين كالاتى :-

فالذين يقرؤون بحذف الهمزة والمد ويا مثبتات التنوين نافع وأبو جعفر

المديتان ، وابن كثير المكي وأبو عمرو البصرى ويعقوب الحضرمي وابن عامر الشامي

وعاصم الكوفي والذين يقرؤون بهمزة مفتوحة بعد الألف حمزة والكسائي وخلف

العاشر . ا ه .

(١) انظر البحر المحيط : ج ٤ / ص ٣٧٤ .

٩٢ - قال تعالى : " ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا

لئن لم يرحمنا ربنا ويفغر لنا لنكونن من الخاسرين " . (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك

فقراء بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة : " لئن لم يرحمنا ربنا "

بالرفع على وجه الخبر .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة : " لئن لم ترحمنا ربنا " بالنصب

بتأويل : لئن ترحمنا يا ربنا = على وجه الخطاب منهم لهم واعتل قاروا

ذلك كذلك بأنه في إحدى القراءات .

" قالوا ربنا لئن لم ترحمنا وتغفر لنا " وذلك دليل على الخطاب .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : والذي هو أولى بالصواب من القراءة

في ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء في يرحمنا وبالرفع في قوله : " ربنا "

لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجها إلى الخطاب .

والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها : " قالوا ربنا لئن لم

ترحمنا " (٢) لا تعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه . اهـ (٣)

(١) سورة الأعراف : آية / ١٤٩ .

(٢) قال ابن شاکر : في المطبوعة : " قالوا لئن يرحمنا ربنا " وتأخير ربنا

والصواب تقديمها كما في المخطوطة وهو تصرف سيء من الناس .

(٣) انظر تفسير ابن جرير الطبري : ج ١٢ / ص ١١٩ - ١٢٠ ، مخطوطة

ج ٩ - ١٠ / ص ٤٣ - ٤٤ .

أقول وبالله التوفيق :

ان الشيخ رحمه الله تعالى أراد أن يجعل القراءات خاضعة للقياس كما فعل ذلك حيث ذهب الى أن القراءة التي هي أولى بالصواب من القراءتين القراءة على وجه الخير دون الأخرى ثم علل ذلك بقوله : " لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجهها الى الخطاب " ولا شك أن هذا القول يجيز القراءة بالرأى وذلك = على رأيه = أنه اذا تقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجهها الى الخطاب جازت القراءة على وجهه الخطاب وان لم يتقدم لم يجز ذلك وهذا محض الرأى ، والرأى لا يصيب ويخطئ والقراء بخلاف ذلك لأن القراءة اذا جاءت بطريق التواتر لا يدفعها شئ * لانها سنة متبعة لا دخل لأرا^{الناس} فيها بل هي تتوقف على التلقى والاخذ من أهلها الى أن تصل الى الله بطريق التواتر وأما قوله : = " والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها (قالوا ربنا لئن ترحمنا) لا نعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم اليه " = فيدل على أن هذه القراءة المذكورة لو عرف صحتها لكانت قراءة الخطاب متساوية بقراءة الخبير في الدرجة ، ولا شك أن هذا القول لا معنى له فيما ذهب اليه لأن هذه القراءة التي ذهب اليها مروجويتها حق وصلوات كأختها المقروءة على وجه الخير ، سواء صحت هذه القراءة المذكورة أو لم تصح لأنها قراءة - تواترة كقراءة الخبير فاذا تواترت القراءة لا حاجة لها الى شاهد يشهد بثبوتها مع أن هذه القراءة المذكورة هي قراءة عبد الله ابن مسعود كما ذكر المعلق ، وقراءة عبد الله أنواع كثيرة منها ما هو ^{قبل} العرضة الأخيرة ومنها ما هو بعدها ومنها ما يدل وما غير وما تسسخ وقد عرفت هذه الأقسام قبل ذلك قراجمها .

وقوله : " لا نعرف صحتها " يدل على أن الشيخ رحمه الله تعالى
غالباً ما يفرق بين القراءات المتواترة والشاذة ، ولذلك شك في أنها صحيحة
أو غير صحيحة مع أنها شاذة بلا شك لأن ما وراء المشرة شاذة عند جمهور العلماء
عند الجمهور من الفقهاء والمحدثين والقراء .

و خلاصة القول أن هذه القراءة التي هي على وجه الخطاب " لسئ -
ترحمنا ربنا وتغفر لنا " لا يتوقف ثبوتها على هذه القراءة المشكوكة ، بل ثبت
تواترها بدون ذلك كما هو مشهور عند أهل هذا الشأن .

ومن الأسف أنه أحياناً يفض شأن قراءة ويرفع شأن قراءة أخرى —
تواترها وهذا خطأ بين لأنها إذا كانت على هذا الوجه لا تفضل بعضها على
بعض بل يجب تصويب الجميع دون تردد كما هو مذهب السلف رضوان الله عليهم
جميعين .

هذا وتوجيه القراءتين ظاهر لا يحتاج إلى المعالجة أكثر مما ذكره .

" بيان أصحاب هاتين القراءتين "

فالذين يقرؤون هذا اللفظ الكريم قالوا " لكن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا "
على وجه الخبر من العشرة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر
ويعقوب الحضرمي .

والذين يقرؤون بتاء الخطاب في الفعلين ونصباً ربنا لهم حمزة والكسائي
وخلف الماشر . والله أعلم . (١)

(١) انظر البدور الزاهرة في القراءات المتواترة للشيخ عبد الفتاح رحمه الله
تعالى ص ١٢٢ ، والنشر في القراءة المشرلاً لابن الجزري رحمه الله تعالى ج ٢
ص ٢٧٢ .

٩٣ - قال تعالى : " فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهون عن
السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون " (١) .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

" وأما قوله : " بعذاب بئيس " فان القراء اختلفت في قراءته
فقرأته عامة قراء أهل المدينة : بعذاب " بئيس " بكسر الباء وتخفيف اليا
بمعير همز على مثال " فعل " .

وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة : " بعذاب بئيس " على مثال
" فمعل " من البؤس بنصب الباء وكسر الهمزة ومدّها .

وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين غير أنه كسر باء " بئيس " على مثال :
" فمعل " .

وقرأه بعض الكوفيين : " بئيس " بفتح الباء وتسكين اليا وهمزة بمدّها
مكسورة على مثال " فمعل " .

= وذلك شأن عند أهل العربية لأن فمعل ، اذا لم يكن من ذوات
اليا والواو ، فالتفتح في عينه الفصح في كلام العرب وذلك مثل قولهم : في
نظيره من السالم : " صعقل " وينرب وانما تكسر الميم من ذلك في ذوات
اليا والواو كقولهم : " سيد " و " ميت " وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس
بن عابس الكندي :

(١) انظر سورة الأعراف : آية / ١٦٥ .

كلاهما كان رئيسا بيئيسا يضرب في يوم الهياج القونمسا
بكسر العين من " فيعل " وهي الهمزة من " بيئيس " نحو القراءة التي ذكرناها
قبل هذه ، وذلك بفتح الباء وتسكين اليا وفتح الهمزة بعد اليا على مثال
" فيعل " مثل صمئل .

وروى عن بعض البصريين أنه قرأه : بيئس ، بفتح الباء وكسر الهمزة على
مثال " فعل " كما قال ابن قيس الرقيات :

ليتني ألقى رقية في خلوه من غير ما يئس (١)

وروى عن آخر منهم أنه قرأ " بيئس " بكسر الباء وفتح السين على معنى : بيئس
العذاب .

قال ابو جعفر رحمه الله تعالى : وأولى هذه القراءات قراءة من قرأه :
" بيئس " بفتح الباء وكسر الهمزة ومدها على مثال " فمئيل " كما قال ذو الاصبع
المدوان :

ل حنقا على وما ترى لي فيهم أثرا بيئسا

(١) ديوانه : ٢٨٦ ، والخزانة للبغدادي - ٣ - : ٥٨٧ ، وروية صاحب
الخزانة من غير ما أنس وشرحها فقال : الأئس بفتحيتين بمعنى الأئس
بكسر الهمزة وسكون النون ، وما زائدة وفيه مضاف محذوف تقديره في غير
حضور يائس فقال أحمد شاعر : وهذا في ظن اجتهاد من صاحب
الخزانة وأن البيت مصحف صوابه ما في الطبري ، وأما العين فكتب من غير
ما يئس بالياء ثم الباء وهو تصحيف لاشك فيه ، ومثله في الديوان منقولا
عنه والصواب ما شرحه ابو جعفر . تحقيق ابن شاعر ١٣ / ٢٠٠ - ٢٠٢ .

= لأن هذا التأويل أجمعوا على أن معناه شديد فدل ذلك على صحة ما اخترنا
اه المراد من كلام الشيخ .

أقول وبالله التوفيق :

انه أورد هنا ثمان قراءات - في هذا اللفظ الكريم ثم ذهب الى أن القراءة
التي هي أولى بالصواب عنده من بين هذه القراءات الثمان قراءة من قرأه " بثيس "
بفتح الباء وكسر الهمزة وسدها على مثال (فصيل) .

ولا شك أن هذا التقرير الذي قرره بعيد عن الحق لأمر :

الأمر الأول : أنه خلط القراءات المتواترة والشاذة من غير أن يبين أن هذه
القراءة متواترة وهذه شاذة ما يشكك لانسان في كتاب الله وأشارته الى الشذوذ
في احدى هذه القراءة ليست كافيته لأنه حكم عليها بالشذوذ من ناحيته اللفظة
لا من ناحية السند وقد عرفت أن العمدة في هذا الباب التواتر وصحة النقل على
هذا الطريق المحكم .

والثاني : أن القراءات التي ذهب الرأى أنها مرجوحة تختلف في جوهرها
كل الاختلاف لأن بعضها متواترة كالتى ذهب الى رجحانها ، وبعضها شاذة
وترجيحه هذه القراءة التي ذهب الى كونها صوابا يدل على أن ماعداها من القراءات
التي أوردتها على درجة واحدة في مرجوحيتها ولا شك ان هذا التصرف يوقع الانسان
في خطر داهم لأنه يترب على ذلك الحكم على القراءة المتواترة بالشذوذ وهذا لم
يقل به أحد من أهل العلم .

والثالث : أن القراءة اثنا ثبتت بطريق التواتر لا يقاومها أى عامل لأنها
سنة متبعة ولكن الشيخ أشار الى أن ثبوتها يتوقف على المعنى حيث قال : لأن هذا

التأويل أجمعوا على أن معناه شديد فدل ذلك على صحة ما اخترناه .

وهذا خلاف المعروف في هذا الباب لأن القراءة بمنزلة الآية والآية

القرآنية قد تكون بمعنى الآية التي قبلها أو بعدها وقد تكون بخلاف ذلك

ومن هنا نعرف أن اختلاف القراءات في المعنى أو اتفاقها فيه لا دخل لهما

في الترجيح بين القراءات ومن المعلوم بالضرورة أنه لا ترجيح بين القراءات -

ولذلك قرر ابن الجزرى رحمه الله تعالى هذه الحقيقة حيث قال :

وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلوا من ثلاثة أحوال :

أحدها : اختلاف اللفظ والمعنى واحد ، والثاني اختلافهما جمعا مع جواز

اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد . والثالث

اختلافهما جميعا مع امتناع اجتماعهما في شيء واحد .

فأما الأول فكالاختلاف في الصراط وعليهم ويؤوده والقدس ، ويجب :

ونحو ذلك ما يطلق عليه أنه لغات فقط .

وأما الثاني فنحو (مالك وملك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين

هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه .

وأما الثالث : فنحو (وطنوا أنهم قد كذبوا) بالتشديد والتخفيف

فإن ذلك وإن اختلف لفظا ومعنا ، وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع

من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض فأما وجه تشديد كذبوا .

فالمعنى : ويتقن الرسل أن قوسهم قد كذبوهم

ووجه التخفيف : وتوهم الرسل اليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم

به ، فالظن في الأول يقينى والضائر الثلاثة للرسل والظن في القراءة الثانية شك

والضائر الثلاثة للمرسد اليهم . (١)

وبناءً على هذا التقرير أنه لا يصح احتجاجه بما احتج به من أن الذى دعاه الى ترجيح هذه القراءة الراجحه فى زعمه = هو اجماعهم على أن تأويل هذه القراءة معناه شديد ولا شك أن هذه القراءات من القسم الأول الذى هو اختلاف اللفظ والمعنى واحد وليس الأمر كما توهم الشىء الشيخ رحمه الله وأقصر القراءات المتواترة وأما القراءات الهاذية فلا نخوض فى بيان معانيها لأن ذلك مما يأخذ الوقت علينا بدون جدوى .

ومما لا يخفى عليك أن القراءات التى أوردها الشيخ هنا ثمان أربع متواترة وأربع شاذة .

فالقراءات المتواترة الأربع قراءة المدنيين نافع وأبى جعفر حيث قرأ "بمذاب بيين" بكسر الباء الموحدة وبعدها . ساكنه مديية ولا همز لهما .
والثانية قراءة الشامى حيث يقرأ ابن عامر بكسر الباء الموحدة وبعدها همزة ساكنية .

والثالثة قراءة شمبة بخلف عنه حيث يقرأ بيا مفتوحة وبعدها يا ساكنة وبعدها اليا الساكنة همزة مفتوحة .

والرابعة قراءة الباقيين حيث يقرؤون بيا موحدة مفتوحة وبعدها همزة مكسورة مدودة وهو الوجه الثانى لشعبة ووقف عليه حمزة بالتسهيل كالياً فقط

(١) انظر النشر فى القراءات المشرلابن الجزرى : ج ١ / ص ٤٩ - ٥٠ .

ومن المعلوم أنه لم يذكر قراءة ابن عامر مع ذكره الشواذ . (١)

والشواذ الأربع هي قراءة " بيئس ، بكسر الباء والهمزة على مثال :

(فعيل) وقد نسبها الى بعض المكيين .

وقراءة (بيئس) بفتح الباء وتسكين اليا وهمزة بعدها مكسورة على

مثال " فيعل " وقد نسبها الى بعض الكوفيين .

وقراءة (بيئس) بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال فعل ونسبها الى

بعض البصريين .

وقراءة (بيئس) بكسر الباء وفتح السين وسكون الهمزة على معنى بيئس

العذاب ، وقد حكمنا على هذه القراءات الأربع المذكورة اخيرا بالشذوذ لأنها

وراء العشر المتواترة وما وراء العشر فهي شواذ من الشواذ التي لا يجوز القراءة

بها .

وتوجيه القراءات الأربع المتواترة كالآتي : -

ووجه من قرأ بغير همز وهو نافع وابو جعفر أن أصله فعل ماض نقل الى

التسمية فوصف به العذاب فأصله أن يكون بهمزة مكسورة لأنه منقول من (بيئس)

لكن أسكنت الهمزة استحقاقا كما قالوا في علم علم وكانت الهمزة أولى بالاسكان

لثقلها وصعوبة النطق بها مع كسرها وكسر ما قبلها فلما سكنت خففت بالبدل

بياء لسكونها وانكسار ما قبلها .

(١) انظر النشر في القراءات العشر : ج ٢ / ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، والبدور

الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي ص/ ١٢٣ .

ووجه من قرأً بهمز ساكنة وهو ابن عامر الشامي = أنه أتى بها على الأصل
بعد نقلها من الكسر ، فكأنه كره أن يغيرها بالتخفيف والبدل وقد غيرت عن
الحركة الى السكون .

ووجه من قرأً بهمزة مكسورة وفتح الباء ويا بعد الهمزة أنه جعلها
مصدرا وصف به العذاب من (بيئس) .

حكى أبو زيد : بيئس الرجل بيئسا ، والمصدر على فمیل ، كـثـيرا
نحو النذير والنفير ، والتقدير : بعذاب ذي بيئس أي ذي بؤس لأن بؤسا
أيضا مصدر بيئس ، وقيل : ان بيئسا اسم فاعل من بؤس الرجل ، اذا كان
شديد البأس فيكون بيئس اسم فاعل من بؤس ويكون معناه : بعذاب شديد .

ووجه من قرأه على (فيعمل) فانه جمله ملحقا بـ (جعفر) كضيفم
وهو صفة للعذاب أيضا . (١)

فائدة وما يدل على أن تفسير ابن جرير ألف بعد تسبيع ابن مجاهد
ما جاء في تفسيره هذا في سورة الأعراف حيث قال : وقد ذكر عن الكسائي
أنه كان يفرق بين الالحاد واللحد فيقول في الالحاد انه المدول عن القصد
وفي اللحد انه الركون الى الشيء وكان يقرأ جميع ما في القرآن ويلحدون بضم اليا
وكسر الحاء الا التي في النحل فانه يقرأها (يلحدون) بفتح اليا والحاء ويزعم
أنه من الركود . (٢)

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيس : ج ١ ص /

٤٨١ - ٤٨٢ .

(٢) انظر جامع البيان .

٩٤ - قال تعالى : " فلما آتاها صالحا جملا له شركاء فيما آتاها

آتتهما فتعالى الله عما يشركون " .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " اختلفت القراء في قراءة قوله

" شركاء " .

فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين : " جملا

له شركاء " بكسر الشين ، بمعنى الشركه .

وقراءه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين وبعض البصريين : " شركاء " .

بضم الشين بمعنى جمع شريك .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وهذه القراءة أولى القراءتين -

بالصواب لأن القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام : فلما

آتاها صالحا جملا لغيره فيه شركاء = لأن آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما

من عطية ابليس ثم يجعل الله فيه شركاء لتسميتهما اياه بـ " عبد الله " وانما

كان يدينتان لاشك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ، ثم سمياه (عبد الحارث)

فجملا لابليس فيه شركاء بالاسم .

فلو كانت قراءة من قرأ : " شركاء " صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام

جملا لغيره فيه شركاء ، وفقى نزول وحى الله بقوله : " جملا له " ما يوضح عن

أن الصحيح من القراءة " شركاء " بضم الشين على ما بينت قبل . اهـ المراد منه . (١)

(١) انظر تفسير الطبري : ج ٩ - ١٠ / ص ١٠١ ، ج ١٣ / ص ٣١٤ .

أقول وبالله التوفيق :

انه قد ذهب الى أن قراءة (شركا) بكسر الشين وبالتنوين من غير همزة غير صحيحة ثم وضع أن السبب الذي جعلها غير صحيحة ومرجوهه مخالفتها القياس الذي ابتدعه لأنها كما زعم لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون نظم - الكلام : فلما آتتها صلحا جعلنا لغيره فيه شركا الخ ولا شك أن هذا قياس صرف ومن المعلوم أن القياس لا وجود له فيما هو مناه النقل الصحيح بطريق التواتر كالقرآت القرآنية ، وانما قلت في هذا التعليق انه ذهب الى أن هذه القراءة غير صحيحة لأنه قال : لأن القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب . . الخ وهذا صريح في قطعه بعدم صحتها طالما نظم الكلام مخالفا للقياس الذي وضعه ليجمله ميزانا يزن به الصحة وعدمها في القراءة وان كان يفهم هذا من قوله " وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب لأن ترجيح القراءة على أخرى مع تواترها ^{واشعارا} يعتبر طمنا في المرجوحة بعدم صحتها وهو كذلك لا شك فيه وبالتالي كان هذا الذي سلك هذا السلك غير ابن جرير الطبري لان هذا موضوع أساسه التوقيف والنقل لا غير وأما استعمال الأقيسة فيما هو كذلك فانه يعتبر خلافا للحق والصواب هذا . .

ومما زادني وضوحا في أن الشيخ صرح بعدم صحة قراءة (شركا) بكسر الشين بدون الهمزة قوله : " وفي نزول وحى الله بقوله : " جعلناه " ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة " شركا " بضم الشين الخ ، وفي هذا تصريح لدم صحة غيرها وهي قراءة كسر الشين كما علمت .

وكيف تقبل هذه الدعوى التي صدرت منه والحال أن القراءتين متواترتان
وإذا كانت القراءة كذلك فلا تصويب ولا ترجيح فيها ، وإذا عرفت ذلك فعليك أن
تكون على معرفة تامة من أصحاب هاتين القراءتين لئلا تقع فريسة للشبه التي وقع
فيها كثير من الناس من حيث لا يشمرون .

فالذين يقرؤون (شركا) بكسر الشين وباسكان الراء وتنوين الكاف من غير
همز نافع بن نعيم وأبو جعفر المدنيان ، وشعبة .

والذين يقرؤون بضم الشين وفتح الراء ومد الكاف وهمزة مفتوحة بمد المد
وحذف التنوين الباقيون من القراء العشرة . (١)

توجيه هاتين القراءتين كالاتي : -

ووجه من كسر الشين أنه جملة مصدرا وقد حذف مضاف تقديره : جعلناه
ذا شرك أو ذوى شرك فيرجمع الى معنى أنهم جعلوا لله شركا .

ووجه من ضم الشين ومدّه أنه جملة جمع شريك . والله أعلم . (٢)

وحيث أن معنى القراءتين واحد لا يختلف . . والله أعلم .

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى : ج ٢ / ص ٢٧٣ ،

والبدور الزاهرة في القراءات المشتركة : ج ١ / ص ١٢٥ .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب : ج ١ ص ٤٨٥ - ٤٨٦

والحجة في القراءات لابن خالوية : ص ١٦٨ .

٩٥ - قال تعالى : " ان الذين اتقوا اذا سهم طائف من الشيطان

تذكروا فاذا هم حصرون " . (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " اختلفت القراء في قراءة قوله

" طيف " .

فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة " طائف " على مثال فاعل ، وقرأه

بعض المكيين والبصريين والكوفيين : " طيف من الشيطان " .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين " الطائف " و " الطيف "

فقال بعض البصريين : " الطائف " والطيف ، سواء ، وهو ما كان كالخيصال

والشيء يلم بك ، قال : ويجوز أن يكون " الطيف " مخففا عن " طيف " مثل

ميت ، وميت ،

وقال بعض الكوفيين : " الطائف " ما طاف بك من وسوسة الشيطان ،

وأما الطيف فأنما هو من اللطم واللمس .

وقال آخر منهم : " الطيف " اللطم ، والطائف " كل شيء طاف

بالإنسان .

وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : " الطيف " الوسوسة .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وأولى القرائين في ذلك عندي -

بالصواب قراءة من قرأ : " طائف من الشيطان " لأن أهل التأويل تأولوا ذلك

بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به .

وإذا كان ^{ذلك} معناه كان معلوماً = ان كان " الطيف " انما هو مصدر
من قول القائل : " طاف يطيف " = أن ذلك خير من الله عما يمس الذين
اتقوا من الشيطان وانما همسهم ما طاف بهم من أسبابه وذلك كالغضب والوسوسة
وانما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه أوليوسوس له والوسوسة
والاستزلال هو الطائف من الشيطان .

وأما الطيف فانا هو الخيال وهو مصدر : " من طاف يطيف " (١) ،

ويقول : لم أسمع في ذلك " طاف يطيف " .

وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعاً من العرب " طاف يطيف " و -

" طفت أطيف " وأنشدوا في ذلك . (٢)

أنى ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكراً وشموف (٣)

اه المراد من توجيهه . (٤)

(١) قال ابن شاکر في التعليق : " وأما الطيف " الى آخرة الفقرة الثانية
المختومة ببيت الشعر لا أشك أنه قد وضع في غير موضعه فهو يقول بعدد :
(ويقول لم أسمع في ذلك) وهذا القائل غير أبي جعفر بلا شك ، ولم
أستطيع تحديد موضعه من الأقوال السالفة فلذلك تركته مكانه وفصلته وكان
حقه أن يقدم قبل قوله : " قال أبو جعفر : وأولى القراءتين " .

(٢) القائل لهذا البيت كعب بن زهير .

(٣) ديوانه : ١١٣ ، ومجاز القرآن لأبي صبيدة - ١ - ٢٣٧ -

(٤) انظر جامع البيان للطبري ج ٩ - ١٠ / ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ج ١٣

ص / ٣٣٤ - ٣٣٥ .

أقول وبالله التوفيق :

ان الشيخ رحمه الله تعالى ذهب كما دته فيما سبق من توجيه بعض

القراءات الى تفضيل احدى القراءتين المتواترتين على أخرى ، حيث قال :

(وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ : " طائف من الشيطان "

ثم ذكر العلة التي ذهب لأجلها الى ما ذهب اليه من هذا التفضيل حيث قال :

" لأن أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من الطيف به الخ

ولا يخفى ضعف هذا القول بل بطلانه لأن أهل التأويل ذكروا أن معنى " الطائف "

والطيف هو الغضب والوسوسة ، بمعنى معناها واحد في أغلب أقوال أهل

التأويل ولم يقطعوا أن معنى " الطيف " الخيال ، ومعنى " الطائف " الغضب

والوسوسة .

والدليل على أن معناها واحد ما قرره البصريون من أن " الطائف

والطيف " سواء وهو ما كان كالخيال والشيء بلم بك وهذا يشمل الغضب والوسوسة

وكل ما يلزم بالانسان من العوارض ، وقد ذكر ذلك عنهم الشيخ نفسه ، وما جاء

من بعض التابعين المتمد علىه في التفسير كما هدى جبر وسعيد ابن جبير حيث

ذهبوا الى أن (الطائف ، والطيف) معناها الغضب والوسوسة . (

كما ساق الشيخ هذه الأسانيد المتصلة بهم في تفسير نفس هذه الآية وأيضا

ساق الكلام يؤيد ذلك " بمعنى أن معنى الحرفين الغضب والوسوسة من الشيطان :

حيث كان الحديث قبل هذه الآية من أمر الله لنبيه مأخذ العفو والتمادي في طريق

الدعوة الى الخير مع عدم المبالاة بما يصد عن الجهال من الحقوة والتطاول

عليه باللسان وعدم الغضب من ذلك ، ثم أرشده ان جاءه صارف من الشيطان
بصرفه عن هذه الأخلاق النبيلة الى الاستمالة بالله العليم القدير من شره
ووسوسته ، فهو قادر على رد كيده وكيد كل كائد ثم أخبر أن المتقين اذا -
عرضهم عارض من أسباب الشيطان من حصول الغضب مع اخوانه أو قصد المعصية
تذكروا أمر الله وانتهوا الى أمره ، وأما اخوان الشيطان فلا يقصرون فى تنفيذ
نواياه الخبيثة لأنهم منقادون له فى كل ما يقودهم اليه .

وخلاصة القول أن المقارنه التى أجريت فى الفرقين معنى " الطائف
والطيف " من أهل العلم أدت الى أن معانيهما متقاربه وليست متباعدة وكلها
تدور حول ما يلقى الشيطان فى قلب الانسان من الخروج عما يرضى الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وحينئذ فلا عبرة لما ذهب اليه من أن أهل التأويل ذهبوا
الى أن معنى الطائف الغضب ، والزلة ، ومعنى الطيف الخيال .

ومع ما ذكرنا من ازالة هذه الشبهة التى صدرت منه فان القراءة لا يفضى
شأنها شىء من هذه الشبهات طالما علم تواترها ويجب أن تكون متواترة ثابتة
كأختها التى ذهب الى رجحانها فى زعمه ولا التفات الى من خاض فى ذلك
كائننا من كان لأن الحق فوق الجميع .

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذين يقرون بحذف الألف التى بعد الطاء وإثبات ياء ساكنه بعدها
فى مكان الهمزة عبد الله بن كثير المكي والكسائى وأبو عمر والبصرى ويعقوب الخضرى

والذين يقرؤون بحذف الألف التي بعد الطاء وهمزة مكسورة بعد الألف

في موضع الياء الباقيون من العشرة . (١)

ثم نذكر توجيه بعض العلماء في هاتين القراءتين بإضافة الي توجيه -

الشيخ رحمه الله تعالى .

فوجه من قرأ بغير ألف أنه جعله مصدر " طاف الخيال يطيف طيفا مثل

" كال يكتل " اذا ألم في المنام ، قال أبو عبيدة : طيف من الشيطان يلم به

ويقل أيضا طاف الخيال يطوف مثل قال يقول ، فيكون طيف مخففا من " طيف "

كميت وميث ، ودل على ذلك أن بن جبير قرأ " طيف " التشديد .

ووجه من قرأه على فاعل أنه جعله أيضا مصدرا كالمافية والمعاقبة حكى

أبو زيد : طاف الرجل يطوف طوفا اذا أقبل وأدبر ، وأطاف يطيف اذا حمل

يستدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم ، وطاف الخيال يطوف اذا ألم في المنام

وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان ، والطيف من اللصم و سراجنون

وقال الكسائي : الطيف اللهو ، والطائف كل ما طاف حول الانسان . (٢)

ووجه هذين الحرفين ابن خالويه في كتابه حجة القراءات وهذا نصه :

قوله تعالى : " واذا مسهم طيف " يقرأ باثبات الألف وحذفها ، فالحجة

(١) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى : ج ٢ ص ٢٧٥ ، والبدور

الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضى ، ص /

١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب القيسى ج ١ ص ٤٨٧

لن أثبتها : أنه جملة اسم الفاعل من طاف الخيال : اذا طسرق
النائم وهما لفتان طاف طوفا ، وأطاف مطافا .

ومعنى طائف الشيطان : وسواسه ولمحه واختله قال الشاعر :
وتضحى عن غب السرى وكأنما أطاف بها من طائف الجن أولق^(١)
والحجة لمن حذفها : أنه أراد به : رده الى الأصل وأصله : طويف
فلما تقدمت الواو بالسكون قلبت يا* وأدغمت فى اليا* فثقل عليهم تشديد اليا*
مع كسرهما فخففوه بأن طرخوا باحدى اليا*ين وأسكنوا كما قالوا هين لسين
قال حسان بن ثابت :

جنية أرقنى طيفها يذهب صباحا وترى فى المنام^(٢)

وأنت ترى من هذه التوجيهات كلها كون معنى الحرفين واحد .

والله أعلم

(١) اللسان ينسب البيت الى الأعمش فى وصف نافية وروايه البيت كما ذكرها :

وتصبح عن غب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولقى والأولسقى
شبه الجنون ،

انظر : اللسان مادة ولقى / قال الفراء* وهم يصفون الناقة - لسرعتها -

بالحدة والجنون ، انظر الخصائص لابن جنى ٣ / ص ٢٩٢ .

(٣) من قصيدة أولها :

ماهاج حسان رسوم المقام ومظعن الحى ومبنى الخيام

٩٦ - قال تعالى : " وأخوانهم يمدونهم في الفى ثم لا يقصرون " (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " وأما قوله : " يمدونهم " فان
القراءة اختلفت في قراءته .

فقرأه بعض المدنيين : " يمدونهم " بضم اليا " من " أمدت " .

وقرأته عامة قراء الكوفيين والبصريين : " يمدونهم " بفتح اليا
من " مدت " .

قال أبو جعفر : " والصواب من القراءة في ذلك عندنا :

يمدونهم بفتح اليا لأن الذى يمد الشيطان واخوانهم من المشركين
انما هو زيادة من جنس المحدود .

وإذا كان الذى مد من جنس المحدود ، كان كلام العرب " مدت " .

لا أمدت . اهـ المراد منه (٢)

أقول وبالله التوفيق :

ان أبا جعفر رحمه الله تعالى : صرح بأن الصواب من القراءتين في

هذا اللفظ الكريم " يمدونهم " فتح اليا وضم الميم ، ويفهم من ذلك أن

غير هذه القراءة من ضم اليا وكسر الميم ، من ذلك خطأ وغلط لأن ضد

الصواب هو الخطأ .

(١) سورة الأعراف : آية / ٢٠٣ .

(٢) انظر : جامع البيان للطبرى : ج ٩ - ١٠ / ص ١٠٨ ، ١٠٩

ج ١٣ / ص ٣٤٠ .

ولا شك أن هذا الرأي خلاف الحق الذي عليه سلف هذه الأمة وعلى رأسهم سيد المرسلين حيث أنهم يصوبون القراءات إذا علم ثبوتها بطريق التواتر ولا يخطئون شيئا من ذلك ، وقد سبقت لك أمثلة ذلك ومضى بيان حكمه غير مسرة من هذه الرسالة . فلاحظه .

ومن العجب أن هذه القراءة التي أنكرها قراء أهل المدينة نافع وأبى جعفر التي لها مكانة مرموقة عند السلف ، ولذلك قال سعيد بن منصور سمعت مالك بن أنس يقول :

قراءة أهل المدينة سنة قيل له : قراءة نافع ، قال نعم وأيضا كان أبو جعفر أهد صاحبي هذه القراءة قد تلقى القراءة من الصحابة مثل زييد ابن ثابت وعبد الله بن عباس ، وأبى هريرة وكان تابعيا ثقة كبير القدر قال يحيى بن معين كان امام أهل المدينة في القراءة وكان ثقة وهذه شهادة جاءت من عالم من علماء الجرح والتعديل وهي كافية لبيان درجة هذه القراءة وقولي : قراءة أهل المدينة لها مكانة مرموقة عند السلف لا يعني أن القراءة بعضها أرفع من بعض كما يمتد من لا علم بحقيقة القراءات وإنما المراد به بيان أنها في منزلة لا يتطرق اليها الشك في تواترها كأخواتها من القراءات المتواترة الثابتة من غيرهم هذا . .

والملة التي ذكرها الشيخ هنا لا تدفع هذه القراءة لأنها متواترة ولا .. معارضة لأحد في القراءة إذا تواترت بل عليه أن يقبلها بدون محاولة العليل الواهية لأن القراءة نص ولا شيء يعارض النص إذا كانت بهذه المثابة لأن السلف

تطموا بأنه لا معارضة بين القراءات مادام الأمر كذلك .

وأما مقاله الشيخ : " من أن الذى يمد الشيطان اخوانهم ممن

المشركين انما هو من جنس المدود الخ ، فلم يكن موضع اتفاق عند أهل

اللفة : وذلك أن بعضهم ذهبوا الى أن مد وأمد بمعنى واحد

ولهذا قيل : مد الجيش من باب رد وأمده اذا زاده وقواه ومنه مدت -

السراج والأرض اذا أصلحتها الزيت والسماد وعلى هذا فالرباعى والثلاثى

بمعنى واحد ، وذهب بعضهم الى أن مد اذا زاده من جنسه وأمده ،

اذا زاده من غير جنسه .

وبعضهم ذهبوا أن مد يستعمل فى الشرولذا قال تعالى : " ومد

له من العذاب مدا " وأمد فى الخير كقوله تعالى : " ويددكم بأموال

ونين " وأمد دناهم بفاكهة ولحم ، أن يددكم ربكم بثلاثة آلاف الآية . (١)

واذا كان الأمر كذلك فلا وجه لقطع الشيخ لمعنى هذا ، ومع ذلك فان

القراءة لا تخضع لهذه الأمور العقلية والاجتهادية بل هى نقل صحيح لا دخل

لهذه الأمور فيها ومن هنا نعلم أن القراءتين كليهما بمعنى واحد على حد

سواء وكلها صواب من عند الله هذا . .

أصحاب هاتين القراءتين

فالذين يقرؤون بضم اليا وكسر الميم من هذا اللفظ الكريم " يمدونهم " ،

نافع بن نعيم وأبو جعفر المدنيان .

والذين يقرؤون بفتح اليا وضم الميم الباكون من القراء العشرة . (٢)

أنتمى توجيهه من سورة الأعراف ويليه توجيه سورة الأنفال منه .

(١) انظر الفتوحات الالهية ببعض التصرف من الكاتب ج ١ ص ٢٠ .

(٢) انظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٧٥ ، والبدور الزاهرة

فى القراءات العشر المتواترة ص ١٢٦ .

القراءات

التي في سورة الأنفال

٩٧ - قال تعالى : " ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم

بألف من الملائكة مردفين " . (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " واختلفت القراءة فى قراءة ذلك

فقرأته عامة قراء أهل المدينة : " مردفين " بنصب الدال .

وقرأه بمض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين : " مردفين " وكان -

أبو عمرو يقرؤه كذلك ويقول فيما ذكر عنه : هو من أردف بعضهم بعضا " .

وأنكر هذ القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال :

انما " الاردا ف " أن يحمل الرجل صاحبه خلفه ، قال : ولم يسمع هذا

فى نعت الملائكة يوم بدر .

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى ذلك اذا قرئ بفتح الدال

أو بكسرها ، فقال بعض البصريين والكوفيين : معنى ذلك اذا قرئ بالكسر

أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال : " أردفته " وقالوا :

العرب تقول : أردفته وردفته بمعنى : تبعته ، وأتبعته ، واستشهد

لصححة قولهم ذلك بما قال الشاعر : (٢)

ان لجوزا أردفت الشريبا ظننت بآل فاطمة الظنونبا

(١) سورة الانفال : آية / ٩ .

(٢) هو : خريمة بن نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن فضاة

من قدامه الشعراء فى الجاهلية أهـ . انظر : تحقيق ابن شاكسر

قالوا : فقال الشاعر : " وأردفت " وانما أراد " ردت " جاءت بعدها
لان الجوزاء تجيء بعد الشيا .

وقالوا : اذا قرئ " مردفين " أنه مفعول بهم كأن معناه : بألف من
الملائكة يردف الله بعضهم بعضا .

وقال آخرون : معنى ذلك اذا كسرت الدال : أردفت الملائكة بعضها
بعضا = وانذا قرئ بفتحها : أردف الله المسلمين بهم ثم .

ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " والصواب من القراءة في ذلك عندى
قراءة من قرأ " بألف من الملائكة مردفين " بكسر الدال لاجماع أهل التأويل
على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين ففى اجماعهم
على ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى
ذلك من كسر الدال بمعنى : أردف بعض الملائكة بعضا ، وسموع من العرب
جئت مردفا لفلان : أى جهئت بعده .

وأما قول من قال : معنى ذلك اذا قرئ " مردفين " بفتح الدال أن -
الله أردف المسلمين بهم فقول لا معنى له ، ان الذكر الذى فى مردفين من
الملائكة دون المؤمنين .

وانما معنى الكلام : أن يمدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض ثم
حذف ذكر الفاعل ، وأخرج الخير غير مسمى فاعله فقيل : مردفين بمعنى :
مردف بعض الملائكة ببعض ، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله : وجب أن
يكون فى مردفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر

القرآن ثم قال الشيخ : وقد ذكر في ذلك قراءة أخرى وهي " مردفين " -
شقا على معنى مرتدفين ا هـ . كلامه من توجيه هذا الحرف .

أقول وبالله التوفيق :

ان الشيخ صرح بأن الصواب من هاتين القراءتين قراءة من كسر الدال ،

من " مردفين " .

ثم ذكر السبب الذي دعاه الى هذا التصويب بقوله : " لاجماع أهل التأويل

على ما ذكرت من تأويلهم ، أن معناه : يتبع بعضهم بعضا ومتابعين ففى

اجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح . الخ .

وما لاشك فيه أن هذا السبب الذي تعلق به لا يقوى على دفع قراءة فتح

الدال حتى من جهة اللغة فضلا عن جهة القرآنية لأن معنى " مردفين " بفتح

الدال هو معنى مردفين بكسر الدال وذلك أن المعنى على فتح الدال أن

الله سبحانه وتعالى جعل الملائكة يتبع بعضهم بعضا ومتابعين وتتابع الملائكة

لمشاركة السوءنين فى القتال يأعداء الله الكفار = من الله تعالى حقيقة

لانه هو الذى أقدرهم على ذلك والمعنى على كسر الدال أن الملائكة يتبع

بعضهم بعضا وتابع بعضهم بعضا وهذا ^{وقع}التتابع منهم مجازا وان كان من عند

الله تعالى حقيقة ولا تنافى بين المعنيين .

ومع ما ذكرنا ازالة هذه الشبهة فان القراءة اذا ثبتت بطريق التواتر فلا

يمكن أن تكون احدهما صوابا والأخرى غير صواب ومن قال ذلك فقد أخطأ طريق

الحق الذى لا طريق غيره .

وأما ما ذكره من أن الصواب كسر الدال في " مردفين " فإنه يدل دلالة واضحة على أن قراءة فتح الدال غير صواب ولا شك أن هذا يعتبر طعنا في القراءة التي ذهب الي أنها غير صواب وهذا ذنب عظيم يجب أن يستغفر منه .

وقد تبين لي بعد التأمل أنه نقضى ما ذهب اليه من أن معنى " مردفين " بفتح الدال غير معنى " مردفين " بكسر الدال حيث قال : وأما قول من قال معنى ذلك اذا قرئت " مردفين " بفتح الدال أن الله أرف المسلمين بهم نقول لا معنى له اذا الذكر في مردفين من الملائكة دون المؤمنين .

وانما معنى الكلام : أن يمدكم ربكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض ثم حذف ذكر الفاعل وأخرج الخبر غير مسمى فاعله فقيل " مردفين " بمعنى : مردف بعض الملائكة ببعض .

ولو كان الامر على ماقله من ذكرنا قوله ، وجب أن يكون في المردفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة وذلك خلاف دل عليه ظاهر القرآن .

وهذا الرد الذي حصل منه تجاه القائل يعتبر نقضا لما بيناه واعترافا منه باتحاد معنى الحرفين كما هو ظاهر من هذا الرد ونحن معه في الرد على القائل الا أن هذا الرد دل على ما ذهبنا اليه هذا . .

ما يؤخذ على الشيخ في توجيه هذا اللفظ أيضا قوله : " وقد ذكر في ذلك قراءة أخرى الخ ، وهذه القراءة التي أشار اليها شاذة ولكنه ذكرها ولم يبين شذوذها وقد علم ما يترتب على ذلك من الفساد في الدين والواجب بيان ذلك .

وأيضاً أنه لم يذكر ابن عامر الشامي من أصحاب قراءة كسر الدال مع من ذكرهم حيث قال : وقراه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين وعدم ذكره هذا القارىء يدل على أنه لم يوجد بين أهل الفتح وأهل الكسر ويفهم أن له قراءة أخرى غير هاتين القراءتين ، وقد علمت أن ماعداهما شاذة والحق أن عبد الله بن عامر الشامي من الذين يقرأون بكسر الدال (وأن قراءة الفتح قراءة أهل المدينة والبصرة وهذا . .

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذين يقرأون بفتح الدال من " مردفين " نافع بن نعيم وأبو جعفر

يزيد بن القعقاع المدنيان ويعقوب الحضرمي .

والذين يقرأون بكسر الدال من هذا اللفظ الكريم الباقون من القراء

المشرفة . (١)

(١) انظر : النشر في القراءات المشرلا بن الجزرى : ج ٢ / ص ٢٧٥-٢٧٦ ،

والبدور الزاهرة للشيخ عبدالفتاح القاضى : ص / ١٢٦ .

٩٨ - قال تعالى : " وما جعله الله الا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم

وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم " . (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " اختلفت القراء في قراءة قوله :

" ان يفشيكم الناس أمنة منه " . .

فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة : " يفشيكم الناس " بضم اليا

وتخفيف الشين ونصب النعاس من " أغشاهم الله النعاس يفشيهم " .

وقرأته عامة قراء الكوفيين : " يفشيكم " بضم اليا وتشديد الشين

من غشاهم الله النعاس فهو يفشيهم " .

وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين : " يفشاكم النعاس " بفتح اليا

ورفع النعاس بمعنى " غشيهم النعاس فهو يفشاهم " .

واستشهد هو " لاصحة قراءتهم كذلك بقوله في آل عمران " يفشسى

طائفة " . (٢)

قال أبو جعفر : وأولى ذلك بالصواب : " ان يفشيكم " على ما ذكرت

من قراءة الكوفيين لاجماع جميع القراء على قراءة قوله : " وينزل عليكم من السماء

ما " بتوجيه ذلك الى أنه من فعل اللعز وجل ، وكذلك الواجب أن يكون كذلك

" يفشيكم " ان كان قوله : " وينزل " عطفا على " يفشيكم " ليكون الكلام متسقا

(١) سورة الأعراف : آية / ١٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية / ١٥٤ .

على واحد . اهـ توجيهه في هذا اللفظ الكريم . (١)

أقول وبالله التوفيق :

انه نهج منهجه الذي تكرر منه في تفسيره هذا عند توجيهه القراءات فيه

حيث فضل بعض القراءة على أخرى مع تواتر الجميع .

وقد عرفت من ردودنا السابقة أن هذا المنهج غير صواب لانه يؤدى -

الى أن القراءة المفضولة أخط درجة من الفاضلة ، ولا شك أن هذا يعتبر

طعنا في القراءة المتواترة وفتحاً للأبواب لتشكيك الناس في قدسية كلام الله

وايراداً للشبهة لضعف العقول والذي يدل على أنه فضل قراءة متواترة على

قراءات أخرى مثلها .

هذا قوله : في توجيه هذا اللفظ الكريم : " وأولى ذلك بالصواب :

" ان يفشىكم " ثم جعل حجته التي تؤيد صحة ما ذهب اليه من هذا

التفضل المزعوم القياس أى قياس هذه القراءة التي ذهب الي كونها راجحه

على قراءة أخرى ، وقد علمت بطلان هذا المذهب القياسى في اطار القراءات

القرآنية لأنها سنة متبعة يأخذها الآخر من الأول نقلاً صحيحاً صريحاً ولا دخل

للقياس في ذلك .

وهذا القياس الذي جعله حجة له في انكار هذه القراءة المتواترة هو

قوله : " لاجماع جميع القراء على قراءة قوله : " وينزل عليكم من السماء ماء " "

(١) انظر جامع البيان للطبرى : ج ١٣ ص ٤٢٠ - ٤٢١ ، مخطوطة

بتوجيه ذلك الى أنه من فعل الله عز وجل ، أقول ولو سلمنا هذا الرأي
جدلا فماذا يكون توجيه قراءة أهل المدينة " يفشيكم النعاس " ولا شك أن
الاعشاء من فعل الله كما أن التفشية من فعله سبحانه وتعالى لأن الفاعل
فى " يفشيكم " على القراءتين الكوفية والمدنية يعود على الله بدون فرق
وحيث فلا اعتبار لهذا القياس الذى لا محل له هنا .

وأما قراءة المكيين والبصريين " يفشاكم النعاس " على كون النعاس
فاعلا ليفشى فالنشيان من النعاس مجازا ومن الله حقيقة وحيث فلا
القراءات الثلاث كلها لا تتنافى مدلولها كما علمت .

وأما قوله : " اذ كان قوله " وينزل " عطفا على " يفشى " ليكون الكلام
متسقا على نحو واحد ، فقياس محض أيضا ولا دخل للقياس فى هذا الموضوع
الذى أساسه النقل والتلقى والأخذ بطريق التواتر المقطوع به عند الجمهور
هذا وخلاصة القول فى ذلك أن هذه القراءات الثلاث بتواتر على درجة
واحدة لا تفاضل بينها فى ذلك كما بينا لك غير مرة فى هذا البحث .

بيان أصحابها من القراء العشرة

فالذين يقروءن بضم اليا وسكون الغين وكسر الشين مخففة وبعدها ياء
ساكنة مدية ونصب النعاس : نافع وأبو جعفر المدنيان ، والذين يقروءن بفتح
اليا وسكون الغين وفتح الشين مخففة وألف بعدها ورفع النعاس ابن كثير المكي
وأبو عمرو البصرى ، والذين يقروءن بضم اليا وفتح الغين وكسر الشين مشددة
ويا ساكنة مدية بعدها ونصب النعاس الباكون من العشرة . (١)

(١) انظر النشر لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٧٦ ، والبدور الزاهرة للشيخ

٩٩ - قال تعالى : " ان تسفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهبوا فهبوا
غير لكم وان تمودوا نمد ولن نغنى عنكم فتتكم شيئا ولو
كثرت وأن الله مع المؤمنين " . (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى :

اختلفت القراءة في قراءة قوله : " وأن الله مع المؤمنين " ففتحها أي
الهمزة عامة قراءة أهل المدينة بمعنى : فمطف بـ (أن) على موضع ولو كثرت
كأنه قال : لكثرتها ولأن الله مع المؤمنين ، ويكون موضع " أن " حينئذ
نصبا على هذا القول .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها اذا فتحت على " وأن الله موهن
كيد الكافرين " وأن الله مع المؤمنين عطفا بالأخرى على الأولى .

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين والبصريين (وان الله) بكسر الألف على
الابتداء واعتلوا في بقراءة عبد الله : " وان الله لسع المؤمنين " .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " وأولى القراءتين بالصواب قراءة
من كسر " ان " للابتداء لتقف الخبر قبل ذلك عما يقتضى قوله : " وأن الله
مع المؤمنين " . (٢)

(١) سورة الأنفال : آية / ١٩ .

(٢) انظر تفسير الطبري : ج ٩ - ١٠ ، ص ١٣٩ مخطوطة /

وج ١٣ / ص ٤٥٦ - ٤٥٧ . مخطوطة .

أقول وبالله التوفيق :

ان ابن جرير رحمه الله تعالى وجه القراءتين توجيهها جيدا حيث أن هذا التوجيه الذى قام به يشير الى أن معنى القراءتين واحد وذلك أنه اذا عطف هذا اللفظ الكريم " وأن الله مع المؤمنين " على قراءة فتح أن على موضع " ولو كثرت " أو قدرت اللام قيل ان كما ذهب الى ذلك بعض الوجهين كما قال الشيخ أفاد التعليل والمعنى : لكثرتها ولأن الله مع المؤمنين .

وإذا قرئت ان بكسر الهمزة يفيد أيضا نفس المعنى الذى أفادته على العطف اذا فتحت الهمزة لأن الجملة تعليلية ولا شك أن هذا الاتجاه يعطى ثمره يانعة حيث يوفق بين القراءتين فى اطار معنى واحد لا تقلك بينه .

وأیضا ذكر الشيخ رحمه الله تعالى فى ضمن توجيهه قراءة فتح الهمز فى هذا اللفظ الكريم " وأن الله مع المؤمنين " أن بعض أهل العربية ذهب الى أن عطفها على " وأن الله موهن كيد الكافرين " عطفًا بالأخرى على الأولى .

أقول وهو كذلك لأن هذا جائز فى العربية بلاغضاة لأنهم أجازوا فى موضع أن المفتوحة الهمزة وجهين الرفع على كونها × محذوف والتقدير خبر المبتدأ

ذلكم أن الله موهن كيد الكافرين .

والثانى النصب على كونه مفعولا به لفعل محذوف تقديره ، وأيقنوا أن الله موهن كيد الكافرين وأيقنوا أن الله مع المؤمنين ولذلك خذل أعداءهم

ونصرهم .

وقد ذهب الى هذه التوجيهات في هذا اللفظ الكريم على قراءة فتح
الهمزة كل من مكى بن أبى طالب القيسى وابن خالويه كما ذهب الى ذلك
شيخنا العلامة محمد بن جرير والطبرى رحمه الله تعالى ، ولكنه بعدما
أشاد الصرح هدمه لأنه بهذا التوجيه وفق بين القراءتين وبين أنهما
لا تختلفان في مدلولهما كما علمت ثم بعد ذلك فضل قراءة كسر الهمزة على
قراءة فتحها مع تواترها ، وقد علمت عدم جواز ذلك مهما كانت الحجج التي
أتى بها صاحب الشبه قوية لأنها لاساق لها في مقابل ما هو منها النقل
الصريح الصحيح كالقراءات القرآنية ونعرف من ذلك أن القراءتين متواترتان
لا مزية بينهما هذا .

وقوله : بعدما ذكر قراءة كسر الهمزة = واعتلوا - - بأنها
في قراءة عبد الله : " وان الله لمع المؤمنين " مشيراً الى قوة هذه
القراءة لاجل قراءة عبد الله المذكورة = لا وجه له لأن هذه القراءة ثابتة
بدون أن يدعها ولا داعى الى ذلك وأيضاً لا يجعلها مفضلة على أختها
المتواترة أفهم هذا وفقك الله . . .

بيان أصحابها من القراء العشرة

فالذين يقروءن بفتح الهمزة في قوله تعالى : " وأن الله مع المؤمنين)
نافع بن تعيم وأبو جعفر المدنيان وابن عامر الشامي وحفص الكوفي ، والذين
يقروءن بكسرها في هذا اللفظ الكريم الباقيون من العشرة والله أعلم . (١)

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الجزرى : ج ٢ ص ٢٧٦ والبدور

الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضى ص ١٢٧ .

١٠٠ - قال تعالى : " ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يمجزون " (١)

قال الشيخ رحمه الله تعالى :

اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمشرق

" ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم " بكسر الألف من " انهم " وبالتاء

" في تحسبن " .

بمعنى : ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم

ثم لبتداً الخبر عن قدرة الله عليهم فقليل : ان هو " لا " الكفرة لا يمجزون

رسمهم اذا طلبهم وأراد تعذيبهم واهلاكهم بأنفسهم فيفوتوه بها .

وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة : " ولا يحسبن الذين كفروا " بالياء

في يحسبن وكسر الألف من انهم وهى قراءة غير حميدة لمعنيين أحدهما -

خروجها من قراءة القراء وشدونها عنها .

والآخر بعدها من فصح كلام العرب وذلك أن " يحسب " يطلب فى كلام

العرب منصوباً وخبره كقوله : عبد الله يحسب أخاه قائماً ويقوم وقام .

فقارى هذه القراءة أصحاب " يحسب " خبر الفير مخبر عنه مذكور ، وأنا

كان مراده بطى " ولا يحسبن الذين كفروا بانهم لا يمجزوننا فلم يفكر فى صواب

مخرج الكلام وسقته واستعمل فى قراءته ذلك كذلك ماظهر له من مفهوم الكلام ،

وأحسب أن الذى دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله وذلك لانه فيما ذكر فى

مصحف عبد الله " ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا انهم لا يمجزون ، وهذا

فصيح صحيح ، اذا أدخلت أنهم فى الكلام لأن " يحسب " عاطفة فى أنهم

وإذا لم يكن في الكلام انهم كانت خالية من اسم نعمل فيه .

وللذى قرأ ذلك من القراء وجهان في كلام العرب وان كانا بعبيدين
من فصيح كلامهم ، أحدهما أن يكون أريد به " ولا يحسبن الذين كفروا
أن سبقوا أو أنهم سبقوا ثم حذف أن وأنهم كما قال جل ثناؤه " ومن آياته
يريكم الهرق خوفا وطمعا " بمعنى : أن يريكم وكذلك قراءة من قرأ ذلك -
بالياء يوجه سبقوا الى سابقين على هذا المعنى .

والوجه الثانى على أنه أراد اعمار منصوب بيحسب كأنه قال : " ولا يحسبن

الذين كفروا " أنهم سبقوا ثم حذف الهمز وأخسر .

وقد وجه بعضهم معنى قوله تعالى " انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه " .

انما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أولياءه وان ذكر المؤمن مضر فى قوله

" يخوف " ان كان الشيطان عنده لا يخوف أولياءه .

وقرأ ذلك بعض أهل الشام " ولا تحسبن الذين كفروا " بالتاء من -

تحسبن سبقوا أنهم لا يمجزون بفتح الألف من " أنهم " بمعنى : ولا تحسبن

الذين كفروا أنهم لا يمجزون ولا وجه لهذه القراءة يعقل الا أن يكون أراد

القارىء بلا التى فى يمجزون لا التى تدخل فى الكلام هشوا و صلة ، فيكون

معنى الكلام حينئذ " ولا تحسبن الذين سبقوا أنهم يمجزون ولا وجه لتوجيه

حرف فى كتاب الله الى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله فى الصحة

مخرج .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : " والصواب من القراءة في ذلك
عندى قراءة من قرأ : " ولا تحسين " بالتاء " الذين كفروا سبقوا انهم "
بكسر الألف من " انهم لا يجزؤون " بمعنى " ولا تحسبن أنت يا محمد
الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بأنفسهم ففاتونا انهم لا يجزؤون
منا أى يفوتونا بأنفسهم ولا يقدررون الهرب منا . اه المراد منه . (١)

أقول وبالله التوفيق :

" ان الشيخ رحمه الله تعالى ذكر = أثناء تعرضه لتوجيه القراءات ،
في هذه الآية الكريمة " ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يجزؤون "
أن قراءة الذين قروا بالياء في " يحسبن " وكسر الألف " الهزمة " من
" انهم " قراءة غير حميدة وخارجة من قراءة القراء وشاذة عنها وبعبارة من
ثم علل ذلك بقوله (وذلك أن يحسب بطلب في كلام العرب)
فصيح كلام العرب منصوبا وخبره كقوله : عبد الله يحسب أخاه قائما الخ .
ولا شك أن هذا القول منه مهاجمة لكتاب الله وطعن فيه فكيف تكون هذه
القراءة شاذة وخارجة عن قراءة القراء المتواترة . وبعبارة عن فصيح كلام
العرب والقرآن نزل بأفصح لغات العرب وقد اتفق على ذلك كذلك أهل العلم
قاطبة وقوله : " فقارى " هذه القراءة أصح بحسب خبرنا لغير مخر عنه مذكور
الى قوله . . . واستعمل في قرأته ذلك كذلك ماظهره من مفهوم الكلام يدل
على أن القراء يخترعون القراءات من عند أنفسهم ويقرونها بكل حرية أتاحت
لهم من غير قيد وبتقييدون بها ولا حدود يقفون عندها ومن أدل الدليل على
ماقلنا قوله : فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقته واستعمل في قرأته

ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام .

وإذا ومفهوم كلامه هذا أن القراءات أجتهد من القراء وأراء منهم

يخضونها لأي رأى روءه وليست نقلا صريحا صحيحا يجب الوقوف عنده ، وهذا

رأى باطل لا يساوى المداد والذي كتب به لانه انكار صريح لقراءة متواترة -

أجمعت الأمة على تواترها هذا . .

وقوله أيضا : والآخري بعدها عن فصيح كلام العرب وذلك أن يحسب

يطلب في كلام العرب منصوبا وخبره الى قوله :

فقارى هذه القراءة أصح يحسب خبر الفيرمخبر عنه مذكور الخ =

لا معنى له ولا وجه له وذلك أن الحذف والتقدير من البلاغة والفصاحة فى

مكان عال ومنزلة مرموقة عند أهل الصناعة ، ولو قدرنا أنهم أو أن بعد سبقوا

لكانت الجملة سادة سد مفعولى بحسب كما ذهب الى ذلك كثير من

الموجهين ، وترك ذلك بلاغة حتى من الناهية اللغوية لنذهب النفس فى

تقدير المحذوف كل مذهب لائق بالمقام دون غضاضة ولذلك ذهب الجلال

السيوطى الى تقدير المفعول الأول " ليحسب " حيث قال : فالمفعول الأول

محذوف أى أنفسهم والمفعول الثانى جملة سبقوا على قراءة اليا فى " يحسب "

وأما على قراءة التاء فى ذلك فالمفعول الأول الذين وجملة كفروا صلة الذين

لا محل لها من الاعراف والمفعول الثانى جملة سبقوا أيضا . (١)

(١) انظر : الفتوحات الالهية : ج ٢ / ص ٢٥٣ .

على تقدير كونه مغير القرآن
وقد عرفت أن هذا اللفظ لم يخرج عن فصيح كلام العرب بل كان أفصح
كلامهم من ذلك فما بالك إذ كـنـيـان أنه من كلام الله الذى
لا يلحقه نقص ولا عيب ولا خلل ولا خطأ .

وحينئذ فلا يخفى عليك بطلان هذا القول الذى يتضمن الطعن فى
كلام الله .

وقوله : = " وأحسب أن الذى دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة -
عبد الله ، وذلك أنه فيما ذكر فى مصحف عبد الله " ولا يحسبن الذين
كفروا أنهم سبقوا انهم لا يعجزون وهذا فصيح صحيح اذا أدخلت أنهم
فى الكلام وأن " يحسبن " عاملة فى أنهم واذا لم يكن فى الكلام أنهم كانت
خالية من اسم تعمل فيه = قياس محض فى هذا الباب الذى مبناه النقل
الصحيح ويدل أيضا على أن القراءات القرآنية قد تكون ضعيفة فى نفسها
وتحتاج الى عامل يقويها حتى تكون قوية بذلك ولا شك أن هذا فى ممزول
عن الصواب لانه لا يدخل للقياس فى القراءات البتة ولا ن القراءات المتواترة
ركن قوى لا يتسرب اليه الضعف والوهن ولذلك قال المولى سبحانه وتعالى :
" هم والكتاب المبين انا جعلنا قرأنا عربيا لملككم تملقون وانه فى أم الكتاب
لدينا لعلى حكيم " (١) ، وقال أيضا " الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت
من لدن حكيم خبير " . (٢)

(١) سورة الزخرف : آية / ٤ .

(٢) سورة هـ سود : آية / ١ .

وقوله : = " وللذى قرأ ذلك من القراء وجهان فى كلام العرب وان
كانا بصيدين من فصيح كلامهم أحدهما أن يكون أريد به " ولا يحسبن الذين
كفروا أن سبقوا أو أنهم سبقوا ثم حذف أن وإنهم كما قال جل ثناؤه : " من
آياته يريكم البرق خوفا وطمعا " بمعنى أن يريكم الى قوله :
والوجه الثانى أنه أراد باضرار منصوب بنحسب كأنه قال : " ولا يحسبن
الذين كفروا أنهم سبقوا ثم حذف الهمزة وأضر =

مرفوض عندى غير مقبول وذلك أن الحذف والاضمار كما علمت بلاغة وفصاحة
فكيف يكون مع ذلك بصيدا عن فصيح كلام العرب الا أن هذا يمكن أن حصل
منه بدون تأمل بأن سبق قلته اليه .

وقوله = : " وقرأ ذلك بضم أهل الشام " ولا تحسبن الذين كفروا "
بالتاء من " تحسبن " = خطأين لأن الشاميين لا يقرؤون بالتاء فى " يحسبن "
بل بالياء فيه وفتح الهمزة من أنهم وهذا من بين البياض فى أنه يوجه القراءات
عشوايا أحيانا حيث ينسب القراءة الى غير ذويها لانه لا يوجد من بين القراء -
العشرة من يقرأ بالتاء فى يحسبن " ويفتح الهمز من " أنهم " لان الذين
يقرؤون بالتاء فى يحسبن يقرؤون بكسر الهمزة فى (انهم) هذا . .

وأما قوله رحمه الله تعالى : = " سبقوا أنهم لا يمجزون بفتح الألف
من أنهم بمعنى : ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يمجزون ولا وجه لهذه
القراءة يعقل الا أن يكون أراد القارىء بلا التى فى يمجزون لا التى تدخل
فى الكلام هشوا وصله فيكون معنى الكلام حينئذ " ولا تحسبن الذين كفروا أنهم

يمجزون الخ = فانه يدل على أن قراءة فتح الهزمة في (أنهم) لا وجه لها البتة الا ما استثناه من ارادة القارىء هدف لاسه وليس كذلك بل لها وجه آخر غير ذلك المذكور سديد في العربية . وهو أن جملة أنهم لا يمجزون تعليله للجملة التي قبلها والتقدير ولا يحسين الذين كفروا أنفسهم سابقين أو لا يحسين من خلقهم سبقوا سابقين لأنهم لا يمجزون الله ولذلك رد أبو حيان على أبي عبيدة وأبي حاتم حيث وهما مثل هذا الوهم الذي وهمه الشيخ من أن قراءة فتح الهزمة من أنهم لا وجه لها يعقل وقال في رد عليهما : واستبعد أبو عبيده وأبو حاتم قراءة ابن عامر ولا استبعاد فيها لأنها تعليل للنهي أي لا يحسينهم فائتين لأنهم لا يمجزون . اهـ (١) وحينئذ فلا التفات لما قرره لما علمت .

وأما قوله رحمه الله تعالى = والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ " ولا تحسين " بالتاء (الذين كفروا سبقوا انهم) بكسر الألف ممن أنهم لا يمجزون (الخ = نيمتبر انكارا لما عدا هذه القراءة التي صوبها مع أنه توجد قراءتان متواترتان غيرها ولا شك أن هذا التقرير بعيد عن طريق الحق وذلك أن القراءة اذا ثبت تواترها حق وصواب منزلة من عند الله بلا خلاف وكلها على منزلة واحدة بلا تفاوت في ذلك كما قرره الصادق المصدوق وجرى عليه جمهور أهل العلم .

(١) انظار البحر المحيط : ج ٤ / ص ٥١٠ .

والقراءتان اللتان عد هما غير صواب هما قراءة ابن عامر
الشامي حيث كان يقرأ بالياء (يحسن) وفتح الهمزة من
(أنهم لا يعجزون) وقد عرفت تواترها بلا شك .

وقراءة حمزة وأبي جعفر يزيد بن القعقاع وحفي حيث قروا
بالياء من (يحسن) وكسر الهمزة من (أنهم لا يعجزون)
وقد رد أبو حيان على الزمخشري حيث أراد اللحن في قراءة (يحسن)
بالياء = وقال : وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة =

بقوله : ولم ينفرد بها حمزة كما ذكر بل قرأ بها ابن عامر وهو من العرب
الذين سبقوا المحسن وقرأ علي وعثمان وجعفر عن عاصم وأبو عبد الرحمن وابن
محيين وعيسى والأعمش وتقدم ذكر توجيهها على غير ما نقل مما هو جيد في
العربية فلا التفات لقوله : وليست بنيرة (١) وهذا رد جميل يكفينا
في الرد على آراء الشيخ هنا .

والقراءة الثالثة التي اعتبرها صوابا دون غيرها هي قراءة الباقيين
من القراء العشرة والله أعلم ،،

توجيه هذه القراءات بالايجاز أيضا

فوجه من قرأ بالياء في (يحسن) وكسر الهمزة في (أنهم لا يعجزون)
ما يأتي أي ولا يحسن الرسول أو حاسب أو الموء من أو فيه ضمير يعود
من خلفهم فيكون مفعولا (يحسن) الذين كفروا ، ونسبوا

١٠١- قال تعالى : (أَلَمْ نَحْنِفْ الْوَيْلَ لَكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُنْ

مِنكُمْ مَائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَأَن يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ

اللَّهِ وَاللَّهُ تَمَعَ الصَّابِرِينَ) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (واختلفت القراء في قراءة قوله :-

وعلم أن فيكم ضعفاً ، فقراه بعض المدنيين وبعض البصريين) وعلم أن

فيكم ضعفاً (بضم الضاد في جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفاً وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وعلم أن فيكم ضعفاً بفتح الضاد على المصدر أيضاً من ضعف وقرأه بعض المدنيين " ضعفاً " على تقدير فعلاً جمع ضعيف على ضعفاً ، كما يجمع الشريك شركاء والرحيم رحماً ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(أولى القراء في ذلك بالصواب قراءة من قرأه) وعلم أن فيكم ضعفاً

بفتح الضاد أو ضمها لأنهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فأما قراءة من قرأ ذلك ضعفاً فأنتها عند قراءة القراءة وإن كان لها في الصحة

يخرج فلا أحب لقارئ القراءة بها (٢) هتوجيهه .

أقول وبالله التوفيق : ان ماقرره الشيخ أثناء توجيهه لهذه القراءات

الثلاث ليس مقبولاً عنه لأنه جعل قراءة تين صواباً وفصيحتين دون القراءة الثالثة مع تواتر الجميع حيث قال : وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه

(وعلم أن فيكم ضعفاً) بفتح الضاد أو ضمها ثم بين السبب الذي دعاه إلى هذا

التصويب بقواه : لأنهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان في كلام

العرب فصيحتان بمعنى واحد .

فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب ثم قال : فأما قراءة من قرأ

ذلك (ضعفاً) فإنها عن قراءة القراءة شاذة . الخ أقول ان كلامه هذا غير

صحيح لأن هذه القراءة التي قدر أنها شاذة ليست شاذة كما يقول بل هي قراءة

متواترة بلا شك ولا ريب لأنها قراءة عشرية يقرأ بها امام معروف من أمم القراء

العشرية فكيف تمبر هذه القراءة شاذة يحذر عن القراءة بها والشاذة ما وراء

العشر على القول الصحيح وقد حذر الشيخ رحمه الله تعالى القارئ عن القراءة

(١) سورة التوبة = ١٢-

(٢) انظر جامع البيان للطبري ج ١٠-١٣ ص ٢٩-٣٠

بها - وتحذير الانسان عن قراءة القرآن اثم عظيم عفا الله عنه ولا املك
أى عذر أعذر له الا أن أستغفر الله لى ولده لأن هذا موضوع خطير يجب أن يتنبه
له . وقول المصنف : فى رفع شأن قراءة فتح الضاد أو ضمها مع تسكين العين
وتنوين الفاء بلا همزة : = لأنهما القراءة تان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان فى
كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد = يدل على أن قراءة (ضعفاء) بضم الضاد
وفتح العين والفاء وهمزة بعد الألف على وزن فعلاء ليست فصيحة فى كلام العرب
أقول ولا شك أن هذا قول باطل لأنه يدل على أن بعض ألفاظ القرآن ليس فصيحاً
وكيف لم يكن هذا اللفظ فصيحاً وقد جاء فى القرآن فى موضع آخر وأتفق العلماء على أن
الفاظ القرآن فى أعلى فصاحة والبلاغة من كلام العرب .
قال تعالى : (وله ذرية ضعفاء) (١) .

وتبين من ذلك أن ما ذهب اليه الشيخ رحمه الله تعالى من غش
شأن قراءة ورفع شأن قراءة أخرى على ما سبق لك بيانه = مردود غير مقبول لأنه
يؤدى الى الطعن فى كلام الله تعالى وتشكيك الجاهلين فى حقيقته وهذا حرام
لا يشك فى حرمة الا اعمى البصيرة ولكن العلامة ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى
وقع منه هذا على سبيل الظن والشبهه عفا الله عنا وعنه .
•• بيان أصحاب هذه القراءة ات ••

فالذين يقرؤون بفتح الضاد وتسكين العين ونصب الفاء مشوناه عاصم وحمزة
وخلف العاشر .

والذين يقرؤون كذلك الا أنهم يضمنون الضاد نافع وابن كثير المكي وأبو عمرو
البصرى وعبد الله بن عامر الشامى - ولكن الشيخ ترك ذكره - والكسائى ويحقوق الحضرمى
وأما الذى يقرأ الضاد وفتح العين والفاء ويحدها ألف ويحدها الألف همزة
مفتوحه غير منوه أبو جعفر يزيد بن القعقاع (٢)

(١) سورة البقره آيه = ٢٦٦ -

(٢) أنظر البدر والزاهره ص ١٣٠ والنشر فى القراءة ات العشر ج ٢ ص ٢٧٧

القرارات

التي في سورة التوبة

ثم توجيهه قراءة سورة الألقاف على النحو الذي قد عينا
ويلى هذه السورة سورة التوبة ففى ذلك

- ١٢ - قال تعالى : (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطمعنا

فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم

ينتهون) (١) .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : واختلفت القراءة فى قراءة قوله :

(انهم لا ايمانهم) فقراه قراء الحجاز والعراق وغيرهم (انهم لا ايمان

لهم ، بفتح الألف من ايمان بمعنى لاعهود لهم على ما ذكرنا قول أهل

التأويل فيه وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك (انهم لا ايمان لهم) بكسر

الألف بمعنى لا اسلام لهم وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا - وذلك أن

يكون أراد بقراءة ته ذلك كذلك بانهم لا ايمان لهم أى لا تو موهم ولكن اقتلوهم حيث

وجدتموهم كأنه أراد المصدر من قول القائل آمنت به فا انا ايمانه ايمانا قال

أبو جعفر رحمه الله تعالى .

والصواب من القراءة التى لا استحيز القراءة به بغيره قراءة من قرأ

بفتح الألف دون كسرهما لاجتماع الحجة من القراءة على القراءة به ورفض خلافه

ولا حجاج أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله لاعهد لهم ، والايمان التى هى

بمعنى العهد لا تكون الا بفتح الألف لأنها جمع يمين كانت على عقد كاف بين

المتوادعين اهتوجيهه (٢) .

أقول وبالله التوفيق : ان محمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى

قد قطع بأن الصواب من هاتين القراءتين قراءة فتح الهمزة من قوله (لا ايمان

لهم) دون قراءة كسر الهمزة من ذلك مع ثبوت القراءة تين بطريق التواتر وقطع

أيضا أن قراءة كسر الهمزة غير جائزة للقراءة بها وشدد التحذير من ذلك حيث

(١) سورة التوبة = ١٢

(٢) أنظر جامع البيان للطبرى ج ١٠ - ١٣ ص ٦٣

قال : والصواب من القراءات الذي لا استجيز القراءة به . الخ . ثم ذكر هجبتة فيما ذهب اليه من هذا التوجيه بقوله : لاجماع الحجة من القراءة به يعني قراءة فتح الهزة من ذلك ، ورفض خلافه . الخ أقول ان هذه الحجة التي اعتمد عليها لا يلتفت اليها لأمر :

الأمر الأول : أنه لا يمكن انعقاد الاجماع من القراءة وقد بقي من العشرة أحدهم لا يوافق قراءة قرائتهم .

وصاحب هذه القراءة عبدالله ابن عامر الشامي في مقدمتهم فكيف تكون قرأته هذا الأمام شاذة أو من هنا تبين بطلان رأيه في : ذهب من هذا القول .
الثاني : أنه لم يعرف من الأئمة المشهورين في هذا الباب أحد رفض هذه القراءة كما قرره ولم يجمع أهل العلم على رفض وعلم من ذلك أن مقاله في شأن هذه القراءة يعني قراءة كسر الهزة من (لا ايمان طعن فيها واثاره السببه حول القراءة المتواتره التي يجب على كل مسلم الايمان بثبوتها .

الأمر الثالث : أنه أتضح لي بعد التأمل أن الذي دعاه الى انكار قراءة كسر الهزة من هذا اللفظ الكريم والجزم بشذوذها ظنه أنها قراءة الحسن البصري حيث قرر ذلك بقوله : (وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك انهم لا ايمان لهم بكسر الألف بمعنى لا اسلام لهم والحسن البصري من أصحاب الشواذ والشواذ ماوراء العشر . وأما هذه القراءة فهي قراءة متواتره يحرم الصاق الشذوذ بها .
والشيخ رحمه الله تعالى : قد وجه هاتين القراءتين توجيهها صحيحا علائها للكل بما هو عليه وباليته سكت بعد ذلك ولكنه قرر أن قراءة كسر الهزة من (لا ايمان لهم ، خطأ وأن قراءة الفتح من ذلك صوابا مع اعترافه بصحة المعنى المراد من اللفظين من جهة التوجيه الذي يقتضيه المقام وهذا يعتبر بقضا لما أحكم بتاءه وهذا لا ينبغي أن يكون في مثل هذا السجل الكبير الذي يتداول على أيدي الفارين جيلا بعد جيل .

وقد وجه ايضا هاتين القراءتين توجيهها طيبا مناسبا للمقام صاحب الفتوحات الالهيه في كتابه الجمل حيث قال : هذه قراءة ابن عامر بكسر الهمزه

فهو صدر آسنه اعطاء الامان اى لا يعطون امانا بعد نكثهم وطعنهم وفى

المصباح : أمنت الأسيير بالمد أعطيته الامان فأسيير هو ٠٠٠ وعباره البيضاوى :

وقرأ ابن عامر لايمان لهم لا امان اولا اسلام ١ هـ (١)

أقول : انه رغم هذه التوجيهات التى سجلناها لك والى توضح مدى قوتها وصحتها

من جهة المعنى فانه لا ندافع عن القراءة التى اتواتره لأنها لا يعارضها شىء البتة

طالما كان الأبرك ذلك ولكن ذكرنا هذه التوجيهات لازالة الشبهة التى ربما تملو

فى اذهان الضعفاء من الناس فيتشككون فى كلام الله تعالى .

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذى يقرأ بكسر الهمزة من (لا ايمان لهم) عبد الله بن عامر الشامى

والذين يقرؤون بفتح الهمزة من ذلك باقى القراء العشرة (٢) وتوجيهه القراءتين

قد بينالك أثناء عرض كلام الشيخ والرد عليه - والله اعلم -

(١) أنظر الفتوحات الآميه ج ٢ ص ٢١٩

(٢) أنظر الشرلابن الحزرى ج ٢ ص ٢٦٨

١٠٣ - قال تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأغواهم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

قاتلهم الله أنى يؤفكون) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى ! (واختلفت القراءة في قراءة ذلك فقرأته عامة قراءة أهل المدينة ، وبعض المكيين والكوفيين) وقالت اليهود عزيز ابن الله (لاتينوين عزير) .

وقرأه بعض المكيين والكوفيين (عزير ابن الله) بتنوين (عزير) قال هو أسم مجرى وان كان أعحيا لختفه وهو مع ذلك غير منسوب الى الله تعالى فيكون بمنزلة قول القائل : زيد ابن عبد الله ووقع الابن بوقع الخبر ولو كان منسوبا الى الله لكان الوحه فيه اذا كان الابن خيرا لاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه . . .

وأما عن ترك تنوين " عزير) فانه لما كانت الباء من ابن ساكنه مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الأول منهما استسقالا لتحريكه ثم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى وأولى القراءة تين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (عزير ابن الله) بتنوين (عزير) لأن العرب لا تنون الأسماء اذا كان الابن نعتا للاسم كقولهم هذا زيد بن عبد الله فأراد والخبر عن عزير بأنه ابن له ولم يريدوا أن يجعلوا لابن له نعتا والابن في هذا الموضع خبر لعزير لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك انما أخبروا عن عزير أنه كذلك وان كانوا بقليلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين اهـ .

أقول وبالله التوفيق : بان ذهاب الشيخ رحمه الله تعالى الى ترجيح

قراءة التنوين في (عزير) على القراءة الثانية التي هي بخير التنوين فيه مبنى على

مبنى على آراء نحوية يسوقها أهلها في معالجة الأسماء من هذه الناحية والقاعدة عند بعض
أن لفظ الابن اذا وقع بعد اسم نعتا له لا يكون هذا الاسم الذى قبله
واذا وقع الابن بعد الاسم خبرا عنه يكون هذا الاسم ولذلك رجح الذى فيه الشيخ
هنا تنوين عزيز على عدمه لأن لفظ ابن وقع خبرا عن عزيز على أرجح الأعراب
التي جاءت فيه ولو فرضنا صحة دعواه فى غير القراءات فيما قال هل يكون هذا
صحيحا فى هذا الباب الذى بناه الأساس على النقل الصحيح والجواب
لا تكون دعواه صحيحة لأن هذا المذهب الذى تبنته يؤدى الى جعل القراءات
تفاوته فى مستواها منها ما هو راجح ومنها ما هو مرجوح مع تواتر الكل وهذا لم يقل
به أحد من السلف الذين لهم قدم راسخ فى الفهم بمراد الله من كلامه سبحانه
وتعالى . ومن هنا نعرف خطأ ما ذهب اليه لأن القراءة لا تفضل قراءة أخرى مع
تواترها بل كلتاها على درجة واحدة دون تفاوت فى ذلك .

ومن المحب أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى فى توجيه هاتين القراءتين
ينقض بعضه بعضا وذلك أنه عارض أولا كون عزيز علونا لأنه لا يستقيم المعنى على
هذا حيث قال : " وقراءة بعض المكيين والكوفيين (عزيز ابن الله) بتنوين
عزيز الى أن قال : ولو كان منسوبا الى الله لكان الوجه فيه اذا كان الابن خبرا
الاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه ثم رجح ما استبعده حيث ذهب
الى تفضيل التنوين فى هذا اللفظ الكريم على عدمه .

وهنا الأسلوب يقتضى التناقض فيما ذهب اليه ، وما تناقض بتساقط
وما تساقط غيره له ولا قيمة له ورغم هذا التناقض الذى يسقط الاحتجاج لما
قرره فأنا لا نجعل ذلك سلاحا ندافع به عن الخوض فى أمر القراءات بل القراءات
اذا ثبتت بطريق التواتر يحرم الطعن فيها يجعل احداها أقل شأنا من الثانية
وهذا يكفى للرد على كل من جهل أمر القراءات محاولا اثاره الشبهه حولها .

ومن المعاروم أن الشيخ رحمه الله تعالى أشار الى أن هذا الاسم
(عزيز) أعمى ، وتنوينه وان كان كذلك لخفته وعدم تنوينه للالتقاء .

الساكنين كما ذكر وليس لمحيثه غير منصرف لكونه أعجميا وهذا كله محل نظر لأن غيره من علماء التوجيه ذهبوا الى أن عزيزاذا نون له وجهان أحدهما أنه نون بناء على أنه عربى وليس فيه الا غلة واحدة وهى العلميه - والثانى أنه نون لخشه وان كان أعجميا .

وان قراءة غير التنوين وجهوها الى أن عزيزا منح عن الصرف والتنوين للعلميه والعجمه - ولكن الشيخ قصر مع الصرف منه على الابقاء الساكنين مع تقرير كون عزيزا عجميا والجدير بالذكلر أن اباحيان نقضوه دى كلام الشيخ من جميع الحوالب حيث قال : وقال أبو عبيد هو أعجمى خفيف فالصرف كنوح ولوط وهود ، قيل : وليس قواه . بمستقيم لأنه على أربعة أحرف وليس بمصفر انما هو اسم أعجمى جاء على هيئة المصفر كسليمان جاء على هيئته عثمان وليس بمصفر ثم قال : ومن زعم أن التنوين حذف من عزيز لالتقاء الساكنين كقراءة قل هو الله أحد الله الصمد أو لأن ابنا حقه لعزير وقع بين علمين فحذف تنوينه والخبر محذوف أى : الا هنا ومعبودنا فقولاه فتمحل لأن الذى انكر عليهم انما هو نسبة اليه الى الله تعالى (١) وقد عرفت أن ما تضمنه كلام الشيخ من ترجيح قراءة التنوين على قراءة عدمه عنقوض من قبل أبى حيان فى رده على أبى عبيد وعلى من زعم حذف التنوين لأجل التقاء الساكنين والمنقوض المعارض لا يصلح للمعارضه حتى فى الكلام العادى فضلا أن يعارض به كلام الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد (٢) .

وبناء على ذلك فإن القراءة تين قراءة التنوين فى "عزير" وقراءة عدم التنوين متواترتان على حد سواء من غير تفاوت فى ذلك وأما كلامه فانه انما هو سبق قلم منه

(١) أنظر البحر المحيط ج ٥ ج ٣١

(٢) سورة فصلت - ٤٢ -

عفا الله عنا وعنه وما يلاحظ في توجيهه أيضا أنه نسب القراءة إلى غير ذويها حيث قال : وقرأ بعض المكيين في قراءة التنوين والواقع بخلاف ذلك لأن أهل مكة لا يقرأون بتنوين (عزير) بل يقرأون به بغير تنوين . وأيضا أهمل بعض القراء . حيث لم يذكر في قائمه أحد من أصحاب والذي تركه الشيخ هو عبد الله بن عامر الشاسي حيث كان يقرأ هذا اللفظ الكريم بغير تنوين ولكنه اقتصر على هو لا المذكورين حيث قال : فقراته عامه قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين ومن اللازم ذكر هذا المتروك لأن أهمله يؤدى إلى اعتبار أنه ليس من هذا الفريق ولا من ذاك فيترتب على ذلك حرمان الشخص من حقه .

بيان أصحاب هاتين القراءتين
بذكر اسمائهم صراحة

فالذين يقرأون بتنوين (عزير) من العشرة عاصم والكسائي ويعقوب الحضرمي وكسره حال الوصل ولا يجوز ضممه للكسائي على مذهبه لأن ضمة ابن ضمة أعراب . والذين يقرأون بغير التنوين في (عزير) الباقر من العشرة (١)

(١) أنظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٣٣ ، والنشر لابن الجزري ، ٢/٢٧٩ ، (تنبيه) قاله الشيخ عبد الفتاح القاضي أن عزيرا عربى وليس أعجميا لأنه من التعزير وهو التقويه اهـ من نفس المصدر .

١٠٤ - قال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قتلهم الله أنى يؤفكون)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : اختلفت القراء في قراءة ذلك فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق : (يضاهون) بغير همزة ، وقراء عاصم (يضاهئون) بالهمزة وهي لغة تثقيف وهما لغتان يقال ضاهيته على كذا مضاهاة ، وضاهاته عليه مضاهاة اذا مالته وأعتته .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز لأنها

القراءة المستفيضة في قراء الأمصار واللغة الفصحى اهـ (١) .

أقول وباللغة التوفيق : انه صوب قراءة ترك الهمز على قراءة الهمز في هذا اللفظ الكبير (يضاهون) وحزم بأن الأمر كذلك مع كون القراءتين متواترتين ولا شك أن هذا التصرف غير لائق بهذا الموضوع الذي أساسه التلقى والنقل بلا اجتهد في ذلك وزيادة على ذلك فانه يؤدى الى جعل القراءة التي بمقابل القراءة المصوبة غير صواب وهذا أحد خطير لأنه يتهرب على ذلك منع القراء المتواترة من القراءة بها وهذا حرام لأن من منع ذلك فقد منع عن قراءة آية من كتاب الله لأن القراءة بمنزلة الآيه ولا شك أن مثل هذا العمل يمس صلب العقيدة لأن القرآن صفة من صفات الله تعالى فمن انكر قراءه متواترة فقد ^{انكر} صفة من صفاته تعالى ولكن ما حصل منه ليس على سبيل التعمد ولكنه سبق قلم منه عفا الله عنا وعنه هذا وقد علل الشيخ صحة ما ذهب اليه بقوله : والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار واللغة الفصحى وما لا شك فيه أن هذه العلة لا يلتفت اليها لأمر :-

الأمر الأول : أن القراء لا يعتمدون على قاعدة قعدتها الناس من عند أنفسهم بل يعتمدون على الرواية الصحيحة المتواترة لأن القراءه سنة متبعة ونقل محض

(١) أنظر جامع البيان للطبري ج ١٠-١٣ المطبعة الكبرى الأميرية

وهو أصل لكلامهم وليس فرعا عنه .

الأمر الثاني : أن القراءة إذا جاءت عن أحد القراء المشهورين بطريق التواتر كهذه القراءة فإن ذلك لا يجعلها أحط درجه من الأخرى بل تكون مساوية لغيرها من قراءات القراء من جميع الجوانب دون تفاوت في ذلك وهذا ماقرره الشرع الحكيم هذا .

الأمر الثالث : أن هاتين القراءتين جاءتتا على لفتين من لغات العرب والجدير بالذكر أنه لم يذهب أحد من العلماء الموجهين إلى ما ذهب إليه الشيخ من تصويب قراءة غير الهمز على قراءة الهمز في هذا اللفظ الكريم (يضاهاون) بل وجهوا توحيتها طبيعيا لا يمس جانبا واحدا من القراءتين بل سووا بينهما في ذلك واليك ماكتبه ابن خالويه وهذا نصه (قوله تعالى (يضاهاون) يقرأ بطرح الهمزة وبالثبوتها فالحجة لمن همز : أنه أتى بها على الأصل . والحجة لمن ترك الهمز أنه أراد : التخفيف فأسقط الياء لحركتها بالضم والضم لا يدخلها وروى لثرون الجحيم وهما لفتان ضاهات وضاهيت (١) وماكتبه صاحب الجمل وهذا نصه : (قرأ العامة يضاهاون بضم الياء بعدها واو وقرأ عاصم بها مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو فقليل هنا بمعنى واحد وهو الشابهة وفيه لغتان ضاهات ، وضاهيت بالعمزة والياء والهمزة لغة ثقيف وقيل الياء فرع عن الهمزة كما قالوا قرأت وقريت ، وتوضأت ، وتوضيت ، وأخطأت - وأخطيت ، وفي الصباح ضاهاه مهوز عارضة بارائه ويجوز التخفيف فيقال ضاهيته ضاهاهة وهي مشاكلة الشيء بالشيء وفي الحديث أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهاون خلق الله أن : يعارضون بما يعملون والبراد الصبورون اهـ (٢)

(١) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ١٧٤

(٢) أنظر الفتوحات الآلهية ج ٢ ص ٢٧٧ -

وأنت ترى من هذين التوجيهين اللذين قام بهما هذان العالمان الجليلان أن الأصل في هذا اللفظ الكريم الهمز وأن غير الهمز يصتق الياء فرع منه فكيف تصح دعوى أفصحيه ترك الهمز على الهمز والأمر ما علمنا ولا شك أن هذه الدعوى لا تقبل منه على فرض كون اللفظ عربياً عادياً فضلاً عن كونه كلام الله الذي لا يمكن منه النسيان والخفلة سبحانه وتعالى عما لا يليق به وحيث أن القارئان متواترتان على السواء دون وجود المزيه بينهما في ذلك هذا.

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذي يقرأ بكسر الهاء وهمزه مضمومه بعدها عاصم رحمه الله تعالى •
والذين يقرأون هذا اللفظ الكريم يضم الهاء وحذف الهمزة الباقيون من القراء
العشرة (١) •

(١) أنظر النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٧٩ • والبدور الزاهره للشيخ

عبدالفتاح القاضي • ص ١٣٣

١٠٥- قال تعالى : (وعنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل
أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للناس من اللغو منين ورحمة للذين آمنوا منكم

والذين يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم الذين آمنوا منكم) (١)

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وأما قوله : ورحمة للذين آمنوا منكم)
فإن القراءة اختلفت في قراءة ته . فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار . ورحمة للذين
آمنوا بمعنى : قل هو أذن خير لكم وهو رحمة للذين آمنوا منكم ، فرجع الرحمة
عطاها بها على الأذن ، وقراءه بعض الكوفيين ورحمة عطاها بها على الخير بتأويل
قل أذن خير لكم وأذن رحمة .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك
عندى قراءة من قراءة : ورحمة بالرفع عطاها بها على الأذن بمعنى وهو رحمة
للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن أتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاء
به لأن الله استنفذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جناته اه نص
كلامه في هذا اللفظ .

أقول وبالله التوفيق : أن الشيخ كعادته ذهب إلى تفضيل قراءة الرفع
على قراءة الجر في قوله ورحمة للذين آمنوا منكم ، مع ثبوت القراءتين بالتواتر
وقد عرفت مما سبق من الردود التي تتناولناها على هذا التفضيل أن هذا العمل غير
صحيح لأنه يؤدى إلى الطعن في القراءة المرجوحه في نظره والواقع بخلاف
ذلك لأن القراءتين نزلتا من عند الله تعالى عن طريق الحق الذى لا شك فيه
وكلها على درجة واحدة دون أن يوجد بينهما أدنى شيء من التفاوت كما قرره
الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

وقد وجه هاتين القراءتين توجيها طبييا لا يمس جانبا واحدا من جوانب

(١) أنظر سورة التوبة (٦١)

القراءتين بل وفق بين القراءتين من ناحيته المعنى واليك بيان ذلك .
وحجة من رفع أنه عطفه على أذن فالمعنى : قل محمد أذن خير لكم ورحمة أي
: هو رحمة ، أي هو مستمع خير وهو رحمة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
الرحمة لكثرة وقوعها به وعلى يديه كما قال تعالى ذكره : (وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين (١) ويجوز أن يكون الرفع على ضمائر مضاف محذوف تقديره :
قل هو أذن خير لكم ، وهوود ورحمة .

وحجة من قرأ بالخفض أنه عطفه على (خير) أي أذن خير وأذن
رحمه لأن الخير هو الرحمة والرحمة هي الخير وجاز أن يخبر عن الخير والرحمة
بالاستماع وإن كانا لا تسمعان لأن المعنى مفهوم أن المراد به المخير عنه وهو النبي
صلى الله عليه وسلم .

ومعنى الآية : أن المنافقين قالوا : ادنا تذكر محمدا من

ورائه فإذا بلغه اعتذرنا إليه فقل لاؤه اذن .

فقال الله تعالى : أذن خير ، لا أذن شر .

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذي يقرأ بالجر في ورحمة حمزة من العشرة .

والذين يقرؤون بالرفع الباقيون منهم والله أعلم (٢) .

(١) أنظر لكشف عن وجوه القراءات ج ١ ص ٥٠٣-٥٠٤

(٢) أنظر الشرح في القراءات العشر لابن الجزري ج ٢ ص ١٨٠

١٠٦ - قال تعالى : (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مفرماً ويتربص بكم الدوائر

عليهم دائرة السوء والله سميع عليم) (١)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : (وأختلفت القراء في قراءة ذلك فقراء عامة قراء

أهل المدينة والكوفة (عليهم دائرة السوء) بفتح السين بمعنى النعت للدائرة

وإن كانت الدائرة مضافة إليه كقولهم هو رجل السوء وامرؤ الصدق كأنه إذا فتح

مصدر من قولهم سوءته أسوءة سؤاً ومساءة وسائية .

وقرأ ذلك أهل الحجاز وبعض البصريين عليهم دائرة السوء بضم السين

كأنه جعله اسماً كما يقال : عليه دائرة البلاء والعذاب فضم لم يقل هذا رجل

السوء بالضم ، والرجل السوء (٢) وقال الشاعر :

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم ثم قال

أبو جعفر رحمه الله تعالى .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين بمعنى عليهم الدائرة

التي تسوءهم سؤاً كما يقال : رجل صدق على وجه النعت اهـ (٣) .

أقول وبالله التوفيق : إن صاحب الجامع قطع بأن القراءة التي هي

الصواب من القراءة تبين اللتين جاءتا هنا = هي قراءة بفتح السين من السوء

دون قراءة بضم السين مع كون القراءة تين متواترتين بلا شك ولا شك أن هذا الاتجاه

يخجل قراءة بضم السين عن السوء خطأ لأن ضد الصواب هو الخطأ ومن العجيب

كيف تكون القراءة الثابتة بطريق التواتر يقضى عليها بالخطأ . ومن المعلوم

أن هذا التقرير غير صحيح لأن القراءة تين بمنزلة واحدة ولا يعقل كون أحدهما صواباً

والأخرى خطأ . والصواب خلاف ما ذهب إليه يعني أن القراءة تين صواباً كما هو

(١) سورة التوبة - آية - ٩٨ -

(٢) لأن السوء ليسى بالرجل بل هو الضر والبيت للفرزدق والسوء فيه بالفتح

وأحال الذئب على الدم أقبل عليه - هـ انظر اللسان

(٣) أنظر جامع البيان للطبري ج ١٠ - ١٣

مذهب السلف في هذا الباب كما سبق لنا كثيرا • ويجب على كل مسلم أن يتبع طريق السلف في كل ما فعله وبتركه - لأنه طريق السلام - ويوجه القراءات توجيهها طيبا لا يطعن قراءه منها مادامت تواترت عند القراء • وهذا هو الطريق الوحيد الذي يسلم فيه الانسان من الزلل • ولذلك لم يتعرض توجيه هاتين القراءتين من السابقين أحدا لأن يوفق بين القراءتين في المراد من الآيه •

واليك بيان ذلك من صاحب الفتوحات الآميه •

وهذا نص كلامه فقرأ بن كثير وأبو عمرو هنا وكذا الثانية في الفتح بالضم والباقون بالفتح وأما الأولى في الفتح = وهي ظن السوء فأتفق على فتحها السبعة فأما المفتوح فقيل هو مصدر •

وقال القراء : يقال : سوء ته سوءا وساءة وسوائيه وسائيه

وبالضم الاسم • قال أبو البقاء : وهو الضرر وهو مصدر في الحقيقة قلت يعني أنه في الأصل كالمفتوح في أنه مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشبهه وقال مكى :

من فتح السين فمعناه الفساد والرداءة ومن ضمها فمعناه البلاء والضرر وظاهر هذا أنهما اسمان لما ذكر ويحتل أن يكونا في الأصل مصدرين ثم أطلقا على ما ذكر

وقال غيره : المضموم الحذاب والضرر - والمفتوح الذم اهـ (١) وأنت ترى من هذا التوجيه الذي تناوله الشيخ سليمان بن عمر توحيد معنى القراءتين وتوفيق

ذلك والمفروض أن تبني جميع التوجيهات التي توجه إليها القراءات على هذا الأساس المتين الذي لا يمكن فيه أن تفض شأن القراءة من شأن أختها وهذا هو الواجب على كل من يحاول توجيهها وأما الحلل التي أتى بها الشيخ محمد بن جرير الطبري ضمن هذا التوجيه فلا اعتبار لها ليعنى عليها مذهب هذا لما ذكرنا،

(١) أنظر الفتوحات الآميه ج٢ ص٣١٢

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذين يقرؤون بضم السين في (السوء) ابن كثير المكي وأبو عمرو

البصرى .

(١)

والذين يقرؤون بفتح السين من ذلك الباقيون من القراء العشرة وقد

حذف الشيخ رحمه الله عبد الله بن عامر الشامي ولم يذكر معهم مح أنه

كان من الذين يقرؤون بالفتح في هذا الحرف حيث قال : وقراه عامه قراه

المدينه والكوفه ولم يتمرض ذكره وهذا ما يؤخذ عليه . وقد عرفت بيان

ذلك والله أعلم . . .

(١) أنظر النشر في القراءات العشر ح ٢ ص ٢٨٠

— ١٠٧ — قال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين

اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري

من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (١)

قال الطبري رحمه الله تعالى : ان عمر بن خطاب رضي الله عنهما قرأ :

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان فرفع

الأنصار ولم يلحق الواو في الذين فقال له زيد بن ثابت : والذين

اتبعوهم بإحسان .

فقال عمر الذين اتبعوهم بإحسان فقال زيد أمير المؤمنين

أعلم ، فقال عمر اثتوى بأبي بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك فقال ابى :

والذين اتبعوهم بإحسان فقال عمر اذا نتابع أبيا والقراء ه على خفض الأنصار

عظفا بهم على المهاجرين .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : والقراءة التي لاستحيز غيرها

الخفض في الأنصار لاجماع الحجة من القراءة عليه وأن السابق كان من الفريقين

جميعا من المهاجرين والأنصار وإنما قصد الخير عن السابق من الفريقين دون

الخير عن الجميع (٢) ١٠هـ (٣) .

أقول وبالله التوفيق بان أبا جعفر رحمه الله أبى أن يعترف قراءة

متواترة بدعوى علل لاقدرة لها على مقاومته هذا الحق البين حيث قال :

بعد عرض القراءة تين قراءة الرفع في الأنصار والخفض فيه وتوجيهها : = والقراءة

التي لأستحيز غيرها الخفض في الأنصار لاجماع الحجة من القراءة عليه وأن السابق

كان من الفريقين جميعا ٠٠ الخ فكيف لا يستحيز الشيخ رحمه الله تعالى قراءة

تواترت عند أحد العشرة الأئمة الثقات الذين اختارهم المسلمون ؟ وأتى للطبري

(١) سورة التوبة آية — ١٠٠ —

(٢) أب عن البعض ١هـ من الكتاب

(٣) أنظر تفسير الطبري ج ١٠ — ١٣ ص ٧

أو لغيره من الناس هذا السلطان على نص القرآن ؟ وهذا أسلوب
في غاية الخطوره لأنه يدل على أن لكل إنسان التصرف في القراءات القرآنيه
كيف شاء ان شاء اجازها وان شاء منعها وهذا لم يقل به أحد من أهل الاسلام
ولكن الشيخ رحمه الله تعالى زلت قدسه في هذا الموضوع عفا الله عنا وعنــه
بيان أهل هاتين القراءتين من العشره

فألذي يقرأ برفع الأنصار منهم يعقوب الحضرمي تلميذ أبي عمرو

البصري - والذين يقرأون بالرفع فيه الباقيون من العشره (١) .

(١) أنظر النشر في القراءات العشر لابن الحذري ج ٢ ص ٢٨٠

- ١٠٨ - قال تعالى : (خذ من أموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم

بها وصل عليهم أن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم) (١)

قال الشيخ : أبو جعفر رحمه الله تعالى :

وأختلفت القراءة في قراءة ذلك فقراءه قراءة المدينة : بان

صلواتك سكن لهم بمعنى : دعواتك .

وقرأ قراء العراق وبعض المكيين : وأن صلواتك سكن لهم

بمعنى : أن دعاءك . وكان الذين قرؤوا ذلك على التوحيد

أو أن قراءته التوحيد أصح لأن في التوحيد من معنى الجمع وكثرة

العدد ما ليس في قوله : أن صلواتك سكن لهم إذ كانت الصلوات

هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد دون ما هو أكثر من

ذلك .

والذي قالوا من ذلك عندنا كما قالوا - وبالتوحيد عندنا القراءة هـ

لأنه أن ذلك في العدد أكثر من الصلوات ولكن المقصود منه

الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلواته أنه سكن لهم ولا

القوم لا لخبر عن العدد إذا كان ذلك كذلك كان التوحيد في الصلاة

أولى أه توجيهه في هذا اللفظ الكريم (٢) .

أقول وبالله التوفيق إن الطبري قد قور كما تعود أن قراءه الأفراد

أصوب من قراءة الجمع في لفظ (بان صلواتك) مع تواتر القرائتين وقد

عرفت أن هذا التقرير خلاف الحق لأن الحق والصواب مادام الأمر

كذلك كون القراءة تين صواباً على حد سواء بلا وجود ريب وأما العلل

التي يذكرها فلا اعتبار لها البتة لأن هذا الموضوع موضع لا يدخل

فيه الاجتهاد والرأى الشخصي كما علمت في هذه الرسالة المباركة

إن شاء الله تعالى ولذلك لم يذهب إلى ما ذهب إليه هنا أحد من علماء

التوجيه واليك ما قوروه وأن في توجيهه هاتين القراءة تين

(١) سورة التوبة = آيه - ١٠٣

(٢) أنظر جامع البيان للطبري ج - ١٠ - ١٣ ص ١٤

• وهذا من ذلك •

وحجة من وجد أن (الصلاة) بمعنى الدعاء ، والدعاء صنف

واحد وهي مصدر ، والمصدر يقع للقليل والكثير بلفظه •

وقد أجمعوا على التوحيد في قوله : (وما كان صلاتهم عند البيت) (١)

وحجة من جمع أنه قدر أن الدعاء تختلف اجناسه وأنواعه فجمع المصدر لذلك

كما قال جلت قدرته : (ان أنكر الأصوات لصوت التحمير فجمع في هذه الآية في

سوره لقمان والمصدر وجد لهذه العلة وحنئذ فلا غضاضة في مجيء القراءتين

جمعا وكافرادا حتى من الناحية الصرفية فضلا من ناحية النقل المحض وقد عرفت

تواترهما وتبين من ذلك أن مذهب الطبري في توجيه هاتين القراءتين غير سديد

من جميع النواحي : اللغوية والنقلية والله أعلم ..

بيان أصحاب هاتين القراءتين من العشرة

فالذين يقرون بالتوحيد في صلاتك حمزه والكسائي وخلف وحفص

والذين يقرون هذا اللفظ الكريم (صلاتك) على طبق الجمع الباقون

من العشرة •

• ملاحظه أو ملحوظه ••

وأعلم أن الطبري لم يبين هو لاء القراء الكرام أثناء عرض هاتين القراءتين ولم

يسند القراءات إلى أصحابها على وجه الكمال وذلك حيث قال : فقرأتها

قراء المدينة بالجمع •• الخ وهذا القول يوهم أنه لم يشارك أهل المدينة

في هذه القراءة غيرهم من القراء مع أنه يقرأ بها الشاميون والمكيون والبصريون وقال

أيضا في توجيهه قراءة الأفراد •

وقسراً قراءه الخراق وبعض المكيين وهذا القول أيضا يشير الى أن
أهل الخراق جميعا يفردون والواقح خلاف لأن شمهه من الكوفيين يقرأ بالجمع
مخالفا أهله الكوفيين ولم يوجد من المكيين من يقرأ بالافراد حتى حمل القارئ
بالجمع بعضا من المكيين ولا شك أن هذا التصرف يوقع الانسان في ليمروالده أعلم ،،،

— ١٠٩ — قال تعالى : ولا يزال بنيانهم الذي بنوا ريده في قلوبهم الا ان تقطع

قلوبهم والله عليم حكيم (١) .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : (وأما قراءة من قرأ ذلك

الى أن تقطع) فقراءه لمصاحف المسلمين مخالفه ولا أرى القراءه

بخلاف ما في مصاحفهم جائزة اهـ المراد من كلامه .

أقول وبالله التوفيق ان هذه القراءه التي أخرج وجودها

عن مصاحف المسلمين وجزم بعدم جواز قراءتها هذه القراءه متواتره

بقرئها امام من أئمه القراءه العشره الذين أجمع المسلمون على تواتر

قراءتهم وأنت ترى خطورة رأي الشيخ حيث جعل الحريه لنفسه

في تخطئة القراءه المتواتره وتصويب مثلها مع أن السلف حذروا

عن ذلك لأن هذا الموضوع لا دخل لأراء الناس وأهوائهم فيه لأن

مبناه النقل المحض والروايه الثابته على طريق اليقين الذي لا

يدخله الشك والريب ألا وهو التواتر الذي هو ركن القراءه الصحيحه

ولا يخفى عليك توجيه هذه القراءه لأن الى حرف جر وغايه

والمعنى : أن هؤلاء الذين بنوا مسجدا لنواياهم الخبيثه التي

عددتها الآيه الكريمة لا يزال هذا المسجد شكاً في قلوبهم الى أن

يموتوا ويفارقوا الدنيا ويومئذ لقوا جزاءهم اللائق وهو العذاب الاليم

أجارنا الله منه وولد بنا وإخواننا المسلمين .

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذي يقرأ بتخفيف اللام ويجعله حرف جر يعقوب الحضرمي أحد القراءه العشره
والذين يقرأون بتشديد اللام على أنه حرف استثناء الباقر بن عمار والله أعلم (٢)

(١) سورة التوبه — ١١٠ —

(٢) أنظر النشر في القراءات العشره ج ٢ ص ٢٨١

١١٠ - قال تعالى : (أولاً يرون أنهم يفنون في كل عام مرة ومنسرين ثم

لا يتوبون ولا هم يذكرون) (١)

يقول الطبري رحمه الله تعالى : (اختلفت القراءة في قراءة

قوله (أولاً يرون) فقراءته عامه قراءة الأُمصار أولاً يرون بالياء

بمعنى أولاً يرى هو لا الذين في قلوبهم مرض النفاق .

وقرأ ذلك حمزه أولاً ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

والصواب عندنا من القراءة في ذلك الياء على وجه التوبيخ

من الله لهم لاجتماع الحجة من قراءة الأُمصار عليه وصحة معناه اهـ

المراد من توجيهه (٢) .

أقول وبالله التوفيق بان الطبري قطع بأن الصواب من القراءة تين

في هذا اللفظ الكريم يرون قراءة الياء على طريق الغيب

وتمصويته هذه القراءة يدل على أن قراءة الخطاب فيه خطأ

لاحظها في كونها صواباً وهذا المنهج الذي نهجه الشيخ

بحيد عن الحق لأن الحق كون القراءة تين صواباً إذا ثبتا بطريق

التواتر وهذه القراءة التي أنكرها ضمناً وجزم بأنها خطأ

متواتره كأختها التي صوبها وعلم من ذلك أن السيف الذي

سلمه ليهاجم به هذه القراءة الثابتة التواتر مكلول

لأنه لا قدرة له على قطعها كما أراد والعجب كل العجب

(١) سورة التوبة = ١٢٦ =

(٢) أنظر تفسير ابن جرير الطبري ج ١٠ - ١٣ ص ٥٣ - ٥٤

فى هجوم الشيخ على هذه القراءة "قراءة حمزة مع أن بن جرير
تلميذ تلميذ حمزة فى القراءة ات وهذا مما يدهش العقول ولكن الشيخ لم ينكر
قراءة حمزة فقط بل شن الهجوم على أكثر القراءات العشر كما سبق لك بيان
ذلك .

وإذ ن فالقراءتان حق وصواب من عند الله بلا شك ولا ريب لم يكن الأمر
كما قرر الشيخ رحمه الله تعالى .

بيان أصحاب هاتين القراءتين

فالذين يقرؤون بالخطاب يرون (حمزة ويعقوب الحضرمي وليست هذه
القراءة "قراءة حمزة بل معه يعقوب رحمة الله تعالى .

والذين يقرؤون بالياء الباقون من العشرة والله أعلم بالصواب
وهذا آخر ما يسر الله لنا بحونه وجوده وكرمه وله الحمد فى البدايه
والنهايه وهو المستعان سبحانه وتعالى .

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه الرساله يوم الأحد الموافق ١٤ / ٣ / ١٤٠٤ هـ

على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك

نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير

المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ،،،

الخاتمه ،،،

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وبفضله وجوده تزداد

الخيرات والبركات والحسنات (ويؤت كل ذي فضل فضله) .

والصلاة والسلام على سيد الكائنات سيدنا محمد بن عبد الله

خاتم النبوة والرسالات وعلى آله وصحبه أهل الفضل والخيرات .

وبعد فهذا ما استطاعت أن تصل إليه يد هذا المسكين

بتوفيق الله وعونه وكرمه ، وان كانت غير ماهرة بما عملته ولكنها

رافعة أكف الضراعة الى الله أكرم الأكرمين سائلة اياه أن يجعل

البركة فيما قامت به ويجعله خالصا لوجهه الكريم وموجزة النتائج التي

سجلتها هذه الرسالة المباركة الا وهي ما يأتي تلخيصه مما سبق وهو

أن هذه الرسالة وضحت السبب الذي دفع صاحبها الى قرع

هذا الباب كما وضحت مدى أهمية هذا الموضوع الذي تناوله مع بيان

المراجع والمصادر التي اعتمد عليها باحثها في علاج ما قام به .

كما تناولت هذه الرسالة المتواضعة ترجمة الطبرى بما فيه الكفاية

للقارىء مبينه الحالة السياسية والعلمية فى عصره ، ونسبته ،

ومولده ، وحياته العلمية ونبوغه ، وشيوخه الذين كونوا

شخصيته بتوفيق الله تعالى ، والبلدان التي رحل اليها

لطالب العلم الى أن روى منه وتصدى لارواء غيره من طلاب الحق

وموضحة أيضا صفاته الخلقية ، وزهده ، وورعه ، واعراضه
الكامل عما في أيدي الناس ، وتواضعه مع معاصريه .

وقد ذكرت هذه الرسالة أيضا : أثناء ترجمة حياته -

تلاميذه الذين تلقوا العلوم عنه ، وشأن العلماء عليه ، كما
بينت في إطار ذلك مؤلفاته النافعة التي خلدها الشيخ رحمه
الله تعالى للمسلمين كما وضحت الوانا من آرائه ، ومن ذلك
مذهبه في العقيدة وقررت أنه سنى العقيدة يعادى الفرق الضالة
المنحرفة عن مذهب أهل السنة والجماعة ويكفرهم كما بينت
هذه الرسالة مذهبه في الخلافة (الامامة) أنه يذهب الى امامة
ابى بكر أولا ثم عمر ثانيا ثم عثمان ثالثا ثم على رابعا رضى الله
عنهم وأن ترتيب الخلفاء في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة
كما تناولت بيان براءته مما اتهم به من التشيع .

وتناولت أيضا رأيه في الامام أحمد بن حنبل وأنه يعد من اهل
الحديث وهو أقرب الى الحديث منه الى الفقه ، وما جرى بينه
وبين الحنابلة حول هذا الموضوع .

كما تناولت هذه الرسالة أهم مناهجه في تفسيره وأنه يعنى
بالتفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين
ويهتم بالاسانيد كما أنه يقدر الاجماع ويحترمه ، وأنه ينصرف عما
لا فائدة فيه .

كما بينت احتجاجة بالمعروف من كلام العرب ، ورجوعه الى
الشعر القديم - ومعالجته للاحكام الفقهية ، وخوضه فى
المسائل الكلامية وأشادت أخيرا أن ما نهجه من هذه المناهج
جعل هذا الكتاب اعظم الكتب المؤلفة فى التفسير بالمأثور كما كان
نقطة التحول ونواة لما وجد بعد من التفسير بالرأى المحمود وقررت
أن هذا التفسير مرجع مهم من مراجع التفسير بالرواية والدراية كما
ذكرت فى نهاية الترجمة تاريخ وفاته وأنه رثاه خلق كثير لا يحصون
رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ثم بينت بعد ذلك نشأة القراءات وتطورها وأنها مسرت
بخطوات كثيرة قطعتها حتى استقرت علما من علوم القرآن الكريم وبينت
أن الخطوة الأولى من ذلك بدأت من تعليم جبريل القرآن النبى
صلى الله عليه وسلم وأن الخطوة الثانية تمثلت فى تعليم الصحابة
بعضهم بعضا فى حياته صلى الله عليه وسلم اذا كانوا غائبين عن
مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر منه . كما تناولت
الخطوة الثالثة وأنها بدأ بقيام بعض الصحابة بحفظ القرآن وتحفيظه
عن ظهر قلب كما وضحت أسانيد القراء العشرة ووضحت أيضا
أن الخطوة الرابعة تتمثل فى شيوع ظاهرة اختلاف القراءات ،
كما بينت أن الخطوة الخامسة كانت بتعيين عثمان رضى الله عنه
مقرئا خاصا لكل مصر من الأمصار التى بعث اليها المصاحف .

وأن هؤلاء المبعوثين خمسة :

- أولهم : عبدالله بن السائب المخزومي بعثه الى مكة .
- والثاني : ابو عبدالرحمن السلمى بعثه الى الكوفة .
- والثالث : عامر بن قيس بعثه الى البصرة .
- والرابع : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي بعثه الى الشام .
- والخمس : زيد بن ثابت حيث عينه ليقرأ بالمصحف المدني .

كما تناولت هذه الرسالة الخطوة السادسة وأنها تتمثل فى تخصص قوم للقراءات مبينه أن هؤلاء المتخصصين الذين تخصصوا فيها كان فى مقدمتهم القراء العشرة المشهورين وهم نافع بن نعيم المدني ، وابن كثير المكي ، وابو عمرو البصرى ، وعبدالله بن عامر الشامي ، وعاصم بن ابي النجود ، وحمزة والكسائي ، وابو جعفر المدني ، ويعقوب الحضرمي ، وخلف العاشر .

وبينت أيضا الخطوة السابعة أنها كانت تبدأ التأليف فى القراءات وتدوينها وكذلك وضحت الخطوة الثامنة التى تتمثل فى تسبيع السبعة وجمع قراءاتهم فى مؤلف خاص ، وأن الحكمة فى تخصيص السبعة من بين أقرانهم لرسوخ قدمهم فيها من جميع الجوانب .

كما تناولت بوضوح الخطوة التاسعة وأنها بدأت بمرحلة الاحتجاج للقراءات وما يلزم ذلك .

وكما تناولت الخطوة العاشرة أنها بدأت بتفريد القراءات

وتسديسها وتعشيرها وغير ذلك مع بيان الحكمة التي دعت الى ذلك .

وقد وضحت أيضا التعريف بالقراءات ورجحت من بين التعاريف التي تناولتها التعريف الذي ينص على أن القراءات علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والاثبات والتحريف والتسكين وغير ذلك من هيئة النطق .

كما تناولت أيضا الفرق بين القرآن والقراءات ورجحت أنه لا فرق بينهما .

وناقشت هذه الرسالة بشدة الأركان التي ذهب أكثر المتأخرين الى انه اذا اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة تعتبر القراءة شاذة .

وأبدت الشجاعة هنا رغم كثرة الذاهبين الى هذا الرأي وأبت أن توافقهم عليه ورجحت ما رجح جمهور المتقدمين من أن القرآن الكريم هو المنقول بطريق التواتر والصرف والا فلا فرق بين القرآن والحديث اذا قررنا أن القرآن يثبت بطريق الآحاد كما ذهب هؤلاء المتأخرون الى ذلك .

كما بينت هذه الرسالة مصادر القراءات ، وبينت اختلافها وأسبابه كما تناولت فوائد اختلاف القراءات ، وانواع اختلافها وبينت أيضا معنى الاختيار في القراءات كما بينت الفرق

بين القراءات والتجويد ، كما أقنعت قراءها أن هذا العمل
الذى قام به صاحبها لا يمس كرامة الطبرى لا من قريب ولا من
بعيد بل هو بيان للواقع الذى سجله الشيخ رحمه الله تعالى
فى هذا الجانب من القراءات التى أتى بها فى تفسيره .

وقررت أخيرا أن انكار قراءة متواترة بنفى صفة الصواب عنها
وخلع ثوب القراءة نية عنها وتفضيل قراءة متواترة على أخرى مثلها
يعتبر طعنا فى القراءات المشروحة^{التي} ارها التوفيق والنقل المحض
ويكون المتعمد لذلك كافرا وأما ما كان من ذلك بطريق الخطأ
والسهو والغفلة فخرجوا الله التجاوز عن صاحبه .

وحملت هذه الرسالة ما كان من الشيخ على الأخير من ذلك .

والله أسأل سبحانه وتعالى أن يحصل عملى هذا خالصا
لوجهه الكريم وذخرا لى فى دار النعيم يوم لا ينفع مال ولا حميم^{عرش على الكريم}
وأن يلبسه ثوب التوفيق والتقدير ، انه ولى ذلك والقادر عليه
وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين . . آمين . . .

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الآيات

رقم الآيه	النص :
١٩٢	مالك يوم الدين

سورة البقره

١٩٦	(او ما يخذعون الا أنفسهم وما يشعرون)	٩
٢٠١	(فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم) الايه	١٠
٢١٣	(فأزلهما الشيطان) الآيه	٣٦
٢١٨	(فتلقى آدم من ربه كلمات) الآيه	٣٧
٢٢٣	(واد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله) الآيه	٨٣
٢٢٨	(وان باتوكم أسارى تفادوهم) الآيه	٨٥
٢٣٦	(قل من كان عدوا لجبريل) الآيه	٩٧
٢٤٠	(انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) الآيه	١١٩
٢٤٧	(واذ جعلنا البيت مثابة للناس) الآيه	١٢٥
	(ام تقولون ان ابراهيم واسحاق ويعقوب)	١٤٠
٢٦١	(فمن كان منكم مريضا او به أذى من رأسه) الآيه	١٩١
٢٦٤	(واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم) الآيه .	١٩٦
٢٦٨	(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) الآيه	٢٠٨

تابع فهرس الآيات

رقم الآية	صفحة
٢١٤	(حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب)
٢١٩	(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير (الآيه ٢٧٦
٢٢٢	(ويسألونك عن المحيض قل هو اذى) (الآيه ٢٨٠
٢٤٠	(والذين يتقون منكم ويذرون ازواجا وصيةلازواجهم) الآيه
٢٤٥	(من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) (الآيه ٢٩٢
٢٥٩	(أو كالذى مر على قرية وهى خاويةعلى عروشها) (الآيه ٢٩٧
٢٧١	(ان تبدوا الصدقات فنعمما هى) (الآيه ٣٠٥
٢٧٩	(فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) (الآيه ٣٠٩
٢٨٢	(ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه) (الآيه .
٢٨٣	(وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة) (٣٢٣ الآيه .
٢٨٥	(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) (الآيه ٣٣٠

سورة آل عمران

١٨-١٩	(شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط) (الآيه
٢١	(ان الذين يكفرون بأيات الله ويقتلون حق) (الآيه .

تابع فهرس الآيات

رقم الآيه	صفحه
٣٧	(فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نباتا حسنا) الآيه .
٣٩	(فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) الآيه
٧٩	(ما كان لبشر ان يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة) الآيه
٨٠	(ولا يأمرکم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) الآيه
١٢٥	(بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم) الآيه
١٤٠	(ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) الآيه
١٤٦	(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم) الآيه .
١٥٤	(ثم انزل عليكم من بعد الغم امنه نعاسا يفشى طائفه منكم) الآيه .
١٦١	(وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) الآيه .
١٧٦	(ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا) الآيه
١٨٠	(ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) الآيه .
١٨١	(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) الآيه .
١٩٥	(فاستجاب لهم ربهم أنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى) الآيه .

تابع فهرس الآيات

صفحة	رقم الآيه	سورة النساء
٤١٧	١	واتقوا الله الذي تسألون به والارحام (الآيه
٤٢٥	١٠	(ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآيه
٤٢٨	٣١	(ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) الآيه
٤٣٢	٣٤	(الرجال قوامون على النساء) الآيه
٤٤٢	٩٤	(يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآيه .
٤٤٨	٩٥	(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى اضرر) الآيه .
٤٥٤	١٢٨	(وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) الآيه
٤٥٩	١٣٥	(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) الآيه
٤٦٦	١٣٦	(يا أيها الذين آمنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي انزل على رسوله) الآيه .
٤٦٨	١٤٠	(وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفربها) الآيه
٤٧٢	١٦٣	(انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) الآيه .

سورة المائدة

٤٧٥	٢	(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام و آمين البيت)
-----	---	--

تابع فهرس الآيات

رقم الآية	صفحة
٦٠	(قل هل انبهكم بشر من ذلك متوبة عند الله من لعنة الله)
٨٩	(لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) الآية
٩٥	(يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم) الآية
٩٥	(او كفارة اطعام مسكين) الآية
١٠٧	(فان عر علي انها استحقا انما فأخران يقومان) الآية .
١١٢	(ان قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) الآية .
١١٩	(قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) الآية

سورة الأنعام

١٦	(من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين)
٢٣	(ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين)
٢٧	(ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد) الآية
٥٤	(واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) الآية
٥٥	(وكذلك نفصل الآيات، ليتستبين سبيل المجرمين)
٥٧	(قل انى على بينة من ربى وكذبتم به) الآية
٨٦	(واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين)
٩١	(وما قدر الله حق قدره) الآية
٩٩	(انظروا الى ثمرة اذا اثمر وينعه) الآية

تابع فهرس الآيات

رقم الآية	صفحة
١٠٥ (وكذ لك نصرف الآيات وليقولوا درست) الآية	٥٧٨
١٠٨ (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فسيبوا الله عدوا)	٥٨٤
١٠٩ (وأقسموا بالله جهدايمانهم) الآية	٥٨٨
١١١ (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) الآية	٥٩٥
١١٩ (وما لكم الا تاكلوا من ذكر اسم الله عليه)	٦٠٠
١٣٧ (وكذ لك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) الآية .	٦٠٤
١٤٥ (قل لا اجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه) الآية .	٦١٧
١٥٣ (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) الآية	٦٢٠
١٦٠ (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الآية	٦٢٣

سورة الأعراف

٢٦ (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يورى سوءتكم) الآية	٦٢٥
٣٢ (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية .	٦٣٤
٤٤ (ونادى اصحاب الجنة أصحاب النار) الآية	٦٣٧
١١١ (قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين)	٦٤٤
١٤٣ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) الآية	٦٥١
١٤٩ (ولما سقط فى ايديهم وروا انهم قد اضلوا) الآية	٦٥٦

تابع فهرس الآيات

رقم الآيه	صفحة
١٦٥	(واخذنا الذين ظلموا يعذاب بعيسى) الآيه ٦٥٩
١٩٠	(فلما آتاها صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاها فتعالى عما يشركون) ٦٦٦
٢٠١	(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) الآيه ٦٦٩
٢٠٣	(واخوانهم يمدونهم فى الفى ثم لا يقصرون) ٦٧٥

سورة الانفال

٩	(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) ٦٧٨
١٠	(وما جعله الله الا بشئئك ولتطمئن به قلوبكم) الآيه ٦٨٢
١٩	(ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) الآيه ٦٨٦
٥٩	(ولا يحسبن الذين كفروا واسبقوا انهم لا يعجزون) ٦٨٩
٦٦	(ألتن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) الآيه ٦٩٧

سورة التوبه

١٢	(وان نكثوا ايمانهم وطعنوا فردينكم) الآيه ٦٩٩
٣٠	(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) ٧٠٢
٣٠	(ايضا همون قول الذين كفروا من قبل) ٧٠٦
٦١	(ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن) الآيه ٧١١
٩٨	(ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مفرما) الآيه ٧١١
١٠٠	(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الآيه ٧١٤

تابع فهرس الآيات

رقم الآية	صفحة
١٠٣ (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم) الآية	٧١٦
١١٠ (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبه في قلوبهم) الآية	٧١٩
١٢٦ (ألا يرون أنهم يفتنون في كل مرة) الآية	٧٢٠

سورة يونس

١٥ (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون الاية .)	١٥٣
٢٢ (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم الآية)	١١٤
٦٤ (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)	٥٥

سورة هود

٤٠ (حتى اذا جاء امرنا وفار التنور) الآية	١٠٨
--	-----

سورة يوسف

٢٠ (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)	١٠٧
٧٠ (لا تائسوا من روح الله) الآية	١٥٣

سورة الحجر

٩ (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)	٢
٩ (انا نحن نزلنا الذكر) الآية	٤٦٧

سورة النحل

٤ (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) الآية	١
---	---

تابع فهرس الآيات

رقم الآية	صفحة
٢٢	١١١
(والخيل والبغال والحمير لتركبوها) الآية	
١٠٣	٥٧٩
(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر)	
١٥٥	٢١٧
(فتزل قدم بعد ثبوتها) الآية	
سورة الاسراء	
١٠٤	١٢١
(وقرانا فرقناه لتقرأه على الناس لعلهم يتقوا) الآية	
سورة الكهف	
٩٤	١٠٥
(فهل فهل نجعل لك خرجا)	
سورة المؤمنون	
٩١	٢١١
(وانهم لكان يبين ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الاله) الآية .	
سورة الشعراء	
١٣	١٦٥
(ويضق صدرى ولا ينطق لساني فأرسل الى هرون)	
سورة السجده	
١	١٥٧
(ا لم تنزل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين)	
سورة سبأ	
٤٥	٢٠٧
(وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير)	
سورة يس	
٣٥	١٦٦
(وما عملته ايديهم) الآية	

رقم الآيه	تابع فهرس الآيات	صفحه
	<u>سورة غافر</u>	
٢٨	(وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) الآيه	٢١
	<u>سورة الحديد</u>	
٢٤	(فان الله هو الغني الحميد)	١٦٦
	<u>سورة المجادلة</u>	
١٤	(اتخذوا ايمانهم جنة فمدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين)	٢٠٣
	<u>سورة المنافقين</u>	
١	(اذا جاءك المنافقون) الآيه	٢٠٣
	<u>سورة القلم</u>	
٨	(بأبيكم المفتون)	٢١٧
	<u>سورة الحاقه</u>	
٤٧	(ولو تقول علينا بعض الأقاويل) الآيه	١٥٩
١٤	(وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة)	٦٥١
	<u>سورة الفجر</u>	
٢١	(كلا اذا دكت الارض دكا دكا)	٦٥٢
	<u>سورة العلق</u>	
٥-١	(اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)	١٢١

فهرس الإءلام

فهرس الاعلام الذين وردت ترجمتهم فى الرسالة

المفحه	الاعلام	٢
١٥	ابن الجزرى	٢
٢٨	ابن خالويه	٢
١١٨	ابن دربله الازدى	٣
١١٣	ابن مجاهد مسيع السبعة	٤
١٣٧	ابن النديم	٥
١٧	أبو حيان صاحب البحر المحيط	٦
٣٠	أبو عمرو الدانى	٧
٤٩	احمد بن يحيى شطب	٨
٦٧	أبو بكر احمد ابن كامل	٩
	أبو سعيد بن الأعرابى	١٠
١٢٥	احمد بن محمد البرى	١١
١٢٦	أبو عمر البصرى	١٢
١٢٩	أبو زيد قيس ابن السكن	١٣
١٣٠	أبو عبد الرحمن السلمى	١٤
١٤٦	أبو الاسود الدؤلى	١٥
١٥٢	أبو اسحاق ابراهيم بن عمر الجعفرى	١٦
١٥٨	أبو الليث السمرقندى	١٧
١	الامام الشافعى	١٨
١٨	الامام بدر الدين الزركشى	١٩
٢٨	الامام العلامة أبى القاسم العدى	٢٠
١٢٦	أبو جعفر يزيد بن القعقاع	٢١
٣٨	الامام البخارى	٢٢

تابع فهرس الاعلام

الصفحة	الاعلام	٢
١٢٧	اسحاق بن ابراهيم	٢٣
١٥٥	الامام النووي	٢٤
	أبو شامه	٢٥
٢٩	احمد بن محمد الجزري	٢٦
١٢٩	أنس بن مالك	٢٧
٤١٢	الاشموني	٢٨
٤٩٧	ابن الطرواة	٢٩
١٢٧	ادريس بن عبدالكريم	٣٠
٦٢٢	أبو البقاء العكبري	٣١
١١٩-٣٥	ابن جرير الطبري	٣٢
٥٠	أبو حمام الوليد	٣٣
٥١	احمد بن مقدم	٣٤
٥١	احمد بن منيع	٣٥
٥١	اسحاق المروري	٣٦
٥١	اسماعيل بن موسى	٣٧
٣٩	بشير بن محمد الدولابي	٣٨
٥١	بشير بن معاذ	٣٩
١٧٠	جولد تيسهر	٤٠
١٢٦	جعفر ابن عمر الدوري	٤١
٧٤	الحسن بن علي الهمزاني	٤٢
١٢٦	حفص بن سليمان	٤٣
١٢٦	حمزة بن حبيب الزيات	٤٤
١٢٦	خلف بن هشام	٤٥
١٢٦	خلاد بن خالد	٤٦
١٤٩	الخطابي	٤٧
٤٩	دهود بن علي	٤٨
٦٧٨	خزيمه بن تحت	٤٩

تابع فهرس الاعلام

الصفحة	الاعلام	م
٦١	الربيع بن سليمان	٥٠
-	رؤيه بن العجاج	٥١
١٢٧	روح	٥٢
١٢٧	رويس	٥٣
٢	الزعفراني تلميذ الشافعي	٥٤
١٣٠	زيد بن ثابت	٥٥
١٢٧	سليمان بن جمار	٥٦
١٢٦	شعبه روى عاصم	٥٧
٣٣	شهاب الدين القسطلاني	٥٨
٢٨	الشاطبي	٥٩
١٢٦	صالح بن زياد السوسي	٦٠
٥٧	الطرماح بن حكيم	٦١
٤١	عبد الرحمن بن عمر الازاعي	٦٢
١٢٥	عبد الله بن كثير المكي	٦٣
٢٩	عبد الفتاح القاضي	٦٤
١٢٦	عبد الله بن عامر الشامي	٦٥
٥١	عبيد الله بن عبد الكريم	٦٦
٥١	عبيد الله بن اسماعيل	٦٧
٩	علم الدين السخاوي	٦٨
١٢٦	عبد الله بن احمد المعروف بابن ذكوان	٦٩
١٢٦	عاصم بن أبي النجود	٧٠
١٢٦	علي بن حمزه	٧١
١٢٧	عيسى بن الحذاء	٧٢
١٥٤	عز الدين بن عبد السلام	٧٣
٢٨	علي النور الصفاقسي صاحب غيت التفح	٧٤
٢٨	عبد الله بن محمد بن احمد الموصلي	٧٥
٢٩	علي محمد الضياع تاج القراء	٧٦
٥٠	عمر بن موسى الليثي	٧٧

تابع فهرس الاعلام

الصفحة	الاعلام	م
٢٥	القراء	٧٨
٣١	القاضي ابوبكر الباقلاني	٧٩
١٢٥	قالون	٨٠
١٢٥	قنبل	٨١
٣٩	الميرد	٨٢
٥١	محمد بن المثنى	٨٣
٥٠	محمد بن عبد الملك	٨٤
٥٠	محمد بن المطلب	٨٥
٥٠	محمد بن بشار	٨٦
-	مكي بن أبي طالب النقيسي	٨٧
١٢٥	نافع بن عبد الرحمن	٨٨
١٢٥	ورث	٨٩
٢٠	هارون الرشيد	٩٠
١٢٦	هشام بن عمار	٩١
٥٠	هناد بن السري	٩٢
١٢٧	يعقوب الحضرمي	٩٣

الفهارس

فهرس المراجع

- ١ - اتقان فى علوم القرآن للسيوطى - مطبعة حجازى بالقاهره -
الناشر المكتبه التجارىه الكبرى لصاحبها مصطفى محمد .
- ٢ - نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلانى .
الناشر منشأة المعارف بالاسكندريه - تحقيق دكتور محمد زغلول
سلام .
- ٣ - البحر المحيط. لابي حيان - الطبعة الثانيه
الناشر دار الفكر سنة ١٣٩٨ هـ
- ٤ - التفسير والمفسرون للذهبي - الطبعة الثانيه سنة ١٣٩٦ هـ
منشورات دار الكتب الحديثه
- ٥ - سراج القارىء لابي القاسم البغدادى مع غيث النفع للعلامه
على النورى الصفاقى الطبعة الأولى .
منشورات المكتبه التجارىه الكبرى سنة ١٣٥٢ هـ
- ٦ - التبيان فى اعراب القرآن للعكبرى تحقيق محمد على البجاوى
مطبعة عيسى البابى الحلبي .
- ٧ - الارشادات الجليه تأليف دكتور محمد سالم محيسن
الناشر مكتبة الكليات الازهرية سنة ١٣٨٩ هـ
- ٨ - المهذب فى القراءات العشر تأليف الدكتور المذكور آنفا .
الناشر مكتبة الكليات الازهرية

تابع فهرس المراجع

- ٩ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها تأليف مكى بن ابي طالب
القيسى تحقيق الدكتور محى الدين رمضان .
مطبوعات مجمع اللغة العربيه بدمشق سنة ١٣٩٤ هـ
- ١٠ - المستنبر فى تحريج القراءات المتواتره تأليف الدكتور محمد سالم
محيسن . الطبعة الاولى .
الناشر مكتبة جمهورية مصر سنة ١٣٩٦ هـ
- ١١ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه تحقيق احمد سيد صقر -
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣ هـ
الناشر دار التراث بالقاهره .
- ١٢ - غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى
الناشر مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٣٥١ هـ
- ١٣ - املاء ما من به الرحمن للمكبرى تحقيق ابراهيم عطوه عوض .
الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هـ
الناشر مطبعة مصطفى البابى الحلبى
- ١٤ - مقدمتان فى علوم القرآن تحقيق مستشرقه آشره جفرى
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ
الناشر مكتبة الخانجى بالقاهره .
- ١٥ - مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى - مطبوعة
عيسى البابى الحلبى
الناشر دار احياء الكتب العربيه

تابع فهرس المراجع

- ١٦ - الفتوحات الالهية على الجلالين لسليمان الجمل .
مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه
- ١٧ - البرهان في علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد ابو فضل ابراهيم
الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .
- ١٨ - النشر في القراءات العشر لابن الجزرى .
الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر
- ١٩ - هداية القارئ الى التجويد كلام البارى للشيخ عبدالفتاح
المرصفى - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٢٠ - الحجة في القراءات السبع لابن خالويه تحقيق دكتور عبدالعال
سالم مكرم - الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ .
الناشر دار الشروق .
- ٢١ - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبدالقاهر
الجرجاني فى الدراسات القرآنية والنقد الادبى - تحقيق محمد
خلف الله أحمد ودكتور محمد زغلول سلام - الطبعة الثانية
الناشر دار المعارف بمصر .
- ٢٢ - اعجاز القرآن للباقلانى تحقيق السيد أحمد صقر .
الناشر دار المعارف بمصر .
- ٢٣ - اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للدمايطى البنا .
الناشر مطبعة ومكتبة المشهد الحسينى .

تابع فهرس المراجع

٢٤ - البدور الزاهره في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبدالفتاح
القاضي - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥ هـ
الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده بمصر .

٢٥ - حرز الأمانى ووجه التهانى للشيخ الشاطبى
الناشر مطبعة مصطفى الباني الحلبي سنة ١٣٥٥ هـ

٢٦ - دراسات تاريخيه مع تعليقه فى منهج البحث وتحقيق المخطوطات
للدكتور أكرم ضياء العمرى
الناشر مطبعة الجامعه الاسلاميه

٢٧ - حجة القراءات للامام الجليل أبى زرعه عبد الرحمن ابن محمد -
تحقيق سعيد الافغانى - الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ
الناشر مؤسسة الرسالة ببيروت .

٢٨ - كتاب السبعة لابن مجاهد تحقيق دكتور شوقى ضيف - الطبعة
الثانيه
الناشر دار المعارف

٢٩ - محاضرات تاريخ الامم الاسلامية والدولة العباسية - تأليف
الشيخ محمد حضرى بك .
الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٣٠ - الوائى على الشاطبيه للشيخ عبدالفتاح القاضي

تابع فهرس المراجع

- ٣١ - الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين للدكتور احمد الانصارى .
الناشر دار المعارف بالقاهرة سنة ١٣٩٣ هـ
- ٣٢ - التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدابى عنى بتصحيحه
اوتورنزل استنبول - مطبعة الدولة ١٩٣٠ م - لجمعية
المستشرقين الألمانية .
- ٣٣ - الايضاح شرح متن الدرّة للقراءات الملات للشيخ عبدالفتاح القاضى
- ٣٤ - تقريب النفع فى القراءات السبع للشيخ على بن محمد الضباع
- ٣٥ - ارشاد المرید الى مقصود القصيد للشيخ المذكور .
- ٣٦ - شرح طيبة النشر فى القراءات العشر لأحمد بن الجزرى تحقيق
الشيخ محمد على محمد الضباع - الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ
مطبعة مصطفى البابى الحلبي
- ٣٧ - لطائف الاشارات لفنون القراءات للقسطالانى - تحقيق وتعليق
الشيخ عامر والسيد عثمان ودكتور عبد الصبور شاهين
الناشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لجنة احياء التراث الاسلامى
سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

تابع فهرس المراجع

٣٩ - دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبرى المفسر للدكتور
لبيب سعيد .

٤٠ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - لابي عبدالله محمد بن أحمد
الانصارى القرطبي ت ٦٧١ هـ

الناشر دار احياء التراث العربى بيروت سنة ١٩٦٧ م

٤١ - طلائع البشر فى توجيه القراءات العشر للشيخ محمد الصادق
القحماوى - الطبعة الاولى - مطبعة النصر لصاحبها البكرى
عبدالعزیز .

الناشر مكتبة الايمان .

٤٢ - العمدة فى غريب القرآن لمكى بن ابى طالب القيسى - شرح
وتعليق يوسف عبدالرحمن المرعشلى

الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة الاولى سنة ١٤٠١ هـ

٤٣ - معانى القرآن للقراء تحقيق دكتور عبدالفتاح اسماعيل شبلى -

مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ م

٤٤ - القيصرة فى القراءات السبع لأبى محمد مكي بن ابى طالب القيسى

تحقيق الدكتور المقرئ محمد غوث الندوى - الطبعة الثانية

سنة ١٤٠٢ هـ

نشر وتوزيع الدار السلفية .

٤٥ - كتاب المرشد الوجيز الى عموم تتعلق بالكتاب العزيز لابي شامه

تحقيق طيا آلتى فولاج - دار صياد بيروت .

- (فهرس الموضوعات) -
~~~~~

| الصفحة | الموضوع                                                  |
|--------|----------------------------------------------------------|
| ١      | المقدمة .....                                            |
| ٨      | المبحث الأول .....                                       |
| ٤      | سبب اختيار الموضوع .....                                 |
| ١٧     | السبب الثالث .....                                       |
| ١٨     | العلاقة بين التفسير والقراءات .....                      |
| ٢١     | بيان ان القرآن يفسر بعضه بعضا .....                      |
| ٢٢     | دعوة أهل القرآن الى امعان النظر في كتب التفسير           |
| ٢٣     | المبحث الثاني .....                                      |
| ٢٤     | بهاج كون تفسير الطبري أول التفسير .....                  |
| ٢٧     | المبحث الثالث .....                                      |
| ٣٥     | الباب الأول : ترجمة الطبري .....                         |
| ٣٥     | مولده .....                                              |
| ٣٦     | الحالة السياسية والعلمية في عصره .....                   |
| ٤٤     | المبحث الأول : نسبه .....                                |
| ٤٣     | حياته العلمية ونبوغه .....                               |
| ٤٤     | المبحث الثاني : دراسته .....                             |
| ٤٩     | المبحث الثالث : ذكائه وقوة حفظه .....                    |
| ٥٢     | الفصل الثالث : في ذكر مشايخه على وجه العموم              |
|        | الفصل الرابع : صفاته الخلقية والعقلية وفيه ثلاثة مباحث : |
| ٤٧     | المبحث الأول : ورعه .....                                |
| ٥٩     | المبحث الثاني : اعراضه عما في ايدي الناس                 |
| ٥٥     | الفصل الرابع : صفاته الخلقية .....                       |

تابع فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع                       |
|--------|-------------------------------|
| ٦٢     | المبحث الثالث جرأته في الحق   |
| ٦٤     | المبحث الرابع تواضعه          |
| ٦٧     | الفصل الخامس في تلاميذه       |
| ٦٩     | ثناء العلماء عليه             |
| ٧٠     | الفصل السابع في مؤلفاته       |
| ٧٨     | مذهبه في العقيدة              |
| ٨١     | رأيه في الامامه               |
| ٨٤     | برأته مما اتهم به من التشيع   |
| ٨٨     | ذكر ما جرى بينه وبين الحنابلة |
|        | الفصل التاسع ذكر اهم مناهجه   |
| ١٠٥    | موقفه من الاسانيد             |
| ١٠٧    | انصرانه عما لا فائدة فيه      |
| ١٠٩    | رجوعه الى الشعر القديم        |
| ١١٠    | اهتمامه بالمذاهب النحويه      |
| ١١١    | معالجته للأحكام الفقهية       |
| ١١٢    | خوضه في المسائل الكلاميه      |
| ١١٥    | موقفه من الاسرائيليات         |
| ١١٨    | الفصل العاشر وفاته رحمه الله  |
| ١٢٠    | الباب الثاني نشأة القراءات    |
| ١٢٠    | الخطوه الاولى                 |
| ١٢٣    | الخطوه الثانيه                |
| ١٢٤    | الخطوه الثالثه                |

تابع فهرس الموضوعات

| الصفحة            | الموضوع                                      |
|-------------------|----------------------------------------------|
| ١٢٨               | الخطوة الرابعة شيوخ ظاهرة اختلاف القراءات    |
| ١٢٩               | الخطوة الخامسة                               |
| ١٣٢               | الخطوة السادسة                               |
| ١٣٣               | الخطوة السابعة                               |
| ١٣٤               | الخطوة الثامنة تسبيع السبعة                  |
| ١٣٦               | الخطوة التاسعة مرحلة الاحتجاج                |
| ١٣٧               | الخطوة العاشرة تفريد القراءة وتثمينها        |
| ١٣٩               | الفصل الثانى تعريف القراءات                  |
| ١٤٤               | مناقشة الضابط الذى يزن به بعض الناس القراءات |
| ١٦٠               | الفصل الثالث مصادر القراءات                  |
| ١٦٤               | الفصل الرابع اختلاف القراءات واسبابه         |
| ١٦٦               | اسباب اختلاف القراءات                        |
| ١٧٣               | الفصل الخامس فوائد اختلاف القراءات           |
| ١٧٨               | الفصل السادس انواع اختلافها                  |
| ١٨١               | الفصل السابع بيان معنى الاختيار فى القراءات  |
| ١٨٣               | الفصل الثامن الفرق بين القراءات والتجويد     |
| ١٨٧               | الباب الثالث                                 |
| من ١٩٢<br>الى ٣٣٤ | بيان القراءات التى تعرض الشيخ فى سورة البقره |
| من ٣٣٥<br>الى ٤١٦ | القراءات التى فى سورة آل عمران               |
| من ٤١٧<br>الى ٤٧٤ | القراءات التى فى سورة النساء                 |

تابع فهرس الموضوعات

| الصفحة            | الموضوع                       |
|-------------------|-------------------------------|
| من ٤٧٥<br>الى ٥٢٦ | القراءات التي في سورة المائدة |
| من ٥٢٧<br>الى ٦٢٤ | القراءات التي في سورة الأنعام |
| من ٦٢٥<br>الى ٦٧٧ | القراءات التي في سورة الأعراف |
| من ٦٧٨<br>الى ٦٩٨ | القراءات التي في سورة الأنفال |
| من ٦٩٩<br>الى ٧٢١ | القراءات التي في سورة التوبة  |
| ٧٢٢               | الخاتمة                       |